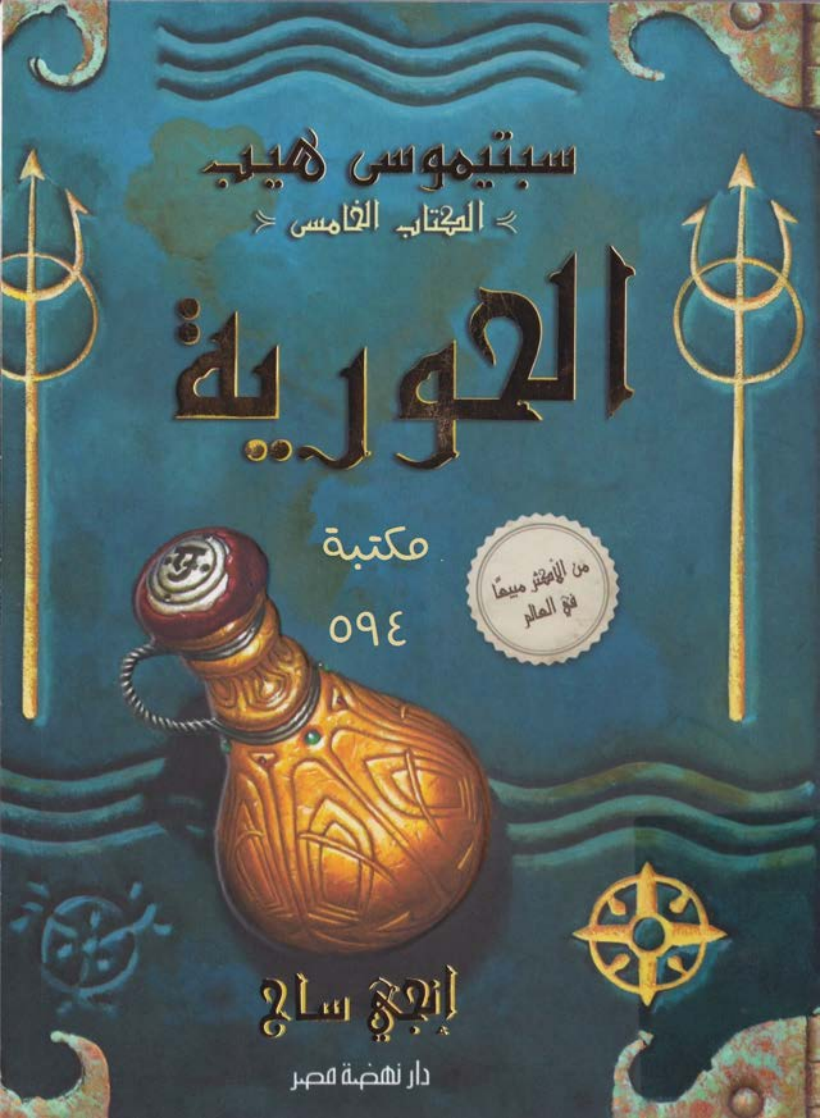

سبتيموس هيب
الكتاب الخامس
الحورية
مكتبة
٥٩٤
من الأكثر مبيعًا في العالم
إنجي ساج
دار نهضة مصر

مكتبة | 594

سبتيموس هيب

الكتاب الخامس



الحورية

العنوان: سبتيموس هيب: الحورية

تأليف: إنجي ساج

رسوم: مارك زوج

ترجمة: أحمد محمد مجاهد

مراجعة: إدارة النشر والترجمة بدار نهضة مصر للنشر

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

Original English title: SEPTIMUS HEAP - SYREN

Published by Nahdet Misr Publishing House upon arrangement with HorperCollins Children's Books, a division of HarperCollins Publishers, 10 East 53rd Street, New York, NY 10022, USA.

ترجمة كتاب SEPTIMUS HEAP - SYREN
تصدرها دار نهضة مصر للنشر
بترخيص من شركة HarperCollins Publishers

ساج، إنجي
الحورية، سبتيموس هيب / إنجي ساج
رسوم: مارك زوج، ترجمة: أحمد محمد مجاهد
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
الجيزة: دار نهضة مصر للنشر / 2018
640 ص ، 18 سم.
تدمك: 9789771456407
1- القصص الإنجليزية.　　أ- زوج ، مارك (رسام)
ب- مجاهد، أحمد محمد (مترجم).　　جـ- العنوان



الترقيم الدولي: 978-977-14-5640-7
رقم الإيداع: 10449/ 2018
طبعة: أغسطس 2018

21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02

خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

مكتبة | 594

سبتيموس هيب

الكتاب الخامس

الحورية



إنجي ساج

رسوم: مارك زوج



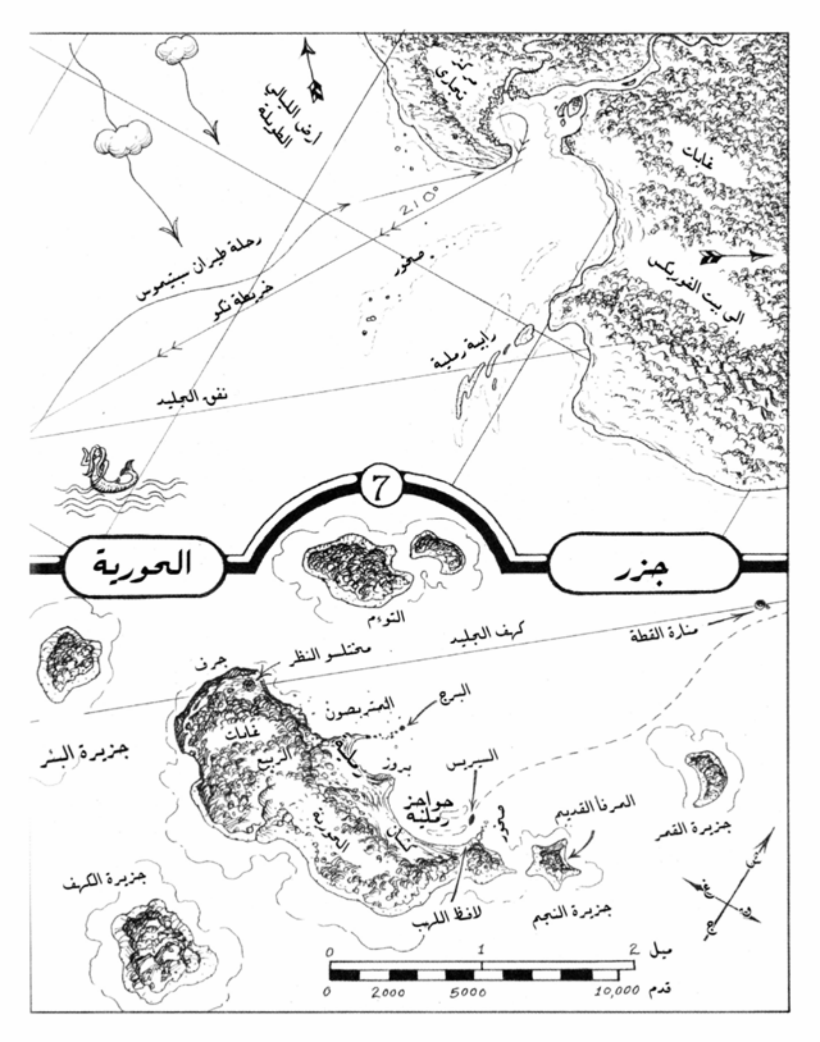
إلى إيونيس،

هناك في البدء،

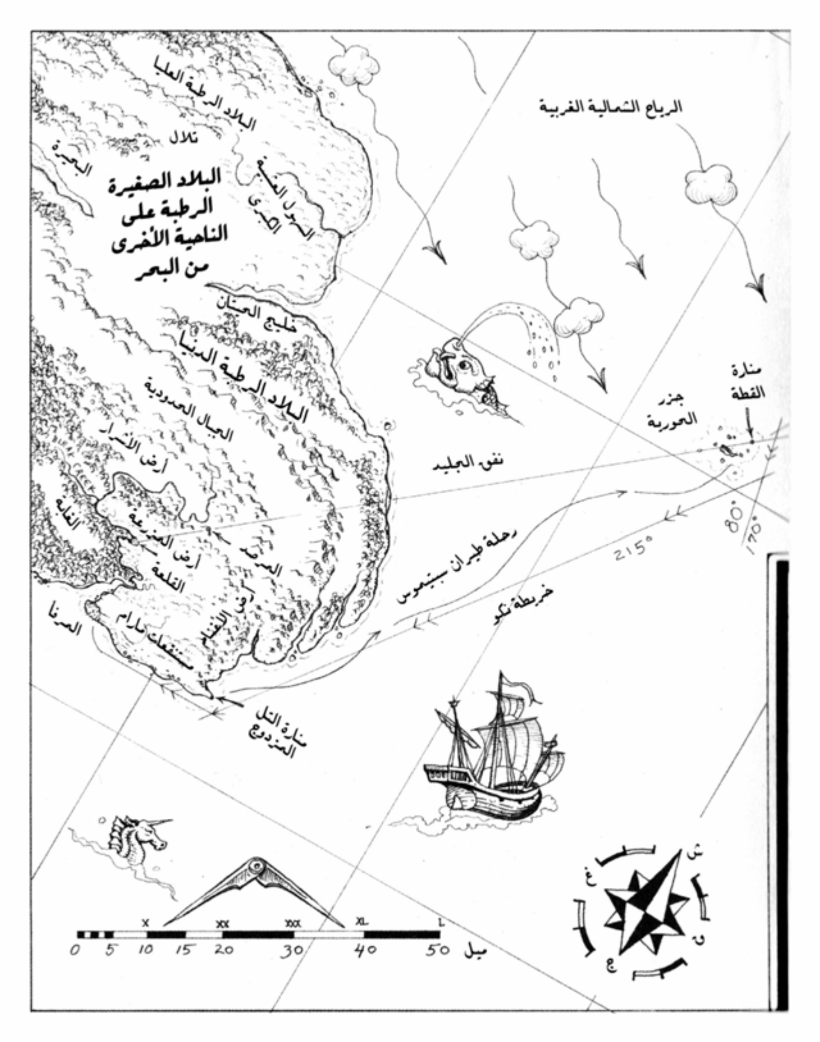
ودومًا

⁜ محتوى الكتاب ⁜

الحورية



أرض الليالي الطويلة
غابات
210°
رحلة طيران سبتيموس
خريطة تكو
صخور
الى بيت الفوريكس
راية رملية
نفق الجليد
7
الحورية
جزر
التوءم
كهف الجليد
منارة القطة
مختلسو النظر
جرف
البرج
المتربصون
غابات الربيع
جزيرة البشر
بروز
السيرس
حواجز رملية
المرفأ القديم
جزيرة القمر
الحورية
لافظ اللهب
جزيرة النجم
جزيرة الكهف
ميل 0 1 2
قدم 0 2000 5000 10,000



البلاد الرطبة العليا
تلال
البحيرة
البلاد الصغيرة الرطبة على الناحية الأخرى من البحر
خليج الحيتان
البلاد الرطبة الدنيا
الجبال الحدودية
أرض الأشرار
الغابة
أرض الفريعة
القلعة
السرنا
منارة التل المزدوج
الرياح الشمالية الغربية
منارة القطة
جزر الحورية
نفق الجليد
رحلة طيران سبتيموس
خريطة نكو
215°
80°
170°
X
XX
XXX
XL
L
0 5 10 15 20 30 40 50 ميل
ش
غ
ج
ق

تمهيد:
تقاطع المسارات

إنها ليلة نكو الأولى خارج **بيت الفوريكس**، وجينا ترى أنه قد أصابه شيء من الجنون.

فقبل بضع ساعات، وأمام إصرار نكو، صحب سبتيموس ولافظ اللهب كلًّا من جينا ونكو وسنوري وأولر وبيتل إلى موقع **المركز التجاري** عبر سلسلة من الموانى الواقعة عند أطراف اليابسة؛ حيث يختفي **بيت الفوريكس**. كان نكو يَتُوقُ إلى رؤية البحر مرة أخرى، ولم يشعر أحدهم - ولا حتى مارشا - بأنه قادر على الرفض.

أبدى سبتيموس اعتراضه أكثر قليلًا من أي شخص آخر؛ فهو يعلم أن تِنِّينَه صار مُتعبًا بعد رحلة الطيران

الطويلة من **القلعة** إلى **بيت الفوريكس**، وكلاهما واجه رحلة عودة طويلـة للوطن مع إيفانيا جريب، الذي يُعاني مرضًا خطيرًا، غير أن نكـو كان عنيـدًا، كان عليـه أن يذهب - من بيـن كل الأماكن- إلى غرفة شـبك علوية متهالكة عند الميناء رقم ثلاثة، الذي كان واحدًا مـن الموانى الأصغر في **المركز التجاري**، وكان أكثر ما يسـتخدمه قوارب الصيد المحلية، أخبرهـم نكو أن غرفة الشبك العلوية كانت تخـص رئيـس البحَّـارة علـى السـفينة التـي أبحـر علـى متنها هو وسـنوري طيلة تلك السـنين في الماضي، وكانت تُبحر بين الميناء **والمركز التجاري**.

كان نكو، وسط إحدى الرحلات البحرية، قد أنقذ السفينة من كارثة بقيامه بإصلاح طارئ لأحد الصَّوَاري المكسورة، وعرفانًا بالفضل؛ أعطى رئيس البحارة، ويُدْعَى السيد هيجز، نكو مفتاحًا لغرفته العلوية وأصَرَّ على أن نكو باستطاعته - بل في الواقع يجب عليه - أن يُقيم فيها في أي وقت يكون فيه في **المركز التجاري**.

وحين أشار سبتيموس إلى أن هذا الأمر كان منذ خمسمائة عام مضت، وأن العرض يحتمل ألَّا يكون قائمًا؛ هذا إذا نحَّيْنا غرفة الشبك العلوية نفسها جانبًا، أخبره نكو أن العرض لا يزال قائمًا بالطبع، فالعرض يظل عرضًا، وقال نكو إن كل ما يريده هو أن يكون قريبًا من القوارب مرة أخرى، أن يسمع صوت البحر مرة

أخرى، أن يشم رائحة الملح في الهواء. لم يجادل سبتيموس أكثر، فكيف له - أو لأي أحد آخر - أن يرفض لنكو هذا الطلب؟

وهكذا، ورغم بعض الشكوك التي تساوره، تركهم سبتيموس عند نهاية الزُّقَاق المُعْتم الذي أصرَّ نكو أنه يضم غرفة الشبك العلوية الخاصة بالسيد هيجز. عاد سبتيموس ولافظ اللهب إلى بيت شجرة جليدي بالقرب من بيت **الفوريكس** حيث ينتظرهما إيفانيا جريب ومارشا وسارة هيب ليعيداهم إلى **القلعة**.

ومع ذلك، وبعد رحيل سبتيموس، لم تسر الأمور على ما يرام في غرفة الشبك العلوية؛ فنكو - الذي فوجئ بأن مفتاحه لا يستطيع معالجة الباب - اضطر لاقتحام الغرفة، ولم ينلْ ما قابلوه بداخلها إعجاب أحد، كانت تفوح منها رائحة كريهة، وكانت كذلك تلفُّها الظلمة والكآبة والبرودة، وكان واضحًا أنها تُستخدم مقلبًا لنفايات الأسماك، دلَّ على ذلك كومة الأسماك المتعفنة المتراكمة أسفل النافذة الصغيرة الخالية من الزجاج، لم يكن هناك - حسبما أشارت جينا بعصبية - مكان للنوم؛ إذ إن الجزء الأكبر من الدورين العلويين كان لا وجود له؛ مما سمح برؤية جيدة لفتحة كبيرة في السقف، بدا واضحًا أن أسراب النَّوْرَس المحلية تستخدمها مِرْحاضًا. ورغم ذلك، ظل نكو غير متزحزح عن موقفه، لكن عندما سقط بيتل على الأرضية المتعفنة وبقي متعلقًا من حزامه فوق قبو مملوء بوحل لا يمكن تحديد ماهيته، اندلع التمرد.

وكان ذلك سبب عثورنا الآن على جينا ونكو وسنوري وأولر وبيتل واقفين خارج مقهى بائس في الميناء رقم واحد؛ وهو أقرب مكان لتناول الطعام. إنهم يطالعون شخابيط مكتوبة فوق سبورة تقدم ثلاثة أصناف من الأسماك، شيء يطلق عليه **يخني الحظ المطبوخ** وشريحة لحم من حيوان لم يسمع به أحد مطلقًا.

وكانت جينا تقول إنها لا تعبأ بماهية الحيوان ما دام ليس أحد حيوانات **الفوريكس**، أما نكو فيقول إنه لا يعبأ هو الآخر؛ إنه سيحصل على طبق من كل شيء، فهو - كما يقول - يشعر بالجوع لأول مرة منذ خمسمائة عام، لا أحد بمقدوره أن يجادل في هذا.

ولا يجادلهم أحد في المَقهى كذلك، يحتمل أن يكون السبب ببساطة، هو ذلك النمر الأسود الضخم ذو العينين الخضراوين الذي يتبع الفتاة الشقراء الطويلة كظلها، والذي يُصْدر هديرًا مدمدمًا خفيضًا إذا اقترب أحد، أما جينا فهي تشعر بسعادة بالغة من صحبة أولر؛ فالمقهى مكان يوحي بالخطر، يملؤه البحارة والصيادون والتجار المختلفون، الذين لاحظوا جميعهم مجموعة المراهقين الأربعة الذين يجلسون على المائدة بجوار الباب، كان أولر يضع الناس عند حدودهم، غير أن النمر الأسود لا يمكنه أن يوقف النظرات غير المتناهية التي لا تبعث على الارتياح.

اختار الجميع **يخني الحظ المطبوخ**، الذي لم يكونوا محظوظين به، حسب تعليق بيتل، بينما واصل نكو تنفيذ ما هدَّد به وتناول كل

ما احتوته قائمة الطعام، وأخذ الجميع يراقبون نكو وهو يأتي على أطباق عديدة من الأسماك غريبة الشكل، والمزينة بمجموعة متنوعة من الطحالب البحرية وشريحة لحم حمراء سميكة ذات شعيرات بيضاء على قشرتها، والتي أطعمها لأولر بعد قضمة واحدة منها، وأخيرًا تناول نكو طبقه الأخير؛ سمكة بيضاء طويلة ذات عظام كثيرة صغيرة ونظرة مُؤنِّبة. كانت جينا وبيتل وسنوري قد انتهوا لتوهم من تناول سُلطَانيَّة شعبية من حلوى الميناء؛ وهي عبارة عن تفاح مخبوز يتناثر عليه فتات الحلوى ويُغطى بصوص الشوكولاتة.

كانت جينا تشعر بالإعياء؛ كان كل ما تريده هو أن تتمدد، وكانت حتى مجموعة من شباك الصيد المبللة في غرفة شبك كريهة الرائحة ستفي بالغرض. لم تلاحظ أن المقهى كله غرق في الهدوء وصار الجميع ينظرون إلى تاجر يرتدي ملابس يبدو عليها الثراء الفاحش، والذي دخل لتوِّه. لفَّ التاجر المكان خافت الإضاءة بعينيه، دون أن يرى من يتوقع رؤيته - غير أنه عندئذ رأى بالفعل أحدًا لم يكن يتوقع نهائيًّا أن يراه - إنها ابنته.

صاح ميلو باندا: «جينا! ما الذي تفعلينه هنا بحق السماء؟».

هبَّت جينا واقفة وشهقت قائلة: «ميلو! ولكن ما الذي تفعله أنت هنا...». وتلاشى صوتها، أخذت جينا تفكر في أنه في الواقع، هذا هو بالفعل نوع المكان الذي يمكن أن تتوقع أن تجد أباها فيه؛

مكان مليء بأناس غريبي الأطوار، تشتم فيه رائحة الصفقات المشبوهة والتهديد الخفي.

جذب ميلو كرسيًّا وجلس معهم، كان يريد أن يعرف كل شيء؛ سببَ وجودهم هناك، وكيف وصلوا، وأين يقيمون؟ لكن جينا رفضت أن تشرح الأمر؛ فالقصة تخص نكو، لا تخصها، وهي لا تريد أن يسمع كل مَن بالمقهى؛ وهم بالفعل يفعلون.

أصرَّ ميلو على دفع الحساب، ثم قادهم إلى الخارج حيث رصيف الميناء المزدحم. وقال في نبرة تَنُمُّ عن اعتراض: «لا أستطيع تخيل سبب وجودكم هنا؛ يجب ألا تبقوا هنا لحظة واحدة أكثر من ذلك، هذا أمر لا يليق، فليس هذا نوع الناس الذي ينبغي أن تختلطي بهم يا جينا».

لم ترد جينا؛ وامتنعت عن الإشارة، إلا أن ميلو بدت عليه بوضوح السعادة بالاختلاط بهم.

واصل ميلو كلامه قائلًا: «إن المركز التجاري ليس مكانًا للصغار الأغرا ....».

قاطعته جينا محتجَّة: «لسنا .....».

«أنتم أقرب ما تكونون لذلك، ستأتون جميعًا إلى سفينتي».

لم تحب جينا أن يُملى عليها ما يجب أن تقوم به، حتى لو كانت فكرة قضاء الليلة في سرير دافئ غاية في الإغراء.

قالت في تجهم: «لا، شكرًا لك يا ميلو».

قال ميلو في غير تصديق: «ماذا تعنين؟! إني أرفض السماح لكم بالتسكع في هذا المكان ليلًا وحدكم».

بادرت جينا قائلة: «نحن لا نتسكع ...». غير أن نكو أوقفها متسائلًا: «أي نوع من السفن هي؟».

أجاب ميلو: «إنها من طراز باركينتاين».

رد نكو: «سنأتي».

وهكذا تقرر أنهم سيقضون الليلة على متن سفينة ميلو. كان ذلك خلاصًا لجينا رغم أنها لم تظهر ذلك، أما بيتل فقد شعر بالارتياح وأظهر ذلك؛ إذ ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، وحتى سنوري فقد بدت على وجهها ابتسامة باهتة وهي تتبع أثر ميلو، وأولر في أعقابها.

قادهم إلى مؤخرة المقهى، عبر باب في أحد الحوائط، ومنه إلى زقاق مظلم يمتد خلف المواني الصاخبة. إنه طريق مختصر يستخدمه الكثيرون نهارًا، غير أنه في الليل يفضل الغالبية أن يبقوا تحت الأضواء المتلألئة للمواني؛ ما لم يكن هناك عمل سري يجري إنجازه، لم يكونوا قد قطعوا أكثر من ياردات قليلة عبر الزقاق حين ظهر شبح شخص يندفع في اتجاههم، توقف ميلو أمام ذلك الشخص ليسد عليه طريقه.

قال مزمجرًا: «لقد تأخرت».

قال الرجل: «أنا ... أنا آسف، أنا...». وتوقف ليلتقط أنفاسه.

قال ميلو بنفاد صبر: «ما عندك؟».

«لقد حصلنا عليه».

«حقًّا؟ هل هو سليم؟».

«نعم، نعم سليم».

بدا ميلو قلقًا وهو يسأله: «ألم يكتشفكم أحد؟».

«ها، لا يا سيدي، لا أحد. لا.. لا أحد على الإطلاق يا سيدي، وهذه هي الحقيقة، بكل أمانة يا سيدي، هي الحقيقة».

«حسنًا، حسنًا، أنا أصدقك. كم بقي حتى وصوله؟».

«غدًا يا سيدي».

أومأ ميلو برأسه موافقًا وسلم الرجل صُرَّة نقود. «هذا مقابل تعبك، والباقي عند الاستلام. استلام آمن وبدون تعقب».

انحنى الرجل وهو يقول: «شكرًا لك يا سيدي»، ثم ذهب وذاب في الظلام.

تفحص ميلو جمهوره المفتون؛ ثم قال وهو يبتسم بحنان نحو جينا: «إنه مجرد عمل، إنه بالأحرى شيء مميز من أجل أميرتي».

ردت جينا بنصف ابتسامة، إنها نوعًا ما تعجبها طريقة ميلو، ونوعًا ما لا تعجبها. إنه أمر محير بشدة.

غير أنه في الوقت الذي وصلوا فيه إلى سفينة ميلو، **السيريس**، صارت جينا أقل حيرة؛ إذ كانت السيريس أكثر السفن التي رأتها روعةً على الإطلاق، وحتى نكو كان عليه أن يعترف أنها أفضل من غرفة الشبك النتنة.

I

ترقية

استيقظ سبتيموس هيب، ذلك المتدرب الاستثنائي، على يد جُرذِه المنزلي وهو يضع رسالةً على وسادته. بجهد بالغ فتح سبتيموس عينيه، وتذكر وهو يشعر بارتياح أين هو؟ لقد عاد إلى غرفة نومه على قمة برج السحرة، لقد تمت الرحلة. وعندئذٍ تذكر أن جينا ونكو وسنوري وبيتل لا يزالون خارج الوطن. نهض سبتيموس وقد أفاق فجأة. اليوم – وبغض النظر عما قالته مارشا – سيذهب ويعيدهم.

نهض سبتيموس، والتقط الرسالة وأزال بعضًا من روث الجُرْذان عن وسادته، وبعناية فتح قطعة الورق الصغيرة وقرأ:

من مكتب
الساحرة العظمى
مارشا أوفرستراند

سبتيموس، أود ببالغ الشدة
أن أراك عند منتصف النهار في مكتبي.
أتمنى أن يكون ذلك مناسبًا لك.
مارشا

أصدر سبتيموس صفيرًا خفيضًا، فرغم أنه كان تلميذ مارشا لقرابة ثلاثة أعوام، فإنه لم يضرب موعدًا معها من قبل، وإذا أرادت مارشا أن تتحدث مع سبتيموس كانت تقطع عليه أيًا ما كان يفعل وتتحدث معه، وكان على سبتيموس حينها أن يتوقف عما يفعل فورًا وأن يُنْصِت.

لكن اليوم، في ثاني أيام عودته من الرحلة، يبدو أن هناك شيئًا قد تغير، وبينما كان سبتيموس يقرأ الرسالة مرة أخرى، لمجرد التأكد، تناهت عبر نافذته أصوات قرع الأجراس البعيدة الآتية من ساعة ساحة تجار الأقمشة، عدها سبتيموس الحادية عشرة، وتنهد تنهيدة ارتياح، فلم يكن بالأمر الجيد أن يتأخر على موعده غير المسبوق مع مارشا. كان سبتيموس قد خَلد للنوم متأخرًا، لكن هذا كان بناءً على تعليمات مارشا، لقد قالت له أيضًا إنه ليس عليه

أن ينظف المكتبة هذا الصباح، نظر سبتيموس إلى شعاع الشمس الذي يحمل ألوان قوس قزح المتسلل عبر زجاج نافذته الأرجواني وهز رأسه مبتسمًا؛ بإمكانه أن يعتاد هذا الأمر.

بعد مرور ساعة، قرع سبتيموس بأدب باب مارشا وقد ارتدى ثوب التدريب الأخضر الذي وضع من أجله في غرفته.

«تفضل يا سبتيموس» جاءه صوت مارشا عبر باب الحجرة المصنوع من البَلُّوط السميك. دفع سبتيموس الباب ذا الصَّرِير وتقدم إلى الداخل. كان مكتب مارشا عبارة عن حجرة صغيرة مكسوة بالخشب، بها مكتب كبير يقع أسفل النافذة، وزَغَب **سحري** في الهواء أصاب جلد سبتيموس بقشعريرة. كانت الحجرة مبطنة برفوف تتزاحم عليها كتب مربوطة بالجلد أكلتها العثة، وحزم من الأوراق الصفراء مربوطة بأربطة أرجوانية، وعدد ضخم من القدور الزجاجية البُنِّية والسوداء التي تحتوي على أشياء عتيقة، حتى مارشا لم تكن واثقة مما يمكنها أن تفعل بها. ووسط القدور رأى سبتيموس صندوق الفخر والبهجة الخاص بشقيقه سايمون؛ وهو صندوق خشبي مكتوب عليه **سلوث** بخط يد **سايمون لوبي هيب**. لم يملك سبتيموس إلا أن يُحدِّق خارج النافذة الطويلة الضيقة. كان يحب المشهد من مكتب مارشا – منظر أخَّاذ عبر أسطح **القلعة** إلى النهر وإلى ما وراء ذلك إلى سفوح المزارع **الخضراء**. وبعيدًا،

بعيدًا على المدى كان يمكنه أن يرى الحد الأزرق الضبابي لتلال أرض الأشرار.

كانت مارشا تجلس إلى مكتبها على كرسيها العالي البالي -لكن المريح جدًّا- ذي اللون الأرجواني، نظرت بحنان نحو تلميذها الذي كان متأنقًا على غير العادة، وابتسمت.

قالت: «مساء الخير يا سبتيموس، اجلس». حددت مارشا الكرسي الأخضر ذا الحجم الأصغر لكنه الأكثر راحة عند الجانب الآخر من المكتب، ثم قالت: «أتمنى أن تكون قد نمت جيدًا». رد سبتيموس وهو قلق نوعًا ما: «نعم، أشكرك». تُرى لِمَ كانت مارشا بكل هذا اللطف؟

بادرته مارشا قائلة: «لقد مررتَ بأسبوع عصيب يا سبتيموس، حسنًا، كلنا كذلك، من الجيد للغاية أن تعود إلينا، لدي شيء لك». فتحت درجًا صغيرًا وأخرجت شريطين أرجوانيين من الحرير ووضعتهما على المكتب.

كان سبتيموس يعرف ماهية الشريطين؛ إنهما الشريطان الأرجوانيان الخاصَّان بالمتدرب الأول، واللذان، إذا ما سار تدريبه على نحو جيد، سيكون عليه أن يرتديهما في سنته النهائية، فكَّر أنه أمر لطيف من مارشا أن تُعْلِمَه أنها ستجعله متدربًا أول عندما يحين الوقت لذلك، لكن سنته النهائية لا يزال أمامها الكثير،

ويعلم سبتيموس تمام العلم أن أمورًا كثيرة يمكن ألا تسير على ما يرام قبل ذلك الوقت.

سألته مارشا: «هل تعلم ما هذان؟».

أومأ سبتيموس بالإيجاب.

«حسنًا، إنهما لك، إني أجعلك تلميذًا أول».

«ماذا؟ الآن؟!».

ابتسمت مارشا ابتسامة عريضة: «نعم، الآن».

«الآن؟ أتعنين اليوم؟».

«نعم يا سبتيموس، اليوم. أنا واثقة من أن أطراف أكمامك لا تزال نظيفة، أظن أن البيض لم يَطُلهما أثناء الإفطار، أليس كذلك؟».

تفحص سبتيموس كميه، وقال: «بلى إنهما على ما يرام».

وقفت مارشا وكذلك فعل سبتيموس؛ فالمتدرب يجب ألا يجلس مطلقًا حين يقف معلمه، التقطت مارشا الشريطين ووضعتهما على طرفي كُمَّي سبتيموس ذوي اللون الأخضر البراق، وبنفخة من الضباب الأرجواني **السحري**، التف الشريطان حول طرفي كمَّي سبتيموس وأصبحا جزءًا من سترته، حملق سبتيموس في الشريطين مندهشًا، لم يكن يعرف ماذا يقول، لكن مارشا كانت تعرف.

- «والآن يا سبتيموس، أنت تحتاج أن تعرف بعض الأشياء عن حقوق وواجبات المتدرب الأول. لك أن تحدد نصف مشروعاتك الخاصة، وكذلك نصف جدولك الخاص؛ في حدود المنطق بالطبع، قد يطلب منك أن تنوب عني في اجتماعات المستوى الأساسي لبرج السحرة، وهو ما سأكون - إذا تصادف وحدث - مُمْتنَّة للغاية لقيامك به؛ باعتبارك متدربًا أول، يُسمح لك بالدخول والخروج دون طلب الإذن مني، ومع ذلك يعتبر من قبيل التهذيب أن تبلغني بالمكان الذي تذهب إليه وبالموعد الذي تنوي العودة فيه، ولكن وبما أنك لا تزال صغيرًا جدًّا، أود أن أضيف أنني أطلب منك أن تعود إلى برج السحرة بحلول التاسعة مساءً طوال أيام الأسبوع، وبحلول منتصف الليل بحد أقصى في مناسبات خاصة، هل هذا مفهوم؟»

أومأ سبتيموس وهو لا يزال يحدق في الشريطين الأرجوانيين السحريين اللذين يتلألآن عند طرفي كميه: «مفهوم... أظن.. لكن لماذا...؟».

قالت مارشا: «لأنك المتدرب الوحيد على الإطلاق الذي يعود من الرحلة، وأنك لم تَعُد حيًّا وحسب، بل عدت وقد أتممت الرحلة بنجاح، وأنك - وهو حتى الأكثر إثارةً - أُرسلت في هذا... هذا الشيء الرهيب قبل أن تمر حتى بنصف فترة التدريب؛ لكنك

فعلتها، لقد استخدمت مهاراتك السحرية لتحدث من التأثير ما هو أفضل مما قد يأمل سحرة كثيرون في هذا البرج أن يقوموا به على الإطلاق؛ وهذا هو سبب أنك صرت الآن متدربًا أولَ، حسنًا؟».

ابتسم سبتيموس وقال: «حسنًا، ولكن...».

«ولكن ماذا؟».

«ما كنت لأنجز الرحلة دون جينا وبيتل، وهما لا يزالان عالقين في غرفة الشبك النتنة تلك في المركز التجاري، وكذلك نكو وسنوري، لقد قطعنا وعدًا بأن نعود بسرعة من أجلهم».

أجابت مارشا: «وسنفعل، إنني واثقة من أنهم لا يتوقعون أن نستدير ونطير عائدين على الفور يا سبتيموس! إلى جانب ذلك، أنا لم أتفرغ للحظة واحدة منذ عودتنا، لقد استيقظت مبكرًا هذا الصباح لأتلقى جرعة ضخمة من زيلدا من أجل إيفانيا وهيلديجارد؛ فكلاهما لا يزال مريضًا جدًّا. إنني أحتاج لمتابعة إيفانيا هذه الليلة، لكن أول ما سأفعله صباح الغد أني سأنطلق على ظهر لافظ اللهب لأحضرهم جميعًا، سيعودون قريبًا جدًّا، أعدك».

نظر سبتيموس نحو شريطيه الأرجوانيين، اللذين كان لهما بريق سحريٌّ جميلٌ، مثل بريق الزيت فوق الماء، وتذكر كلمات مارشا: «باعتبارك متدربًا أول، يسمح لك بالدخول والخروج دون طلب الإذن مني، ومع ذلك يُعتبر من قبيل التهذيب أن تبلغني

بالمكان الذي تذهب إليه وبالموعد الذي تنوي العودة فيه»، فقال وقد تقمص بسرعة حالة المتدرب الأول: «سأعيدهم أنا».

أجابت مارشا متناسية بالفعل أنها تتحدث الآن إلى متدرب أول: «لا يا سبتيموس، إنه أمر بالغ الخطر، وأنت متعب بعد الرحلة، أنت في حاجة للراحة، أنا الذي سأذهب».

قال سبتيموس، بنبرة شبه رسمية، بالأسلوب الذي رأى أن تلميذًا أول يحتمل أن يتحدث به: «أشكرك على عرضك يا مارشا، ولكن أنا أنوي الذهاب بنفسي، سأنطلق على ظهر **لافظ اللهب** في غضون ما يربو على الساعة، وسأعود مساء بعد غد بحلول منتصف الليل، إذ يمكن تصنيف ذلك منطقيًا على أنه مناسبة خاصة، فيما أظن».

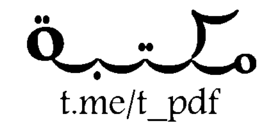
«ياه»، تمنت مارشا لو أنها لم تخبر سبتيموس بكامل حقوق المتدرب الأول، جلست ونظرت نحو سبتيموس نظرة تفكر، بدا لها أن متدربها الأول الجديد قد كبر فجأة، لقد حملت عيناه الخضراوان اللامعتان مسحة ثقة جديدة وهما تبادلانها النظر بثبات - نعم، لقد عرفت أن هناك شيئًا مختلفًا في اللحظة التي دخل فيها- وقد مشَّط شعره.

سألته مارشا بهدوء: «هل آتي وأراك وأنت تغادر؟».

أجاب سبتيموس: «نعم أرجوك، سيكون هذا غاية في اللطف، سأكون بالأسفل عند ساحة التنين قبل انقضاء ساعة تمامًا». وعند

باب المكتب توقف والتفت، ثم قال بابتسامة عريضة: «أشكرك يا مارشا، حقًّا أشكرك جدًّا».

ردت مارشا عليه بابتسامة وتابعت متدربها الأول وهو يخرج من مكتبها وقد حملت خطواته نبض انطلاقة جديدة.



2

كوخ الحارس

كان يومًا ربيعيًّا مشرقًا وعاصفًا في **مستنقعات مارام**. كانت الريح قد هبَّت دافعة ضباب الصباح المبكر، وكانت ترسل سحبًا بيضاء صغيرة تتحرك بسرعة عبر السماء، وكان الهواء باردًا مشبعًا بنسيم ملح البحر والطين ورائحة حِسَاء الكُرنب المحترق.

عند مدخل كوخ حجري صغير وقف صبي فارع ذو شعر طويل مجدل وهو يسحب حقيبة ظهر على كتفيه العريضتين، وكان يساعده ما يبدو أنه لحاف مزركش كبير.

كان اللحاف المزركش يسأل بقلق: «والآن، هل أنت واثق من أنك تعرف الطريق؟».

أومأ الصبي بالإيجاب وسحب حقيبة الظهر للأمام، ابتسمت عيناه البُنيَّتان للمرأة الضخمة المختبئة بين طيات اللحاف، وقال وهو يسحب قطعة ورقية مكرمشة من جيبه: «خريطتك معي يا **عمة زيلدا**، في الواقع كل

خرائطك معي»؛ إذ ظهر المزيد من القطع الورقية «انظري، هنا **جحر الثعبان** إلى **المجرى المزدوج**، من **المجرى المزدوج** إلى **لجج الوحل المميتة**، من **لجج الوحل المميتة** إلى **الطريق الواسع**، من **الطريق الواسع** إلى **حقول القصب**، من **حقول القصب** إلى **الجسر**». بدت عينا العمة زيلدا الزرقاوان اللامعتان قلقتين وهي تقول: «لكن من **الجسر** وحتى **الميناء**. هل تعرف هذا الطريق؟».

«نعم بالطبع أعرفه، لكني لا أحتاج إليه، إني أتذكر ذلك جيدًا».

قالت **العمة زيلدا** وهي تتنهد: «آه يا عزيزي، آه، آمل بالفعل أن تكون في أمان يا عزيزي **الفتى الذئبي**».

نظر **الفتى الذئبي** إلى أسفل نحو **العمة زيلدا**، وهو شيء أصبح في وقت قريب للغاية فقط ممكنًا؛ إنه مزيج بين أن ينمو هو سريعًا وأن تصبح العمة زيلدا أكثر انحناءً. وضع ذراعيه حولها وضمها بقوة، وقال: «سأكون بخير، سأعود غدًا، مثلما قلنا، انتظري سماع صوتي قرابة وسط النهار».

هزت **العمة زيلدا** رأسها قائلة: «أنا لا أسمع جيدًا هذه الأيام، سيكون **الغول** في انتظارك، والآن، أين هو؟». تفحصت الأكَمَة، التي كانت تمتلئ بسرعة بالماء شبه المالح الذي أتى به المدُّ، كان ذا شكل سميك لزج وهو ما ذكَّر **الفتى الذئبي** بحساء الخنفساء واللِّفت البُّني الذي طهته العمة زيلدا على العشاء ليلة أمس. وراء الأكمة كانت تمتد المساحات الشاسعة المسطحة **لمستنقعات**

مارام، التي تتقاطع بها الخنادق الطويلة المتعرجة والقنوات، والمناطق الوحلية الخادعة، والشِّرَاك الطينية البالغة العمق، وتضم العديد من السكان غريبي الأطوار، الذين لا يتسمون دائمًا بالود.

نادت **العمة زيلدا**: «أيها الغول! أيها الغول!».

قال **الفتى الذئبي** وهو يتلهف إلى الانصراف: «لا بأس، أنا لا أحتاج للغ...».

أبدت العمة زيلدا تعجبها: «آه ها أنت أيها الغول!»، فيما ظهر رأس بُني غامق يشبه الفُقْمَة خارجًا من ماء الأكَمَة السميك.

قال الكائن وهو يرمق **العمة زيلدا** بعينيه البُنيتين الواسعتين غاضبًا: «نعم، أنا هنا، أنا هنا نائم، أو هكذا كنت أظن».

قالت **العمة زيلدا**: «أنا جد آسفة يا عزيزي **الغول**، لكني أريدك أن تصحب **الفتى الذئبي** إلى **الجسر**».

نفخ **الغول** فقاعة طين ساخطًا: «إنه طريق طويل حتى **الجسر** يا زيلدا».

– «أعرف. وهو مليء بالخدع حتى في وجود خريطة».

تنهد **الغول**. خرجت من فتحات أنفه دفعة من الطين وتناثرت على رداء **العمة زيلدا** المزركش وأغرقتها ببقع أخرى من الطين.

حَدَج **الغول الفتى الذئبي** بنظرة غاضبة، ثم قال: «حسنًا، إذن لا فائدة من التسكع، اتبعني» ثم سبح عبر الأكمة قاطعًا السطح الطيني للماء.

طوقت العمة زيلدا الفتى الذئبي بضمة بثوبها المزركش، ثم دفعته بعيدًا عنها وقد حملقت فيه بعينيها الزرقاوين السحريتين بقلق، وقالت وقد تحولت للجدية فجأة: «أرِسَالَتي معك؟».

أومأ الفتى الذئبي.

«أنتَ تعرف متى يجب عليك قراءتها، أليس كذلك؟ حينها فقط وليس قبل ذلك؟».

أومأ الصبي مرة أخرى.

قالت العمة زيلدا: «عليك أن تثق بي، أنت تثق بي، أليس كذلك؟».

أومأ الصبي لكن على نحو أكثر بطئًا هذه المرة، نظر إلى العمة زيلدا متحيرًا، إذ بدت عيناها متلألئتين على نحو يثير الشك وهي تقول: «ما كنت لأرسلك لو لم أكن أرى أنك قادر على أداء هذه المهمة، أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟».

أومأ الفتى الذئبي بشيء من الحذر، وهي تتابع: «و...آه، الفتى الذئبي، إنك لا تعرف مدى اهتمامي بك، أليس كذلك؟».

- تمتم الفتى الذئبي وقد بدأ يشعر بالحرج وبشيء من الاهتمام: «بلى، أعرف بالطبع». وراوده خاطر أن العمة زيلدا تنظر إليه كما لو كانت لن تراه مرة أخرى، ولم يكن واثقًا من أنه يحب هذا الخاطر، وفجأة أبعد نفسه عن قبضتها، وقال: «إلى اللقاء يا عمة زيلدا»، وجرى ليلحق

بالغول الذي كان قد وصل بالفعل إلى الجسر الخشبي الجديد فوق الأكمة وكان ينتظر وقد نفد صبره.

وقفت **العمة زيلدا** بجوار الأكمة وقد تَدَثَّرت في دفء ردائها السميك المبطن، الذي قضت معظم الشتاء في حياكته، وأخذت تنظر إلى **الفتى الذئبي** وهو ينطلق عبر المستنقعات. سلك ما يبدو أنه طريق غريب متعرج، غير أن **العمة زيلدا** كانت تعرف أنه يتبع المسار الضيق الذي يمتد بجوار تعاريج ومنعطفات **جحر الثعبان**. شاهدت، وهي تظلل عينيها المسنتين لحمايتهما من الضوء القادم من السماء الفسيحة التي تعلو **مستنقعات مارام**؛ إذ كان الضوء لا يبعث تلألؤه على الارتياح حتى في نهار ملبد بالغيوم، بين الحين والآخر، كانت **العمة زيلدا** ترى **الفتى الذئبي** يتوقف استجابة لتحذير من **الغول**، ومرة أو اثنتين يقفز برشاقة فوق خندق ويستمر في طريقه على الجانب العكسي. ظلت **العمة زيلدا** تتابعهما قدر ما استطاعت حتى اختفت هيئة الفتى الذئبي داخل رُكام الضباب الذي حَام حول **لجج الوحل المميتة**؛ وهي هُوَّة طينية لا قرار لها تمتد لأميال عبر الطريق الوحيد المؤدي **للميناء**، كان هناك سبيل واحد عبر اللجج – وهو الخطو فوق الأحجار المخفية – وكان الغول يعرف موضع كل خطوة آمنة.

مشت العمة زيلدا ببطء عائدة على الممر. دخلت كوخ الحارس، وأغلقت الباب برفق واستندت إليه بضجر. كان صباحًا

عصيبًا؛ شهد زيارة مارشا المفاجئة وأخبارها المروعة عن **رحلة** سبتيموس، ولم يتحسن الصباح بعد انصراف مارشا؛ لأن العمة زيلدا كرهت إرسال **الفتى الذئبي في مهمته**، رغم أنها كانت تعلم أنه يتحتم القيام بها.

تنهدت **العمة زيلدا** بعمق وجالت بنظرها داخل كوخها الذي تحبه كثيرًا، كان شعور الفراغ غير المعتاد غريبًا، لقد ظل **الفتى الذئبي** معها لما يزيد على العام الآن، وقد كبرت وهي تعتاد شعور وجود روح أخرى تعيش إلى جوارها بالكوخ، وها هي الآن قد أرسلته بعيدًا إلى ... هزت **العمة زيلدا** رأسها، وسألت نفسها، هل أصابها الجنون؟ قالت لنفسها مجيبة بصرامة، لا، إنها ليست مجنونة؛ يتحتم القيام بهذا.

قبل بضعة شهور، لاحظت **العمة زيلدا** أنها بدأت تفكر في الفتى الذئبي باعتباره تلميذها؛ أو الحارس **المُرشح**، حسبما يقضي العرف، كان الوقت قد حان لتتخذ واحدًا، فقد بدأت تقترب من نهاية **فترة حراستها**، وعليها أن تبدأ في تسليم أسرارها، غير أن أمرًا واحدًا أصابها بالقلق، لم يكن هناك حارس ذكر على مدى التاريخ الطويل للحارسات، لكن العمة زيلدا لم ترَ سببًا لذلك، في الحقيقة، حسبما فكرت، لقد حان الوقت ليكون هناك أحد؛ وهكذا، ومع الكثير من الهلع، أرسلت الفتى الذئبي بعيدًا ليقوم

بمهمته، التي سيؤهله إتمامها ليكون المرشح، شريطة موافقة الملكة.

والآن، كما فكرت العمة زيلدا، وهي تتفحص بقوة رف أدوات تشذيب الكرنب، باحثة عن العتلة، فبينما هو بالخارج عليها أن تبذل قصارى جهدها لتضمن موافقة الملكة على تعيين الفتى الذئبي.

خاطبت العمة زيلدا العتلة المختبئة: «ها أنت ذي»، وقد رجعت إلى عادتها القديمة بالتحدث مع نفسها حين تكون بمفردها. أخذت العتلة من فوق الرف ثم توجهت نحو المدفأة وأعادت الدِّثَار أمام الموقد. أخذت تلهث وهي تَجْثُو على ركبتيها. كانت تنقب عن بلاطة مفكوكة، وعندئذٍ رفعت طرفها بحذر شديد (لأن عنكب مارام الكبير ذا الشعر صنع عشه تحت البلاطات، ولم يكن الوقت مناسبًا من العام لإزعاجه). أخرجت العمة زيلدا بحذر أنبوبًا فضيًّا طويلًا مخفيًّا بالفراغ أسفل البلاطات.

أمسكت العمة زيلدا الأنبوب الذي بلغ طوله ذراعًا، وتفحصته بحذر، وسرعان ما سرت بجسدها صدمة رعب مفاجئة؛ إذ التصق بطرف الأنبوب حفنة بيضاء لامعة من بيض عنكب مارام الكبير ذي الشعر، صرخت العمة زيلدا وقامت برقصة برية وأخذت تهز الأنبوب بعنف في محاولة إزاحة البيض، ولكن، كان الطين يغلف الأنبوب الفضي فطار من قبضتها مخلفًا قوسًا جميلًا عبر الغرفة امتد عبر باب المطبخ المفتوح، سمعت العمة زيلدا ما يشير إلى

سقوط دفقة من شيء ما داخل حساء الخنفساء واللفت البني، الذي صار الآن حساء الخنفساء واللفت البني وبيض العنكب. (في ذلك المساء غلت العمة زيلدا الحساء وتناولته على العشاء، وفي الوقت الذي ظنت فيه أن المذاق تحسن كثيرًا بفعل اليوم الزائد الذي قضاه الحساء على الموقد، جال بخاطرها فيما بعد فقط أنه ربما كان لبيض العنكب دور في ذلك، ذهبت العمة إلى الفراش وقد شعرت بشيء من الغثيان).

كانت العمة زيلدا على وشك إنقاذ الأنبوب من السقوط في الحساء حين رأت، بطرف عينها، شيئًا يتحرك، كانت ساقان مُشْعرتان ضخمتان تتحسسان طريقهما خارجتين من الفراغ الواقع أسفل البلاطة، رفعت العمة زيلدا البلاطة وهي ترتجف ثم ألقت بها. أحدثت صوتًا مجلجلًا هزَّ الكوخ؛ وفرقت العنكب الأم عن صغارها إلى الأبد.

استعادت العمة زيلدا الأنبوب الفضي، ثم جلست إلى مكتبها وأنعشت نفسها بكوب من ماء الكرنب الذي أذابت فيه ملعقة كبيرة من مربى التوت البري، شعرت بارتعاش؛ فقد ذكرها العنكب بما أرسلت الفتى الذئبي ليقوم به وبما بعثتها بيتي كراكل ذات يوم أيضًا للقيام به، تنهدت مرة أخرى وقالت لنفسها إنها أرسلت الفتى الذئبي وقد أُعِد جيدًا قدر استطاعتها، وأنها على الأقل لم تكتب الرسالة على ورق مقوى، كما فعلت بيتي كراكل.

مسحت العمة زيلدا بعناية حساء الخنفساء واللفت البني وبيض العنكب من على الأنبوب، أخذت سكينًا فضية صغيرة وقطعت ختم الإغلاق الشمعي، وأخرجت مخطوطة ورقية قديمة ملطخة بالبقع تحمل كلمات «**عقود عمل الحارس المرشح**» مكتوبة على رأس المخطوطة بحروف باهتة ذات طراز قديم.

قضت العمة زيلدا الساعة التالية في مكتبها **تضع اسم الفتى الذئبي** داخل العقود، وبعدها كتبت للملكة، بأفضل خط لها على الإطلاق، التماسها من أجل منصب التلميذ، ثم طوته مع العقود ووضعتهما معًا داخل الأنبوب الفضي. كان الوقت قد حان تقريبًا للخروج، غير أنه كان هناك أولًا شيء أرادت الحصول عليه من خزانة **أكاسير التقلب والسموم الخاصة**.

كان وضعًا صعبًا للعمة زيلدا داخل الخزانة، خاصة أنها تلبس رداءها الجديد المبطن جيدًا. أضاءت الفانوس، وفتحت درجًا مخفيًّا، وبمساعدة نظارتها فائقة القوة طالعت كتابًا قديمًا صغيرًا يحمل عنوان: خزانة الأكاسير المتقلبة والسموم الخاصة؛ **دليل الحراس وخططهم**. وإذ عثرت على ما كانت تبحث عنه، فتحت **العمة زيلدا** درج التعاويذ والتمائم وأمعنت النظر بداخله. كانت مجموعة من الأحجار الكريمة المنحوتة متراصة بعناية فوق قطعة القماش الزرقاء المصنوعة من الجوخ التي تبطن الدرج. جالت يد العمة زيلدا فوق مجموعة مختارة من

تعاويذ الأمان لكنها عبست؛ فما كانت تبحث عنه ليس موجودًا، طالعت الكتاب مرة أخرى وبعدها مدت يدها في عمق الدرج حتى عثرت أصابعها على مزلاج صغير في المؤخرة، وبمطَّة هائلة لسبابتها القصيرة الممتلئة، تمكنت العمة زيلدا من معالجة المزلاج وتحريكه لأعلى، صدرت طقة خفيفة وسقط شيء ثقيل داخل الدرج وتدحرج للأمام نحو ضوء الفانوس.

التقطت العمة زيلدا قنينة ذهبية صغيرة كمثرية الشكل ووضعتها بعناية شديدة في راحة يدها. رأت البريق الداكن العميق لأنقى أنواع الذهب - ذهب نسجته عناكب أوروم- وسدادة فضية سميكة منقوشة برسم هيروغليفي واحد لاسم راح أدراج النسيان منذ أمد بعيد. شعرت بشيء من التوتر؛ إذ كانت القنينة الصغيرة التي استقرت في يدها إحدى تعاويذ الأمان الحية شديدة الندرة، وهي لم تلمس إحداها من قبل قط.

كانت زيارة مارشا لكوخ الحارس لتجمع الأكاسير من أجل إيفانيا وهيلديجراد في وقت سابق من هذا الصباح قد تركت العمة زيلدا وهي تشعر باضطراب بالغ. فبعد انصراف مارشا سيطر على العمة زيلدا مشهد مفاجئ: سبتيموس يمتطي لافظ اللهب، وميض ضوء يأخذ الأبصار ولا شيء آخر، لا شيء سوى الظلمة. جلست ساكنة وقد شعرت بهزة عنيفة، ونظرت في الظلام لكنها لم ترَ شيئًا، وكان هذا اللاشيء مشهدًا مروعًا.

بعد ما رأته، صارت العمة زيلدا مضطربة، إنها تعرف ما يكفي عما يطلق عليه الناس النظرة الثانية لتعرف أنها حقًّا كان ينبغي أن يطلق عليها النظرة الأولى؛ إنها لم تخطئ مطلقًا، مطلقًا. وهكذا هي تعرف أنه رغم إصرار مارشا على أن تطير هي بنفسها بلافظ اللهب لتعيد جينا ونكو وسنوري وبيتل فالحقيقة هي أن سبتيموس هو الذي يعتلي التنين، إن ما رأته سيحدث مؤكدًا، لم يكن باستطاعتها أن تفعل ما يوقف ذلك، كان كل ما تستطيعه هو أن ترسل لسبتيموس أفضل ما لديها من أنواع **تعاويذ الأمان**.. وها هو ذا.

خرجت العمة زيلدا بعناء من الخزانة وبحذر شديد أخذت **تعويذة السلامة** الحية إلى النافذة، رفعت القنينة الصغيرة لأعلى نحو ضوء النهار وأدارتها، متفحصة الختم الشمعي القديم حول السدادة. كان لا يزال سليمًا؛ لم يكن به أي شروخ أو أي علامات تغيير. ابتسمت، فلا تزال **التعويذة نائمة**. كان كل شيء على ما يرام. أخذت العمة زيلدا نفسًا عميقًا، وبصوت سحري رخيم يرسل قشعريرة في جسد من يسمعه، بدأت في **إيقاظها**.

على مدى خمس دقائق طوال غنت العمة زيلدا واحدًا من أكثر الأناشيد التي غنتها على الإطلاق ندرة وتعقيدًا، كان مليئًا بالقوانين والقواعد والفقرات الفرعية التي إن كتبت فستضع أي وثيقة قانونية في موقف شائن.

كانت عقدًا ملزمًا، وبذلت العمة زيلدا أقصى جهدها لتضمن عدم وجود ثغرات، بدأت بوصف سبتيموس- متلقي التعويذة- بتفصيل دقيق، وبينما هي تغني الأبيات الخاصة به، ارتفع صوتها ليملأ الكوخ الصغير، لقد حطم ثلاثة ألواح من الزجاج، وصير اللبن رائبًا، وبعدها تموَّج والتف حتى خرج من المدخنة إلى صباح المستنقع ذي النسيم الربيعي.

وبينما كانت العمة زيلدا تنشد، تجاوز صوتها السحري حدود السمع البشري الطبيعي ووصل إلى النغمة التي تستخدمها مخلوقات المستنقع للإنذار عند الخطر، ألقت عائلة من نطاط المستنقع بنفسها داخل الأكمة، ودفن خمسة من أشباح الماء أنفسهم داخل بركة الطين المفضلة لدى الغول، جرى فأران من فئران المستنقع وهما يصرخان عبر جسر الأكمة وسقطا في حفرة وحلية، وثعبان المستنقع الكبير، الذي كان عائدًا لتوه إلى داخل الأكمة، قرر تغيير مساره واتجه إلى **جزيرة الدجاج** بدلًا من ذلك.

وأخيرًا انتهت الأنشودة، وهدأ الرعب الذي سرى وسط مخلوقات المستنقع خارج الكوخ. لفت العمة زيلدا رباطًا جلديًّا فاخرًا حول الغلافة الفضية الملفوفة حول عنق القنينة ووضعتها بعناية في واحد من الجيوب العميقة لثوبها، بعد ذلك ذهبت إلى المطبخ الصغير عند المؤخرة، وبدأت واحدة من مهامها المفضلة؛ عمل شطيرة الكرنب.

سرعان ما انضمت شطيرة الكرنب إلى تعويذة السلامة في أعماق الجيب. كانت تعرف أن سبتيموس سيستمتع بشطيرة الكرنب؛ وتمنت لو كان بمقدورها أن تكون بمثل هذه الثقة فيما يخص تعويذة السلامة.

++ 3 ++

بارني بوت

انحشرت العمة زيلدا، لم تُرد أن تعترف بذلك، لكنها كانت محشورة. كانت تحاول المرور عبر **طريق الملكة**؛ وهو ممر **سحري** يؤدي مباشرة من خزانة **الأكاسير المتقلبة والسموم الخاصة** إلى خزانة مطابقة لها في **غرفة الملكة بالقصر**، بعيدًا في **القلعة**.

من أجل تفعيل الطريق، كان على العمة زيلدا أولًا أن تغلق باب الخزانة ثم تفتح درجًا معينًا بجانب قدمها اليمنى، وبعد شتاء قضته في تسمين الفتى الذئبي - ونفسها كذلك- لم يكن إغلاق باب الخزانة سيصبح بالأمر الهين. اعتصرت العمة زيلدا نفسها أمام الرفوف المكتظة عن آخرها، أخذت شهيقًا وأغلقت الباب، غير أنه اندفع مفتوحًا، جذبت الباب لتغلقه مرة

أخرى فانقلب صفٌّ من قنينات الأكاسير خلفها مُحدثًا صوت صلصلة خفيفًا، وبحرص شديد، استدارت العمة زيلدا لتصحح وضع القنينات، وأثناء هذه العملية صدمت كومة من صناديق صغيرة تحوي مصادر أذى مجففة، تناثرت الصناديق على الأرض، انحنت العمة زيلدا نحو الأرض وهي تزفر غضبًا لتلتقط الصناديق، وسرعان ما اندفع باب الخزانة مفتوحًا.

تمتمت العمة زيلدا لنفسها وهي ترفع الصناديق وترصُّ قنينات الأكاسير، وتفحصت باب الخزانة بنظرة مهلكة، لماذا أصبح معاكسًا بكل هذا القدر؟ وبشدة عنيفة حازمة – لتُعلِّم الباب فقط من هو المسئول هنا – جذبت العمة زيلدا الباب لتغلقه مرة أخرى، وقفت ساكنة تمامًا وانتظرت، بقي الباب مغلقًا، وببطء وحذر شديدين جدًّا، جدًّا، بدأت في الدوران مرة أخرى حتى أصبحت أخيرًا في مواجهة الرفوف، تنفست الصُّعَدَاءَ غير أن الباب اندفع مفتوحًا، قاومت العمة زيلدا إلحاح أن تتلفظ بكلمة سحرية غاية في السوء، مدت يدها خلفها وصَفَقَتِ الباب مغلقة إياه، اهتزت مجموعة صغيرة من قنينات الأكاسير، غير أن العمة زيلدا لم تُعِرْها اهتمامًا، وبسرعة وقبل أن تراود الباب أفكار أخرى، فتحت الدرج السفلي بقدمها، نجحت! سمعت خلفها صوت طقطقة داخل الباب تخبرها أن خزانة **الأكاسير المتقلبة والسموم الخاصة** قد أُغلقت،

وأن **طريق الملكة** قد فُتح، تحركت العمة زيلدا في **طريق الملكة**؛ وبعد ذلك انحشرت عند الطرف الآخر للطريق.

كانت قد مرت عدة دقائق قبل أن تنجح العمة زيلدا أخيرًا في الخروج من الخزانة المطابقة في **غرفة الملكة**.

لكن بعد أن سحقت نفسها على الجانبين والتقطت أنفاسها، انفتح باب الخزانة فجأة، ومثل قطعة فلين تخرج من زجاجة، قامت العمة زيلدا بحركة دخول سريعة – ونوعًا ما لا تتسم بالوقار – إلى **غرفة الملكة**.

كانت غرفة الملكة عبارة عن حجرة دائرية صغيرة لا تضم سوى كرسي مريح ذي ذراعين بجوار مدفأة لا تتوقف نارها، وأحد الأشباح. كان الشبح مستقرًّا فوق الكرسي يحدق في النار حالمًا. كانت – أو كانت فيما مضى – ملكة شابة، تحتفظ بشعرها الداكن طويلًا، وتبقيه مُنْسَدِلًا من خلال حلقة ذهبية بسيطة، وكانت تجلس وقد لفت أرديتها الحمراء والذهبية حولها وكأنما تشعر بالبرد، فوق قلبها كان رداؤها الأحمر مُبَقَّعًا بالسواد، إذ قبل قُرَابَة اثني عشر عامًا ونصف العام أصيبت الملكة – التي يُطلِق عليها شعبها في القلعة الآن **الملكة سيريس الطيبة** – بطلق ناري قاتل.

عند الدخول التراجيدي للعمة زيلدا رفعت **الملكة سيريس** نظرها، ووجهت ابتسامة ساخرة للعمة زيلدا لكنها لم تتحدث،

وجهت العمة زيلدا التحية بسرعة للشبح، وتحركت في عجلة عبر الغرفة واختفت خلال الحائط، عادت الملكة سيريس إلى تأملها في النار، وكانت تفكر في نفسها أنه أمر غريب تلك الكيفية التي تتغير بها الكائنات الحية بكل هذه السرعة، وفكرت أن زيلدا يتحتم أن تكون قد تناولت **سحر التضخيم** على سبيل الخطأ، ربما ينبغي أن تخبرها، أو ربما لا.

وفي الخارج عند المَهْبط الترابي، اتجهت **العمة زيلدا** عبر مجموعة درجات بخطوات ضيقة لتنزل بها من البرج. أملت أنها لم تكن وقحة في مرورها المندفع **بالملكة** سيريس، لكن سيكون هناك وقت كافٍ فيما بعد للاعتذار، أما الآن فعليها أن تصل إلى **سبتيموس**.

وصلت العمة زيلدا إلى عتبة الدرج، وفتحت باب البرج الذي يؤدي إلى حدائق **القصر**، وانطلقت محددة هدفها عبر المروج الخضراء الواسعة التي تمتد إلى النهر، وعلى مسافة بعيدة عن يمينها، كان بمقدورها أن ترى خيمة مخططة بالية قائمة في وضع غير مستقر بجوار النهر، كان داخل الخيمة، وهو ما تعرفه العمة زيلدا، اثنان من أشباحها المفضلين، ألثر ميلا وأليس نيتلز، لكنها كانت تقصد الطريق الآخر؛ تجاه صف طويل من أشجار التَّنُّوب الباسقة عند الحافة اليسرى البعيدة للمروج الخضراء.

وبينما كانت العمة زيلدا تسرع في اتجاه الأشجار سمعت صوت وقع الهواء الصادر عن حركة جناح تنين، جلبة ليست مغايرة لرفرفة مائة خيمة مخططة مليئة بالأشباح أُطلقت وسط عاصفة مخيفة، أعلى الأشجار رأت طرف جناح التنين **لافظ اللهب** وهو يتمدد، ليرسل الدفء إلى عضلاته الباردة من أجل رحلة الطيران الطويلة المقبلة، ورغم أنها لم تستطع أن ترى الفارس، كانت العمة زيلدا **تعرف** أن من يمتطي التنين ليس **مارشا**؛ بل هو سبتيموس.

صاحت وهي تسارع الخطى «انتظر!»... «انتظر!»، غير أن صوتها غرِق في الفضاء، حيث -على الجانب الآخر من الأشجار- أنزل **لافظَ اللهب** جناحيه، وتسببت دفعة هواء هائلة في تأرجح أشجار التَّنُّوب، توقفت العمة زيلدا وهي تنفخ وتلهث لتلتقط أنفاسها. رأت أنه لا فائدة، إنها لن تنجح، كأن التنين سيطير في أي لحظة الآن، آخذًا سبتيموس معه.

جاءها صوت صغير من مكان ما أسفل مرفقها وهو يتساءل بقلق: «هل أنتِ على ما يرام يا آنسة؟».

- «ماذا؟» شهقت العمة زيلدا، نظرت حولها بحثًا عن صاحب هذا الصوت ولاحظت -خلفها تمامًا- صبيًّا صغيرًا يكاد يختفي خلف عربة يد ضخمة، سألها الصبي بثقة: «أيمكنني

المساعدة أو أي شيء؟»، كان بارني بوت قد التحق مؤخرًا بأشبال القلعة المشكلين حديثًا، وكان يحتاج لأن يقوم بعمله الصالح لهذا اليوم. كان في البداية قد أخطأ العمة زيلدا وظنها خيمة مثل تلك الخيمة المخططة عند منصة الهبوط، وكان يتساءل ما إذا كانت محاصرة الآن داخل خيمة وقد أخرجت رأسها من قمتها لتطلب المساعدة.

قالت العمة زيلدا وهي تلهث: «نعم.... يمكنك المساعدة».

أطلقت يدها بحثًا داخل جيبها السري العميق وأخرجت القنينة الذهبية الصغيرة. «خذ هذه ... إلى المتدرب الأول ... سبتيموس هيب. إنه ... هناك بالأعلى»، ومدت يديها في اتجاه أشجار التَّنُّوب المتأرجحة، «التنين. فوق ... التنين»، اتسعت عينا الصبي أكثر، «المتدرب الاستثنائي؟ فوق التنين؟».

«نعم. أعطه هذه».

«ماذا.. أنا؟!».

«نعم ياعزيزي، أرجوك».

وضعت العمة زيلدا القنينة الذهبية الصغيرة بقوة في يد الصبي، حملق فيها، كانت أجمل شيء رآه على الإطلاق، شعر أنها ثقيلة على نحو غريب - أثقل كثيرًا مما ظن أنها ينبغي أن تكون - وعلى قمتها كان هناك نوع من الكتابة الغريبة. كان بارني يتعلم الكتابة،

لكنها لم تكن أشياء مثل هذه، قالت العمة زيلدا: «أخبر المتدرب أنها **تعويذة سلامة**، أخبره أن العمة زيلدا ترسلها إليه».

بدت عينا بارني وكأنهما ستخرجان من رأسه، إن أشياء مثل هذه تحدث في كتابه المفضل، مائة قصة للصِّبْيَة الشاعرين بالملل، لكنها لم تحدث له قط.

- «أوه» أخذ نفسًا.

أخرجت العمة زيلدا شيئًا آخر من جيبها وناولته لبارني «آه، انتظر، أعطه هذا أيضًا».

أخذ بارني شَطِيرة الكُرُنب بحذر، كانت باردة ورخْوة وظن للحظات أنها قد تكون جُرَذًا ميِّتًا، فيما عدا أن الفئران الميتة لم يكن لديها فتات أخضر رطب في وسطها، سأل «ما هذا؟».

أجابته العمة زيلدا وهي تحثُّه على التحرك: «شطيرة كُرُنب، حسنًا، اذهب، يا عزيزي، فتعويذة السلامة مهمة جدًّا، أسرع الآن!»

لم يكن بارني في حاجة لسماع الأمر مرتين؛ فقد عرف من «حكاية لاري الكسول المروعة» أن تسليم تعويذة السلامة بأسرع ما يمكنك أمر مهم دائمًا، فإنك إن لم تفعل؛ يمكن أن تحدث كل أنواع الأمور السيئة. أومأ.. ثم وضع شطيرة الكرنب في أعماق جيب سترته القذرة، وانطلق في اتجاه التنين بأسرع ما يمكنه وقد قبض بإحكام على القنينة الذهبية.

وصل بارني في الموعد المناسب تمامًا، فبينما كان يجري داخل حقل التنين رأى المتدرب الاستثنائي؛ وهو صبي كبير ذو شعر طويل مجعد بلون القش، وكان يرتدي سترة المتدربين الخضراء، كان بإمكان بارني أن يرى المتدرب وهو يوشك أن يتسلق التنين، كان بيلي بوت، عم بارني، يمسك رأس التنين ويدلك واحدًا من النتوءات الكبيرة في أنفه.

لم يكن بارني معجبًا بالتنين، فقد كان ضخمًا، مخيفًا، وكانت رائحته نتنة؛ مثل بيت التماسيح الخاص بالعم بيلي، بل أسوأ مائة مرة، وحافظ بارني على المسافة بينه وبين التنين منذ أن كاد يطؤه بقدمه، لولا أن صرخ العم بيلي لأنه تواجد في طريقه، لكن بارني عرف أنه لا فكاك من الوجود في طريق التنين الآن؛ فقد كان في مأمورية مهمة. جرى مباشرة نحو المتدرب الاستثنائي وقال: «معذرة!».

غير أن المتدرب الاستثنائي لم يلحظه، ألقى بعباءة من الفراء ذات رائحة نتنة على كتفيه وقال للعم بيلي: «سأمسك بلافظ اللهب يا بيلي، هل يمكنك أن تخبر مارشا أني سأذهب الآن؟».

رأى بارني العم بيلي وهو يجول بنظره نحو ركن الساحة حيث – آه، ياه– تقف **الساحرة العظمى** تتحدث إلى السيدة سارة التي كانت مسئولة عن القصر، وكانت أم الأميرة رغم أنها لم تكن ملكة، لم يكن بارني قد رأى **الساحرة العظمى** من قبل، لكنها –

حتى من على بُعد - تبدو مخيفة بالقدر الذي وصفها به أصدقاؤه، كانت طويلة بالفعل، ذات شعر مجعد داكن كثيف، وكانت ترتدي ثوبًا أرجوانيًّا طويلًا أخذ يتطاير بفعل الريح. كانت ذات صوت مرتفع أيضًا، إذ تمكن بارني من سماعها وهي تقول للعم بيلي: «الآن يا سيد بوت؟» غير أن بارني كان يعرف أنه لا وقت لديه للاستماع للساحرة العظمى، كان عليه أن يسلم تعويذة السلامة للمتدرب الاستثنائي، الذي كان على وشك أن يمتطي التنين، عليه أن يفعلها الآن- قبل فوات الأوان.

- «أيها المتدرب، معذرة» قالها بارني بأعلى ما يستطيع!

توقف سبتيموس هيب وقد صارت قدمه في وسط الهواء ونظر إلى الأسفل، رأى صبيًّا صغيرًا يحملق للأعلى نحوه بعينين بنيتين واسعتين، ذكره الصبي بأحد كان يعرفه منذ زمن بعيد، زمن بعيد جدًّا، كاد سبتيموس يقول: «ما الأمر، يا هوجو؟» إلا أنه أوقف نفسه وقال فقط: «ما الأمر؟».

قال الصبي الذي كان صوته مثل صوت هوجو: «من فضلك، لدي شيء لك، إنه مهم حقًّا وقد وعدت أن أعطيه لك».

ترجل سبتيموس حتى لا يكون على الصبي أن يستمر في رفع النظر إليه، وسأل: «ماذا لديك؟».

أزاح بارني بوت أصابعه من حول **تعويذة السلامة**، وقال: «هذه، إنها **تعويذة سلامة**، لقد طلبت مني إحدى السيدات أن أعطيها لك».

تراجع سبتيموس وكأن لدغة أصابته، وقال: «لا، لا. لا، أشكرك».

بدا بارني مندهشًا ودفع القنينة الذهبية في اتجاه سبتيموس «لكنها لك».

اعتدل سبتيموس وعاد في اتجاه التنين، وقال: «لا».

حدق بارني في القنينة فزعًا وقال: «لكنها **تعويذة سلامة**، إنها مهمة حقًّا، أرجوك أيها المتدرب، يجب أن تأخذها». هز سبتيموس رأسه وقال: «لا، يجب ألا آخذها».

أصيب بارني بالرعب، لقد وعد أن يسلم **تعويذة سلامة**، وتسليمها واجب، تحدث أشياء سيئة للذين يَعِدُون بتسليم **تعويذة سلامة** ثم لا يفعلون، أقل ما سيحدث أنه سيتحول إلى ضفدع أو – آه أُفٍّ– تمساح، قد يتحول إلى تمساح صغير نتن الرائحة، ولن يعرف العم بيلي أبدًا؛ قد يصطاده ويضعه في بيت التماسيح مع كل التماسيح الأخرى، وقد تعرف أنه ليس تمساحًا حقيقيًّا فتلتهمه، إنها كارثة! صرخ بارني وهو يقفز في يأس: «بل عليك بالفعل أن تأخذها، بالفعل، عليك أن تأخذها».

نظر سبتيموس إلى بارني، شعر بالأسى من أجل الصبي، قال له متعاطفًا: «اسمع، ما اسمك؟».

- «بارني».
- «حسنًا، بارني، سَأُسْدِي إليك نصيحة- إياك أن تأخذ تعويذة سلامة من أحد. إياك!».

تعلَّق بارني بطرف ثوب سبتيموس، وقال: «أرجوك».

- «لا.. اتركني يا بارني، حسنًا! عليَّ أن أذهب». أثناء ذلك قبض سبتيموس على نُتُوء ضخم في عنق التنين ورفع نفسه لأعلى، وجلس في جزء ضيق منخفض أمام كتفي التنين القويتين. نظر إليه بارني في يأس، ليس بمقدوره حتى أن يصل إليه الآن، ماذا عليه أن يفعل؟

تمامًا مثلما قرر بارني كان عليه أن يلقي **تعويذة السلامة** على المتدرب، إلا أن لافظ اللهب أدار رأسه؛ وحملقت عينا التنين ذاتا الإطار الأحمر بِغلٍّ في الجسد الصغير المضطرب الذي يقفز صعودًا وهبوطًا. لمح بارني نظرة التنين فجرى مبتعدًا، لم يكن يصدق العم بيلي حين قال إن لافظ اللهب مهذب، ولا يمكن أن يؤذي أحدًا مطلقًا. تابع بارني **مارشا أوفرستراند** وهي تخطو نحو التنين مع العم بيلي، ربما يمكنه أن يعطي تعويذة السلامة للساحرة العظمى، وستعطيها هي لتلميذها؟ شاهد الساحرة العظمى وهي تقوم بالفحص لتتأكد من أن السرجين الكبيرين مثبتان بأمان في

الجزء الواقع خلف موضع جلوس سبتيموس تمامًا. ورأى الساحرة العظمى تتمدد وتعانق تلميذها، ورأى أن المتدرب بدا متفاجئًا إلى حد ما. وعندئذٍ، تراجعت الساحرة العظمى والعم بيلي ولاحظ بارني أن التنين على وشك الإقلاع. وعندها تذكر ما كان يفترض أن يقوله أيضًا.

صاح بقوة بالغة أصابت حلقه بغصة: «إنها من العمة زيلدا! تعويذة السلامة من العمة زيلدا، وهناك شطيرة أيضًا».

لكن ذلك كان متأخرًا جدًّا؛ فقد أغرقت عاصفة هواء رعدية صيحته، وسرعان ما ضرب بارني إعصار تنيني هائل، وألقى به وسط كومة من شيء ذي رائحة كريهة للغاية، وحين تمكن بارني، بعد صراع، من الوقوف، كان التنين يطير بعيدًا فوق رأسه مُحلِّقًا عند قمم أشجار التَّنُّوب، وكل ما تمكن بارني من رؤيته من المتدرب كان نعلي حذائه.

خاطبه العم بيلي وقد لاحظ وجوده للتو: «أنت هنا يا بارني، ماذا تفعل؟».

رد وقد أجْهَش بالبكاء وانطلق مبتعدًا: «لا شيء».

أسرع بارني خارجًا من خلال فتحة في السياج عند طرف حقل التنين. كان كل ما أمكنه التفكير فيه أن عليه أن يعيد تعويذة السلامة إلى السيدة المحاصرة داخل الخيمة، وأن يشرح لها ما حدث؛ عندها

قد يكون كل شيء على ما يرام، لكن السيدة المحاصرة داخل الخيمة لم تكن تُرى في أي مكان.

وعندئذٍ، جاءه الغوث، إذ رأى بارني طرف خيمة مزركشة خلال باب صغير داخل البرج القديم عند نهاية **القصر**. كان العم بيلي قد أخبر بارني أنه غير مسموح له بدخول **القصر**. لكن في هذه اللحظة تحديدًا لم يهتم بارني بما قاله العم بيلي. جرى على الممر الحجري القديم المؤدي للبرج وبعد لحظة كان داخل القصر.

كان الجو مظلمًا داخل القصر؛ وكانت رائحته غير معتادة، ولم يعجب به بارني كثيرًا بأي حال. لم يستطع رؤية السيدة المحاصرة داخل الخيمة في أي مكان، كان عن يمينه بعض السلالم الضيقة الحلزونية التي تتجه صاعدة داخل البرج، وعن يساره باب خشبي عتيق ضخم. كان بارني لا يرى أن السيدة المحاصرة داخل الخيمة ستكون قادرة على المرور خلال السلالم الضيقة، لذا فقد دفع الباب العتيق فاتحًا إياه ودخل بحذر شديد، كان أمام بارني أطول دهليز رآه على الإطلاق، كان في الحقيقة **الممشى الطويل**، ذلك الممر الواسع الذي يمتد مثل العمود الفقري في وسط **القصر**. كان متسعًا مثل طريق صغير، ومظلمًا وخاويًا مثل طريق ريفي عند منتصف الليل، تسلل بارني داخل الممشى الطويل، لكن لم يكن هناك أي أثر للسيدة المحاصرة داخل الخيمة.

لم يعجب الدهليز بارني، بل بالأحرى أخافه. وعلى طول جانبيه كانت هناك أشياء غريبة: تماثيل، وحيوانات مُحَنَّطة، وصور مرعبة لأناس مُخِيفين يحدقون نحوه، إلا أنه كان لا يزال واثقًا من أن السيدة المحاصرة داخل الخيمة يجب أن تكون قريبة. نظر إلى **تعويذة السلامة** فانعكست ومضة ضوء جاءت من مكان ما على الذهب اللامع كما لو كانت لتذكِّره بمدى أهمية أن يعيد **تعويذة السلامة**، وعندها أمسك به أحد الأشخاص.

قاوم بارني وركل، وفتح فمه ليصرخ، إلا أن يدًا أطبقت عليه فجأة، شعر بارني بالإعياء، كانت اليد تحمل رائحة العرقسوس، وكان بارني يكره العرقسوس، همس صوت في أذنه «صهٍ»، تَمَلَّص بارني مثل سمكة الثعبان، لكنه، لسوء الحظ، لم يكن زلقًا مثل سمكة ثعبان صغيرة، وكان واقعًا تحت قبضة قوية، قال الصوت: «أنت طفل راعي التنين، أليس كذلك؟، أوه، إن رائحتك أسوأ من رائحته».

غمغم بارني من خلال يد العرقسوس الرهيبة التي كان في إبهامها شيء حاد بالفعل يسبب الألم «دع.. ن... ي...».

قال الصوت في أذنه: «نعم، أنا لا أريد أطفالًا كريهي الرائحة مثلك هنا، وسأفعل ذلك» تحركت اليد الأخرى للمهاجم وانتزعت **تعويذة السلامة** من قبضة بارني.

صرخ بارني، وقد حرر نفسه أخيرًا: «لا!». اندفع بارني تجاه تعويذة السلامة ووجد نفسه - لدهشته - وجهًا لوجه أمام أحد كتبة المخطوطات. لم يصدق الأمر، صبي طويل يبدو عليه التملق، يرتدي أحد الأثواب الرمادية الطويلة الخاصة بالكتبة، كان يمسك بتعويذة السلامة في يده ويبتسم، حبس بارني دموعه، لم يفهم الأمر، لم يسر أي شيء على النحو الصحيح هذا الصباح. لماذا يتربص به كاتب مخطوطات ويسرق تعويذة السلامة؟ يمكنك أن تثق بالكتبة، الكل يعرف ذلك.

صرخ بارني: «أعدها لي» غير أن الكاتب أمسك بالقنينة ورفعها بعيدًا عن متناول قفزات بارني اليائسة.

قال الكاتب ساخرًا: «يمكنك الحصول عليها إذا استطعت الوصول إليها أيها القصير».

أجهش بارني بالبكاء: «أرجوك، أرجوك، إنها مهمة أرجوك أعدها لي».

سأل الكاتب، وقد رفعها أكثر: «مهمة إلى أي مدى؟»

- «حقًّا، مهمة حقًّا».

- «حسنًا، ابتعد إذن. إنها لي».

أصاب الرعب بارني إذ اختفى الكاتب فجأة، بدا لبارني أنه قفز داخل الحائط، حملق في الجدار فزعًا، وبادلته النظرات ثلاثة من الرءوس المنكمشة المرصوصة على أحد الرفوف. شعر بارني

بالرعب، كيف يمكن لأحد أن يختفي هكذا؟ ربما تعرض للهجوم من شبح مروِّع، لكن الأشباح لا تحمل يدها رائحة العرقسوس، ولا يمكنها أن تمسك بأحد، أم أنها تستطيع؟

كان بارني وحيدًا؛ وكان الدهليز الطويل خاويًا **وتعويذة السلامة** ضاعت. ابتسمت له الرءوس المنكمشة كأنما تقول له: استمتع بأن تكون تمساحًا. ها، ها، ها!

4
المرشح

بينما كان بارني بوت يتعرض للسطو في الممشى الطويل، كانت العمة زيلدا تتابع رحيل سبتيموس من النافذة الصغيرة عند قمة البرج.

رأت لافظ اللهب يرتفع عاليًا فوق القصر، وقد حجب بطنه الأبيض الضخم الشمس. رأت ظلال جناحي التنين ـ أثناء جريها في مروج القصر – وهو يتجه نحو النهر، ورأت ما بدا أنه الهيئة الخضراء الصغيرة غير المستقرة لجسد سبتيموس التي تكاد تختبئ خلف عنق التنين ذي العضلات الضخمة.

تابعت سبتيموس وهو يطير بلافظ اللهب ثلاث مرات حول الخيمة المخططة عند ساحة الهبوط، ورأت ألثر ميلا وهو يظهر من الخيمة، ويلوِّح له مودعًا، عندئذٍ اعتصرت عينيها العجوزتين لتتابع سبتيموس وتنينه وهما يتجهان نحو ركام من الضباب قادم من **الميناء**، وحين أصبح التنين وقائده مجرد نقطة داكنة في السماء، وقد اختفيا أخيرًا عن المشهد، تنهدت العمة زيلدا وقالت لنفسها إنه على الأقل قد حصل سبتيموس على **تعويذة السلامة.. تعويذة سلامة** حية، لا أقل.

ابتعدت العمة زيلدا عن النافذة، أخرجت مفتاحًا ذهبيًّا من جيبها، ودفعته داخل ما بدا أنه حائط مُصْمَت ومشت إلى داخل حجرة الملكة، وفي الوقت الذي دخلت فيه إلى الحرم الهادئ، نحَّتْ مخاوفها بشأن سبتيموس جانبًا، وأعادت تفكيرها إلى الصبي الذي كان يومًا ما أفضل أصدقاء سبتيموس. في **جيش الشباب** كان سبتيموس والفتى الذئبي لا يمكن تفريقهما، حتى تلك الليلة العصيبة حين سقط الفتى الذئبي من قارب جيش الشباب واختفى داخل مياه النهر القاتمة. على حفيف رداء العمة زيلدا، استدارت **الملكة سيريس** بهدوء في كرسيها وحَدَجَتْ زائرتها بنظرة غامضة بعينيها الأرجوانيتين العميقتين. كانت الملكة الشبح نادرًا ما تغادر الغرفة؛ لأنها كانت تحرس **طريق الملكة**. كان وجودًا

هادئًا بلا أحداث عادة، وكانت الشبح تقضي أكثر وقتها في حالة تشبه الحلم، وكان من الصعب أحيانًا أن توقظ نفسها منه.

قدَّمت العمة زيلدا التحية مرة أخرى وأخرجت الأنبوب الفضي الطويل من جيبها. أخرجت رؤية الأنبوب **الملكة سيريس** من حالة الاستغراق، وتابعت باهتمام العمة زيلدا وهي تُخْرِج مخطوطة ورقية وتقوم بفَرْدِها ووضعها على ذراع الكرسي الذي تجلس عليه الشبح.

قالت العمة زيلدا، التي لا تتمسك بمناداة الملكات بالأسلوب الحديث «جلالتكم»: «هذا يخص حارسًا مرشحًا جديدًا، إذا نال رضاك، أيتها الموقرة».

لم تكن **الملكة سيريس** تعبأ بما يخاطبها به أي أحد ما دام يتسم بالأدب، فهي مثل ابنتها جينا، كانت دائمًا ترى أن مناداتها «بجلالتكم» أمرًا سخيفًا بشكل ما، واعتبرت أن استخدام العمة زيلدا لكلمة «الموقرة» ليس أفضل كثيرًا، لكنها لم تقلْ شيئًا، ونظرت باهتمام في الورقة المخطوطة الموضوعة أمامها.

قالت بابتسامة: «أنا لم يبلغني سرور رؤية واحدة من هذه من قبل يا زيلدا، أمي لم ترَ أيًّا منها، رغم أني أعتقد أن جدتي رأت اثنتين أو ثلاثًا».

– «أعتقد ذلك، أيتها الموقرة. كان هذا نهجًا سيئًا، في الوقت الذي تقلدت فيه بيتي كراكل المنصب، كان الأمر فوضى، لقد بذلت بيتي المسكينة قصارى جهدها».
– «أنا واثقة أنها فعلت، لكنك ظللت الحارس لفترة طويلة الآن يا زيلدا».
– «بالفعل. لما يزيد على خمسين عامًا، أيتها الموقرة».
– «آه، أرجوك يا زيلدا، فقط ناديني سيريس، خمسون عامًا؟ إن الوقت يمضي مسرعًا للغاية ... ومع ذلك ببطء شديد، إذن من الذي اخترته؟ أليست واحدة من ساحرات ويندرون هؤلاء اللاتي أثق بهن؟».

قالت زيلدا في تعجب: «بحق السماء، لا. لا، إنه شخص صار له الآن فترة يعيش معي، شاب لديه – ويسعدني أن أقول هذا – شعور عظيم تجاه المستنقع، وتجاه كل شيء فيه، شخص سيكون حارسًا صالحًا، وأنا مقتنعة بذلك».

ابتسمت سيريس للعمة زيلدا: «أنا مسرورة جدًّا، مَن هو؟».

أخذت العمة زيلدا نَفسًا عميقًا: «ها... الفتى الذئبي، أيتها الموقرة – سيريس».

– «الفتى الذئبي؟».
– «نعم».
– «إنه اسم غريب لفتاة، لكن الزمن تغير، على ما أظن».

- «إنه ليس فتاة أيتها الـ... سيريس، إنه فتى، حسنًا، شاب تقريبًا».
- «شاب؟ يا للسماء!».
- «أعتقد أنه سيكون حارسًا رائعًا، أيتها الملكة سيريس، وليس في **تعاليم الحراسة** ما يقضي حقيقةً بأن الحارس يجب أن يكون امرأة».

«حقًّا؟ لطفك إلهي!».

- «لكن القرار لك بالطبع، أيتها الملكة سيريس، ما عليَّ إلا إسْدَاء النصح والتزكية».

جلست الملكة سيريس وحَدَّقَت في النار لمدة طويلة للغاية حتى إن العمة زيلدا بدأت تتساءل عما إذا كانت قد ذهبت في النوم، إلى أن بدأ صوتها الواضح العميق في الكلام. قالت الملكة الشبح: «زيلدا، أدرك أن واجبات الحارس قد تغيرت حاليًّا بما أن **قارب التنين** قد عاد إلى **القلعة**».

همهمت العمة زيلدا: «هذا صحيح»، تنهدت، فقد افتقدت العمة زيلدا قارب التنين بشدة. كان القلق يساورها بشأن القارب الملقى فاقدًا للوعي في بيت التنين على مسافة عميقة داخل أسوار مرفأ القوارب، على الرغم من أنه كان المكان الذي بُني خصيصًا للاحتفاظ بقارب التنين في أمان. وبينما كانت العمة زيلدا تعرف أن هذا يعني أن جينا الآن أصبح لديها حرية مغادرة القلعة دون

تعريضه للخطر، فقد كانت لا تزال تأسى على فقد قارب التنين الخاص بها.

أكملت **الملكة سيريس**: «لذا، يبدو لي أنه، بما أن واجبات الحارس قد تغيرت، ربما تكون الطبيعة الخاصة بالحارس ينبغي أن تتغير أيضًا، وإذا كنت تزكين الفتى الذئبي هذا، فأنا سأقبله».

ابتسمت العمة زيلدا ابتسامة عريضة: «أنا بالفعل أُزكيه، أيتها الملكة سيريس، أزكيه بقوة، في الواقع».

- «إذن أنا أقبل الفتى الذئبي باعتباره **الحارس المرشح**».

صفقت العمة زيلدا بيديها فرحةً: «هذا أمر رائع، رائع!».

- «أحضريه لي يا زيلدا؛ حتى تتسنى لي رؤيته، أحضريه من خلال طريق الملكة، يجب أن نرى أن بمقدوره المرور عبر الطريق».
- «هاه ... لقد مرَّ بالفعل، لقد، هاه، لقد كان عليَّ أن أحضره ذات مرة من قبل، في أمر طارئ».
- «آه، حسنًا، يبدو أنه مناسب بشدة، إني أتطلع لمقابلته، لقد أدى المهمة، حسبما أفترض؟».

سرت مسحة من التوتر في معدة العمة زيلدا: «لقد انطلق لأدائها ونحن نتحدث يا سيريس».

- «آه. إذن سنكون في انتظار عودته باهتمام، إذا أمكنه العودة، فحينئذٍ سأتطلع حقًا إلى التعرف عليه، وداعًا زيلدا، أراكِ المرة القادمة».

كان سرورها بقبول الملكة لمتدربها قد اعتراه بعض الانزعاج بذكر الملكة لأمر المهمة التي عمدت العمة زيلدا لوضعها خارج تفكيرها لفترة، سحبت المخطوطة ببطء ووضعتها في الأنبوب، قدمت التحية بعد ذلك وتحركت عبر الغرفة إلى خزانة **الأكاسير المتقلبة والسموم الخاصة**. تابعتها سيريس وهي تفتح الباب وتناضل لتعتصر نفسها داخله.

نادتها سيريس: «زيلدا؟».

زفرت العمة زيلدا وهي تخرج رأسها من الخزانة بشيء من الصعوبة: «نعم».

- «هل من الممكن تناول **سحر التضخيم** دون إدراك ذلك، هل تعتقدين ذلك؟»
- قالت العمة زيلدا وقد بدت متحيرة: «لا أعتقد ذلك، لماذا؟».
- «لا شيء، كنت أتساءل فحسب، رحلة آمنة».
- «ها. شكرًا لكِ، أيتها الملكة سيريس»، جذبت باب الخزانة وأغلقته خلفها.

5

412 و 409

شعر سبتيموس بالبهجة. كان يطير بلافظ اللهب، ومن الآن فصاعدًا سيمكنه الطيران به وقتما يريد. لاحظ أن هذه هي المرة الأولى التي يقود فيها تنينه دون أن يتسلل داخله شعور بالذنب، لمعرفة أن مارشا لا توافق حقيقة أو أنها منعت ذلك بالفعل.

فهذه المرة لوحت له مودعة بابتسامة، حتى عانقته -وهو ما كان شيئًا عجيبًا- والآن أمامه إثارة الرحلة بأكملها، هو وتنينه وحسب، وما هو أفضل حتى - حسبما فكر سبتيموس - حين اقتحم بلافظ اللهب ركـام الضباب المنخفض وخرج إلى ضوء الشمس، إنه كان في طريقه لرؤية كل الناس الذين يمثلون له أكبر

أهمية، حسنًا، تقريبًا كل الناس. كان هناك آخرون، بالطبع، لكن كانت جينا وبيتل ونكو وسنوري هم من ينتظرونه في غرفة شبك قديمة بعيدًا عبر البحر، وكان هو في طريقه لإعادتهم للوطن.

كان سبتيموس يعرف أنها ستكون رحلة طويلة. كان قد قطعها قبل يومين مع مارشا وسارة والمريض جدًّا إيفانيا جريب، ولم تكن رحلة سهلة، لكن كان ذلك يرجع في معظمه إلى ما أسمته سارة «القيادة المتواضعة» لمارشا، لكن الآن هناك فقط سبتيموس وتنينه، وسيقود تنينه بالطريقة التي يريدها تمامًا.

وهكذا، وإذ انطلق مسرعًا فوق الضباب، تتبع لافظ اللهب منحنيات النهر المتعرجة وهي تأخذ طريقها نحو الميناء، جلس سبتيموس في مقعد الطيار المنخفض تمامًا خلف عنق التنين وأمام كتفي التنين العريضتين العظميتين، ومع كل ضربة طويلة بطيئة للجناحين، كان سبتيموس يشعر بحركة عضلات لافظ اللهب أسفل القشور الباردة من تحته، مال للخلف واستند إلى عظمة كبيرة مسطحة - **تُعرَف بعظمة الطيار** - وأمسك بمرونة بعظمة قصيرة عند أسفل عنق التنين، والتي أشارت إليها بعض الكتب الإرشادية منتقدةً بوصفها عظمة الرعب؛ لأنه من خلالها يشعر بكل حركة للتنين.

وعلى الفور صار سبتيموس ولافظ اللهب يطيران نحو الميناء. كان الضباب قد اختفى وتحركت سحب بيضاء صغيرة فوقهما؛ إنها سحب سعيدة، كما يرى سبتيموس.

بدت شمس مشرقة، ولمعت قشور لافظ اللهب الخضراء بألوان قوس قزح الجميلة، فهقه سبتيموس، كانت الحياة طيبة في الحقيقة، كانت الحياة رائعة، لقد نجا من الرحلة - وما هو أجمل حتى، أنه أكملها بنجاح - المتدرب الوحيد الذي يفعل ذلك على الإطلاق، والآن، ولفرط دهشته، أصبح متدربًا أول، تفحص طرفي كميه، نعم، كان الشريطان الأرجوانيان لا يزالان هناك، يتلألآن في ضوء الشمس.

نظر سبتيموس تحته، بعيدًا إلى الأسفل فرأى الميناء يمتد مثل قطعة قماش منقوشة. كان العديد من الشوارع لا يزال مظلمًا، إذ لم ترتفع الشمس بما يكفي لتصل إلى وديان المستودع الضيقة وتزيل ظلالها، لكن الأشعة كانت ظاهرة على الأسطح الحجرية القديمة، التي تلمع إذ غسلتها الأمطار مؤخرًا. كانت خيوط متموجة من الدخان تصعد من المداخن بالأسفل، واشْتَمَّ سبتيموس رائحة دخان الخشب الحلوة. كان صباحًا طيبًا أن تخرج ممتطيًا تنينًا.

كان يؤدي إلى خارج الميناء طريق مرتفع مألوف يشبه ثعبانًا أبيض طويلًا يصل إلى مستنقعات مارام؛ وهو الجسر. ضبط لافظ اللهب ليتبع الجسر، معتزمًا أن يطير عبر مستنقعات مارام إلى منارة

الكثيب المزدوج، ومن هناك يبدأ طريقه في اتجاه البحر، وبينما انطلق نحو طرف الجسر من جهة **المستنقع**، رأى سبتيموس شخصًا أسود في مقابل بياض الطريق، يمضي في طريقه نحو **الميناء**.

لم يؤمن سبتيموس نهائيًا بوجود حاسة سادسة، كان ينزع إلى موافقة مارشا على أن الحاسة السادسة هي «كتلة من هراء الساحرات»، ومع ذلك كانت لديه حاسة مطورة جيدًا لأن يعرف حين يكون **مراقبًا**، وفجأة عرف سبتيموس أن الشخص الذي رآه عند طرف الجسر كان **يراقبه**، لا يراقبه بالمعنى السيئ؛ بل فقط مراقبة عادية، إنها نوع من الأشياء التي قد يفعلها أحد السحرة حين يرى طفله مغادرًا إلى المدرسة ويتابع تقدمه؛ ليتأكد من أن رفاق السوء لا يقبعون في الانتظار.

أعطى سبتيموس وكزتين خفيفتين للافظ اللهب بقدمه اليسرى، وسرعان ما فقد التنين ارتفاعه ببطء، الآن استطاع سبتيموس أن يرى أن الشخص قد توقف وصار ينظر لأعلى وقد ظلل عينيه بكلتا يديه، همهم سبتيموس: «إنه 409، أنا متأكد أنه هو»، مستخدمًا عادته في التعبير عن أفكاره بصوت مرتفع حين يكون الأمر مقصورًا عليه هو ولافظ اللهب فقط: «اهبط يا لافظ اللهب، اهبط، هيه، ليس بهذه السررررعة».

هبط لافظ اللهب على الجسر محدثًا صوتًا هادرًا، وانزلق فوق السطح الطيني الزلق، وفي محاولة للتوقف، فَرَد جناحيه بزاوية تسعين درجة في اتجاه الطريق، ودفع ذيله للأسفل لكنه لم ينجح سوى في إحداث حفرة عميقة في السطح الطباشيري، ومع تباعد القدمين الأماميتين، وتجرجر الكعبين، كان لافظ اللهب لا يزال يتحرك في سرعة ويتجه مباشرة نحو بركة عميقة، اندفع رذاذ من الماء العكر في الهواء، وأخيرًا صار التنين إلى توقف، والتصق الطين الذي في قاع البركة بقدميه مثل لاصق الفئران الخاص بمارشا؛ وهو اختراع تستخدمه لاصطياد الفئران آكلة الورق في المكتبة الهرمية.

نظر سبتيموس إلى أسفل من مجلسه المرتفع، أين 409؟ من المؤكد أنه كان واقفًا قرابة المكان الذي هبطا فيه تمامًا، دهمت سبتيموس فكرة مرعبة؛ أَهَبَط لافظ اللهب فوقه؟ هل فعل؟ أَصْغَى سبتيموس، لم يسمع شيئًا، ليس سوى الصوت الرقيق لحفيف النسيم عبر أعواد القصب على كلا جانبي الجسر.

في رعب، اندفع سبتيموس هابطًا من فوق التنين. لم يكن هناك أثر لا للفتى الذئبي في الطريق من خلفه، كان كل ما أمكنه رؤيته هو حفرة الذيل الطويلة وعلامات انزلاق قدمي لافظ اللهب، والآن راودت سبتيموس فكرة أكثر رعبًا؛ هل سحب لافظ اللهب الفتى

الذئبي تحته طيلة هذه المسافة؟ قال فيما يشبه الصراخ: «انهض يا لافظ اللهب».

رمَقَ التنين سبتيموس وكأنه يقول له: لماذا عليَّ أن أفعل ذلك؟ لكن سبتيموس لم يكن لديه أي أسباب، فقال آمرًا: «انهض! انهض يا لافظ اللهب فورًا!».

كان لافظ اللهب يعرف متى يجب عليه أن يفعل ما يؤمر به، لكن هذا لم يعنِ أن يفعل ذلك بطريقة لائقة، رفع نفسه بعصبية من البركة التي كان يستمتع بالجلوس فيها، وبحذر شديد أمعن سبتيموس النظر تحته، وفجأة شعر أنه أفضل كثيرًا، إذ لم يكن هناك أثر لـ 409.

جاء صوت مبتهج من خلف سبتيموس: «أهناك خطب ما بأجهزة الهبوط يا 412؟».

- «409!»، قالها سبتيموس وهو يستدير حول نفسه في الوقت المناسب ليرى صديقه القديم وهو يخرج من حقول القصب والماء يتساقط منه، «لم أستطع سماعك، وفي لحظة رعب ظننت.. حسنًا، ظننت ...».

ضحكتْ عينا الفتى الذئبي البنيتان وهو يكمل له: «إن 409 قد سُحق»، ثم أتم: «لا، الفضل لك أن ذلك لم يحدث لي، إن قيادتك خطرة، اضطررت إلى إلقاء نفسي في حقول القصب» نفض نفسه

مثل الكلاب، وتطاير وابل من القطرات وسقط على جلد حيوان الشره الخاص بسبتيموس.

نظر الفتى الذئبي نحو الجلد بارتياب، لم يحب أن يرى جلد حيوان الشره يُرتدى، ففصائل الشره كانت بمثابة عائلة.

لمح سبتيموس نظرة الفتى الذئبي، أزاح بخجل جلد الشره وألقاه على لافظ اللهب وقال: «آسف». ضحك الفتى الذئبي وقال: «لا عليك، الناس يرتدونها، أعرف ذلك، هناك دائمًا مشاكل في هذا المكان، أليس كذلك؟».

سأله سبتيموس: «هل هناك مشاكل؟».

- «نعم. أنت تعرف، أشياء غريبة تسقط من السماء، في البداية أخوك، والآن أنت».

لم يكن سبتيموس واثقًا من أنه يحب أن يُقارن بهذا الأخ المحدد، كان يعرف أن الفتى الذئبي كان يشير إلى الوقت الذي انقضَّ فيه سايمون، وهو يحوز تعويذة الطيران، عليهم تقريبًا في المكان الذي يقفان فيه الآن، وكان يحاول الإمساك بجينا، لكن سبتيموس لم يستطع يومًا أن يشعر بالانزعاج حين يكون مع الفتى الذئبي، ابتسم وقال: «حسنًا، على الأقل أنت لم تُطْلق عليَّ قذيفة من منجنيقك».

- «لا، مع أني لا أزال أحمله، إذن ما الذي تفعله الآن؟»

«أنا ذاهب لأحضر جينا، ونكو، وسنوري، وبيتل، سأعيدهم للوطن».

- «ماذا.. جميعهم؟ فوق هذا؟»، رمق الفتى الذئبي لافظ اللهب بارتياب، ورد التنين الإطراء.
- «نعم.. سيكون أمرًا ممتعًا».
- «لك وليس لي، أنا أفضِّل المكان الذي سأذهب إليه في أي يوم».
- «إذن، أين هو؟ أهو الميناء؟» لم يكن ذلك تخمينًا صعبًا؛ فالجسر لا يؤدي إلى أي مكان آخر.
- «لقد أصبت، تريدني زيلدا أن ...» توقف الفتى الذئبي. كانت العمة زيلدا قد قالت له ألا يخبر أحدًا بما يفعله، فأنهى كلامه محرجًا: «... أن أقوم ببعض الأمور».
- «أمور؟»
- «ها، نعم».
- «حسنًا، ليس عليك أن تخبرني، هناك أشياء لا تدعني مارشا أقولها لأي أحد أيضًا، هل تريد توصيلة؟»
- «ها» نظر الفتى الذئبي إلى لافظ اللهب. كان قد أقسم ألا يمتطي هذا التنين مرة أخرى أبدًا، كانت القشور تسبب له الذعر، وكانت الطريقة التي يطير بها لافظ اللهب - الصعود والهبوط مثل اليويو - تجعل معدته تنقلب.

قال سبتيموس الذي كان لا يريد أن يترك صديقه القديم وحده وسط المجهول: «ولن نطير بسرعة، أعد بذلك».

- «حسنًا، أنا.........آه، أوافق إذن. شكرًا لك»

كان سبتيموس على قدر كلمته، فقد قاد لافظ اللهب ببطء شديد على ارتفاع خمسين قدمًا فوق **الجسر**، وسرعان ما وصلوا إلى أول بنايات نائية تابعة **للميناء**؛ وهي بعض أكواخ العمال الرثة. انزلق الفتى الذئبي من مكانه خلف سبتيموس وقد تابعه بعض الأطفال الصغار الصامتين؛ الذين خرجوا مَشْدُوهين على صوت التنين. هبط على الجسر مثل القط وجذب حقيبة الظهر الخاصة به مباشرة.

- «أشكرك يا 412. لم يكن هذا سيئًا جدًّا».
- «على الرحب، اسمع؛ احترس من مجمع ساحرات الميناء، حسنًا، إنهن أسوأ مما يبدون».
- «نعم. وهن كذلك لا يبدون رائعات جدًّا»، قال الفتى الذئبي ذلك ثم تابع: «أنت! كيف عرفت أنني ذاهب لمجمع الساحرات؟».

بدا الاهتمام فجأة على سبتيموس، وقال: «لم أعرف. أنت لست ذاهبًا حقًّا إلى مجمع الساحرات، أليس كذلك؟».

أومأ الفتى الذئبي قائلًا: «العمة زيلدا، هي ...».

قال سبتيموس وقد ثبَّت نظره على عيني صديقه البنيتين الداكنتين وأخفض صوته: «إيه، حسنًا، تذكر فقط أن العمة زيلدا لم تكن لتصبح حارسة من خلال كونها ساحرة بيضاء صالحة على الدوام، لا يمكن لأحد أن يصبح حارسًا دون أن يلمس **السحر الأسود** يا 409. احذر. لا تقترب كثيرًا، حسنًا».

- «لن أفعل. واحذر أنت أيضًا، تعال لرؤيتنا حين تعود».

فكر سبتيموس في مدى روعة قضاء بعض الوقت لدى العمة زيلدا مع جينا ونكو، تمامًا مثلما حدث عندما تقابلوا لأول مرة؛ بل سيكون أفضل، قال: «سنأتي جميعًا لرؤيتك، سأحضر نكو وسنوري، وبيتل، وأيضًا جينا».

- «رائع، وأنا سأريكم المستنقع، أعرف كل الممرات.. حسنًا، معظمها، سآخذكم إلى **جزيرة الدجاج**، لي بعض الأصدقاء الطيبين هناك».

نظر سبتيموس إلى الفتى الذئبي وتمنى لو أنه لم يكن متوجهًا لساحرات **الميناء**. لم يكن سبتيموس واثقًا من أن صديقه قد فهم بالفعل مدى خطورتهن. مدَّ يده داخل أحد جيوب حزام المتدرب الفضي الخاص به وأخرج مثلثًا معدنيًا صغيرًا، وقال: «هيا، خذ هذا، إنه **سحر عاكس**، إذا حاولت هؤلاء الساحرات أي شيء؛ فوجه الطرف الحاد لهذا إليهن، سيعيده مباشرة إليهن.. مع تشغيل المقبض».

قال الفتى الذئبي بأسف: «أشكرك، لكن لا، شكرًا، عليَّ أن أفعل ذلك بطريقتي».

قال سبتيموس وهو يعيد التعويذة: «حسنًا، أنا أتفهم، كن حذرًا». تابع سبتيموس خطوات الفتى الذئبي الطويلة السريعة وهي تأخذه عابرًا الأكواخ إلى داخل الشوارع المعتمة للمنازل العشوائية التي احتضنت أطراف الميناء، ظل يتابع حتى انحرف الفتى الذئبي عند إحدى النواصي واختفى في الظلام، عندها - وبدافع من النظرات المقلقة نوعًا ما من الحشد الصامت للرضع القذرين والأطفال الصغار - قال لتنينه: «انهض».

خفق لافظ اللهب، الذي كان - رغم ما ظنه بارني بوت - حريصًا جدًّا على الأطفال الصغار، خفق بجناحيه بحذر، ورأى سبتيموس الأرض من تحته وهي تخلي قبضتها ببطء مرة أخرى. ومضيا في طريقهما.

⇸ 6 ⇷

جيم ني

مثل عنكبوت عاد إلى شبكته، عاد ميرين إلى مكانه السري. كان قد اكتشفه مصادفة قبل أيام قليلة حين رأى سارة هيب - وهو يتسكع عند الممشى الطويل في طريقه لدار المخطوطات - وهي تسرع نحوه. أصيب ميرين بالذعر؛ فقد أُمسك به وهو في جزء مفتوح تحديدًا من الممشى الطويل دون ظل يختبئ فيه أو أبواب أو ستائر ينزوي خلفها. كان ميرين لا يفكر جيدًا مطلقًا وهو في حالة ذعر؛ لذا كان كل ما فعله هو أن يلصق نفسه بالجدار العتيق آملًا، بمعجزة ما، ألا تلحظه سارة. ولكن، ولدهشة ميرين، حدثت معجزة من نوع آخر، فقد استدار الجدار من ورائه فسقط خلفه داخل مكان خالٍ.

جلس ميرين لاهثًا، واقعًا وسط طبقات من الغبار وتابع سارة هيب وهي تسرع دون مجرد نظرة إلى الفجـــوة المظلمـــة في الجدار.

وبمجرد أن مرت بأمان، تفحص مكان اختبائه. كان في حجم غرفة صغيرة ولا يضم شيئًا سوى كرسي قديم محطم وكومة من الأغطية مكدسة في الركن. لمس ميرين الأغطية بقدمه، وهو نصف خائف من أنها قد تختفي، لكنها سرعان ما تحولت إلى تراب. أسرع ميرين خارجًا من الخزانة وهو يسعل ليفاجأ فقط برؤية سارة هيب عائدة نحوه. غاص عائدًا إلى الغرفة المختفية، وحاول بكل ما أوتي أن يوقف السعال بحشر أصابعه داخل فمه. وما كان ميرين في حاجة لأن يقلق؛ إذ كان لدى سارة أشياء أخرى تشغل بالها في هذا الوقت، حتى إن صوت ضوضاء الاختناق المكبوت الصادر من داخل الجدار لم يزعج حتى أفكارها الملهوفة.

ومنذ ذلك الحين، قام ميرين بعدة زيارات لما اعتبره المكان السري الخاص به، وقد مده بالأشياء الضرورية: مياه، وشموع، وثعابين العرقسوس، بالإضافة إلى دببة الموز التي كانت جديدة في متجر ما كاسترد، وكانت إذا مضغت في وقت واحد مع عود العرقسوس تعطي مذاقًا شائقًا.

وقتما يتسنى له، كان ميرين يجلس في هدوء داخل الغرفة يستمع ويشاهد، مثل عقرب في مركز شباكه، ينتظر أن يحوم حوله طير صغير بريء، وأخيرًا حام أحدها بالفعل في صورة بارني بوت.

كان ميرين عقربًا كفؤًا، والآن عاد إلى وكره وقد أمسك بسعادة بغنيمته من أول كمائنه. ضغط على حجر قداحته وأشعل بشرارتها

الشموع التي كان قد «استعارها» من دار المخطوطات، أغلق بحذر جزء الجدار المواجه للممشي الطويل، مراعيًا أن يُبقي مكمنه مفتوحًا، فمنذ أن كانت مربيته - بناءً على أوامر **دومدانيال** - تحبسه في خزانة مظلمة حينما لا يفعل ما يؤمر به، تربى لدى ميرين خوف من الحبس في أماكن مظلمة، وكانت نقطة الضعف الوحيدة في مكمنه هي أنه لم يستطع اكتشاف كيف يفتح الباب من الداخل.

وبعد أن اختبر الباب ثلاث عشرة مرة ليتأكد من أنه مفتوح، وضع ميرين نفسه فوق عدة وسائد كان قد أخذها من أحد المخازن بسقيفة القصر، بعد ذلك قضم رأس أحد ثعابين العرقسوس الجديدة، وحشر دب موز في فمه وتنهد بسعادة، كانت الحياة جيدة.

تفحص ميرين القنينة الذهبية الصغيرة، التي كانت لا تزال دافئة من أثر يد بارني، ابتسم؛ لقد أحسن صنعًا. كان بإمكانه أن يَحْدِس أن القنينة كانت من الذهب الخالص فقط من خلال مدى ثقلها ومن خلال اللمعان العميق الرائق الذي تلألأ بلون برتقالي في ضوء الشموع، نظر إلى السدادة الفضية وتساءل عن ماهية ذلك الرسم الصغير على رأسها، بدت القنينة كما لو كانت قنينة عطر، واعتقد أن الرمز كان اسم ذلك العطر. كان قد رأى بعض ما يشبه ذلك في نافذة عرض أحد محال المجوهرات قرب متجر **ما كاسترد**، وكان بعضها ذا ثمن باهظ حقًّا؛ يكفي لشراء كل مخزون

ما كاسترد من ثعابين **العرقسوس**، **ودبة الموز**، وربما معظم مجموعة شراب **الفيزبوم الفوار** الخاصة أيضًا. بدأ لعاب ميرين يسيل، وأسقط قطرات من رذاذ **العرقسوس** على الجزء الأمامي من رداء الكنبة الرمادي، ابتسم والتهم دب موز آخر في فمه. لقد اتخذ القرار؛ كان هذا تمامًا ما سيفعله: سيأخذ القنينة الذهبية إلى متجر المجوهرات ويبيعها، بعدها سيذهب مباشرة إلى متجر ما **كاسترد** ويشتري كامل مخزونها من الثعابين والدببة، وهذا سيُظهر الخفاش القديم. (كان استهلاك ميرين من ثعابين العرقسوس قد فاق أجره من دار المخطوطات، وأبلغته **ما كاسترد** أنها لا تقبل التسليف).

كان الفضول قد بلغ مداه بميرين، وتساءل عما تكون عليه رائحة العطر الذي في القنينة، وفكَّر، لو أنه ذو رائحة طيبة، فسيكون ثمنه أكبر حتمًا، تفحص الشمع الأزرق اللامع الذي يغلف السدادة؛ سيكون من السهل إذابة الشمع على لهب الشمعة ثم إعادته مرة أخرى؛ لن يعرف أحد. غرز ظفر إبهامه المتسخ في الغلافة الشمعية وبدأ في إزالتها، وفي الحال صار معظم الشمع ملقى في تمويجات متسخة في حجره، ولمعت الرقاقة الفضية التي كانت مختفية تحت الشمع في ضوء الشموع. أمسك ميرين السدادة الصغيرة بين سبابته وإبهامه وجذبها، فانزاحت مع أنَّةٍ خفيفة.

رفع ميرين القنينة إلى أنفه واستنشق، لم تكن ذات رائحة طيبة جدًّا، وفي الحقيقة، كانت ذات رائحة غير طيبة بشكل واضح، ومع ذلك، ما كان ليعرف أن الجن لا يشتهرون بطيب الرائحة، وأن كثيرًا منهم يعمد لأن يكون ذا رائحة مقززة تمامًا. في الحقيقة، فإن الجني الذي سكن القنينة الذهبية المثبتة بيد ميرين اللاصقة لم يكن ذا رائحة سيئة للغاية، فهو -كعادة الجن- مزيج خفيف من اليقطين المحروق ممزوج بمسحة من روث البقر، لكن ميرين شعر بخيبة الأمل في زجاجة العطر، وفقط ليتأكد من أن رائحتها بالفعل سيئة جدًّا، رفع القنينة إلى فتحة أنفه اليسرى واستنشق بقوة؛ وانشفط الجني داخل أنفه، لم تكن لحظة طيبة لأيٍّ منهما.

ربما كان للجني الجانب الأسوأ منها، لقد ظل منتظرًا داخل قنينته لمئات السنين، يراوده حلم اللحظة العظيمة حين يتم إطلاق سراحه، كان يحلم بالهواء النقي البارد لصباح ربيعي على سفح أحد الجبال، تمامًا مثل المرة الأخيرة التي أطلق فيها سراحه كاهن وديع، قبل قليل من قيام ساحرة ماكرة خبيثة بالإيقاع به داخل أصغر قنينة كان من الممكن وضع جني بها، ومنذ أن أيقظته العمة زيلدا، صار الجني في نوبة ترقب، يتخيل أشكالًا لا حصر لها من سيناريوهات الخروج الرائعة، ربما السيناريو الوحيد الذي لم يتخيله هو أن يعلق في أنف ميرين ميريديث.

لم يكن الوضع جيدًا في أنف ميرين، ودون الدخول في تفاصيل عديدة لا تبعث على السرور، كان مظلمًا، رطبًا، ولم يكن هناك فراغ كبير لجني يَتُوقُ إلى التمدد، وكانت الضوضاء شنيعة؛ حتى في مركز دوامة ريح مسحورة، لم يسمع الجني من قبل قط شيئًا مثل ذلك العواء الذي ملأ الكهف الصغير الذي جُر إليه، لكن فجأة، وبمصاحبة صوت أشد العطسات قوة، خرج الجني، متدحرجًا من الكهف مثل رصاصة خارجة من بندقية. ومع صرخة ابتهاج ضرب الهواء الطلق وانطلق عبر الغرفة الصغيرة في ومضة من الضوء الأصفر، حيث ارتد من على الحائط وسقط غارقًا في كومة من الغبار العتيق. حدَّق ميرين في ذهول تام ولكن ليس بقليل من الفخر؛ فلم يسبق له قط أن رأى مُخاطًا مثل هذا.

وسرعان ما تبخر فخر ميرين وتحول ابتهاجه إلى خوف حين خرجت من كومة الغبار بقعة صفراء ضخمة متوهجة؛ إذ كان المخاط الملقى في الغبار يتضخم. نَدَّت عنه صرخة رعب حين انتشرت الكتلة، ومثل إناء لبن يغلي ويفور، بدأت في الارتفاع شيئًا فشيئًا، والآن بدأت الكتلة في الدوران، جاذبة نفسها لأعلى وقد التفت وكبرت، وصار وهجها أشد لمعانًا، فمحا ضوء الشموع الدافئ وغمر الغرفة الصغيرة بضوء أصفر باهر.

صار الآن ميرين متكومًا يَئِنُّ في ركن الغرفة. في البداية كان يظن أن أحد كتبة دار المخطوطات قد ألصق بشكل ما **سحر**

المخاط المتمدد (وهو أحد الأشياء المفضلة في دار المخطوطات) به دون أن يلحظ، لكن ميرين الآن -حتى وإن أحكم إغلاق عينيه- عرف أن الأمر أسوأ من ذلك، عرف أن بداخل الغرفة كائنًا آخر؛ كائنًا أضخم كثيرًا، أكبر سنًّا وأشد إرعابًا منه، وشيء ما أخبره أن الكائن ليس سعيدًا بوجه خاص في تلك اللحظة تحديدًا.

كان ميرين على حق؛ فقد كان الجنيُّ ليس سعيدًا على الإطلاق، لقد كان يَتُوق إلى الأماكن المفتوحة وهو هنا محبوس في خزانة صغيرة ملأى بالغبار العتيق **وبالسيد العظيم الذي أطلق سراحه**، وقد جثم مرتعدًا باكيًا في ركن الغرفة، بالطبع، كان كل الجن معتادين على مسحة الرعب التي يخلفها ظهورهم - وكثيرون انحرفوا عن طريقهم ليحصدوا هذه اللحظة - ولكن كان هناك خطب ما في **السيد العظيم** لهذا الجني لم يدفعه لذلك. عكست الهيئة البشرية المنحنية المزرية إحساسًا بغيضًا، وكانت بما لا يدع مجالًا للشك ليست نوع **السيد العظيم** الذي توقع الجني أن يوقظه. لم يبدُ الأمر صحيحًا حتى، وإذ شعر بالانزعاج من كونه خُدِع مرة أخرى، أخرج الجني تنهيدة غاضبة، عوت التنهيدة في الغرفة مثل روح الشؤم. ألقى ميرين بنفسه على الأرض وسد أذنيه بيديه.

فرد الجني نفسه عبر سقف الغرفة وحَدَّج جسد ميرين المنبطح الباكي بنظرة نفور، ولكن إذا كان الجني يريد أن يبقى خارج القنينة؛

فإن الخطوة التالية يجب أن تتخذ بسرعة، عليه أن يتلقى أمرًا وأن يطيعه، بهذه الطريقة، سيكون مرة أخرى جزءًا من العالم، ويكون بمقدوره أن يتخذ شكلًا بشريًّا؛ وليس هذا ما يُعد ميزة عظيمة، كما فكر الجني، وهو ينظر إلى الجسد المثير للشفقة من تحته.

كان الشيء التالي الذي سمعه ميرين - رغم أنه ألصق أصابعه بأذنيه - صوتًا شعر كما لو أنه يأتي من أعماق رأسه، يقول: «أأنت سبتيموس هيب؟».

فتح ميرين إحدى عينيه ونظر في خوف، كانت البقعة المصفرة على السقف تحوم على نحو مزعج، أصدر ميرين صريرًا خافتًا: «نعم، أنا.. حسنًا، كنت ذات مرة، أعني كنت».

تنهد الجني وأحدثت صرخة الريح الهائلة صفيرًا في أرجاء الغرفة الأشبه بالصندوق الصغير. كيف كان إيقاظه خطأً لهذه الدرجة؟ هذا الشقي الباكي قال إنه سبتيموس هيب، ولكن الجسد المنكمش وسط الغبار ليس بحال مثل الوصف المتألق للصبي السحري الذي وصفته العمة زيلدا للجني، كانت صورة سبتيموس هيب هي تمامًا تلك التي طالما بحث عنها ذلك الجني المنهك لتجسد سيده الجديد. لكن الآن بات الأمر واضحًا؛ لقد غشته ساحرة مخادعة أخرى، لم يكن أمامه سوى أن يواصل طرح السؤال الثاني.

- «ما الذي ترغب فيه، أيها العظيم؟»، وفقط على سبيل الفكاهة جعل الجني صوته مخيفًا بأقصى ما يمكن، حشر ميرين أصابعه في أذنيه مرة أخرى وارتعش في رعب.

أعاد الصوت سؤاله مرة أخرى: «ما الذي ترغب فيه، أيها العظيم؟».

- «ماذا؟»، قالها ميرين وهو يغطي وجهه بيديه وينظر من بين أصابعه.

تنهد الجني مرة أخرى، هذا شخص غبي حقيقة، كرر سؤاله ثانيةً، ببطء شديد، وبدأ في الهبوط إلى الحائط.

ردد ميرين مثل ببغاء مرتعب: «ما ... الذي؟ أنا...أرغب؟».

قرر الجني أنه لا بد قد اختار اللغة الخطأ، وعلى مدار السواد الأعظم من الدقائق الخمس التالية، جرَّب الجني كل اللغات الممكنة وهو يتجول بلا هدف في أرجاء الغرفة، يتابعه ميرين في رعب. ولم يحقق أي نجاح، وحين وصل إلى آخر لغة يعرفها - وهي لهجة من وادي نهر لم يُكتَشف في **سهول الشرق الثلجية** - صار الجني في حالة رعب؛ فإن لم يجب **العظيم** الغبي عن سؤاله حالًا، فسيعود فورًا إلى تلك القنينة الصغيرة المروعة ثم ماذا؟ كان عليه أن يتلقى إجابة .. الآن.

كان ميرين قد استجمع الآن من الشجاعة ما جعله يقف، قال متلعثمًا وقد وضعت الفقاعة نفسها على الأرض: «ما.. ماذا

تكون؟»، قلَّ ارتعاب الجني نوعًا ما؛ أخيرًا تحدث العظيم بشيء معقول، وصار الآن يعرف أي لغة يستخدم، لكن الوقت كان قصيرًا، إذ بدأ يشعر بجذب مـــن القنينة الذهبية الصغيـــرة، التـي لا يزال العظيم يقبض عليها في يده، كان يعرف أن عليه أن يبدو في صورة ودود وصبور؛ كان هذا أمله الوحيد، وببطء أجاب عن سؤال ميرين.

– أجاب: «أنا جنيٌّ».

– «أنت ماذا؟»

ياللسماء، إن هذا الشخص غبي حقًّا، قالت الفقاعة الصفراء ببطء شديد شديد، جدًّا: «جن ... نيّ».

سُدَّ أنف ميرين، وكانت عيناه لا تزالان تنهمران بالدموع جراء إغارة الجني، وكانت أذناه لا تزالان تطنان من التنهيدة الراعدة، كان لا يسمع تقريبًا، سأله: «أنت جيم ني؟».

استسلم الجني، إذ قال موافقًا: «نعم، إذا كنت تريد ذلك، أيها العظيم، أنا جيم ني، لكنك يجب أولًا أن تجيب عن سؤالي الثاني: ما الذي ترغب، أيها العظيم؟».

– «ما الذي؟ ما الذي ماذا؟»

فقد الجني صوابه، صرخ: «ترغب!»، «ترغب! ما.. الذي.. ترغب، أيها العظيم؟ إنها تعني ما الذي تريدني أن أفعل، أيها الغبي!».

صرخ ميرين هو الآخر: «لا تنادني بالغبي».

نظر الجني إلى ميرين في دهشة: «هل هذه إجابتك؟ ألَّا أناديك بالغبي؟».

- «نعم!»
- «لا شيء آخر؟»
- «لا! بلى، بلى.. اذهب بعيدًا، اذهب بعيدًا!»، ألقى ميرين بنفسه على الأرض وأصيب بأول نوبة غضب منذ المرة الأخيرة التي حبسته فيها مربيته في الخزانة.

لم يستطع الجني أن يصدق حظه. يا له من تحوُّل!

وإذ أسكره الاحتفال، اتخذ الجني هيئة بشري بطريقة أشد تهورًا لو كان أقل ابتهاجًا. وعلى الفور، لم تعد الغرفة السرية ملأى بالفقاعة الصفراء غير المنتظمة الشكل، بل صار يشغلها شخص غريب يرتدي رداءً أصفر وسترة وبنطالًا قصيرًا، ويعتمر قبعةً - فالجني كان يحب القبعات- وكانت تشبه بشدة كومة من الكعك الأصفر اللامع شديد الانكماش موضوعة فوق رأسه، وكان المظهر الخارجي منطلقًا من خلال ما اعتبره الجني شاربًا على أحدث صيحة - كان دائمًا ما يحلم بقليل من شعر الوجه - وبمجموعة من الأظافر الطويلة المقوسة، وكان به حَوَلٌ بسيط، فهناك بعض الأشياء التي لا حيلة فيها.

استطاع الجني -بالكاد- أن يصدق حظه (كان قد قرر أن يكون إنسانًا؛ يحمل اسمًا مثل جيم ني، هل يمكن أن يكون شيئًا آخر؟).

لقد انتقل من أقصى حافة أن يجبر على العودة إلى داخل قنينته إلى الحرية الكاملة - أو شبه الكاملة - في دقيقة واحدة فحسب، وما دام سيبتعد عن الساحرة العجوز التي أيقظته طوال عام ويوم قادمين فسيكون على ما يرام، ومن المؤكد أنه لا نية لديه للذهاب إلى أي مكان قريب من المستنقعات الشيطانية حيث تم إيقاظه، لا نية في ذلك على الإطلاق.

نظر الجني إلى ميرين الملقى على بطنه فوق الأرض، وهو يضرب بقدميه وينتحب، هزَّ رأسه في ذهول، حتى في الماضي البعيد القاتم الذي كان هو نفسه أحد شخوصه، كان البشر مجموعة غريبة؛ لا يمكن إنكار ذلك.

وبرغبة جامحة في استنشاق بعض الهواء المنعش أخيرًا بعد طول انتظار، اندفع الجني خارجًا من الغرفة السرية مسببًا إعصارًا هائلًا من الهواء ليصفع الباب بضربة.

وفي داخل الغرفة السرية هدأت نوبة ميرين فجأة؛ تمامًا مثلما كان يحدث دومًا بمجرد أن تصفع المربية باب الخزانة عليه، ووسط الصمت المفاجئ، وأذناه لا تزالان تطنان، نهض ميرين بهدوء وحاول فتح الجدار، لكنه لم يتحرك.

بعد مرور ساعة، كان ميرين منهارًا فوق وسائده، يجهر بالصراخ، وكانت سارة هيب تجلس في مطبخ القصر تتحدث مع الطاهية.

قالت: «أنا أسمع أشياء خلف الجدار الخشبي، إنها تلك التي حدثتني بشأنها الأميرة الصغيرة المسكينة جينا، تلك الأشباح المسكينة المحبوسة، إنه أمر محزن للغاية».

كانت الطاهية تقرر واقعًا وهي تقول: «ليس عليكِ أن تصيري قلقة بشأنها، يا سيدة هيب، أنتِ تسمعين كل أنواع الأصوات في القصر، حدثت أشياء فظيعة هنا على مرِّ السنين، عليك أن تبعديها عن تفكيرك، ستختفي قريبًا، وسَتَرَيْن».

حاولت سارة هيب، لكن أصوات النحيب استمرت طيلة ذلك المساء، حتى سايلاس سمعها، ذهب كلاهما للنوم وقد وضعا قطنًا في أذنيهما.

أما ميرين فلم يخلد للنوم مطلقًا.

7

متجر الفطائر

من ظلام شوارع رطبة كريهة الرائحة، رأى الفتى الذئبي سبتيموس ولافظ اللهب وهما يرتفعان فوق قمم الأسطح ويطيران مبتعدَيْن نحو الشمس. ظل يتابعهما حتى لم يعودا سوى نقطة سوداء صغيرة في السماء، أو ربما مجرد قطعة وسخ صغيرة عند طرف جفنه؛ كان من الصعب تحديد ذلك. وعندئذ انطلق، متتبعًا آخر خرائط العمة زيلدا، ومثل سبتيموس، شعر الفتى الذئبي بابتهاج مصدره إحساس جديد بالحرية الممزوجة بالمسئولية، كان وحده لكنه لم يكن وحيدًا؛ لأنه كان يعرف أن العمة زيلدا كانت تفكر فيه وأن العمل الذي عليه القيام به كان مهمًّا لها؛ مهمًّا

جدًّا. لم يكن يعرف سبب أهميته؛ لكنه كان سعيدًا وحسب؛ لأنه نال ثقة أن يقوم به.

كان الفتى الذئبي قد قضى سنوات يعيش في **الغابة** ولم يكن معتادًا على رؤية الكثير من الناس في وقت واحد، ولكن وهو يمضي في طريقه نحو **متجر فطائر الميناء وحوض السفن** - الذي ظل لأيام يتطلع للوصول إليه - شعر بالحماس بفعل الشوارع والمزيج الغريب من الناس الذين يسيرون أمامه، وفكر أن الأمر يبدو كثيرًا على غرار **الغابة**، فقط بيوت بدلًا من الأشجار، وأناس بدلًا من مخلوقات الغابة؛ رغم أنه كان يرى أن الناس في **الميناء** أكثر غرابة من أي من مخلوقات **الغابة**. وحين سلك الفتى الطويل الهزيل - الذي يرتدي معطفًا بنيًّا حقيرًا ذا جدائل مبعثرة ويمشي قافزًا مثل الذئاب - طريقه عبر الشوارع الممهدة بالحصى التي كانت تتعرج بين البيوت المتهالكة، لم يجذب انتباه أحد من سكان أو زوار **الميناء** الخُلطَاء، وكان هذا على هوى الفتى الذئبي.

كانت خريطة العمة زيلدا جيدة، فسرعان ما خرج من تقاطع ضيق بين بيتين إلى ضوء الشمس المُنْعش لميناء الصيد القديم وأمامه، كانت تتمايل فوق المياه المتلاطمة مجموعة من القوارب متعددة الألوان التي يرعاها الصيادون والبحَّارة، كان بعضها يُجري تفريغ حمولته على عربات في الانتظار وأخرى تتجهز للإبحار في المدى الأزرق الواسع للبحر والذي ملأ الأفق، أسرع الفتى الذئبي

وجذب عباءته البنية الصوفية حوله، وراوده التفكير بأن - بالنظر إلى حالة المستنقع أو الغابة في أي يوم - الفضاء الهائل للبحر أشعره بالرعب.

تنفس الفتى الذئبي بعمق، أعجبته نكهة الهواء المملحة الخفيفة، لكن ما هو أفضل أنه أحب رائحة الفطائر الساخنة التي تُسِيل اللعاب، والتي أخبرته أنه وصل إلى المكان الصحيح. قرقرت معدته عاليًا فاتجه نحو متجر فطائر الميناء وحوض السفن.

كان متجر الفطائر هادئًا، كان الوقت قُبَيْل موعد الغداء المزدحم، وكانت امرأة ممتلئة جالسة خلف منضدة المتجر منشغلة بإخراج مجموعة أخرى من الفطائر من الفرن، ووقف الفتى الذئبي أمام أكبر تشكيلة من الفطائر التي لم يرها من قبل في حياته محاولًا أن يقرر ماذا يشتري، كان يرغب في تجربتها كلها، وخلاف سبتيموس، لم يكن الفتى الذئبي قد أُخِذ بأسلوب العمة زيلدا المميز في الطهي وقرر على الفور أن ينأى عن أي فطيرة تحتوي على الكرنب؛ واستبعد ثلاثًا منها فقط، وأخيرًا اشترى خمس فطائر مختلفة.

وبينما يلتفت ليغادر، انفتح باب المتجر فجأة ودخل رجل شاب أشقر الشعر. حملقت فيه المرأة الشابة الواقفة خلف المنضدة، ولمح الفتى الذئبي بوادر قلق على وجهها، قالت: «سايمون، هل حالفك الحظ؟».

رد الرجل الشاب: «كلا».

تجمد الفتى الذئبي، لقد ميَّز هذا الصوت، فمن بين جدائله استرق نظرة على القادم الجديد، من المؤكد أنه ليس .... لا يمكن أن يكون، لكن نعم، كانت هناك ندبة عند عين الرجل اليمنى تمامًا في الموضع الذي أصابه فيه الحجر الخارج من منجنيقه، لا بد أنه هو؛ إنه .. إنه سايمون هيب.

عرف الفتى الذئبي أن سايمون لم يلحظه، والحقيقة أن سايمون لم يُلقِ حتى مجرد نظرة نحوه. كان غارقًا في محادثة هامسة مع المرأة. تردد الفتى الذئبي، هل يَنْسَلُّ خارجًا ويُخاطر بأن يلحظه سايمون؟ أم ينبغي له أن يبقى على وضعه ويتظاهر بالاستغراق في الاهتمام بالفطائر؟ وأمام توسُّل الفطائر الساخنة ليتم التهامها، فضَّل الفتى الذئبي أن يخرج بسرعة قبل أن يُلحظ، غير أن شيئًا ما في صوت سايمون – نوع ما من اليأس– أوقفه.

كان سايمون يقول: «لم أعثر عليها في أي مكان يا مورين، يبدو الأمر كما لو أنها تبخرت في الهواء».

– كان رد مورين المتعقل: «لا يمكن لها أن تفعل».

لم يكن سايمون – الذي يعرف أكثر عن هذه الأشياء مما تدرك مورين– واثقًا من ذلك، قال ببؤس: «إنها غلطتي، كان عليَّ أن أذهب معها إلى السوق».

حاولت مورين تهدئته، فقالت: «لا، لا يمكن أن تلــوم نفسك يا سايمون». ثم تابعت بابتسامة: «يحتمل أن تكون في حالة غضب ليس إلَّا، سترى، لقد فعلت ذلك لأسبوع كامل ذات مرة حين كانت هنا».

لم يكن سايمون قابلًا لأن يهدأ، هز رأسه: «لكنها لم تكن غاضبة، كانت على ما يرام، يراودني شعور سيئ حيــال الأمــر يا مورين! ياه، لو أن معي **سلوث** فقط».

- «معك مَن؟ .. يا إلهي إنها تحترق!»، أسرعت مورين لتنقذ المجموعة التالية من الفطائر.

تابع سايمون مورين وهي تزيح الدخان بقماشة تنظيف الصحون.

«سأحاول وأقتفي أثرها مرة أخرى يا مورين، بعدها سيكون هذا هو الحل، سأذهب وآتي **بسلوث**».

«وما هو **سلوث**؟ هل هي وكالة استخبارات جديدة؟»، سألت مورين وهي تتفحص فطيرة طماطم وسجق مسودَّة، ثم قالت: «حالها من حالي، آخر واحدة بالجوار تم حرقها، لقد بدت حتى أسوأ من مجموعة الفطائر هذه».

قال سايمون: «لا، سلوث هو كرة **اقتفاء الأثر** الخاصة بي، وقد سرقته **مارشا أوفرستراند**».

صُدمت مورين وقد رفعت نظرها عن فطائرها: «**الساحرة العظمى** سرقت كرة؟».

قال سايمون، وهو يبذل قصارى جهده ليلتزم بقراره الجديد ليقول الحقيقة طوال الوقت: «حسنًا... هي لم تسرقه بالتحديد، أفترض أنها بشكل ما صادرته، حقيقة؛ ولكن **سلوث** ليس مجرد كرة قديمة يا مورين! إنه كرة **سحرية**، بمقدوره تحديد أماكن الناس، لو استطعت أن أجعل مارشا تُعيد لي سلوث لاستطعت أن أجعلها تجد لوسي، أنا واثق أني أستطيع».

ألقت مورين محتويات الصينية كاملة في القمامة مع تنهيدة أسى: «اسمع يا سايمون! ليس عليك أن تقلق كثيرًا، ستعود لوسي، أنا واثقة أنها ستفعل، لو كنت مكانك لنسيت كل الأفكار الخاصة بهذه الأشياء **السحرية**، ولظللت أبحث هنا من حولنا، أنت تعرف ما يقولون إذا انتظرت على جانب الميناء القديم لما يكفي من الوقت؛ فسيمر بك كل من قابلته في حياتك، ويمكنك أن تقوم بما هو أسوأ».

- همهم سايمون: «نعم... أظنك على حق».
- قالت مورين: «بالطبع أنا على حق، لماذا لا تذهب وتفعل ذلك؟ خذ فطيرة معك».

بطرف عينيه، تابع الفتى الذئبي سايمون وهو يلتقط فطيرة اللحم والبيض ويخرج من المتجر. وعبر نافذة المتجر المشبعة

بالبخار رأى سايمون وهو يسير ببطء بمحاذاة سور الميناء وهو يأكل فطيرته، وقد ذهب في تفكير عميق. كان سايمون آخر تمامًا مختلفًا عن ذلك الذي واجهه الفتى الذئبي آخر مرة، لقد اختفت النظرة الغائمة المتوعدة التي كانت بعينيه وكذلك جو **السحر الأسود** الذي كان يحيط به، كان الفتى الذئبي يرى أنه لو لم يلحظ الصوت لما كان قد عرفه.

غادر الفتى الذئبي متجر الفطائر وسار عدة خطوات في اتجاه البحر، وهو ما أبعده بأمان عن طريق سايمون. جلس يتابع بعض السلطعونات الصغيرة وهي تحفر في الرمل المبلل وتصد الهجمات المتكررة من جانب نوارس الميناء المشهورة، وواصل التهام فطيرة الجبن والفاصولياء، وفطيرة اللحم والبصل، وفطيرة الخضراوات وصلصة اللحم ذات المذاق اللذيذ بوجه خاص، بعد ذلك وضع الفطيرتين الأخريين في حقيبة الظهر وراجع الخريطة، كان الوقت قد حان للتحرك والقيام بما جاء من أجله، حان الوقت لزيارة **مجمع ساحرات الميناء**.



8

مجمع ساحرات الميناء

لم يكن الفتى الذئبي عصبيًا عادةً، لكن حين وقف على أعتاب سلالم بيت **مجمع ساحرات الميناء** الغَرَوِيَّة التي تبعث على الارتياب، شعر وكأن سربًا من الفراشات يلعب الكرة في معدته، كان هناك شيء ما أشعره بالخوف في ذلك الباب الأمامي القديم المقصوف بطلائه الأسود المتقشِّر والكتابة العكسية المرسومة عليه من الأعلى للأسفل. وصل بيده إلى أعماق جيب سترته وأخرج الرسالة التي أصرَّت العمة زيلدا على ألّا يقرأها إلا حين يكون واقفًا عند مدخل

المجمع مباشرة، تمنى الفتى الذئبي أن تجعله رؤية خط يد العمة زيلدا اللطيف يشعر بتحسن، ولكن، وبينما بدأ في قراءة الرسالة ببطء، كان لها تأثير عكسي تمامًا.

كانت العمة زيلدا قد كتبت رسالتها على ورق خاص صنعته من أوراق الكرنب المضغوطة، وكتبت بعناية شديدة مستخدمة حبرًا مصنوعًا من الخنافس المطحونة الممزوجة بماء من الأكمة.

لم تستخدم العمة زيلدا الكتابة المتصلة؛ لأنها كانت تعرف أن الفتى الذئبي كانت لديه مشكلة مع الحروف؛ فقد كان يشكو دائمًا من أنها تعيد ترتيب نفسها حين يغيب بنظرِه عنها، كانت هناك حروف كثيرة؛ لقد استخدمت عائلة كاملة من الخنافس لتصنع الحبر، قالت الخنافس:

الفتى الذئبي،

- أنت عزيزي الآن خارج مجمع ساحرات الميناء، اقرأ هذه، احفظ كل كلمة وبعدها كُلْها.

بلع الفتى الذئبي ريقه، آكُلُها؟ هل قرأ ذلك على الوجه الصحيح؟! نظر في الكلمة مرة أخرى. ك ل. كُلْ. هذا ما قالته. هز الفتى الذئبي رأسه وواصل القراءة ببطء شديد. تابعت الرسالة:

هذا ما يجب عليك فعله:

أمسك بمقبض الباب العُلْجُوم، انقر مرة واحدة فقط، إذا صاح العُلْجُوم؛ فيتعين أن يجيب المجمع.

ستسأل الساحرة التي ستجيب الباب: «ما هى حاجتك؟».

يجب أن تقول: «لقد جئت لإطعام الوحش»، لا تقل شيئًا آخر.

سترد الساحرة: «إذن يمكنك أن تدخل، يا مُطْعِم الوحش»، وتسمح لك بالدخول.

لا تقل شيئًا.

ستقودك الساحرةُ إلى المطبخ، ستقول للمجمع إنك جئت لتُطْعم الوحش.

حين تصل إلى المطبخ لا تتحدث فقط إلا بـ «نعم» و«لا» و« لقد جئت لإطعام الوحش، ماذا ستعطونني؟».

سيحضر لك المجمع ما يريدونك أن تُطعمه للوحش، لك أن ترفض أي شيء بشري، لكن أي شيء آخر عليك أن تقبله.

سيوقظون الوحش، كن شجاعًا.

الآن سيتركونك وحدك مع الوحش.

*ستقوم **بإطعام الوحش**، (من أجل هذا الأمر عزيزي الفتى*

الذئبي؛ يجب أن تكون سريعًا وغير خائف، سيكون الوحش جائعًا، لقد مرَّ أكثر من خمسين عامًا منذ أن تم إطعامه).

أمسك بالسكين الفضية التي أعطيتها لك هذا الصباح و.. بينما يتناول الوحش طعامه، اقطع طرف إحدى أذرعه. لا تُرِق أي دماء.

في هذه اللحظة بلع الفتى الذئبي ريقه، أذرع؟ لم يُعجب بوقع هذا على الإطلاق، كم عدد الأذرع؟ وما حجمها؟ تابع القراءة وقد تنامى الشعور السيئ بداخله.

ضع طرف المخلب في المحفظة الجلدية التي أعطيتها لك حتى لا يشم المجمع رائحة دم الوحش.

حين ينتهي الوحش من الطعام، سيعود المجمع.

*ولأنك جئت عن طريق **العُلْجُوم الداكن**، سيسمحون لك بالمغادرة بالطريقة نفسها.*

عد مباشرة عبر الجسر، وسيكون الغول في انتظارك.

أتمنى لك مرورًا آمنًا وقلبًا شجاعًا.

العمة زيلدا xxx

حين وصل أخيرًا إلى نهاية الخطاب، كانت يدا الفتى الذئبي ترتعشان. كان يعرف أن لدى العمة زيلدا شيئًا خاصًّا تريد أن يقوم

به، ولكن لم تكن لديه أي فكرة عن أنه شيء من هذا القبيل. قرأ الفتى الذئبي رسالة العمة زيلدا مرة بعد مرة حتى عرف كل كلمة؛ وقد جذب الأنظار الفضولية مـــن المارِّين وتلقى نصيحــة: «إنك لا ترغب في الوقوف هنا أيها الصبي، لو كنت مكانك لذهبت ووقفت في أي مكان سوى هنا». كرمش الفتى الذئبي الرسالة على هيئة كرة ووضعها بحذر في فمه، التصقت بسقف حلقه وكان مذاقها مقززًا، وببطء شديد بدأ الفتى الذئبي في مضغها.

بعد مرور خمس دقائق كان قد نجح في ابتلاع القطع الأخيرة من الرسالة، بعد ذلك تنفس بعمق واستجمع أفكاره، وبينما هو يفعل ذلك، حدث له تغيير بسيط، إذ مرت به فتاتان، كانتا تنظران إلى الفتى الذئبي وتضحكان، وقد تحولتا إلى الهدوء حينما بدا الشاب ذو الجدائل الذي يقف على عتبة الباب فجأة أقل شبهًا بالصبية وأكثر........ شبهًا بالذئاب، أسرعت الفتاتان وقد تشبثت كلتاهما بذراع الأخرى، وفيما بعد أخبرتا صديقاتهما أنهما رأتا مشعوذًا حيًّا حقيقيًّا خارج المجمع.

كان الفتى الذئبي قد انسحب إلى عالمه الشفقي الخاص بأساليب الشره - كما كان يفعل دائمًا حين يشعر بالخطر - وبوعي كامل بكل ما حوله، فحص الفتى الذئبي باب بيت **مجمع ساحرات الميناء**، كان هناك ثلاث مطارق للباب موضوعة واحدة فوق الأخرى، كانت السفلى على شكل مِرْجَل حديدي مصغر، وكانت

الوسطى على شكل ذيل فأر مقوس، والعلوية على شكل عُلْجُوم سمين مليء بالبُثُور، بدا حقيقيًّا جدًّا.

مدَّ الفتى الذئبي يده إلى مطرقة العُلْجوم وتحرك العلجوم. سحب الفتى الذئبي يده وكأنه عُضَّ. كان العُلْجوم حقيقيًّا، يَجْثُم فوق مطرقة الباب، وكانت عيناه البرمائيتان الصغيرتان تحملقان فيه. كان الفتى الذئبي يكره الأشياء اللزجة - وربما هذا سبب أنه لم يحب طبيخ العمة زيلدا كثيرًا - لكنه عرف أنه سيكون عليه أن يلمس المطرقة العُلْجُوم، وأن ذلك ربما لا يكون أسوأ شيء عليه أن يلمسه. اقترب من المطرقة العُلجوم مرة أخرى وهو يجزُّ على أسنانه، فنفخ العُلْجُوم نفسه ليبلغ ضِعف حجمه حتى إنه بدا مثل بالون صغير على هيئة عُلْجوم. بدأ يُصدر صفيرًا ولكن الفتى الذئبي لم يتراجع هذه المرة، وحين بدأت يده في الاقتراب من العُلْجوم، أوقف المخلوق صفيره وانكمش مرة أخرى إلى حجمه الطبيعي؛ كان هناك شيء من **السحر الأسود** في اليد القذرة، نُدب من كرة **اقتفاء الأثر**، لاحظها العُلْجوم.

وإذ أُخذ الفتى الذئبي على حين غرة، انزلق العُلْجوم من تحت يديه ودخل تحت مطرقة الباب؛ رفعها ثم تركها تسقط محدثة فرقعة مدوية، وبعدها استعاد العُلجوم مكانه على المطرقة وأغلق عينيه.

كان الفتى الذئبي جاهزًا للانتظار، لكنه لم يضطر للانتظار طويلًا، فقد سمع على الفور صوت خطوات ثقيلة على ألواح خشبية عارية قادمة في اتجاهه. وبعد لحظة انجذب الباب مفتوحًا، وظهرت امرأة شابة ترتدي رداء المجمع الأسود المبقع المهلهل. كانت تضع منشفة زهرية كبيرة تلتف حول رأسها. وكانت ذات عينين كبيرتين زرقاوين جاحظتين. قالت بأقرب ما يكون للصراخ: «نعم؟». كالمعتاد، لكنها تذكرت عندها أن العُلجوم الداكن هو الذي طرق، وقفت معتدلة، مراعية أن تحافظ على اتزان منشفتها، وقالت بصوتها السحري الرسمي - الذي كان حادًّا على نحو غريب ومرتفعًا في نهاية الجملة- «ما هى حاجتك؟».

انمحت ذاكرة الفتى الذئبي، وملأ مذاق أوراق الكرنب المجففة والخنافس المسحوقة فمه مرة أخرى، ما هذا الذي كان يجب أن يقوله؟ لم يستطع أن يتذكر، حملق في المرأة الشابة، لم تبدُ مخيفة جدًّا؛ كانت ذات عينين كبيرتين زرقاوين وأنف ذي مظهر ناعم. في الحقيقة، بدت لطيفة إلى حد ما - رغم أنه كان بها شيء غريب، شيء لم يستطع كشفه تحديدًا. ياه! كان هناك شيء رمادي رفيع غريب خشن يتدلى من تحت منشفتها؛ تُرى ماذا كان ذلك؟

بدأت الساحرة الشابة، وكان اسمها دوريندا، في إغلاق الباب.

وأخيرًا تذكر الفتى الذئبي ما كان يجب عليه أن يقوله، فقال: «لقد جئت لإطعام الوحش».

قالت دوريندا: «ماذا؟ أنت تمزح معي، أليس كذلك؟».

وعندها تذكرت ما يفترض أن تقوله، أعادت ضبط منشفتها مرة أخرى وواصلت بصوتها الحاد: «إذن يمكنك أن تدخل، يا مُطْعِم الوحش».

لسوء الحظ أنه لم يكن يمزح، هكذا فكر الفتى الذئبي وهو يخطو إلى داخل بيت **مجمع ساحرات الميناء** وقد بدأ الباب ينغلق من خلفه، تمنى لو كان يمزح. لم يكن هناك ما يتمناه في ذلك الوقت أكثر من أن يعود إلى الشارع المشمس ويجري طوال طريق العودة إلى **المستنقعات**، إلى حيث ينتمي. كان التفكير في المستنقعات قد جعل الفتى الذئبي يتذكر أن وجوده في هذا المكان المُروِّع له علاقة مهمة جدًّا بالمستنقعات وبكل الأشياء التي أحبها هناك. وهكذا، احتفظ بكل هذا في ذهنه وهو يتبع دوريندا عبر الممر المظلم، ويتوغل في أعماق بيت **مجمع ساحرات الميناء**، وعقد العزم على أن يقوم بما جاء من أجله؛ الأذرع وكل شيء. كان الممر شديد السواد وغادرًا، تبع الفتى الذئبي صوت حفيف رداء دوريندا وهو يتجرجر فوق الأرضية الصلبة. في الوقت المناسب تجنب حفرة واسعة تفوح منها رائحة كريهة، ليتلقى هجومًا من انقضاضة مفاجئة **لجماعة المزعجين**؛ كان أحدهم مليئًا بالشوك، أبعد الفتى الذئبي **جماعة المزعجين** بشراسة، تصاحبه ضحكات دوريندا، لكنه لم يتعرض للإزعاج مرة أخرى إذ انتشرت بسرعة

كلمة بطريقة **العُلْجوم** الداكن في مجتمع **الإزعاج**، وابتُعد عن الفتى الذئبي بمسافة محترمة.

تبع الفتى الذئبي دوريندا إلى مكان أعمق داخل البيت، وأخيرًا وصلا إلى ستارة سوداء ممزقة معلقة أمام أحد الأبواب، وحين جذبت دوريندا الستارة، أصابت سحبٌ من الغبار الفتى الذئبي بالسعال. كان مذاق الغبار كريهًا، كأنه لأشياء ماتت منذ زمن بعيد، دفعت دوريندا الباب فاتحة إياه، والذي كان أحدهم قد خلع منه قطعة كبيرة باستخدام فأس، وتبعها إلى داخل المطبخ.

إنه لا يزال على غرابته التي كان عليها حين هرب من المجمع مع سبتيموس وجينا ونكو، وكانت المقابض محترقة بفعل لمسة سلوث، **كرة اقتفاء الأثر**، والنوافذ مغطاة بخرق من قماش أسود وطبقة غليظة من الدهون التي حجبت الضوء، والغرفة القذرة لا يضيئها سوى وَهَج مائل للحمرة، يصدر عن موقد قديم، تنعكس من الوَهَج عشرات الأزواج من أعين القطط المُتَراصَّة مثل أضواء جنية خبيثة في أرجاء المطبخ، جميعها تحملِق في الفتى الذئبي.

بدت محتويات المطبخ متألفة من أكوام لا شكل لها من القمامة النتنة والكراسي المحطمة، وكان المعلم الرئيسي في وسط الغرفة، حيث سلم يقود إلى فتحة كبيرة غير منتظمة بالسقف. كانت رائحة المكان بشعةً - رائحة دهن طعام عفن وبراز قطط وما

تألم الفتى الذئبي لمعرفته، وهو لحم حيوان الشره الفاسد، كان الفتى الذئبي يعرف أنه مُرَاقب، وليس من خلال القطط وحسب، لقد مسحت عيناه الحريصتان المطبخ حتى رأى ساحرتين أخريين تحدقان فيه، وقد اختبأتا خلف باب القبو.

كانت دوريندا تحملق في الفتى الذئبي باهتمام؛ لقد أعجبتها الطريقة التي استقصت بها عيناه البنيتان الضيقتان الغرفة؛ فابتسمت ابتسامة معوجة، ثم رسمت ابتسامة متكلفة وهي تعيد ضبط منشفتها: «عليك أن تعذرني، لقد غسلت شعري للتو».

زعقت الساحرتان القابعتان في الظلام بما لا ينم عن سرورهما، لكن دوريندا تجاهلتهما، همست إلى الفتى الذئبي: «هل أنت واثق أنك تريد إطعام الوحش؟»

«نعم».

حَدَجَت دوريندا الفتى الذئبي بنظرة طويلة، وقالت: «يا للعار! إنك تبدو رقيقًا، حسنًا إذن، فليكن». أخذت دوريندا نفسًا عميقًا وأطلقت صرخة عالية: «مُطْعِم الوحش! لقد حضر مُطْعِم الوحش!».

أحدث الصوت الهادر للأقدام التي تجري على ألواح الأرضية العارية بالأعلى صدًى داخل المطبخ، وفي اللحظة التالية كان السلم يهتز تحت الوزن الذي لا يمكن تقديره لآخر عضوين في المجمع؛ باميلا، الساحرة الأم نفسها، وليندا، ربيبتها. ومثل غرابين

ضخمين، هبطت باميلا وليندا بعناء إلى داخل المطبخ، ورداءاهما الحريريان الأسودان يرفرفان ويخشخشان، تراجع الفتى الذئبي خطوة للوراء، ووطئ إصبعٌ قدمَ دوريندا. صرخت دوريندا وضربت الفتى الذئبي في ظهره بإصبع عظمي، أما الساحرتان القابعتان في الظلام فقد مشتا جانبًا إلى عتبة السلم وساعدتا الساحرة الأم على النزول، وقد حطت على الأرض بشيء من الصعوبة. كانت الساحرة الأم ضخمة؛ أو بدت كذلك، كان محيط خصرها - كما أطلقت عليه الساحرة الأم - «سخيًّا»، وأضافت طبقات ردائها الحريري الأسود الصلبة المزيد من العرض، لكنها في الواقع لم تكن أطول كثيرًا من الفتى الذئبي، وكان جزء كبير من الفضل في طولها يرجع إلى الحذاء ذي الكعب العالي جدًّا الذي كانت ترتديه، هذا الحذاء قد صُنع حسب التصميم الخاص للساحرة الأم وكان مظهره قاتلًا؛ إذ يخرج من النعلين غابة من المسامير المعدنية الطويلة التي تستخدمها في توجيه الطعنات لديدان الخشب العملاقة التي غزت بيت **مجمع ساحرات الميناء**. كان حذاؤها ناجحًا للغاية، إذ تراجعت أعداد الديدان العملاقة المطعونة بفعل ظهور المسامير، وقد قضت الساحرة الأم العديد من الساعات السعيدة وهي تطوف بالممرات جيئة وذهابًا بحثًا عن ضحيتها التالية من الدود.

غير أن الحذاء لم يكن وحده ما جعل الساحرة الأم تبدو في هيئة غريبة؛ غريبة جدًّا إلى حد أن الفتى الذئبي لم يملك إلا التحديق فيها.

لم تلاحظ الساحرة الأم نظرة الفتى الذئبي، لكنها كانت حساسة تجاه ديدان الخشب العملاقة، وغطت وجهها بطبقة سميكة من الماكياج لتخفي البقع الحمراء. كان الماكياج المهترئ يصنع شقوقًا غائرة بطول خطوط الجبهة وحول جانبي فمها، وعلى مسافة عميقة داخل مادة الماكياج البيضاء حملقت عيناها الصغيرتان ذاتا اللون الأزرق الثلجي في الفتى الذئبي، قالت بنبرة منتقدة، وكأنها وجدت براز قطط على أحد مسامير حذائها: «ما هذا؟».

قالت دوريندا بحماس: «لقد أتى عن طريق العُلْجُوم الداكن، أيتها الساحرة الأم، وهو جاء لـ ...».

قاطعتها الساحرة الأم، التي ظنت في العتمة أن جدائل الفتى الذئبي شعر فتاة طويل: «هو؟ أهو صبي؟ لا تكوني سخيفة يا دوريندا».

اضطرب صوت دوريندا: «إنه صبي أيتها الساحرة الأم»، ثم استدارت إلى الفتى الذئبي قائلة: «أليس كذلك؟».

أجاب الفتى الذئبي: «نعم». وحاول أن يكون صوته خشنًا قدر ما استطاع، بعدها أجلى حنجرته وخاطب الساحرة الأم بالكلمات

التي سُمح له بالنطق بها، فقال: «لقد جئت لإطعام الوحش، فماذا ستعطونني؟».

حملقت الساحرة الأم في الفتى الذئبي وهي تهضم هذه المعلومات، قبض الفتى الذئبي يديه وبسطهما، لم تعد راحتا يديه ذاتا الندب قادرتين على التعرق، لكنَّ عرقًا باردًا سَرَى في ظهره.

بدأت الساحرة الأم في الضحك، لم يكن صوتًا حسنًا. قوقأت قائلة: «إذن عليك أن تطعم الوحش». التفتت إلى مجمعها وضحكت وقالت: «وأظننا جميعًا نعرف ما الذي سنعطيه ليطعمه».

ضحكت الساحرات، مقلدات الساحرة الأم. سمع الفتى الذئبي دوريندا وهي تهمس لساحرة أخرى: «ستنال عقابها».

«حقًّا، دلو الحثالة الصغيرة القذرة، هل سمعتِ ما نادتني به الليلة الماضية؟».

جاء أمر الساحرة الأم: «هدوء! اذهبي يا ليندا وأحضري وجبة الوحش... الصغيرة».

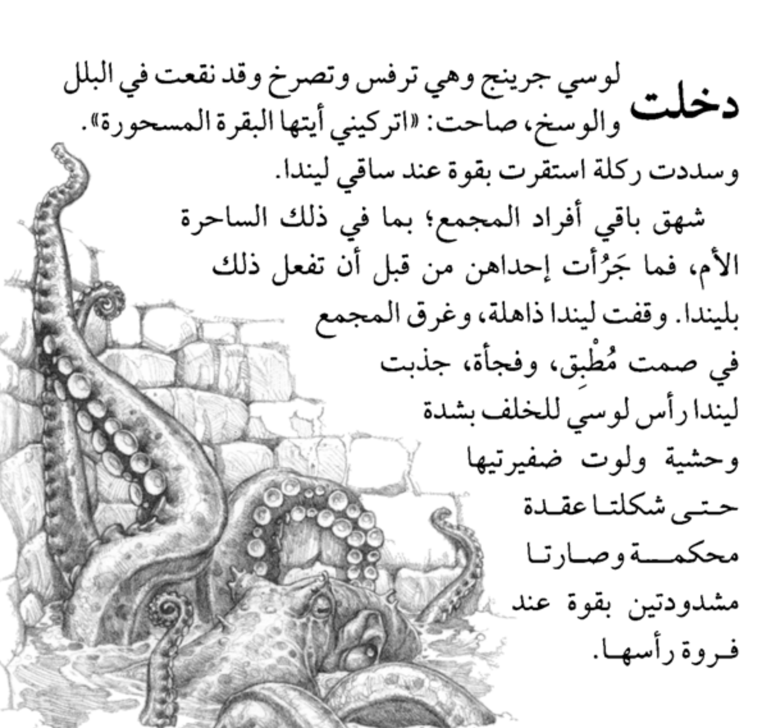
تزايد الضحك، وانسلت ليندا، التي كانت تحمل وجهًا شديد البياض تقليدًا للساحرة الأم، عبر المطبخ، سحبت بطانية مشحمة وفتحت الباب المؤدي للقبو ثم اختفت.

وعادت وهي تسحب **لوسي جرينج** من ضفائرها.

9

الوحش

دخلت لوسي جرينج وهي ترفس وتصرخ وقد نقعت في البلل والوسخ، صاحت: «اتركيني أيتها البقرة المسحورة». وسددت ركلة استقرت بقوة عند ساقي ليندا.



شهق باقي أفراد المجمع؛ بما في ذلك الساحرة الأم، فما جَرُأت إحداهن من قبل أن تفعل ذلك بليندا. وقفت ليندا ذاهلة، وغرق المجمع في صمت مُطْبِق، وفجأة، جذبت ليندا رأس لوسي للخلف بشدة وحشية ولوت ضفيرتيها حتى شكلتا عقدة محكمة وصارتا مشدودتين بقوة عند فروة رأسها.

عوت لوسي، رغم أن الفتى الذئبي استطاع أن يرى أنها تحاول ألا تفعل. ضاقت عينا ليندا، وسقط شعاعا ضوء أزرق خلال عتمة الغرفة وتحركا على وجه لوسي الشاحب.

زمجرت الساحرة وهي تقول: «كنت سأعاقبكِ على هذا لو لم تكوني في طريقك إلى.. أتعرفين ماذا؟ .. يا مؤخرة الفأر القذرة». وجذبت شعر لوسي ثانية. استدارت لوسي و.. مما أعجب الفتى الذئبي، حاولت أن تسدد لكمة، وهذه المرة استطاعت ليندا تجنبها بمهارة.

أصيب الفتى الذئبي بصدمة، إنها لوسي جرينج؛ صديقة سايمون. لا عجب أن سايمون لم يستطع العثور عليها وهدأ قليلًا. فلتكن صديقة سايمون أو لا تكون، على الأقل أصبح لديه الآن حليف بشري آخر. كان هناك شيء ما في المجمع.. شيء لم يكن بشريًّا، كان بمقدوره أن يشعر به: انفصال بارد، ولاء لشيء آخر. قدَّر أن هذا هو ما يشعر به الناس حين تحيط بهم حيوانات الشره في الغابة؛ وحيدون تمامًا، لكنه الآن لم يكن وحيدًا ... كان هناك إنسان آخر بالغرفة.

سحبت ليندا لوسي عبر المطبخ وهي تركل في طريقها أكوام القمامة. وقفت بجوار الفتى الذئبي وعندئذٍ -وكأنها تسلمه الزمام- أعطته ضفائر لوسي ليمسك بها، تناولها الفتى الذئبي على مضض، وخطف نظرة اعتذار إلى لوسي، التقطت لوسي النظرة،

وحينها حَدَجت الساحرات الملتفات حولهما وهزت رأسها بغضب، ذكرت الفتى الذئبي بالمُهْرة الجامحة.

كان ما أزعج الفتى الذئبي هو السبب الذي من أجله أعطته الساحرة ضفائر لوسي ليمسك بها؛ تُرى ما الذي يخطط له؟ وكأنها في حالة إجابة، تمايلت الساحرة الأم نحوه بحذائها المنصل ووقفت قريبًا جدًّا منه حتى أنه استطاع أن يشم رائحة القطط في أنفاسها وأن يرى البقع الحمراء على عمقٍ داخل الشقوق في طلاء وجهها.

وجهت إصبعًا قذرًا ذا ظفر أسود رخو نحو لوسي، وصرخت في وجه الفتى الذئبي: «أطعم هذه للوحش». ثم استدارت على كعب حذائها وتمايلت عائدة إلى السلم.

ارتعب الفتى الذئبي، وصرخ قائلًا: «لا» بصوت حاد قارب الجواب الموسيقي.

توقفت الساحرة الأم وعادت لتواجهه ثم سألت ببرود شديد: «ماذا قلت؟» وانتابت باقي الساحرات حالة عدم ارتياح، فعندما تتكلم الساحرة الأم بهذه الطريقة فسيكون هناك مشكلة. ثبت الفتى الذئبي في مكانه، لقد تذكر ما ذكرته رسالة العمة زيلدا: «لك أن ترفض أي شيء بشري».

أعاد ما قاله بحسم: «لا».

قالت ليندا: «أيتها الساحرة الأم، اسمحي لي أن أطعم البرغوثة الصغيرة القذرة **للوحش**».

نظرت الساحرة الأم لليندا بفخر شديد، لقد اختارت خلفًا ذا جدارة. قالت: «افعلي».

ابتسمت ليندا بطريقتها المروعة التي أحبتها الساحرة الأم كثيرًا.

رأى الفتى الذئبي لوسي وقد لفها التوتر، كانت مثل حيوان شره يتأهب للانقضاض. تمكن من رؤيتها وهي تتفحص مخارج المطبخ، لكنه كان قد سبقها إلى ذلك بالفعل، وكان يعلم أنه لا مخرج إلا إلى الأسفل حيث القبو، كانت ساحرتان قد اتخذتا مكانيهما عند باب المطبخ وكانت دوريندا تقبع عند عتبة السلم. لم يكن هناك طريق للخروج.

كان أمام الفتى الذئبي ولوسي كومة من القمامة النتنة، وقد بدأت ليندا في بعثرتها، شد الفتى الذئبي ضفائر لوسي برفق وتراجع الاثنان مبتعديْن عن قطع اللفت اللزجة الطائرة وأرنب متحلل، وسرعان ما انهمرت في المطبخ زخات من النفاية، تلقت دوريندا رأس دجاجة متعفنة صارت تتدلى من طيات المنشفة التي تَعْتَمِرها، كان كل ما تبقى من الكومة طبقة سوداء مندكة من قشور خضراوات عتيقة وعظام.

فحصت ليندا ما عملته برضا، التفتت إلى لوسي وأشارت إلى الفوضى العارمة، وقالت بغضب: «نظفي هذه، يا رائحة فم العُلْجُوم».

لم تتحرك لوسي، أما دوريندا – التي كانت ترتعد من ليندا وكانت تحاول دائمًا أن تكون متعاونة – فقد سحبت مِجْرفة من كومة الأدوات في الركن وناولتها للوسي، حملقت ليندا في دوريندا؛ فلم تكن هذه هي الطريقة التي تنتوي أن تجعل لوسي تزيل بها الفوضى، أمسكت لوسي بالمجرفة، لكن ليندا لم تكن غبية، رأت النظرة التي ترمُقها بها لوسي، قالت مزمجرة وهي تنزع المجرفة: «سأقوم أنا بذلك».

أظهر تجريف ليندا الغاضب قطة ميتة مضغوطة، وجحر فأر به ثلاثة صغار – والتي سحقتهم بالمجرفة – وأخيرًا بابًا حديديًّا مسحورًا في حالة صدأ تام.

رددت دوريندا بشيء من العصبية: «أووووه».

أطبق الصمت وحملق الجميع في الباب المسحور، ما كان أحد يعرف – ولا حتى الساحرة الأم – ما يقع تحته، بالطبع سمعوا جميعهن قصصًا، وإذا كانت القصص تحمل فقط القليل من الحقيقة فمن المؤكد أنه لن يكون شيئًا رقيقًا ومحبوبًا، وفجأة، وبطريقة درامية فجّة – لأن ليندا تحب شيئًا من الدراما – رفعت

ليندا ذراعيها وبدأت في الغناء بنحيب عالٍ: «مرج.... مرج.... مرج إيكاوا، إيكاوا. مرج.... مرج ... مرج إيكاواااااااااا!».

كان الفتى الذئبي قد تعلَّم من الوقت الذي قضاه مع العمة زيلدا ما يكفي لأن يعرف أن هذا كان **أنشودة عكس السحر الأسود**. لكن حتى لو لم يكن يعلم، كان هناك شيء ما في الطريقة الغريبة التي تشبه طريقة القطط التي غنَّت بها ليندا الكلمات التي جعلت الدماء تبرد في عروقه، وإلى الأمام منه، ارتجفت لوسي، نظرت إلى الخلف نحو الفتى الذئبي، كان بياض عينيها لامعًا، وللمرة الأولى بدت خائفة.

خفتت الأنشودة، وأطبق الصمت مرة أخرى وملأ الجوَّ شعورٌ مقبض بالتوقع، وفجأة سرت هِزَّة في الأرض وشعر الفتى الذئبي بشيء يتحرك، لم يكن شعورًا طيبًا؛ كان يعرف الحالة المزرية لألواح أرضية المجمع ودعاماتها، نَدَّتْ عن دوريندا أَنَّةٌ واهية.

لمعت عينا ليندا بالإثارة، أمسكت بالمِجْرَفة وغرزتها في حَافَة الباب المسحور، محركة ثعبانًا أسود مُحَنَّطًا كان ملفوفًا في التجويف، طار الثعبان في الهواء وشارك رأس الدجاجة أعلى منشفة دوريندا، تجمدت دوريندا، دون أن تجرُؤ على التحرك، وبذهاب الثعبان، وضعت ليندا المجرفة أسفل التجويف الذي حول الباب؛ وأعطتها دفعة بالغة القوة، فبدأ الباب يرتفع.

اكتشف الفتى الذئبي أنه كان يحبس أنفاسه، أخرج زفيرًا، وحين شَهَقَ مرة أخرى ملأت أنفه رائحةُ سمك فاسد وماء عطن، حين ارتفع الباب المسحور، ظهر حَفِيف صوت قرقرة، ولاحظ الفتى الذئبي أن هناك مياهًا بالأسفل، مياه عميقة، دلَّ عليها صوتها، كان الإيقاع البطيء الذي يرتفع به الباب المسحور قد جذب انتباه كل شاغلي المطبخ، بما في ذلك القطط، التي أوقفت هسهستها للحظات، تابع الجميع الباب المسحور وهو يتحرك ببطء 180 درجة ثم يستند مستويًا بهدوء على الأرض كاشفًا عن فتحة كبيرة مربعة مغطاة بحاجز شبكي معدني، جَثَتْ ليندا ورفعت الحاجز الشبكي وألقت به على جانبه؛ ونظرت في الأعماق، على مسافة عشرة أقدام للأسفل، كان الماء يتحرك جِيئَةً وذهابًا، وكان سطحه الأسود الزيتي يكاد يُرى في الضوء المُعْتِم، بدا الجميع هادئين في اندهاش، انحنت ليندا أكثر منزعجة، أين الوحش؟

كما لو كان يجيبها، انشق سطح الماء فجأة، تَلَوَّى في الهواء ذراع أسود طويل ثم ارتطم بأرضية المطبخ، صرخت دوريندا، ترنح الفتى الذئبي للخلف، كان بالذراع شيء من رائحة السحر الأسود الكريهة، وجهت ليندا ضربة قوية للمِجَسِّ بجرافتها وهي تضحك، جَفَل الفتى الذئبي؛ سواء كان سحرًا أسود أو لا، لا بد أن هذا قد سبب ألمًا، انزلق المِجَسُّ نحو الباب المسحور وسقط في الماء مُحدثًا صوت ارتطام، هاج الماء وماج لثوانٍ قليلة، وخرجت

منه عدة فقاقيع، وطفت على سطحه الزيتي بعضُ دوامات الدم الحمراء البطيئة، استدارت ليندا لتواجه لوسي بنظرة منتصرة: «كان هذا هو الوحش، يا وجه الأرنب، سيعود حالًا، وحين يعود يمكنك أن تقولي له مرحبًا، ألا تستطيعين؟ وإذا تحدثتِ بلطف، فقد يكون عطوفًا ويغرقكِ قبل أن يحطمك إلى قطع صغيرة، أو لن يفعل. ها ها».

حملقت لوسي في ليندا، هذا لم يُجدِ مع الساحرة؛ كانت ليندا تحب أن يكون ضحاياها خائفين، يصرخون ويتوسلون من أجل الرحمة، ويفضل أن يجمعوا بين الأشياء الثلاثة، لكن أي واحدة من هذه قد تَفِي بالغرض، لكن لوسي لم تكن تستجيب للإكراه، وكان هذا يصل حقيقة لليندا. وبغضب، قبضت على ذراع لوسي ونَشَبت أظافرها فيه، لم تحرك لوسي ساكنًا.

كان الفتى الذئبي غارقًا في مزاج وحشي وفكَّر بسرعة، في أي لحظة الآن كان واثقًا أن جُمُوح لوسي سيؤدي بها إلى أن تُرمى من الباب المسحور، كان عليه أن يفعل شيئًا. أدرك الفتى الذئبي ما يجب أن يفعله، لكن المشكلة أنه كان على ثقة تامة من أنه شيء لن تفعله لوسي على نحو جيد، لكن لم يكن هناك خيار، أخذ نَفَسًا عميقًا، وقال مرة أخرى: «لقد جئت لأُطْعم الوحش، فماذا ستعطونني؟».

بدت ليندا حانقة؛ ما الذي ينوي الصبي فعله؟ لكنها تعرف قواعد المجمع، ولم تكن ستخرقها، خاصة وهي تفكر فيه بالفعل باعتباره مجمعها. سألت: «هل لي أن أجيب، أيتها الساحرة الأم؟».

كانت الساحرة الأم تجد أمر الوحش بكامله مجهدًا نوعًا ما. وكانت ذاكرتها ليست على ما يرام هذه الأيام، كانت تتقدم في العمر ولم تحب أي تغيير في النظام، وكانت بوجه خاص لا تحب الأذرع.

أجابت: «لكِ ذلك» وهي غير قادرة على حجب الارتياح الذي بدا في صوتها.

كشفت ليندا أسنانها في وجه الفتى الذئبي، مثل كلبٍ يعرف أنه كسب معركة لكنه لن يتراجع، أجابت وهي تلكز لوسي بحدة بالمجرفة: «إننا نعطيك هذه، فماذا تقول؟».

أخذ الفتى الذئبي نفسًا عميقًا جدًّا، وقال: «نعم».

التفتت لوسي وحملقت في الفتى الذئبي.

«أوووه.. أوووه» قالتها دوريندا وقد غلبها الإعجاب بالفتى الذئبي.

بدت ليندا مخذولة نوعًا ما، كانت قد قررت أن تدفع لوسي مباشرة بعد أن رفضها الصبي – وهو ما كانت واثقة أنه سيفعل – وكانت تتطلع إلى ذلك، كانت، في الحقيقة، قد قررت أن تدفع

بالصبي أيضًا. لقد قرأت ليندا الكثير من الروايات البوليسية وكانت تعرف كل شيء عن مدى أهمية التخلص من الشهود، لكنها تعرف القواعد، تنهدت بفظاظة: «إذن فلتكن هي ما تملك لإطعام الوحش. ها».

قالت الساحرة الأم في سرور، وكأن أحدهم أخبرها للتو أن العشاء جاهز: «حسنًا! انتهى الأمر إذن. هيا يا فتيات. حان وقت الانصراف».

كانت ليندا قد نسيت هذا الجزء – أن مُطْعِم الوحش يجب أن يُتْرك ليُطْعم الوحش بمفرده. وللحظة تخلت عن ضبط النفس – صدق أو لا تصدق، كانت ليندا تمارس قدرًا معقولًا من ضبط النفس في تعاملها مع لوسي، وضربت بقدمها وصرخت «لاااااااا!».

قالت الساحرة الأم في نبرة رافضة: «هيا الآن يا ليندا، اتركي مُطْعم الوحش ليقوم بعمله». وعندئذٍ، بصوت هامس مرتفع: «سنصعد ونسمع. هذه طريقة أكثر إمتاعًا بكثير. وأقل... فوضوية».

أمسكت ليندا عن قول إنها تحب الأجزاء الفوضوية، إذ إنها منذ أن جرت لوسي صاعدة من القبو كانت تتطلع حقيقة إلى الأجزاء الفوضوية، تبعت الساحرة الأم صاعدة السلم في تعاسة. كانت، كما حدَّثَت نفسها، لن ترضخ لوقت أطول كثيرًا لأن يتم التحكم فيها؛ ليس لوقت أطول كثيرًا على الإطلاق.

رأى الفتى الذئبي ولوسي حذاء الساحرة الأم المنصل يختفي من خلال الفتحة في السقف، سمعا ليندا تسحب الساحرة الأم إلى موضع النزول (كانت الساحرة الأم تعاني مشاكل في الركبتين)، وبعدها استمعا إلى وقع الأقدام حين تجمعت الساحرات ليسمعن أصوات إطعام الوحش.

في استجابة فورية للإشارة خرجت قرقرة هائلة من الهوة بالأسفل، تلوَّت ثلاث أذرع خارجة من المياه السوداء وتسلقت إلى حافة الباب المسحور وهي تجلجل بقوة كبيرة، حملقت لوسي في الفتى الذئبي، كانت فتحتا أنفها قد اتسعتا مثل جواد غاضب، وحركت رأسها وزمجرت: «إياك حتى أن تفكر في هذا، أيها الصبي الفأر، أو ستكون أنت هناك مع الأذرع».

همس الفتى الذئبي: «كان عليَّ أن أقول ذلك، وإلا لكانوا دفعوا بك هنا، بهذه الطريقة حصلنا على بعض الوقت؛ بعض الوقت لنفكر كيف نخرجك من هنا».

كان الفتى الذئبي يعلم أن الساحرات في الطابق العلوي ينتظرن أصوات إطعامه لوسي للوحش، ويعلم أنهن لن ينتظرن طويلًا، فإذا نزلن واكتشفن أن لوسي لا تزال لم تخضع للهضم، ولديه فكرة جيدة جدًّا عما سيحدث حينها؛ سيكون كلاهما طعامًا للوحش.

قال هامسًا: «ليس لدينا وقت كثير، لدي خطة للخروج من هنا، لكن عليكِ أن تفعلي ما أقول. حسنًا؟».

- «أفعل ما تقول؟ لماذا يجب عليَّ هذا؟».

فجأة، وبترنح يدير الرأس، تحركت الأرض واندفعت موجة من الماء القذر من خلال الباب المسحور، لقد صعد الوحش للسطح.

همست لوسي بإلحاح: «نعم، نعم، سأفعل ما تقول، أعد بذلك».

- «حسنًا. رائع. والآن استمعي لي، سيكون عليكِ أن تصرخي، هل يمكنك ذلك؟».
- لمعت عينا لوسي: «آه، نعم. أستطيع أن أصرخ. ما مدى علو الصرخة؟».
- قال الفتى الذئبي: «أعلى ما يمكنك».
- «أمتأكد أنت؟».

أومأ الفتى الذئبي بنفاد صبر.

- «حسنًا، ها نحن. آاااااااااااااااااااااااااااااااااه! اااخ! ااااااااااااااااااااااااااااغ!».
- تراجع الوحش داخل فورة المياه القذرة، فمخلوق السحر الأسود رغم أنه كذلك، عاش حياة هادئة في مجاري

المخلفات المائية لمصرف البلدية، الذي يمتد عبر الشارع الرابع ويتسع عند مكان مريح تحت بيت مجمع ساحرات الميناء، كان سَمْع الوحش متكيفًا مع أصوات القرقرة الخفيفة وصوت مياه المصرف اللزجة، وليس مع صرخات لوسي جرينج، غطس الوحش عائدًا داخل أرضية مصرف البلدية الطينية المرصوفة بالحجر ووضع أطراف أذرعه داخل أنابيب السمع المتعددة الخاصة به.

– «آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه! آآآآآه! آآآغ!».

في عتمة مطبخ المجمع اختبأت ثلاث عشرة قطة، كانت قطط المجمع بقايا القطط الصغيرة مصاصة الدماء – كبرت الآن – وكانت قد ألقيت من سفينة قادمة بعد أن تربصت بخادم القمرات، واستنزفت دمه.

وكانت ليندا تقدرها لما كانت تتميز به، كانت قد انتزعت شبكة صيد من صبي صغير، والتقطت القطط الصغيرة مصاصة الدماء من نفايات الميناء وأعادتها بزهو إلى المجمع، ومنه كانت تنطلق لاصطياد الرضع والأطفال الصغار.

– «آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه! آآآآآ آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه!آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه! آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه!»

من وسط أكوام القمامة النتنة، تابعت القطط الفتى الذئبي وهو يبحث مذعورًا عن شيء يطعمه للمُتَجَهِّم، كان بإمكان الفتى الذئبي أن يشعر بالتسعة والعشرين زوجًا من العيون التي تتابعه وهي تزحف على جلده، ووسط الحالة الوحشية التي تلبسته، أحس بمصدرها، وفي أقل من ثلاثين ثانية، وجد قطتين مختبئتين داخل فطر عملاق تحت الحوض، انقضَّ عليهما الفتى الذئبي.

«إيييييييييييييييييييييييييييوووووووووووو ووووووووغ!»

«آآآهاا اااااااااااااااااااااااغ!»

طغت صرخات لوسي على مواء القطتين ببراعة.

جرى الفتى الذئبي نحو الباب المسحور وهو يمسك بالوحشين اللذين يصارعان ويخربشان مادًّا يديه عن آخرهما، كانت المياه السوداء تندفع وتتدفق بالأسفل، لكن لم يكن هناك أثر للمتجهم، كان يشعر بذبذبات صرخات لوسي ولم يكن ليظهر من أجل أي شيء، ولا حتى قطط طازجة.

بدأت صرخات لوسي في الخفوت. «آآآآآآآ.........آآآ .... كح ...كح آآآآآه» سعلت ووضعت يدها في حلقها، حركت شفتيها قائلة: بح صوتي.

في أعماق مصرف البلدية تلاشت ذبذبات صرخات لوسي، أزاح الوحش أذرعه عن قنواته السمعية -التي تضاعفت مثل أنفه- وصار الآن يشم الطعام، طعام طازج، بدأت المياه الزيتية أسفل الباب المسحور في الهياج، وفجأة شق رأس أسود ضخم لامع سطح الماء، أسقط الفتى الذئبي القطتين.

كان الأثر مثيرًا للإعجاب.

انقلب الوحش على ظهره، مظهرًا فكًّا ضخمًا واسعًا ذا أنياب مشرشرة، أطبقت غابة من الأذرع على القطتين الصارختين، وصار المطبخ ممتلئًا بصوت امتصاص مقزز وقد شرع الوحش في أكل أول وجبة طازجة له منذ قرابة خمسين عامًا، (كان آخر لحم تناوله قدمته له العمة زيلدا. كانت قد أُعْطِيت عَنْزَة المجمع فقبلتها، شاكرة أنهن لم يعطينها صبي الجيران وهو ما فعلنه مع سلفها، **بيتي كراكل**. لم تتعافَ بيتي من ذلك الأمر مطلقًا ورفضت أن تخبر أي أحد عما إذا كانت قد قبلت الصبي أم لا. وكانت العمة زيلدا تخشى أنها بالأحرى قبلت).

أما الوحش، من فرط سعادته بالطعام الطازج، فقد أخرج بعض أذرعه إلى حافة الباب المسحور بحثًا عن المزيد. (كان هذا يحقق النجاح، في بعض الأحيان، فلم يكن **الحراس المرشحون** قد عادوا غالبًا من **مهمتهم**). حين زحفت الأذرع الغليظة بقدرتها الماصة الهائلة نحو الفتى الذئبي، كان أول ما تبادر لذهنه هو أن

يغلق الباب المسحور ويخرج مسرعًا من المطبخ؛ لكن كان هناك شيء يجب أن يفعله، وإذ هيأ نفسه لمواجهة المخلوق الأسود، ركع الفتى الذئبي على ركبتيه بجانب الباب المسحور وأخرج سكين جيب فضيًّا صغيرًا، وعندها، وهو ما أثار إعجاب لوسي، وبضربة واحدة سريعة قطع طرف ذراعه، ولم يلاحظ الوحش ذلك، فهو لم يعد يلاحظ أي شيء إذ إن -وبسبب بعض عوامل التطور الغريبة- كل ذراع كان يحوي قطعة من مخ المخلوق، ومع كل زيارة ناجحة لحارس مرشح، يصير الوحش إلى حد ما أكثر غباءً.

أغلق الفتى الذئبي الباب المسحور بزهوٍ وقد أمسك بالقطعة المدممة من مخِّ الوحش، السوداء المبللة، وعلى الفور تمنى لو لم يفعل، فَعَلَا صوتُ رَنَّة ارْتِطَام الباب بالإطار المعدني، جاءه صوت نحيب دوريندا المميز عبر السقف.

- «أووووه، لقد فعلها. لقد أطعمها للمُتَجَهِّم!».

وفجأة انطلق وَقْع أحذية رَعْدِي هائل فوق السقف بالأعلى، وأمطر الفتى الذئبي ولوسي وَابِل من الجِصِّ المُنْهَمر من السقف، كان المجمع في طريقه إليهما.

↞ 10 ↠

الهروب من قِدرِ الحَسَاء

همس الفتى الذئبي: «علينا أن نخرج من هنا» وهو يتجه نحو باب المطبخ. أمسك مقبض الباب بقوة وجذبه؛ انخلع المِقْبض في يده ودفعه طائرًا للوراء، حدث صوت صلصلة إذ وقعت يد المقبض الدوارة على الجانب الآخر من الباب، حَمْلق الفتى الذئبي نحو الباب؛ كيف سيفتحانه الآن؟

همست لوسي بغضب: «اتركه، أيها الغبي. هيا!».

جذبت يد الفتى الذئبي - تلك التي لا تمسك بطرف الذراع المقزز - وسحبته بطول المطبخ المُخْضَلِّ، عبر القمامة المبتلة وأمام القطط الصامتة التي تتابع، كانا قد وصلا لتوهما إلى باب القَبْو حين بدا السُّلَّم في الاهتزاز، ألقى الفتى الذئبي نظرة خاطفة حوله ورأى نِصَال حذاء الساحرة الأم التي لا يُخطئها أحد وقد ظهرت عبر فتحة السقف، لم يُبْدِ مقاومة حين سحبته لوسي عبر الباب.

أغلق الفتى الذئبي الباب وبدأ في دفع المزلاج الضخم عبره.

همست لوسي: «لا، اتركه مفتوحًا كما كان. وإلا فسيتوقعن أننا هنا».

- «ولكن ...»
- «هيا. أسرع». جذبت لوسي الفتى الذئبي إلى أسفل سلالم القبو، ومع كل خطوة كان يشعر أنه محاصر أكثر، ما الذي تفعله لوسي؟

عند عتبة السُّلَّم السفلية قابلهما بحر من المياه القذرة الزاخرة بأعداد هائلة من العَلَاجِيم البُنِّيَّة النَّابِضَة. أصيب الفتى الذئبي بصدمة؛ هل هذا هو المكان الذي كانت لوسي سجينة فيه؟ توقف للحظة متسائلًا: كم كان عمقه؟ إنه في الحقيقة لا يحب الماء، بدا دائمًا أنه يظهر في حياته حين تكون الأمور سيئة، أما لوسي فقد كانت، رغم ذلك، رابطة الجأش.

خاضت في الماء، ومما أراح الفتى الذئبي، أنه لم يصل فقط إلا لركبتيها، قالت لوسي وهي تركل عُلْجُومًا في طريقها: «هيا، لا تقف مُحَمْلِقًا هكذا كالسمك المُمَلح المحفوظ».

في المطبخ فوقهما، تقاطر المجمع نزولًا على السلم، كان صوت أحذيتهن وهي تضرب الأرض قد دفع الفتى الذئبي ليحرث المياه المفعمة بالعَلَاجِيم، خَاضَ في الماء ببطء يبعث على الغيظ، كما لو كان وسط حلم سيئ - حلم سيئ حقًّا - تبع لوسي عبر القَبْو، محاولًا تجنب بُصَاقِ العُلْجُوم الموجَّه جيدًا، عند الطرف الآخر للقبو، توقفت لوسي وحددت بفخر موضع عدة أحجار مفقودة في الحائط.

قالت لوسي موضحة: «إنه أنبوب الفحم القديم، لقد سدُّوه بالحجارة، لكن انظر إلى المِلَاط، لقد أخطئوا صنع المزيج، إنه كله من البودرة». غير أن انتباه الفتى الذئبي لم يكن ملتفتًا إلى نوعية المِلاط، كان يستمع إلى الضربات الثقيلة التي تأتي من أعلى، أخذت لوسي زوجًا من الأحجار وناولتهما للفتى الذئبي.

قال الفتى الذئبي وقد أدرك أنه لا يزال يمسك بطرف الذراع: «ياه، أف. انتظري. لقد نسيت». وبسرعة دس الطرف في المحفظة الجلدية التي جعلته العمة زيلدا يضعها حول خصره؛ بعد ذلك تناول الحجرين ووضعهما بهدوء داخل الماء.

همست لوسي: «لقد قضيت طيلة أمس واليوم في هذا، كنت على وشك الخروج من هنا حين جاءت تلك البقرة الشريرة وسحبتني»، أزالت بسرعة حجرين آخرين. «يمكننا الخروج عن طريق هذا إلى الرصيف. شيء جيد أنك نحيف. سأخرج أولًا ثم سأشدك، اتفقنا؟».

كانت الأصوات في المطبخ تزداد ارتفاعًا وغضبًا، ساعد الفتى الذئبي لوسي لتصعد إلى الفتحة. شقت طريقها متلوية وسرعان ما صار لا يرى منها سوى نعلي حذائها المبللين؛ عندئذٍ اختفت. أطل الفتى الذئبي في الفتحة غير أن وابلًا من الغبار سقط، مسح الغبار عن عينيه وابتسم، بعيدًا إلى الأعلى كان بمقدوره أن يرى وجه لوسي المتسخ ينظر إليه ومن خلفها شق صغير من السماء الزرقاء.

قالت بنفاد صبر: «هيا، هناك مربية غريبة الأطوار تريد أن تعرف ما الذي أفعله، أسرع!».

وفجأة جاءت فَوْرَة حَنَق عارمة من المطبخ، «دم! دم! إني أشم رائحة دم الوحش، دم دم، أنا أحس طعم دم الوحش!».

«آه» هذا الصوت من دوريندا.

وعندئذٍ: «الدم.. إنه يقود إلى القبو. لقد أخذا **وحشنا** إلى القبو!».

ضرب وقع خطوات رعدية الأرض قاطعه المطبخ في اتجاه سلم القبو.

جاء صوت لوسي من أعلى: «أسرع! ماذا تنتظر؟».

لم يكن الفتى الذئبي في انتظار أي شيء، فمع صوت الخطوات التي تقعقع على السلم رفع نفسه للأعلى داخل الفتحة، لم يكن الأمر بالسهولة التي صورتها لوسي، فعلى الرغم من أنه كان نحيفًا، فإن كتفيه كانتا عريضتين، وكان أنبوب الفحم ضيق التكوين، رفع ذراعيه فوق رأسه محاولًا أن يجعل نفسه أرفع، وضم مرفقيه وركبتيه واندفع لأعلى عبر الأحجار الصَّلْدَة في اتجاه النور، امتدت يدا لوسي لمساعدته لكن الفتى الذئبي لم يستطع الوصول إليهما، حاول بأقصى ما يمكنه، لكنه لم يستطع التحرك.

ومن قبو الفحم جاءت صرخة ليندا الحانقة: «أيها الولد التافه الخائن! أستطيع رؤيتك. لا تظن أن بإمكانك الهروب بفعلتك، يا .. **قاتل الوحش**».

والآن جاءه صوت رذاذ الماء، كانت ليندا تخوض في القبو وبسرعة، وفي يأس، فكر الفتى الذئبي بالأسلوب الوحشي، كان حيوان شره محبوسًا في جحر، كان مالك الجحر، وهو أحد مخلوقات الغابة الليلية، قد استيقظ بأسفل منه، يجب أن يصل لضوء النهار الآن. الآن. وعندئذٍ وفجأة وجد يدي لوسي في يديه تجذبانه للأعلى، صاعدًا نحو الضوء، وتسحبانه خارج الجحر، فيما كان المخلوق الليلي ينهش كعبيه ويخلع عنه حذاءه، عَوَت وقد التصق بُصَاق العُلْجُوم في يديها.

تمدد الفتى الذئبي على الرصيف خائرًا، وهو ينفض الأفكار الحيوانية السوداء عن خاطره، لكن لوسي لم تكن لتدعه على هذا الحال، قالت بغضب: «لا تتمدد هكذا، أيها الغبي، سيخرجن إلى هنا في أية لحظة. هيا».

لم يقاوم الفتى الذئبي وقد جرته لوسي ليقف ثم جذبته، وهو عاري القدمين، معها وقد اندفعت في الشارع تحت ضوء شمس آخر النهار، تأكد الفتى الذئبي أنه سمع من ورائه صوت أَقْفَال ومَزَالِيج باب المجمع وهو يُفتح، وشعر بعيني العُلْجُوم الداكن وهي تتبعه.

كان المجمع – عدا ليندا – خارج الباب قبل أن تغادر لوسي والفتى الذئبي الناصية، غير أن دوريندا تخلفت عن الآخرين، غير راغبة في المخاطرة بأن تَنْحَلَّ مِنْشَفَتُها في مطاردة، أما الأخريات فقد بدأن الملاحقة، غير أن الساحرة الأم لم تتحرك لأكثر من عتبة البيت المجاور قبل أن تستسلم، فلم يكن حذاؤها مصممًا للمطاردات الساخنة، وقد ترك هذا دافني وفيرونكا لتقعقعا على الطريق وهما تجريان بطريقتهما المميزة وقد التصقت الركبتان واتجهت القدمان للخارج. لم تكن طريقة جيدة للبحث، وكانت دوريندا تعرف أنهما لن تمسكا بالفتى الذئبي ولوسي أبدًا، قد يكون ما أزعج دوريندا ليس إلا رؤية الفتى الذئبي ولوسي يهربان

وقد أمسك كلاهما بيد الآخر، جعلتها تشعر بغيرة شديدة، ولذا شعرت دوريندا بإحباط وعادت للقبو بحثًا عن ليندا.

كانت ليندا خارج الباب في لمح البصر.. حرفيًّا. لم يكن المجمع يستخدم العِصي السحرية - لم يعد أحد يستخدم العِصي السحرية - لكنهن كن يقمن بركوب اللوح الوامِض، وكانت ليندا تجيد ذلك بوجه خاص، كان **اللوح الوامض** فكرة بسيطة لكن خطيرة، لم تكن تتطلب شيئًا أكثر من شريحة صغيرة من الخشب، **ووميض صاعق** مانع للإبطاء، كان الوميض الصاعق يثبت في الخشب الذي كانت الراكبة توازن نفسها فوقه بقدر ما تستطيع، وعندئذٍ تطلق القائدة **الوميض الصاعق** المانع للإبطاء، واضعة ثقتها في الحظ وألا يكون أحد في طريقها.

وبوجه عام اكتشفت ليندا أنه لم يسبق لأحد مطلقًا أن اعترض طريقها وهي على اللوح الوامض. كانت دوريندا والساحرة الأم تشاهدان بإعجاب حين اندفعت ليندا، مصحوبة بهدير من اللهب المتطاير من أسفل اللوح (الذي كان، في الحقيقة، سطح منضدة ملابس دوريندا)، عبر **الشارع الرابع**، وقد فرقت مجموعة من السيدات العجائز وأضْرَمت النار في عربة فتاة توصيل جريدة بورت آند هاربور ديلي نيوز. في لمح البصر تجاوزت ليندا كلًّا من ديفاني وفيرونكا وهما تتعثران على طريقة الفتيات الصغيرات عند

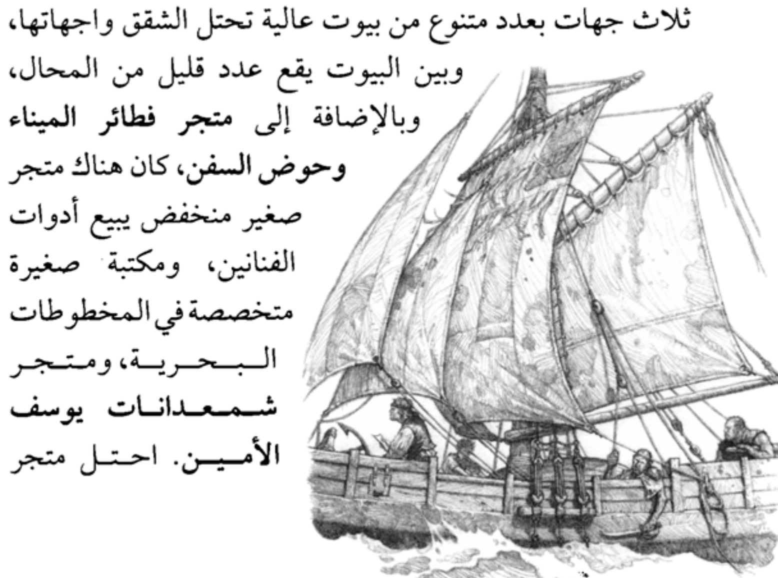
الناصية وجعلتهما تسقطان على عتبات السَّمَّاك المحلي، ظهرتا فيما بعد وقد غطتهما أحشاء السمك.

ما أثار سخط ليندا أنه لم يكن هناك أثر للوسي والفتى الذئبي، غير أن ذلك لم يثنها، كانت ليندا خبيرة باقتفاء أثر الهاربين من المجمع، فباستخدام نظامها المُحَصَّن ضد الفشل، بدأت بطريقة ممنهجة في تغطية شبكة الشوارع المؤدية للمَرْفَأ. بهذه الطريقة، كانت ليندا تعرف أن فريستها ستكون دائمًا أمامها لا محالة، كان الأمر - في اعتقادها - مثل سَوق الأغنام إلى حظيرة الأغنام التي ستتعرف في القريب العاجل على صوص النعناع والبطاطس المشوية، لم تفشل طريقتها قط.

II

جانب المرفأ

بعد ظهر ذلك اليوم، وبينما كان الفتى الذئبي يحاول ألا يطعم لوسي للمتجهم، أخذ سايمون بنصيحة مورين. جلس فوق مربط للحبال على رصيف الميناء، وحملق بعبوس في الفضاء المفتوح لواجهة المرفأ. كانت مساحة واسعة معبَّدة محاطة من ثلاث جهات بعدد متنوع من بيوت عالية تحتل الشقق واجهاتها، وبين البيوت يقع عدد قليل من المحال، وبالإضافة إلى **متجر فطائر الميناء وحوض السفن**، كان هناك متجر صغير منخفض يبيع أدوات الفنانين، ومكتبة صغيرة متخصصة في المخطوطات البحرية، ومتجر **شمعدانات يوسف الأمين**. احتل متجر



الشمعدانات الأدوار الأرضية لثلاث بنايات متصلة بجوار بيت **سيد المرفأ** المهيب المبني بالحجر الأحمر. كانت كل أشكال الحبال، والحواجز، وآلات الرفع، والشباك، وخطاطيف القوارب، والصواري، والأشرعة تخرج من أبوابه المفتوحة وتحتل واجهة **المرفأ**، كان **سيد المرفأ** يشتبك في شجار دائم مع **يوسف الأمين**، بسبب أن سلع متجر الشمعدانات كانت عادة ما توضع أمام مدخله الأمامي ذي الأعمدة المثيرة للإعجاب.

ومثل المشاهد المنتبه في المسرح، تابع سايمون الرائحين والغادين على الرصيف، رأى سيد المرفأ – وهو رجل مهيب يرتدي سترة البحرية وقدرًا لا بأس به من شارات قادة الأسطول الذهبية – وهو يخرج من بيته، ويتحسس طريقه فوق ثلاث لفائف من الحبال التي وضعت بانتظام عند مدخله ويمشي إلى داخل متجر الشمعدانات. سار أمامه طابور من الأطفال وهم يثرثرون ويمسكون بكراساتهم وهم في طريقهم إلى المتحف الصغير في **دار الجمارك**. خرج **سيد الميناء** – وقد صار وجهه أشد احمرارًا مما كان – من متجر الشمعدانات وتحرك عائدًا إلى داخل بيته، وهو يركل الحبال إلى أحد الجوانب ويصفق الباب خلفه. بعد دقائق قليلة خرج يوسف الأمين مهرولًا، أعاد لف الحبال، وأعادها أمام المدخل وأضاف إليها بعض خطاطيف القوارب فوق ما كان موجودًا بالفعل.

تابع سايمون كل هذا بنظرة ثابتة، في انتظار اللحظة التي قد تعبر فيها لوسي واجهة المرفأ، وكأنها من المحتم أن تفعل - في نهاية المطاف.

بين لحظة وأخرى، حين يزداد الهدوء، كان سايمون يسترق نظرة نحو نافذة صغيرة في أعلى دار الجمارك ذي الواجهة الجبسية، وكانت النافذة تخص العلية التي كان قد استأجرها هو ولوسي قبل يومين، بعد مغادرتهما **للقلعة** على نحو مفاجئ أكثر مما كانا يتمنيان.

لم تكن غرفة سيئة، كما رأى سايمون. كانت لوسي قد بدت سعيدة حقًّا حين رأتها، إذ تحدثت عن كيف أنها ستطلي الحوائط باللون الزهري مع خطوط خضراء كبيرة (لم يكن سايمون واثقًا جدًّا بشأن ذلك) وستصنع بعض الستائر القماشية لتتوافق معها. كانا قد حصلا على الشقة لتوِّهما حين قالت لوسي إنها تريد أن تذهب إلى السوق «فقط لأتفقد صالة العرض الممتعة التي تعرض الأقمشة وكل ما يتعلق بأشرطة التزيين»، كان سايمون قد أبدى امتعاضه لكن لوسي ضحكت، قالت «نعم، ستشعر فقط بالملل، يا **ساي**. لن أتأخر طويلًا. أراك فيما بعد». أرسلت له قبلة في الهواء وانطلقت إلى الخارج.

فكر سايمون، لا، لوسي لم تكن في حالة غضب. لو كانت كذلك لما تجول سعيدًا مرتاح البال في المكتبة القديمة في

منعطف **أحشاء الأسماك** ليرى إن كان بها أي كتب **سحرية** تستحق الاقتناء. لقد كان محظوظًا ووجد **كتاب أسحار** شديد القدم، وقد تغير لون أوراقه والتصق بعضها ببعض. كانت النتوءات المثيرة للشك قد أوحت إليه أنه ما زال به بعض **التعاويذ** المحبوسة بين الصفحات.

كان سايمون مأخوذًا للغاية بتحرير **التعاويذ** واكتشاف أوجه المتعة فيما اشتراه - والذي كان كتابًا جيدًا - حتى إنه فوجئ باكتشاف أن الظلام قد حل وأن لوسي لم تعد. كان يعرف أن السوق تغلق أبوابها قبل الغروب بساعة، وكان أول ما جال بخاطره أنها تاهت. لكنه حينئذ تذكر أن لوسي تعرف **الميناء** أفضل كثيرًا مما يعرفه هو - إذ قضت ستة أشهر في الإقامة والعمل مع مورين في متجر الفطائر - عندها سرى شعور بالقلق في أوصاله.

لم تكن تلك الليلة ليلة طيبة لسايمون؛ فقد قضاها في البحث في شوارع **الميناء** المظلمة الخطرة. كان قد تعرض لهجوم من اثنين من النشالين، كما طاردته عصابة الواحد والعشرين الموتورة - وهم مجموعة من المراهقين، كثير منهم من قدامى **صبية جيش الشباب**، الذين عاشوا حياة قاسية في العنبر رقم واحد وعشرين- وعند الفجر عاد بخفي حنين إلى العلية الخالية. لقد اختفت لوسي.

على مدار الأيام القليلة التالية، بحث سايمون عنها بلا توقف. شك في **مجمع ساحرات الميناء** وطرق بابهن بقوة، لكن أحدًا لم يجبه. لقد حام حول المجمع وتسلل خلفه، لكن كل شيء كان هادئًا. انتظر خارج البيت طوال اليوم واسترق السمع، لكنه لم يسمع شيئًا. بدا المكان مهجورًا، وفي النهاية رأى أنه يضيع وقته.

وفي الوقت الذي كان يتحدث فيه مع مورين في متجر الفطائر في ذلك الصباح، أقنع سايمون نفسه أن لوسي هربت مع شخص آخر. لم يلُمها حقيقةً - ففي كل الأحوال، ماذا كان بمقدوره أن يقدم لها؟ إنه لن يكون ساحرًا أبدًا، وسيظلان مطرودين من **القلعة** إلى الأبد. كان لا بد لها أن تجد شخصًا آخر إن عاجلًا أو آجلًا، شخصًا تستطيع أن تصحبه إلى بيتها ليقابل والديها وتكون فخورة به. كل ما في الأمر أنه لم يتوقع أن يحدث هذا بكل هذه السرعة.

انقضت فترة ما بعد الظهيرة ولم يبرح سايمون مربط الحبال. صارت واجهة المرفأ تشغي بالحركة. سرت أفواج من المسئولين في زي البحرية الأزرق الخاص **بالميناء**، مزينين بكميات متنوعة من الذهب على الرصيف، مثل فيضان أسود.

كانوا يتناقشون حول مكمن خطاطيف وحبال القوارب وانسابوا داخل بيت **سيد المرفأ** من أجل **اجتماع المرفأ** السنوي.

وتركوا من ورائهم مخلفات **الميناء** المعتادة - البحارة، وفتيات المحال، والصيادين والفلاحين، والأمهات، والأطفال، وعمال

التفريغ، والعمال العاديين. كان البعض يسرع، والبعض يمشي الهوينى، والبعض يتردد، والبعض يغازل، البعض أومأ لسايمون والغالبية تجاهلته، لكن لا أحد منهم كان لوسي جرينج.

ثابتًا كالتمثال جلس سايمون، ارتفع المد زاحفًا ببطء نحو سور المرفأ، حاملًا معه قوارب الصيد التي كانت تتجهز للمغادرة مع المد المرتفع في وقت لاحق من ذلك اليوم.

كان سايمون يحملق متجهمًا في كل من عبروا واجهة الميناء، وحين بدأت تخلو في فترة الهدوء المؤقت الذي يسبق الأنشطة الليلية، حملق نحو قوارب الصيد ونحو أطقمها كذلك.

لم يدرك سايمون إلى أي حد بدأ يشكل تهديدًا للصيادين. كان لا يزال يحمل طبيعة تأملية خاصة بداخله، وكان لعينيه الخضراوين **السحريتين** نظرة مسيطرة، والتي لم يكن تأثيرها غائبًا عن الصيادين المؤمنين بالخرافات. وكانت ملابسه أيضًا قد جعلته شاذًّا عن مجتمع **الميناء** العادي. فقد ارتدى رداءً عتيقًا نوعًا ما كان يخص في وقت ما سيده القديم، **دومدانيال**، حين كان **نكرومانسر** في سن أصغر وأكثر نحافة مما صار عليه فيما بعد. كان سايمون قد عثر عليها في حقيبة كبيرة وكان يظنها بالأحرى تعكس أسلوبًا مميزًا. كان غير مدرك لتأثير رموز **السحر الأسود** المطرزة على الناس، حتى ولو كان من الصعب رؤيتها الآن؛ بسبب تلاشي ألوان

الملابس وتحولها للون الرمادي الباهت، وأن الرموز نفسها بدأت تتحلل وتهترئ.

كان معظم الصيادين قلقين للغاية من الاقتراب من سايمون، إلا واحدًا، وهو ربان أقرب مركب له – وهو مركب صيد أسود كبير يسمى **ماروِدر** – إذ جاء إليه وزمجر في وجهه، نحن لا نريد أمثالك هنا، يا صائد الشؤم، اغرب من هنا.

رفع سايمون نظره نحو الربان. كان وجه الرجل الأسفع لا يبعث مطلقًا على الارتياح. كانت أنفاسه تحمل رائحة السمك، وحملت عيناه السوداوان المنمنمتان الصغيرتان اللتان تشبهان عيني الخنزير نظرة شريرة. نهض سايمون واقفًا وحملق فيه الربان على نحو عدائي، وقد انتصب شعر رأسه الرمادي القصير كما لو كان قد أهين بشكل شخصي. وانتفض شريان كبير في عنقه النحيل من تحت وشم ببغاء، ما جعل الأمر يبدو كما لو كان الببغاء يضحك. لم تكن لدى سايمون رغبة في الصدام. وبكبرياء خاص، ضم رداءه الرث حول نفسه ومشى ببطء مبتعدًا نحو دار **الجمارك**، حيث صعد السلم إلى العلية وواصل متابعته من النافذة.

كانت النافذة تطل على رصيف الميناء، وهو الآن في الفترة الفاصلة بين النشاط الصاخب في ضوء النهار وحياة **الميناء** الليلية. كان النشاط الوحيد الذي كان يستحق المتابعة هو ما يجري على متن **الماروِدر**. رأى سايمون الربان وهو يصرخ في طاقمه – صبي

في حوالي الرابعة عشرة ورجل نحيف حليق الرأس ذو سحنة بغيضة - ويرسلهما إلى متجر **يوسف الأمين**.

خرجت امرأة نحيلة ذات شعر مجعد من بيت **سيد المرفأ** واتجهت نحو **المارودر**، حيث وقفت على الرصيف، وأخذت تتحدث باهتمام مع الربان. حملق سايمون نحو المرأة. كان واثقًا أنه يعرفها من مكان ما. استرجع ذاكرته وفجأة حضره اسمها - إنها **أونا براكيت**، وهي واحدة كان لسايمون تعاملات معها خلال حقبة تتضمن بعض العظام، حقبة يرغب في نسيانها. تساءل: ماذا تفعل **أونا براكيت** مع الربان؟ عاد الصبي والرجل الحليق الرأس، عادا وهما يمسكان بحبال بطول أذرعهما، كان الصبي يحمل الكثير جدًّا حتى بدا مثل كومة من الحبال تسير على ساقين. وأُرسلا عائدين لإحضار المزيد، واستمرت محادثة الربان.

رأى سايمون أن الربان و**أونا براكيت** بدا من غير المحتمل غالبًا أن يكونا رفيقين، ولكن لا يمكنك أن تعرف. فعلى كلٍّ، من كان يفكر أنه هو ولوسي.... هز سايمون رأسه وقال لنفسه أن يتوقف عن التفكير في لوسي. فلا بد أنها وجدت شخصًا آخر؛ كان على وشك أن يدفع نفسه لاعتياد الأمر. تابع **أونا براكيت** وهي تسلم طردًا صغيرًا، وتعطي للربان إشارة بإبهامها ثم تنصرف. فكر سايمون عابسًا، هذه ليست أكثر أساليب التوديع رومانسية، ولكن من يهتم؟ إن الرومانسية مضيعة للوقت.

وسواء أكانت مضيعة للوقت أم لا؛ لم يستطع سايمون أن يزحزح نفسه عن النافذة. كانت الظلال قد بدأت ترتفع والرياح تنشط، مرسلة أغلفة الفطائر المتناثرة تتحرك عبر الأحجار القديمة. وعلى صفحة المياه كان الإثارة التي تبعثها مياه المد المرتفع قد بدأت في إحداث أثرها. كان آخر الشباك قد رصت، وبدأ الصيادون يفردون شراعهم ويستعدون للمغادرة. كانت المارودر بالفعل قد رفعت شراع التوقف الأحمر الثقيل المثبت عند مؤخرتها، وكان طاقمها يسحب شراعها الرئيسي.

شعر سايمون بأن جفنيه يسقطان، كان قد حصل على قسط ضئيل جدًّا من النوم منذ أن اختفت لوسي، وكان شعور خدر آخر النهار قد بدأ يلحق به. أسند رأسه على زجاج النافذة البارد وأغلق عينيه لبرهة قصيرة. وأيقظته جلبة من الصراخ.

«مهلًا!»

«حظ سيئ. انظر بعيدًا، انظر بعيدًا!»

«أرخِ الحبل، أرخِ الحبل!»

كان طاقم **المارودر** يفكون برعب حبال مرساتهم الأخيرة ويسرعون مبتعدين عن المرفأ. وفيما كان سايمون يتساءل عما يحتمل أن يكون سبَّب لهم كل هذا الذعر، رأى صبيًّا وفتاة يمسك كلاهما بيد الآخر في حالة رثة مبللة، يندفعان عبر رصيف الميناء،

كانت الفتاة تسحب الصبي خلفها، وقد تطايرت ضفائرها مثلما كانت تفعل لوسي دائمًا، و..

انطلق سايمون خارج الباب يقفز على الدرج قاطعًا إياه ثلاثًا ثلاثًا في آن، وطار هابطًا **دار الجمارك** المرتفع، متزلجًا حول الأركان، مفرقًا طابور الأطفال الذين كانوا عائدين وأخيرًا مقتحمًا جانب المرفأ في الوقت المناسب ليرى حبيبته لوسي وهي تقفز إلى المارودر المغادرة وإلى جوارها الصبي العاري القدمين.

بدأ سايمون ينادي «لو...!» غير أن صيحته تلاشت؛ إذ جاء من خلفه هدير هائل مثل الأتون وأبعده شيء **سحري أسود** عن الطريق. سقط سايمون فوق كتلة متشابكة من الحبال واصطدم رأسه بمرساة وانقلب داخل المياه الخضراء العميقة، حيث انجرف إلى أن استقر في قاع المرفأ.

12

في قلب النار

تمدد سايمون على قاع المرفأ الحجري، على عمق خمس عشرة قدمًا تحت الماء، وهو يتساءل لماذا قرر أن يتمدد في مثل هذا المكان المبلل غير المريح! نظر فيما يشبه الحلم خلال الضباب الأخضر المعتم، على مسافة بعيدة فوقه، كانت قيعان قوارب الصيد الداكنة تتحرك ببطء وسط الأجزاء اللولبية المنتفخة الطويلة من أعشاب البحر مندفعة بفعل عوارضها المغطاة بالقشور. سبحت إحدى أسماك الإنقليس في مجال رؤيته وداعبت بعض الأسماك الفضولية أصابع قدمه، وفي أذنيه اختلط صوت وشوشة البحر مع

خشخشة الأحجار في القاع وصوت القعقعة البعيد للأشياء التي تتصادم بالأعلى. كان الأمر، كما اعتقد وهو يشاهد رداءه يتحرك حوله في التيارات الباردة للمد القادم، غريبًا جدًّا.

لم يشعر سايمون بالحاجة للتنفس. كان **السحر الأسود الخاص بالتوقف تحت الماء** - وهو أمر جعلته بعض عظام **دومدانيال** القديمة يتدرب عليه كل يوم وقد وضع رأسه في دلو ماء - قد أوقظ آليًّا. ابتسم سايمون لنفسه حين أفاق وأدرك ما يقوم به، فكر أنه أحيانًا ما يصبح **السحر الأسود** مفيدًا؛ أحب الشعور الذي غاب عن الذاكرة تقريبًا وهو أن يكون مسيطرًا بالكامل، لكن.. عبس سايمون وانسابت بعض الفقاعات من حاجبيه وارتفعت ببطء إلى سطح الماء بالأعلى، لكن هذا لم يكن سبب وجوده هنا بالأسفل، كان هناك أمر يجب عليه فعله.. أمر مهم. لوسي!

عند التفكير في لوسي، غابت سيطرة السحر الأسود الخاصة بسايمون. سرى ألم حاد في رئتيه، مصحوبًا بحاجة طاغية للتنفس. وهو في حالة رعب، حاول سايمون أن يدفع نفسه بعيدًا عن قاع المرفأ، لكنه لم يستطع أن يتحرك. كان رداؤه ... مشتبكًا....فيم .. فيم؟

وبأصابعه المذعورة الباردة جذب سايمون حاشية سترته المهترئة بعيدًا عن نصل خطاف قديم، وبدافع من رئتيه اللتين

تصرخان لتتنفسا حالًا، حالًا، حالًا، اندفع مبتعدًا عن قاع المرفأ المفروش بالحصى. رفعته كثافة الماء بسرعة لأعلى، وبعد ثوانٍ قليلة شق سطح الماء الزيتي مثل السدادة الخارجة من زجاجة – مصيبًا بالدهشة حشدًا تجمع بسرعة.

لم يكن الحشد في الحقيقة قد تجمع لرؤية سايمون. ولكن حين ظهر رأس سايمون المغطى بأعشاب البحر فجأة، وهو يسعل ويغمغم، تحول انتباههم بسرعة عن ليندا **ولوحها الوامض** إلى سايمون. وبينما تابع الحشد سايمون وهو يسبح نحو الدرج ويتسلقه خارجًا وقد تساقطت المياه من ثوبه على نحو مأساوي، وبرزت رموز **السحر الأسود** على النسيج الذي صار داكنًا بفعل الماء، وومضت عيناه الخضراوان بطريقة جعلت النساء المشاهدات يجدنها مثيرة، وحصلت ليندا على فرصتها من المشاهدة. وبهدوء التقطت لوحها الوامض وتسللت مبتعدة.

لم تكن ليندا قد لقيت استقبالًا جيدًا حين توقفت صارخة عند حافة رصيف الميناء. كان حشد قد تجمع مسرعًا، وكان معظمهم يسعون لدفعها إلى داخل المرفأ. لم يكن **مجمع ساحرات الميناء** ذا شعبية في **الميناء**، وحين انسلت ليندا إلى داخل **منعطف أحشاء الأسماك** كانت تعرف أن لديها فرصة ضئيلة في الهروب؛ فالماء المالح وعرافة **السحر الأسود** لا يمتزجان جيدًا؛ فساحرة غارقة في **السحر الأسود** مثل ليندا تكون معرضة لخطر التحلل داخل حوض

من وحل **السحر الأسود** خلال ثوانٍ قليلة من الاتصال بالبحر، وهو أحد أسباب أنك لن ترى مطلقًا صراخ إحدى ساحرات **السحر الأسود**. كانت لوسي جرينج قد أخذت السبق بهذه الحقيقة وراهنت على أن ليندا لن تجرؤ على المضي باللوح الوامض عبر الماء.. وكانت على صواب.

غير أن لوسي لم تكن قد فكرت مسبقًا وهي تهرب من ليندا اللعينة. وبينما كانت المارودر تشرع في الإبحار إلى خارج المرفأ بدأت لوسي في إدراك أنها ربما تكون - كما تقول أمها - قد استجارت من الرمضاء بالنار. فقد قفزت لوسي والفتى الذئبي على متن واحدة من أكثر القوارب سوءًا في **الميناء**، وكان يقودها واحد من أشد الربابنة بشاعة - وأعمقهم إيمانًا بالخرافات.

وإذا كان هناك شيء واحد يكرهه هذا الربان فقد كان وجود نساء على المركب، وخاصة نساء ذوات ضفائر. كان **ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي**، ربان المارودر، لا يحب النساء - أو الفتيات - ذوات الضفائر. فقد ترعرع **ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي** بوصفه الأخ الأصغر لثماني أخوات. وكن جميعهن ذوات ضفائر. وكانت كبراهن، وهي الأكثر تسلطًا تضع مع الضفائر كثيرًا من الأشرطة، تمامًا كما تفعل لوسي.

وهكذا تفحص الربان **فراي** ركابه غير المتوقعين بتعبير مفزع، ولعل صوت زئيره «ألقوا بها!! فورًا» كان له ما يبرره - ولكن ليس

للوسي والفتى الذئبي. فبالنسبة لهما، وخاصة للوسي، بدا غير منطقي للغاية.

كان على متن المارودر طاقم مكون من اثنين فقط: أحدهما ابن الربان، ويدعى جاكي فراي، وهو صبي ذو شعر أحمر يمتلئ وجهه بكتل من النمش وعينين خضراوين رقراقتين مثل البحر. كان شعره قصيرًا وعلى وجهه تعبير دائم بالقلق. كان جاكي يعتقد أنه في نحو الرابعة عشرة، رغم أن أحدًا لم يعبأ مطلقًا بأن يخبره بسنه على وجه الدقة.

كان العضو الآخر بالطاقم هو كرو النحيف، أحد توأمي أسرة كرو. كان توأما أسرة كرو، من الناحية النظرية، متطابقين، غير أن أحدهما كان بدينًا والآخر نحيفًا - وكان هذا حالهما دائمًا، منذ اليوم الذي ولدا فيه. كانا بالغي الغباء، يحتمل ألا يكونا أذكى من صناديق أسماك الميناء العادية، في واقع الأمر، كان هناك بعض صناديق الميناء العادية التي تجادلت في ذلك الأمر بنجاح. وبعيدًا عن اختلافهما الصارخ في الحجم، كان الأخوان كرو متماثلين على نحو ملحوظ. كانت عيونهما جامدة وشاحبة مثل عيون الأسماك الميتة على الطاولة، وتغطت رأساهما بقش أسود قصير وجراح من شفرات الحلاقة التي نادرًا ما مرراها على جمجمتيهما الوعرتين، وكان كلاهما يرتدي سترة قصيرة قذرة بلون غير معروف وسروالًا جلديًّا ضيقًا. كان التوءمان كرو يتناوبان

العمل على المارودر. كانا مناسبين للربان فراي، إذ كانا شريرين وغبيين بما يكفي لتنفيذ ما يريد دون سؤال.

لذا، فحين صرخ الربان فراي «ألقوا بها، حالًا» كان يعرف أن هذا تمامًا ما سيفعله كرو النحيف، دون تفكير؛ فالربان فراي لا يحب التفكير.

كان كرو النحيف نحيلًا لكنه قوي، كان ذا عضلات مثل الحبل الصلب. أحاط بلوسي من وسطها ورفع قدميها عن الأرض واتجه مسرعًا إلى جانب القارب. صرخت لوسي «اتركني!» اندفع الفتى الذئبي نحوه، وكان الأثر الوحيد لهذا الفعل أنه أمسك به هو كذلك.

قال الربان فراي: «ألقِ بهما».

تجمد الفتى الذئبي. كان ينتابه ذعر السقوط من المراكب. رفع كرو النحيف الفتى الذئبي ولوسي فوق جانب المركب وكأنه يلقي قمامة المركب اليومية خارج السطح. غير أن المغادرة السريعة للمارودر أدت إلى ما يمكن أن يطلق عليه الربان فراي عمل بحارة غير متقن.. حبل مرساة طليق يتدلى على جانب المركب. أطبق الفتى الذئبي ولوسي على الحبل وهما يسقطان وتعلقا مثل مصدين، فيما انطلقت المارودر تشق الأمواج.

بخبرته – إذ إنه فعل ذلك مرارًا من قبل – انحنى كرو النحيف وبدأ في إبعاد أصابع الفتى الذئبي عن الحبل. كان رجل البحر الأكثر

ذكاءً سيقطع الحبل، لكن هذا لم يخطر بباله. ولكنه خطر ببال الربان فراي، الذي كان يتابع في نفاد صبر.

صرخ: «اقطع الحبل، يا مخ السمكة، دعهما يغرقان أو يسبحان».

جاء صوت لوسي من وراء الجانب: «أنا لا أستطيع السباحة!»

قال الربان مكشرًا عن أسنانه بغضب: «إذن أمامك الخيار الآخر».

وعند مقود المركب تابع جاكي فراي في فزع. في هذه الأثناء كانت المارودر قد غادرت المرفأ، تتجه نحو البحر المفتوح، حيث - كما يعرف جاكي - لا أمل في نجاة أحد يسقط في المياه ولا يعرف السباحة. كان يرى الفتى الذئبي ولوسي - خاصة لوسي - يبدوان سببًا لراحته. فبوجودهما على المركب، صارت أيامه الطويلة مع أبيه الذي لا يمكن التنبؤ بأفعاله والمتنمر كرو تتخذ فجأة شكلًا أقل ترويعًا. وإلى جانب ذلك، فإن جاكي لا يوافق على إلقاء أي أحد من المراكب.. ولا حتى الفتيات.

صاح جاكي: «لا يا أبي، توقف! إذا غرقا فإن هذا فأل سيئ ربما أكثر من عين الساحر الشريرة».

صاح الربان فراي، وكان ينتابه القلق من نذر السوء أكثر من أي ربان لديه ما يجعله كذلك: «لا تذكر الساحر!»

- «أوقفه عن قطع الحبل يا أبي. أوقفه وإلا فسأعود للميناء»

- «لن تفعل!»
- «بل سأفعل» وهو يقول ذلك، دفع جاكي فراي مقود المركب بقوة بعيدًا عنه؛ مال ذراع المرفأ الخاص بالصاري الأساسي عكسيًّا وبدأت المارودر في العودة.

استسلم الربان فراي. فقد كان معروفًا أن العودة إلى الميناء وسط المد المرتفع الذي غادر المركب على أثره هو أسوأ فأل على الإطلاق. كان الأمر أكثر مما يحتمله.

صاح قائلًا: «اتركهما». أخذ كرو النحيف يقطع الحبل بحماس بسكين السمك الثلم. كان يستمتع بنفسه ويتلكأ في التوقف. صرخ الربان: «قلت اتركهما، هذا أمر يا كرو، اسحبهما للداخل وضعهما بالأسفل».

ابتسم جاكي فراي. سحب المقود نحوه، وبينما كانت المارودر تعاود الدوران في طريقها، تابع لوسي والفتى الذئبي وهما يدفعان خلال الفتحة إلى داخل العنبر بالأسفل. أغلقت الفتحة وأوصدت من الخارج، وبدأ جاكي يصفر في سعادة. هذا المنظر سيصبح أكثر إمتاعًا من المعتاد.

حين عاد سايمون إلى جانب المرفأ ساورته تساؤلات مقلقة. رفض بأدب عروضًا من ثلاث شابات ليذهب إلى منزلهن ليجفف نفسه، وبدلًا من ذلك انطلق إلى غرفته العلوية في دار الجمارك.

«سايمون. سايمون!»

تجاهل سايمون الصوت المألوف؛ فقد أراد أن يختلي بنفسه، لكن مورين عاملة متجر الفطائر لم يكن من السهل صرفها؛ فقد لحقت به ووضعت يدها بحنان على ذراعه. التفت سايمون ليواجهها فأصيبت مورين بصدمة – فقد كانت شفتاه زرقاوين وكان وجهه في بياض الأطباق التي تعرض فيها فطائرها.

«سايمون إنك تتجمد. تعال معي وتدفأ بجوار الأفران. سأعد لك شوكولاتة ساخنة لذيذة».

هز سايمون رأسه رافضًا، لكن مورين أصرت. شبكت ذراعها بقوة حول ذراعه وجرته خلال الميدان إلى متجر الفطائر. وبمجرد دخولهما، وضعت مورين لافتة مغلق ودفعت سايمون إلى المطبخ في الخلف.

«والآن، اجلس» كانت توجه له التعليمات وكأن سايمون كلب حراسة غارق في البلل، كان من الغباء بحيث قفز داخل المرفأ. جلس سايمون مطيعًا في كرسي مورين بجانب فرن الفطائر الكبير. وفجأة راح يرتعش بشكل لا إرادي. قالت له مورين: «سأذهب وأحضر بعض الأغطية، يمكنك التخلص من هذه الأشياء المبللة وسأجففها في الليل».

بعد خمس دقائق كان سايمون ملفوفًا بمجموعة من البطاطين الصوفية الثقيلة. وبين حين وآخر كانت تنتابه الرعشة، لكن شفتيه

استعادتا لونهما ولم يعد في شحوب طبق الفطائر. أخذت مورين تسأل: «إذن فقد رأيت لوسي؟».

أومأ سايمون في تعاسة: «كان هذا شيئًا جيدًا جدًّا لي. لقد وجدت شخصًا آخر.. تهرب معه. قلت لك إنها ستفعل. أنا لا ألومها».

وضع رأسه بين يديه وضربته رعشة لا إرادية أخرى.

كانت مورين امرأة عملية وكانت لا تستسلم للتعاسة طويلًا. كانت تؤمن أيضًا بأن الأشياء ليست دائمًا بالسوء الذي قد تبدو عليه. قالت: «ليس هذا ما سمعته. لقد سمعت أنها والصبي كانا يهربان من **المجمع**. كلنا رأينا الساحرة يا سايمون».

رفع سايمون رأسه: «ساحرة؟ أي ساحرة؟».

- «الشريرة بحق. تلك التي **سخطت** المسكينة فلوري بوندي إلى حجم كيس الشاي، هكذا يقولون».
- «ماذا؟».
- «كيس شاي. كانت ساحرة كيس الشاي تطارد لوسي والصبي. كانت تتعقبهما فوق أحد تلك **الألواح الوامضة** الخطرة».

همس سايمون في سره: «تطارد لوسي؟» أخذ يفكر بعمق. في الماضي كان قد قام بالزيارة الاعتيادية **للمجمع**. لم تكن شيئًا قد استمتع بالقيام به، ولكن في الوقت نفسه، كان يحترم المجمع

بسبب قدراتهن في **السحر الأسود**، وكان يحترم على وجه الخصوص ليندا التي -لقد تذكر الآن- كان يشاع عنها أنها **سخطت** جارتها. لكن حرص ليندا على **السحر الأسود**، مضافًا إلى خبثها، قد أرعبه هو نفسه، وفكرة أنها تطارد لوسي جعلته يرتجف.

أضافت مورين بطانية أخرى، وقالت وهي تنهض لتحمل براد الماء الذي يغلي: «هذا يفسر سبب هروبهما على الماروْدر، فهو آخر مركب قد يختار أحد القفز على متنه».

نظر سايمون لمورين عابسًا: «لماذا؟ ماذا تعنين؟».

أجابت مورين بسرعة: «لا شيء»، وتمنت على الفور لو أنها لم تقل شيئًا. فما الفائدة في أن يقلق سايمون على شيء لا يمكنه التصرف حياله؟

قال سايمون وهو يثبت نظره نحو عينيها: «أخبريني يا مورين. أريد أن أعرف».

لم تجبه مورين. وبدلًا من ذلك نهضت وتوجهت إلى فرن صغير كانت قد وضعت فيه وعاء اللبن لتسخينه. شغلت نفسها هناك لعدة دقائق، وجهت تركيزها نحو إذابة ثلاثة مكعبات من الشوكولاتة في الماء الساخن. أحضرت السلطانية التي يتصاعد منها البخار لسايمون، وقالت: «اشرب هذا، وبعدها سأخبرك».

ارتشف سايمون الشوكولاتة الساخنة والرجفة لا تزال تهاجمه من لحظة لأخرى.

جلست مورين على مقعد صغير بجوار الفرن، وقالت: «أمر غريب! هناك شيء ما في منضدة عرض الفطائر يجعل الناس يظنون أنها حاجز ضد الصوت وأنك لا تستطيع أن تسمع ما يقولونه على الجانب الآخر منها. لقد سمعت أشياء كثيرة وأنا أبيع الفطائر.. أشياء لم أتعمد أن أسمعها».

سألها سايمون: «إذن ما الذي سمعتِهِ عن المارودر؟».

- «حسنًا، إنه أمر يتعلق أكثر بالربان حقيقة...».
- «ما الذي يتعلق بالربان؟».
- «إن أخباره سيئة. إنهم يتذكرونه هنا حين كان مجرد جو جراب العادي من أسرةٍ من محطمي السفن عند نهاية الساحل. لكن الآن وقد صار هناك المزيد من المنارات، فلم يعد من السهل أن تتحطم السفن، أليس كذلك؟ وهذه رحمة، إذا سألتني رأيي فمن الفظاعة أن تخدع سفينة لتلقى مصيرها المحتوم على الصخور، إنه شيء فظيع. وهكذا، وقد ذهب الربح من تحطيم السفن، سلم جراب نفسه لواحدة من سفن القراصنة التي كانت تأتي إلى هنا أحيانًا، وعاد بحقيبة من الذهب وقد اتخذ اسمًا وهميًا جديدًا. يقول البعض إنه حصل على كليهما من رجل نبيل مسكين ألقى به من سطح المركب. لكن آخرين يقولون..» توقفت مورين، غير راغبة في الاستمرار.

سأل سايمون: «آخرون يقولون ماذا؟».

هزت مورين رأسها.

قال سايمون: «أرجوكِ، عليك أن تخبريني، إذا كنت سأساعد لوسي، فعلي أن أعرف كل شيء أستطيع معرفته. أرجوكِ».

كانت مورين لا تزال مترددة، كان جزء من السبب أن الحديث عن هذه الأشياء كان يعد فألًا سيئًا.

- «حسنًا، آخرون يقولون إن تغيير الاسم يعني تغيير السيد. يقولون إن السيد الجديد للربان هو شبح قديم موجود بالقلعة، وهذا هو المصدر الذي جاءت منه كل أمواله. ولكن تخيل العمل لصالح شبح.. أليس شيئًا سيئًا؟» ارتعشت مورين وقالت باستخفاف: «أنا عن نفسي لا أصدق كلمة من هذا».

لكن سايمون كان يصدق، همهم: «تابع روح شريرة».

«ماذا بك؟» سألته مورين وهي تنهض لتضع قطعة حطب أخرى في النار تحت الفرن. كانت سيرة الأشباح كلها تشعرها بالبرد.

قال سايمون مستهجنًا: «تابع روح شريرة، صيد شبح، نصير شبح.. سمِّه ما تسميه. أظن أن المصطلح الحقيقي هو بائع روحه. إنه الشخص الذي يبيع نفسه لأحد الأشباح».

شهقت مورين وهي تغلق الباب على حجرة الاحتراق: «يا إلهي! ولمَ يرغب أي شخص في فعل ذلك؟».

قال سايمون متذكرًا الوقت الذي قدم له فيه تيرتيوس فيوم عرضًا مماثلًا: «الذهب، مائة وتسع وستون قطعة، لأكون دقيقًا. لكنهم كلهم يندمون في النهاية. لا مفر، لم يحصلوا على الثمن ولا لمرة واحدة. يظلون مسكونين حتى آخر أيامهم».

قالت مورين: «يا للأشياء التي يفعلها الناس!».

وافقها سايمون: «نعم، اسمعي يا مورين...».

- «نعم؟».

- «إذن ما الاسم الجديد للربان؟».

ضحكت مورين: «ياه! إنه اسم مجنون لو كان هناك شيء كهذا. ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي. إنه يثير ضحكك حين تفكر أنه كان مجرد جو جراب العادي».

لم يشارك سايمون مورين الضحك. فلم يجد أن هوس السحر الأسود بالأسماء شيء مضحك على الإطلاق.

همهم وتنهد: «تي. إف. إف، نفس حروف فيوم القديم. إني أتساءل... أواه يا لوسي، ما الذي فعلته؟».

حاولت مورين أن تفكر في شيء إيجابي تقوله، ولكن كل ما تمخضت عنه كان: «ولكن ابنه جاكي صبي طيب».

وضع سايمون السلطانية الفارغة وحملق عابسًا في قدميه العاريتين وهما ظاهرتان من تحت البطاطين. ولم يقل شيئًا.

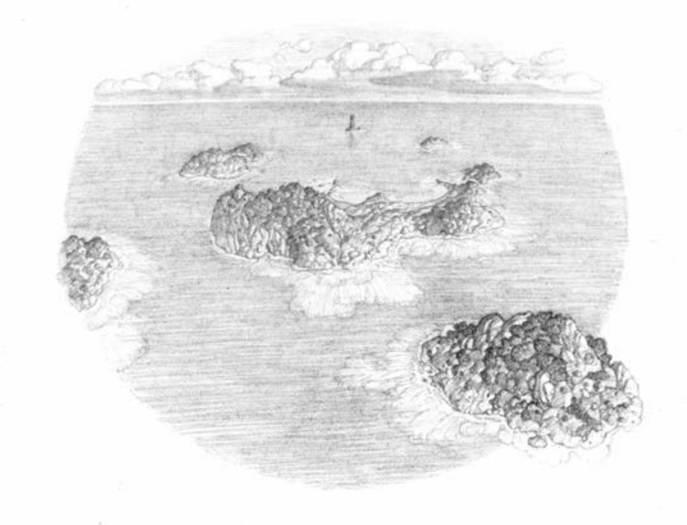
بعد بضع دقائق همهمت مورين، بغير اقتناع نوعًا مـــا: «انظـر يا سايمون، لوسي فتاة حازقة. وشجاعة أيضًا. أنا واثقة من أنها ستكون بخير».

سألها سايمون متشككًا: «بخير؟ على متن مركب مع ربان مثل هذا؟ كيف يحتمل أن تكون بخير؟».

لم تعرف مورين ماذا تقول. وبهدوء قامت على قدميها وشرعت في إعداد فراش لسايمون على إحدى الدكك العريضة المحاذية لجانب المطبخ. وفي وقت مبكر من الصباح التالي، بعد الفجر مباشرة، حين اتجهت مورين إلى المطبخ لتبدأ إعداد الخبزة الأولى من الفطائر، كان سايمون قد ذهب. لم تكن متفاجئة. بدأت في عجن الحلوى وتمنت له وللوسي حظًا سعيدًا؛ فسيكونان في حاجة إليه.

13

رحلة طيران التنين



كانت منارة الكثيب المزدوج مرتفعة أعلى إطار معدني متداعٍ عند نهاية لسان غادر. ومن الجو بدت رفيعة وواهية، كما لو أن أخف هبة ريح ستطيح بها، لكن سبتيموس كان يعرف ما يقوله الناس عن أنها مثيرة للإعجاب من الأرض.

على هَدي الضوء، أدار سبتيموس لافظ اللهب حوالي خمس وأربعين درجة إلى اليسار، واتجه نحو البحر المفتوح. كان سبتيموس يعرف أنه ليس في حاجة إلى توجيه التنين لأن لافظ اللهب كان، حاليًّا، يعيد رحلته السابقة، غير أنه استمتع بإحساس أن التنين يستجيب لأوامره. حين كان لافظ اللهب مقيدًا إلى الأرض، كان لدى سبتيموس دائمًا شعور بعدم الارتياح من أن التنين هو المسئول وأنه هو كان موجودًا فقط ليلبي طلباته، لكن في الجو تبودلت المواقع. أصبح لافظ اللهب منصاعًا وهادئًا؛ فقد أطاع كل رغبات سبتيموس، بل كان حتى يتوقعها، إلى حد أن سبتيموس شعر أحيانًا بأن التنين يمكنه سماع أفكاره الداخلية.

لم يكن سبتيموس على خطأ كامل بهذا الشأن، فلم يكن يعرف أن قائد التنين – وخصوصًا حامي التنين – ينقل أفكاره من خلال حركات بسيطة لكل عضلة. فالتنين يقرأ كامل جسد قائده وعادة ما يعرف أي طريق يريد القائد أن يسلك قبل أن يعرفه من يقوده نفسه، ذكرًا كان أو أنثى. كان الأمر كذلك؛ إذ، قبل يومين، كان لافظ اللهب قد طار ببالغة الانفعال **مارشا أوفرستراند** طوال الطريق إلى **بيت الفوريكس** دون خطأ واحد. وفي ظل حقيقة أن مارشا كانت قد تلقت تعليمات توجيه التنين الأساسية على نحو عكسي تمامًا، فقد كان ذلك بمثابة إنجاز. آمنت مارشا بشكل طبيعي أن مهاراتها

الفطرية في قيادة التنين هي التي أوصلتهم إلى هناك سالمين، لكن في الحقيقة كان الأمر يرجع للمهارات الفطرية للافظ اللهب التي تجاهلتها الساحرة العظمى.

اتجه سبتيموس ولافظ اللهب خارجين إلى البحر المفتوح. صار الجو أكثر إشراقًا واختفت تجمعات السحب البيضاء الصغيرة، حتى صار سبتيموس لا يرى سوى زرقة السماء اللازوردية من حوله والبحر المتألق تحته. نظر إلى أسفل مفتونًا وهو يشاهد الظلال المتحركة للتيارات، ويرى الأشكال الداكنة للحيتان الضخمة التي تسكن الأغوار العميقة التي يطيران فوقها.

كان هواء نهايات الربيع باردًا عند ارتفاع خمسمائة قدم، غير أن الدفء المنبعث من عضلات لافظ اللهب أمد سبتيموس بمناخ محلي خاص لا يتسم بالسوء، ما تجنب هبة أنفاس التنين العرضية الساخنة الكريهة الرائحة. وسرعان ما جعلت هدهدة طيران التنين ذات الإيقاع - فوق، تحت، فوق، تحت - سبتيموس يدخل في حالة نصف النائم حيث دارت حول رأسه نغمات سحرية، وعُزفت أغانٍ تنينية في أذنيه. مرت عدة ساعات على هذا الحال إلى أن انتفض مستيقظًا فجأة.

كان هناك من ينادي اسمه: «سبتيموس، سبتيموس...».

اعتدل سبتيموس، وقد تنبه على الفور في ارتباك. كيف يمكن لأحد أن يناديه؟ هز نفسه وتمتم قائلًا: «لقد كان حلمًا، أيها الغر». وكي يطرد الحالة الضبابية التي لفت رأسه نظر إلى أسفل إلى المحيط مرة أخرى.. وشهق متعجبًا.

بعيدًا إلى الأسفل كانت مجموعة من الجزر تشبه اللآلئ. امتدت جزيرة وسطى كبيرة وأحاطت بها ست جزر أصغر تابعة. كانت كلها خضراء شديدة الخصوبة يحدها كهوف صغيرة وشواطئ رملية بيضاء، أما فيما بين الجزر فقد تلألأ في ضوء الشمس اللونان الأزرق والأخضر الرقيقان لمياه البحر الضحلة الصافية. كان سبتيموس مفتونًا، وفجأة تاق لأن يجلس على منحدر أحد التلال الدافئة يرتشف من الينابيع الباردة التي تتدفق خلال الصخور المطحلبة. لثانية - ليس أكثر - فكر في الهبوط بلافظ اللهب إلى أحد الكهوف وأن يترجل فوق الرمال. وفي استجابة بدأ التنين في خفض الارتفاع؛ وعلى الفور ثاب سبتيموس لرشده.

قال بأسف: «لا يا لافظ اللهب. لا، علينا أن نستمر». واصل لافظ اللهب طيرانه، والتفت سبتيموس ليشاهد دائرة الجزر الخلابة وهي تبتعد. وفي النهاية اختفت الجزر عن نظره وانتابه شعور غريب بالخسارة؛ لقد بات هو ولافظ اللهب وحدهما مرة أخرى.

واصل التنين **والحامي** الطيران حتى وقت متأخر من بعد الظهيرة. كانت السحب البيضاء تأتي وتمضي من فوقهما، وبالأسفل، كانت السفن التي تعبر أحيانًا تترك أثر مسارها الأبيض خلال النمط غير المتناهي للأمواج، لكن لم يظهر المزيد من الجزر.

ومع دنو المساء، بدأت السحب تتراكم حتى شكلت سقفًا رماديًّا غليظًا. هبطت درجة حرارة الهواء وشعر سبتيموس بالصقيع يضرب عظامه. لف فراء الشره حول نفسه بمزيد من الإحكام، لكنه ظل يشعر بالبرد. لم يدرك سبتيموس مدى البرودة التي صار عليها. لقد استغرق منه الأمر عشر دقائق كاملة ليتذكر أن مارشا كانت قد أصرت على شحن ما أطلقت عليه **عدة الطوارئ** الخاصة بها، والتي حمَّلتها شخصيًّا على ظهر لافظ اللهب داخل سرجين من السجاد الثقيل. كانت مارشا قد أخبرت سبتيموس أنها وضعت ست **عباءات تدفئة**، والتي كانت سعيدة للغاية أن تجدها في **متجر بوت لعباءات الساحرات المستعملة**.

وبعد عشر دقائق أخرى من محاولة فتح السرجين - اللذين أحكمت مارشا إغلاقهما على نحو بالغ الفاعلية - نجح سبتيموس في إيصال يده المتجمدة بفعل البرد ليسحب إحدى **عباءات التدفئة**. لف العباءة المكرمشة على نحو غريب حول نفسه؛ وعلى

الفور انتشر الدفء في أوصاله مثل حمام ساخن، وبدأت أفكاره تنشط مرة أخرى.

كان الضوء الآن يخفت بسرعة. وإلى الأمام في الأفق كان بإمكان سبتيموس أن يرى الحافة المظلمة لليلة القادمة. بدأت تنزل زخات من المطر، لكن بدا أن **عباءة التدفئة** كانت تطرد الماء أيضًا. ارتدى سبتيموس قبعته الحمراء القديمة الصغيرة، التي كان قد وضعها في جيبه قبل أن يغادر. صارت ضيقة الآن، لكنه لم يبالِ. لم تكن أي قبعة أخرى تعطيه شعورًا مماثلًا. الآن صار محميًا ضد المطر ومحميًّا ضد الريح تمامًا.

أعاد سبتيموس انتباهه للأفق مرة أخرى. أصبح خط الليل المظلم أكثر اتساعًا، ومن خلاله ظن أن بإمكانه أن يرى شريطًا باهتًا من الأضواء. ثبَّت سبتيموس عينيه في الأفق وحين تعمق الغسق ومضى لافظ اللهب إلى أقرب ما يمكنه، بدا شريط الأضواء أكثر تألقًا في تلك اللحظة.

سرت في جسد سبتيموس قشعريرة الحماس.. لقد فعلها. لقد وجد طريق العودة إلى **المركز التجاري**، وأحد هذه الأضواء يخص جينا ونكو وسنوري وبيتل وهم يجلسون في غرفة الشبك العلوية البائسة ينتظرون عودته لإنقاذهم. مال سبتيموس للخلف على مسند **القائد** وابتسم. لقد فعلها فريق التنين للإنقاذ مرة أخرى.

بعد نصف ساعة هبط الليل، وكانا قد وصلا لليابسة. أخذ لافظ اللهب يطير منخفضًا ومسرعًا بمحاذاة أحد السواحل الرملية. صفت السماء وارتفع القمر المحدودب المنحسر، مشكلًا ضوءًا فضيًّا وظلالًا ممتدة على الأرض بالأسفل. انحنى سبتيموس ورأى الأشكال المظلمة لأكواخ الصيادين وقد تناثرت بين الكثبان الرملية، والشموع الخافتة التي تحترق على النوافذ، والقوارب الصغيرة وقد سحبت على الشاطئ لدخول الليل. وإلى الوراء كان يمكنه أن يرى شريط أضواء **المركز التجاري** وهي أشد تلألؤًا من أي وقت مضى، وهي تضيء سلسلة المرافئ الطويلة.

والآن أبطأ سبتيموس لافظ اللهب وهبط إلى ارتفاع أقل. وبالأسفل، رأى أول صف المرافئ الطويل.. **المرفأ رقم تسعة وأربعين**، إذا كان يتذكر على نحو صحيح. ولكن، بما أن **المرفأ رقم ثلاثة** كان هو وجهتهما التي يقصدانها، فقد كان لا يزال أمامهما طريق يقطعانه. خفق جناحا لافظ اللهب باطراد وهو يطير فوق المرفأ تلو الآخر بالتتابع. نظر سبتيموس للأسفل بحماس ورأى الأشكال المظلمة للسفن المربوطة بمحاذاة أسوار المرفأ وهي تظهر على ضوء صفوف المصابيح والمشاعل على طول جانبي رصيف الميناء. كان يستطيع رؤية حشود الناس تتحرك بصخب، منشغلين بالتحميل والتفريغ، والمساومة والتجارة. صعد قرع أصواتهم، نغمات متنافرة من لغات غير مألوفة، من منازعات

وضحكات يتخللها الصياح الغريب. لم يلحظ أحد الشكل المظلم للتنين بالأعلى ولا ظل القمر الخافت وهو يتحرك في صمت فوق الأرصفة. ربت سبتيموس على عنق لافظ اللهب وهمس: «أحسنت العمل يا لافظ اللهب. أحسنت العمل. لقد أوشكنا على الوصول».

كان **المركز التجاري** قد توسع على امتداد خط الساحل المحمي على حافة الأرض المفتوحة الواسعة التي ضمت - من بين عجائب أخرى كثيرة - **بيت الفوريكس**. وأصبح المكان مركزًا **للتجار**، ليس للتجار الشماليين وحسب، بل لهؤلاء القادمين من الأماكن الأبعد جدًّا. قبل أن يذوب حتى ثلج الشتاء، كان التجار لابسو الفراء المحاصرون بعيدًا في البلدان الثلجية يدفعون قواربهم الطويلة الرفيعة فوق المصارف المتجمدة التي تتعرج خلال الغابات حتى تصل إلى القنوات الواسعة دائمة التدفق التي تصب في النهاية داخل **المركز التجاري**. كان التجار الطوال ذوو الأردية اللامعة القادمون من **تلال الصحاري الجافة** يحضرون سفنهم المطلية ببراعة من البحر، وأحيانًا حتى التجار القادمين من بلدان ما وراء **السهول الثلجية الشرقية** كان يمكن رؤيتهم بقبعاتهم المدببة العالية المميزة وكان يمكن تمييز أصواتهم الحادة من وسط الصخب.

وبينما واصل لافظ اللهب الطيران، استمر سبتيموس في رصد **المرفأ رقم ثلاثة**. كان واحدًا من المرافئ الأصغر عند أقصى طرف

المركز التجاري، تمامًا وراء أوسع قناة (تلك التي تمتد إلى الطرف الآخر من العالم، هكذا قالوا).

كان **المرفأ رقم ثلاثة**، حسبما عرف، تسهل ملاحظته من خلال تكوينه غير المعتاد على شكل حدوة الحصان. لم يكن مرفأ ذا مياه عميقة لكن كان الصيادون أصحاب القوارب الصغيرة يستخدمونه، وكانوا يتركون قواربهم مربوطة بحبال ممتدة فوق الرمال التي يكشف عنها انحسار المد.

لم يمر وقت طويل قبل أن يعبر لافظ اللهب القناة العريضة التي تضربها الرياح، ورأى سبتيموس شكل حدوة الحصان المرحبة بالأسفل. بدأ سبتيموس الطواف بحثًا عن مكان للهبوط، غير أن الرصيف كان مكتظًّا بطاولات السمك وأكوام الشبك. لم يكن هناك جزء مفتوح بما يكفي لهبوط تنين، ولن يهبط تنين مطلقًا بجوار الشبك، بسبب الفزع المتأصل بداخل التنانين بأن مخالبهم قد تصبح حبيسة داخل خيوط الشبك، وهو خوف خلفته أيام صيد التنانين العظيمة في الماضي.

كان المد ينحسر، وفي المناطق المظلمة على امتداد حافة سور المرفأ حدد سبتيموس شريطًا رمليًّا خاليًا ليس به حبال. وجه التنين لعدة مئات من الياردات نحو البحر ثم انخفض به قريبًا من الماء، وجعله ينزل برشاقة حتى هبط لافظ اللهب، محدثًا جلجلة خفيفة ورذاذًا من الرمال المبللة. استنشق التنين الهواء ثم مدد رأسه في

تعب على الرمال الرطبة، ليسمح لسبتيموس بالنزول ووضع قدمه على الأرض مرة أخرى. حرك سبتيموس قدميه محاولًا أن يعيد الإحساس لأصابعه. بعدها، وبقليل من الاتزان، ذهب ومسح على أنف التنين الناعم البارد كالثلج.

همس سبتيموس: «أشكرك يا لافظ اللهب، أنت رائع».

صهل التنين، ومن وسط ظلمات رصيف الميناء بالأعلى جاء صوت امرأة: «لا تفعل ذلك. إنه شيء وقح للغاية». واعترض صوت رجل: «لا أفعل ماذا؟ أنا لم أفعل شيئًا!»

- «ها، أنت دائمًا تقول ذلك، لا يمكنك أن تلقي باللوم على الكلب الذي بالخارج».

ابتعد الزوجان المتجادلان وقبل أن يصبحا خارج مجال السمع، كان لافظ اللهب قد ذهب في النوم. تفحَّص سبتيموس المد، كان في طريقه للانحسار، وبنظرة إلى أعلى علامة للمد على سور المرفأ عرف أن أمام لافظ اللهب ست ساعات على الأقل لينام في مكانه في أمان. أنزل سبتيموس سرجي مارشا وأخرج أربع دجاجات مشويات وكيس تفاح ووضعها بجوار أنف التنين حتى إذا ما استيقظ تناول وجبة خفيفة في منتصف الليل.

همس سبتيموس: «انتظر هنا يا لافظ اللهب، سأعود» فتح لافظ اللهب عينًا غائمة، وغمز وعاد إلى السبات.

وضع سبتيموس السرجين الثقيلين على كتفه واتجه في ضجر نحو دَرَج المرفأ. والآن كان كل ما عليه فعله هو أن يتذكر أيها كانت غرفة الشبك التي اختارها **نكو**.

14

المركز التجاري

وصل سبتيموس إلى أعلى الـدَرَج ونظر حوله. كان الزوجان المتجادلان قد ذهبا وصار رصيف الميناء خاويًا. كان نصف معتم لا يضيئه سوى مشعل واحد كبير مرتفع على عمود أمام صف من الأكواخ الخشبية الضيقة بالغة الارتفاع عند مؤخرة الرصيف. وعلى الرغم من هبات الرياح وقطرات المطر التي تنزل أحيانًا، كانت ألسنة نيران المشعل تتوهج في ثبات خلف واقٍ زجاجي رفيع وتشكل بقعة ضوء صفراء معتمة فوق أحجار الرصيف. تذكر سبتيموس أنه يميز مدخل الزقاق الذي جرهم نكو إليه قبل يومين. رفع سبتيموس السرجين على كتفه، وقد ابتسم من فكرة أنه



سيرى أخاه مرة أخرى في القريب العاجل، ومضى في اتجاه المشعل، وهو يتحسس طريقه خلال مجموعات البراميل والعربات التي تناثرت على رصيف الميناء.

وصل سبتيموس إلى المشعل ودخل الزقاق. ألقى المشعل بظل سبتيموس الطويل المترجرج أمامه. لف داخل ناصية حادة وغاص في ظلام حالك.. ولكن لبضع ثوانٍ فقط. فعلى الفور بدأ خاتم التنين الذي ارتداه في سبابته اليمنى يلمع ويضيء الطريق. عبر سبتيموس ناصية أخرى وقد صار اتزان السرجين على كتفيه مربكًا، ووقف خارج بيت خشبي متداع مكون من أربعة طوابق، بدا بابه الخارجي محطمًا حديثًا وقد ربِّط بحبل. أنزل سبتيموس السرجين الثقيلين ونظر إلى أعلى حيث النوافذ الصغيرة التي فُقِدت أو تكسرت ألواحها الزجاجية. كان متأكدًا أن هذا هو البيت الصحيح، لكن لم يكن هناك أحد.. كانت النوافذ مظلمة وكان المكان صامتًا وخاليًا. سرت بداخله مسحة قلق، وعندئذ لفت شيء ما نظره. قطعة من الورق كانت محشورة في الباب، ولاحظ سبتيموس خط جينا الكبير الملتف. كانت الرسالة تقول:

سِب!

أتمنى أن تكون قد قمت برحلة طيران جيدة! نحن على متن السيريس، إنها سفينة كبيرة رائعة في المرفأ رقم اثني عشر. أراك هناك!!!

لك حبي، جين

تبسم سبتيموس من رؤيته السارة لعلامات تعجب جينا، ثم عبس. كيف يتأتى له أن يذهب إلى المرفأ رقم اثني عشر!

بعد مرور نصف ساعة كان عبوس سبتيموس قد ازداد. لقد صارع الرياح العاصفة وزخات المطر المفاجئة على الجسر المكشوف الطويل الذي يقطع مدخل القناة العريضة ووصل الآن إلى البوابة الخشبية الضخمة عند نهاية الجسر، والتي تميز حدود المرفأ رقم أربعة. ومن خلف البوابة كان بإمكان سبتيموس أن يسمع أصوات المرفأ الناشط. ذهب في ضجر ليفتح البوابة وفي مفاجأة له، خرج رجل من صندوق خشبي كان سبتيموس يظنه نوعًا من المخازن.

قال الرجل الذي كان يرتدي زي البحارة الأزرق الداكن المزين بأزرار ذهبية كبيرة: «قف مكانك أيها الولد الصغير. قبل أن تدخل عليك أن تقرأ الإخطار» وأشار إلى إخطار كبير مثبت على الحائط. كان مضاءً بمصباحين نحاسيين ومملوءًا بحروف حمراء كبيرة لعدة لغات.

تجهم سبتيموس، فقد كان لا يحب أن يناديه أحد «بالولد الصغير» فقد كان معتادًا على قدر أكبر من الاحترام.

ثم قال الرجل متذمرًا: «ويمكنك أيضًا أن ترفع هذا التجهم عن وجهك، اقرأ اللوحة كلها عن آخرها، أو يمكنك العودة من حيث أتيت. أتفهم ذلك؟».

أومأ سبتيموس دون أي تعبير. كما لو كان يريد بشدة أن يقول للرجل أن يغرب عن وجهه، فقد كان يريد أن يدخل إلى المرفأ رقم أربعة ويصبح داخل شبكة المرافئ الكبيرة. حول اهتمامه إلى الإخطار:

مرفأ رقم أربعة

انتبه!

أنت الآن تغادر المرفأ رقم ثلاثة،
آخر المرافئ الصغيرة (م ص)
وتدخل شبكة المرافئ الكبيرة (ش م ك)
وبمرورك من هذه البوابة فأنت توافق
على أن تلتزم بقوانين (ق)
هيئة المرافئ الكبيرة للمركز التجاري (هـ م ك م ت)
وأن تطيع كافة التعليمات التي يصدرها
مسئولو أو جماعات أو مجتمعات المرفأ (م ج م م)

تلا هذا قائمة طويلة، يبدأ كل سطر بكلمات «عليك ألا» بحروف حمراء كبيرة. كان سبتيموس لا يحب القوائم المكتوبة باللون الأحمر وتبدأ بكلمتي «عليك ألا» فقد كانت تذكره بجيش الشباب. غير أنه، وفي ظل عين الصقر التي يحملها المسئول، قرأها كلها عن آخرها. قال وقد وصل إلى نهايتها: «حسنًا، أوافق».

اعترض المسئول: «أنت لم تقرأها».

رد عليه سبتيموس: «أنا أقرأ بسرعة»

قال الرجل: «لا تتذاكَ عليَّ، انته من قراءتها».

قال سبتيموس، وقد ألقى بالحذر أدراج الرياح: «لقد انتهيت. لذا لا تتذاكَ أنت عليَّ».

قاطعه المسئول: «حسنًا. أنت ممنوع».

- «ماذا؟».

- «لقد سمعت. أنت ممنوع من دخول شبكة المرافئ الكبيرة. مثلما قلت، يمكنك أن تعود من حيث أتيت».

اجتاحت سبتيموس موجة غضب. رفع ذراعه اليمنى وأشار إلى شريطي المتدرب الأول، اللذين كانا يلمعان بلون أرجواني سحري في ضوء المصباح وقال ببطء شديد محاولًا ألا يظهر غضبه: «أنا في مهمة عمل رسمية، هذه شارة منصبي. أنا لست من قد تظنني. إذا كنت تقدر منصبك، فإني أنصحك أن تسمح لي بالمرور».

كانت القوة النافذة التي تحدث بها سبتيموس في وجه المسئول، إلى جانب البريق السحري على كميه قد أربكاه. وفي استجابة دفع الباب ليفتح البوابة، وبينما كان سبتيموس يدخل، أحنى المسئول رأسه على نحو غير ملحوظ تقريبًا. لاحظ سبتيموس ذلك لكنه لم يسلم به. أغلق الرجل البوابة ودخل سبتيموس المرفأ رقم أربعة.

كان عالمًا آخر. حملق سبتيموس مأخوذًا.. لقد كان مكتظًّا. كان هذا مرفأ بحق، ذا مياه عميقة ومراكب كبيرة. كان يضيئه على الأقل عشرون مشعلًا ويزدحم بالناس.

كان مركب صيد كبير يمر بعملية تفريغ، وسفينتان مرتفعتان تتزودان بالمؤن. غمر سبتيموس شعور طاغ بالضجر.. كيف له أن يسلك طريقه وسط هذا الزحام؟ تمنى أن لوْ كان قد ترك السرجين الثقيلين على لافظ اللهب، أنزلهما للحظة على البلاطات الحجرية. جاءه صوت مرتفع من الخلف: «لا تسد الطريق، أيها الصبي. هنا أناس لديهم أعمال ينجزونها».

خطا سبتيموس إلى أحد الجوانب، ناسيًا السرجين. اندفع صياد ضخم الجثة مارًّا وهو يحمل مجموعة مرصوصة بعناية من صناديق السمك، وعلى الفور تعثر فيهما مرسلًا محتويات الصناديق في الهواء. ووسط أمطار من السمك المملح مصحوبة بسيل غاضب من الكلمات التي لم يسمعها من قبل، التقط سبتيموس السرجين واختفى وسط الزحام. وحين نظر للخلف، كان الحشد قد أغلق الطريق من خلفه وغاب الصياد عن ناظره. ابتسم سبتيموس. أحيانًا يكون للحشود استخداماتها. تنفس بعمق وبدأ يسلك طريقه عبر رصيف ميناء المرفأ رقم أربعة حتى وصل في النهاية إلى بوابة المرفأ خمسة. كانت هذه بلا حراسة، لحسن

حظه، رغم أنها تعلق الإخطار المستبد نفسه. تجاهل سبتيموس الإخطار ودخل إلى المرفا رقم خمسة.

بعد قرابة الساعة كان سبتيموس قد أوشك على الوصول لهدفه. وقف أمام علامة إرشادية أعلمته أنه يغادر الميناء رقم أحد عشر وعلى وشك دخول الميناء رقم اثني عشر. شعر سبتيموس بالإرهاق، وصار في ذلك الوقت مغتاظًا بشدة من جينا. لماذا كان عليها أن تذهب للتأرجح على سفينة رائعة؟ لماذا لم يستطيعوا انتظاره في غرفة الشبك كما رتبوا؟ ألم يفكروا حتى في أنه قد يكون متعبًا بعد رحلة الطيران الطويلة تلك؟ لقد كان عليه أن يعبر واجهات ثمانية مرافئ ليصل إليهم، ولم يكن هذا سهلًا. كان بعضها مكتظًّا بأناس لا يرغبون دائما أن يفسحوا طريقًا لصبي رثٍّ يحمل سرجين كبيرين. أحدها كان خاويًا، وغير مضاء، وتتقاطع به الحبال التي اضطر لأن يقفز خلالها مثل مُهر السيرك الراقص؛ وكان اثنان منها مغلقين بالكامل بمتاهة من البراميل وصناديق الشحن؛ وكثير منها كانت تبدو عدائية على نحو واضح.

توقف سبتيموس المنهك ليقيم الموقف. بدا المرفأ رقم اثني عشر الأصعب من بينها جميعًا. فقد كان الأكبر حتى الآن وكان يشغي بالنشاط. حين أمعن النظر في الهرج والمرج الدائر على الرصيف، أمكنه رؤية غابة من الصواري العالية بشراعاتها الملفوفة وهي ترتفع في سماء الليل وقد التمعت بفعل صف المشاعل

المتوهجة التي تحاذي حافة المياه. كان الضوء الصادر عن المشاعل يبعث في المشهد وهجًا برتقاليًا خصبًا، أضفى على الليل لونًا أزرق مخمليًا داكنًا ومحولًا الأمطار المتساقطة إلى قطرات من الماس.

كانت هناك مسحة من ثراء وفخامة بالمرفأ رقم اثني عشر لم يستشعرها سبتيموس في المرافئ السابقة. كان المسئولون في كل مكان، وبدا لسبتيموس أن كل واحد منهم لديه من الأزرار الذهبية ما يزيد على الآخر. كانوا يرتدون أردية بحرية قصيرة زرقاء تبدو منها سيقانهم ملفوفة بسراويل ضيقة ذات أزرار من القماش الذهبي، وكانوا يرتدون في أقدامهم أحذية ثقيلة ذات رقبة مزينة بأبازيم فضية عديدة. لكن كان ما جذب عيني سبتيموس حقيقة هي الباروكات، ومن المؤكد أنها باروكات، حسبما فكر، لأنه لا أحد يمكنه أن يكون لديه ما يكفي من الشعر من أجل مثل هذه الترتيبات المعقدة. كان بعضه يرتفع لمسافة قدم. كانت بيضاء ناصعة وملفوفة في تموجات وعقد للزينة وضفائر وجدائل، وكان كل واحد يضع شارة ذهبية كبيرة ليست بعيدة الشبه عن الشارات الوردية التي رآها سبتيموس تزين إسطبل حصان جينا، دومينو. ابتسم سبتيموس وقد تخيل للحظة أن المسئولين اصطفوا في حلقة ليتم الحكم عليهم «المسئول صاحب أطرى أنف» و«المسئول الذي قد يحب الحكام كثيرًا أن يأخذوه للبيت».

تابع سبتيموس وهو يستجمع طاقته لاندفاعة نهائية خلال الزحام. لم تكن لديه فكرة عن أي نوع من السفن قد تكون السيريس رغم أنه كلما فكر فيها رأى أن الاسم بدا مألوفًا. تنفس بعمق وحمل السرجين – اللذين كانا كما لو أن أحدًا قد دس فيهما للتو مجموعة من الصخور – وخطا وسط الزحام. بعد لحظة تعرض لدفعة قوية على أحد الجوانب من اثنين من عمال الميناء في زيهما الرسمي وهما يفسحان الطريق وسط الزحام لمرور امرأة طويلة ملفوفة بملابس ذهبية. كانت تنظر أمامها بازدراء ولا ترى شيئًا سوى الطائر الجميل متعدد الألوان الذي ترفعه عاليًا على رسغها، مثل الفانوس. كان سبتيموس قد تعلم الكثير عن الاندفاع خلال الزحام في الساعة الماضية، وحصل على فرصته. فبسرعة، وقبل أن ينغلق الحشد مرة أخرى، وضع نفسه خلف المرأة وتابع السير في أعقابها، محاذرًا ألا يطأ ثوبها المجرجر المتلألئ.

بعد بضع دقائق رأى سبتيموس المرأة تصعد اللوح الخشبي لسفينة منمقة ذات ثلاثة صوارٍ، كانت تقريبًا الأكبر في المرفأ، حسبما رأى. في الحقيقة، كانت السفينة التي تليها مباشرة فقط تبدو أكبر منها وربما أشد تنميقًا. وقف سبتيموس تحت عمود أحد المشاعل وقد شعر بالإعياء من التعب، ونظر نحو الصف الطويل من السفن، التي ربطت من مقدمتها ومؤخرتها، والتي اختفت في غياهب الليل. بدت أنها تستمر بلا نهاية ممتدة داخل

المرفأ، وكان بعضها قد ربطت بمحاذاتها سفينتان أو ثلاث. طغى على سبتيموس شعور بالاستحالة - هناك سفن كثيرة جدًّا، كيف يمكنه أن يعثر على السيريس؟ وبافتراض أن السيريس كانت من السفن المربوطة على الجانب الخارجي لسفينة أخرى - فكيف الوصول إلى هذه السفن؟ هل سيسمح لك الناس بالعبور فوق سفنهم؟ وهل يفترض بك أن تطلب ذلك؟ وماذا لو قالوا لا؟ أسئلة حائرة لا حصر لها اجتاحت عقله. كان سبتيموس مستغرقا تمامًا فيما يقلقه حتى إنه لم يسمع اسمه يُنادى.

«سبتيموس! سِب...تي..موس!» ثم بمزيد من نفاد الصبر: «سِب، يا مغلق الأذنين، نحن هنا». كانت عبارة «مغلق الأذنين» هي التي جذبت انتباه سبتيموس وسط ضوضاء الزحام. شخص واحد فقط يناديه بهذا.

دار سبتيموس حول نفسه باحثًا عن صاحبة الصوت: «جين! جين! أين أنتِ؟»

- «هنا! هنا.. لا، هنا».

وعندئذ رآها سبتيموس وقد انحنت فوق مقدمة السفينة الضخمة بالغة التنميق إلى اليمين، وهي تلوح بأقصى ما تستطيع وتبتسم بشدة. ابتسم سبتيموس في ارتياح وذهب عنه كل حنق الساعات السابقة. فكر سبتيموس، كم أن جين تتسم بالثقة لتضع نفسها في أفضل سفينة بالمرفأ. انطلق

سبتيموس في طريقه عابرًا المجموعة الصغيرة من الناس الذين تجمعوا لينظروا إلى الرأس الجميل ذي الشعر الأسود الذي أطل من السيريس، ووصل إلى البحار المناوب ذي الزي الخاص عند بداية السلم الصاعد للسفينة، وهو يدرك نظرات الحسد التي تطارده.

انحنى البحار، وسأله: «هل أنت سبتيموس هيب يا سيدي؟»

أجاب سبتيموس بمزيد من الارتياح: «نعم».

قال البحار: «مرحبًا بك على متن السفينة يا سيدي» ثم أدى التحية.

«أشكرك» بعدما قال سبتيموس ذلك، تذكر فجأة شيئًا كان نكو قد أخبره به بشأن أنه مما يعتبر فألًا سيئًا أن يصعد أحد إلى سفينة للمرة الأولى دون أن يقدم عطية ما، وضع يده في جيوب عباءته وأخرج أول شيء وصلت إليه يده.. سمكة مملحة. وضع السمكة في يد البحار ثم رفع السرجين على كتفه وصعد السلم مضطربًا، تاركًا البحار والسمكة، متجمدين مرتبكين، وقد حدق كلاهما في الآخر.

15

السيريس

استيقظ سبتيموس في الصباح التالي وهو مقتنع بأن مارشا كانت تناديه. جلس في وضع عمودي وقد وقفت أطراف شعره، وظل اسمه يدوي في أذنيه. أين هو؟ عندئذ تذكر.

تذكر صعوده على سطح السيريس ثم جينا وهي تلقي ذراعيها حولـــه، وتضحك. تذكرها وهي تمسك بيده وتقدمه لرجل طويل أسود الشعر أدرك أنه والـد جينا، ميلو باندا، وأدرك أن السيريس هي سفينته – وهذا هو السبب في أن الاسم بدا مألوفًا.

ويـا للسيريس من سفينة! لقد أرته جينا

إياها بفخر، وتذكر - حتى وسط إرهاقه - دهشته من الترف الصارخ. الألوان البهية وطلاء ماء الذهب الذي يتألق على ضوء المشاعل، مدى نظافة لفائف الحبال، أناقة الخشب، اللمعان القوي للنحاس وأناقة الطاقم في زيهم الجذاب وهم يعملون في الخلفية في صمت.

وفي النهاية أدركت جينا مدى ما به من تعب فقادته إلى ممر طويل، به أبواب مذهبة.

كان أحد أفراد الطاقم قد انشقت عنه الأرض وفتح الأبواب، أخذ ينحني وهما يتحركان نازلين إلى السطح الأسفل. تذكر جينا وهي تأخذه عبر سلالم عريضة مصقولة إلى غرفة مكسوة بالخشب تضيئها غابة من الشموع وعندها جاءته صيحات انفعال.. كان بيتل يبتسم ابتسامة عريضة وهو يلكمه في ذراعه ويقول: «انظر يا سِب!»، واحتضنه نكو ورفع قدميه عن الأرض، ليظهر فقط أنه لا يزال أخاه الأكبر، وابتسمت سنوري في خجل وقد تعلق أولر بظهرها. وبعدها لم يتذكر شيئًا آخر.

لف سبتيموس أرجاء كابينته بعينين غائمتين. كانت صغيرة لكن مريحة للغاية؛ كان سريره لينًا وواسعًا ومغطى بمجموعة من البطاطين الدافئة. تدفق شعاع دائري من ضوء الشمس عبر نافذة نحاسية كبيرة كان بمقدور سبتيموس أن يرى من خلالها زرقة الماء المتلألئة والهيئة الداكنة لظلال سور المرفأ المنعكسة على

البحر من خلفه. تمدد وحملق في أشكال الضوء المتحولة التي تنعكس على السقف المصنوع من الخشب المصقول، وشعر بالسرور أن مارشا لا تناديه. كان سبتيموس، وهو بطبيعته ممن يستيقظون مبكرًا، سعيدًا لأنه استغرق في النوم، فقد تألم بكامله من آثار رحلتي طيران طويلتين بالتنين في وقت متقارب جدًّا. وتساءل وهو يغالب النعاس عن عدد الأميال التي قطعها هو ولافظ اللهب، وفجأة جلس معتدلًا مرة أخرى.. لافظ اللهب!

ألقى سبتيموس بسترته وصار خارج كابينته في ثلاثين ثانية ليس أكثر. هرع عبر الممر المكسو بالخشب متجهًا عبر درج هابط يقود إلى مجموعة سلالم أخرى تصعد إلى حجرة مفتوحة تظهر السماء الزرقاء من ورائها. تقدم عبرها مندفعًا بسرعة وقد قرعت قدماه الأرض الخشبية، فاصطدم مباشرة بجينا ملقيًا بكلتيهما على الأرض.

نهضت جينا واقفة وشدت سبتيموس لينهض على قدميه، قالت لاهثة: «سِب! فيم العجلة؟».

قال سبتيموس دون رغبة في إضاعة أي وقت في محاولة الشرح: «لافظ اللهب!». اندفع خارجًا ونهب الدرج وخرج إلى ظهر السفينة المفتوح.

لم تكن جينا على مسافة بعيدة خلفه، قالت وقد لحقت بـــه: «ما بال لافظ اللهب؟».

هز سبتيموس رأسه وأسرع منصرفًا غير أن جينا أمسكت بكمه بقوة ورمقته بأفضل نظراتها كأميرة: «سبتيموس، ماذا بشأن لافظ اللهب؟ أخبرني!».

قال بسرعة متلعثمًا: «لقد تركته نائمًا على الرمال، وقد أتى المد، ياللعنة! منذ ساعات».

أفلت يده من جينا واندفع عبر ظهر السفينة متجهًا إلى سلم الصعود. لكن جينا، التي كانت خطواتها دائمًا أسرع من خطواته، صارت أمامه فجأة تسد عليه السلم. احتج سبتيموس: «جين! ابتعـدي عـن الطـريق! أرجـوك، علـي أن أعثـر على لافظ اللهب!».

- «حسنًا، لقد عثرت عليه بالفعل، أو بالأحرى هو عثر عليك. إنه هنا يا سِب».

دار سبتيموس فيما حوله: «أين؟ لا يمكنني رؤيته».

- «تعال، سأريك». أخذت جينا سبتيموس من يده وقادته عبر ظهر السفينة الذي نُظف لتوه إلى مؤخرة السفينة. كان التنين نائمًا في أمان، وقد تمدد ذيله على ألواح الحافة الخارجية للسفينة واستقرت شوكته في الماء.

على رصيف المرفأ، وقفت مجموعة من المعجبين المنبهرين، وهم أعضاء **نادي مكتشفي التنانين بالمركز التجاري**، وهو نادٍ أسس حديثًا فقط، على أملٍ ليس أكثر من توقع أن يروا يومًا أحد التنانين.

قالت جينا مبتسمة: «لقد حضر الليلة الماضية، بعد أن ذهبت في النوم مباشرة، لقد كنت في عالم آخر تمامًا، أنت حتى لم تستيقظ حين هبط. لقد حدثت جلبة هائلة واهتزت السفينة بالكامل. لقد ظننت أنها تغرق. وجن جنون الطاقم، لكن بمجرد أن شرحت أن تنيني...».

اعترض سبتيموس وقد أتى: «تنينك، هل قلت إنه تنينك؟».

قالت جينا بخجل: «حسنًا، أنا ملاح لافظ اللهب يا سِب، وكنت أعرف أني إذا قلت إنه لي، فستكون الأمور على ما يرام؛ لأن.. حسنًا - توقفت جينا وابتسمت: «أي شيء أفعله على هذه السفينة مباح. شيء جيد، أليس كذلك؟».

لم يكن سبتيموس واثقًا: «لكنه تنيني أنا يا جين».

- «ياه، لا تكن سخيفًا هكذا يا سِب، أنا أعرف أنه تنينك، سأقول لهم إنه تنينك لو كنت تحب ذلك، لكن لم يكن أنا من تركته على الشاطئ والمد قادم».

- «كان ينحسر».

هزت جينا كتفيها: «أيًّا كان، على كلٍّ، لقد نزل الطباخ للبر ليأتي ببعض الدجاج والأشياء من أجل إفطاره. هل تريد إفطارًا أنت كذلك؟».

أومأ سبتيموس وتبع جينا للأسفل وقد اعتراه شيء من التجهم.

* * *

لم يسر اليوم على متن السيريس بما يرضي سبتيموس. كان قد توقع أن يتم الترحيب به باعتباره منقذًا مرة أخرى، ليكتشف فقط أن ميلو باندا سرق منه الجو، ولم يبد أحد مهتمًّا على الإطلاق بالعودة للوطن معه على ظهر لافظ اللهب. كانوا جميعهم يخططون للإبحار إلى الوطن «بأسلوب لائق» كما عبرت جينا، وكما أضاف بيتل «وكذلك بدون روائح التنين تلك».

ففي أعقاب تناول إفطار ممل مع ميلو باندا وجينا، انقضى في سماع حكايات ميلو عن أعماله البطولية الأخيرة وحماسه بشأن «شحنة البضائع الهائلة» التي يتوقع وصولها في أي لحظة، تجول سبتيموس على ظهر السفينة. كان مسرورًا إذ وجد نكو وسنوري جالسين وقد تدلت ساقا كل منهما من فوق جانب السفينة، وهما ينظران إلى البحر. أما أولر، في هيئته النهارية في صورة قطة برتقالية صغيرة، فقد كان نائمًا في دفء أشعة الشمس. جلس سبتيموس بجوارهما.

قال نكو بهدوء: «أهلًا يا سِب. هل نمت جيدا؟».

قال سبتيموس بصوت خفيض: «نعم، جيدًا جدًّا، ونسيت لافظ اللهب».

قالت سنوري: «لقد كنت متعبًا للغاية يا سبتيموس، أحيانًا يكون شيئًا جيدًا أن تنام بعمق. ولافظ اللهب في أمان. هو أيضًا نائم، حسبما أظن!». وعندها هز شخير مرتفع سطح السفينة، وضحك سبتيموس.

قال: «أمر جيد حقًّا أن أراك يا نِك».

- «وأنت كذلك يا أخي الصغير».
- «اعتقدت أن بمقدورنا أن نعود على ظهر لافظ اللهب في وقت متأخر من بعد ظهر اليوم».

استغرق نكو فترة ليرد. وحين فعل لم يكن رده هو ما رغب سبتيموس في سماعه: «لا شكرًا يا سِب. أنا وسنوري، سيبحر كلانا على ظهر السيريس عائدين للوطن مع ميلو. سنمضي بعض الوقت في البحر».

قال سبتيموس: «لكن يا نِك، هذا ليس باستطاعتك».

بدا نكو غاضبا: «ولم لا؟».

- «أمي، إنها تريد حقيقة أن تراك في الوطن بأمان يا نِك. وأنا وعدتها أني سأعيدك على ظهر لافظ اللهب».

كان سبتيموس يتخيل مشهد العودة للوطن كثيرًا.. إثارة الهبوط بالتنين فوق مروج القصر، سارة وسايلاس وهما يجريان لتحيتهم، وألثر ومارشا أيضًا، وربما العمة زيلدا كذلك. كان هناك شيء ظل يتطلع إليه، الإتمام النهائي للبحث عن نكو الذي بدأه هو وجينا منذ ما بدا وكأنه وقت طويل جدًّا. لقد شعر فجأة بأنه تعرض للخداع.

قال نكو: «معذرة يا سِب، أنا وسنوري يجب أن نفعل ذلك، نحتاج إلى وقت لنعتاد الأشياء. أنا لا أريد أن أرى أمي مرة أخرى في وقت قريب. أنا لا أرغب في أن اضطر إلى إجابة كل أسئلتها وأن أكون سعيدًا ومهذبًا مع الجميع. وأبي لا يمانع الانتظار، أعرف أنه لا يمانع. أنا فقط.. فقط أريد وقتًا للتفكير، ووقتًا أشعر فيه بالحرية، ووقتًا أكون فيه نفسي.. حسنا؟».

لم ير سبتيموس أن الأمر حسن على الإطلاق، لكن سيكون من الحقارة أن يقول هذا؛ لذا فقد التزم الصمت، ولم يزد نكو على ما قاله، جلس سبتيموس مع نكو وسنوري لفترة وهو ينظر إلى البحر متسائلًا عن التغييرات التي طرأت على أخيه. تغيرات لم تعجبه. كان نكو مملًّا وخاملًا، كما لو كان عقربا ساعته يتحركان بمزيد من البطء، ولم يبد كذلك مهتمًّا كثيرًا بما يشعر به أي أحد آخر، حسبما رأى سبتيموس. ولم يشعر هو ولا سنوري بالحاجة للكلام، وهو ما كان أمرًا غريبًا، فنكو كان دائمًا لديه ما يقول، حتى

لو كان شيئًا جنونيًا بالكامل. كان سبتيموس يفتقد نكو القديم، نكو الذي كان يضحك وقت لا ينبغي أن يفعل والذي يقول الكلام بلا تفكير. أما الآن فقد بدا الأمر كما لو كان نكو عليه أن يفكر لساعات قبل أن يقول شيئًا، ثم يكون ما يقوله شيئًا جادًا وبالأحرى مملًا. بعد فترة انقضت في الجلوس في صمت، نهض سبتيموس وأخذ يتجول. ولم يبد على نكو ولا سنوري أنهما لاحظا ذلك.

في وقت لاحق من بعد الظهيرة، وبعد غداء انقضى في الاستماع إلى المزيد من حكايات رحلات البحر من ميلو، جلس سبتيموس متعكر المزاج على ظهر السفينة متكئًا على لافظ اللهب، الذي كان لا يزال نائمًا. في الحقيقة، وبعيدًا عن التهام نصف دستة من الدجاج، وكيس من السجق، وأفضل مقلاة لدى الطباخ، لم يفعل التنين شيئًا سوى النوم منذ أن وصل إلى السيريس. كان سبتيموس قد وضع السرجين فوق ظهر التنين - على أمل أكثر منه توقعًا لأن يكون قادرًا على الرحيل - أما الآن فقد جلس متكئًا على القشور، متدفئًا بالشمس، شاعرًا بالارتفاع والهبوط البطيئين لأنفاس التنين. نظر باكتئاب إلى سور المرفأ المحيط، كان الجو متألقًا ومشرقًا مع رياح خفيفة - إنه جو مثالي لطيران التنين - وكان يتعجل المغادرة. كان قد بذل ما في وسعه لإيقاظ لافظ اللهب ولكن دون جدوى. حتى الحيل مؤكدة النجاح بالنفخ

في أنف التنين ودغدغة أذنيه لم تفلح. ركل سبتيموس بضجر إحدى لفائف الحبال الحمراء المحكمة فأصيب إصبع قدمه. أراد أن يمتطي لافظ اللهب على الفور وأن يذهب للوطن بمفرده. لن يلاحظ أحد. لو أن تنينه الغبي يستيقظ فقط!

علا صوت بيتل منشرحًا: «انظر، يا أفضل التلاميذ الأُوَل».

سأله سبتيموس: «ياه، مسلٍّ جدًّا. مرحبًا يـــا بيتل.. يـــا إلهي، ما الذي ترتديه؟!».

احمرت وجنتا بيتل وقال: «ياه، لقد لاحظت!».

حملق سبتيموس في مقتنيات بيتل الجديدة؛ سترة بحرية زرقاء قصيرة مزخرفة بعدد وافر من الشارات والأربطة الذهبية.

أجاب سبتيموس: «لا يمكنني ألا ألاحظ، ماذا تكون؟».

قال بيتل بشيء من الحدة: «إنها سترة».

– «ماذا، سترة قبطان؟»

– «حسنا، لا. إنها سترة أدميرال حقيقة. يضم المتجر الكثير منها إذا كنت تريد واحدة أنت أيضًا».

– «همممم، لا شكرًا لك يا بيتل».

هز بيتل كتفيه، ثم أخذ طريقه بحذر حول أنف لافظ اللهب ووجه ابتسامة لسبتيموس لكنها سرعان ما تلاشت حين رأى تجهم سبتيموس. سأله: «هل لافظ اللهب بخير؟».

- «نعم».

سأل بيتل وقد وضع نفسه بجوار سبتيموس: «إذن ما الأمر؟».

هز سبتيموس كتفيه.

نظر بيتل لصديقه نظرة تساؤل: «هل تشاجرت مع نكو أو أي شيء من هذا القبيل؟».

- «أبدا».

- «أعني، أنا لن أكون مفاجأً لو حدث ذلك. إنه شخص عصبي جدًّا، أليس كذلك؟».

قال سبتيموس: «إنه مختلف، لم يعد يشبه **نك**. وحتى جينا أصبحت غريبة، تتصرف على طريقة الأميرات، كما لو أنها تملك السفينة أو شيئًا كهذا».

قهقه بيتل، وقال: «ربما يرجع ذلك إلى أنها تملكها بالفعل».

- «هي لا تملكها. إنها سفينة ميلو».

- «كانت سفينة ميلو. إلى أن أعطاها لها».

حملق سبتيموس في بيتل: «ماذا، السفينة كلها؟».

أومأ بيتل برأسه.

سأل سبتيموس: «لكن لماذا؟».

- «لا أعرف يا سِب. ربما لأنه والدها؟ أفترض أن هذا ما يقوم به الآباء» ثم أكمل بمسحة حزن: «لكن لو سألتني، فلكي يكسب جينا».

قال سبتيموس فيما يشبه لهجة سايلاس إلى حد كبير: «هاه».

«نعم. أتعرف، كان الأمر غريبًا. مصادفة حقيقية لقد تعثرنا في ميلو حين خرجنا لتناول الطعام. كان بالغ السعادة برؤية جينا، لكن ما استطعت رؤيته أنها لم تكن تشعر بالشعور نفسه. بعد ذلك، حين اكتشف أننا نعسكر في غرفة شبك قذرة قديمة متهالكة أصر على أن نقيم معه بدلًا منها. كان نكو وسنوري راغبين بشدة في ذلك -أنت تعرف إلى أي مدى يحب نكو القوارب وهذه الأشياء- لكن جينا رفضت. قالت إننا كنا على ما يرام في غرفة الشبك».

قال سبتيموس: «حسنًا، لقد كنتم»، وكان يفكر في أن هذا هو أول شيء معقول يسمعه عن جينا منذ فترة.

تجهم وجه بيتل: «في الواقع يا سب، كانت الغرفة مروعة. كانت تفوح منها رائحة أسماك عفنة، وكانت بها فتحة كبيرة بالسقف، وكانت غارقة في البلل وقد سقطت الأوساخ على الأرض القذرة وعلقت للأبد».

سأل سبتيموس: «إذن ما الذي حدث ليغير رأي جينا؟» ثم في إجابة عن سؤاله الخاص تابع: «أفترض أن ميلو أعطى جينا سفينته، بهذا تأتي وتقيم معه».

أومأ بيتل: «نعم، على وجه التقريب».

- «والآن ستبحر عائدة إلى الوطن معه؟».

- «حسنًا، نعم. إنه والدها على ما أظن. لكن انظر يا سِب، إذا كنت تريد بعض الصحبة في طريق العودة، فسأكون سعيدًا أن آتي معك».
- «على ظهر تنين كريه الرائحة؟».
- «نعم. حسنًا هو بالفعل كريه الرائحة، عليك أن تعترف بذلك».
- «لا هو ليس كذلك. أنا لا أدري لِمَ يبالغ الجميع في هذا الأمر. لا أعرف حقيقةً!».
- «حسنًا، حسنًا. لكني أرغب في العودة معك، بصدق».
- «حقًّا؟».
- «نعم، متى ترغب في الرحيل؟».
- «بمجرد أن يستيقظ لافظ اللهب. هذه السفينة تثير غضبي بالفعل. وإذا كانت جينا تريد البقاء في سفينتها، فلها ذلك. وكذلك نكو وسنوري».

قال بيتل بأمل: «قد لا ترغب جينا في البقاء، أنت لا تعرف. ربما تكون راغبة حقًّا في العودة على ظهر لافظ اللهب».

هز سبتيموس كتفيه وقال: «أيًّا كان».

واصل لافظ اللهب النوم. وبحلول المساء كان سبتيموس قد فقد أي أمل في الفرار في ذلك اليوم واستسلم لقضاء ليلة أخرى على ظهر السيريس.

وقف هو وبيتل منحنيين على مؤخرة السفينة يشاهدان الشفق وهو يتسلل زاحفًا. في كل مكان كانت بقع الضوء تبدأ في التلألؤ وقد أضيئت المصابيح على السفينة، وبدأت المحال والمطاعم على الرصيف تفتح أبوابها من أجل حركة التجارة المسائية. كانت أصوات أعمال النهار قد هدأت. وتوقفت أصوات الجلجلة والطَّرق الصادرة عن أعمال الشحن، وخفتت صيحات عمال التفريغ إلى ثرثرة هادئة وهم يستعدون للعودة إلى بيوتهم. كان هناك شيء ما يجول في خاطر سبتيموس.

قال: «لقد وعدت مارشا أن أعود عند منتصف هذه الليلة، لكني لن أفعل. هذا أول شيء أعدها به وأنا متدرب أول، وقد أخلفت وعدي».

قال بيتل بابتسامة: «الأمر قاسٍ في المراتب العليا».

قاطعه سبتيموس: «ياه، توقفْ عن ذلك يا بيتل».

- «اهدأ يا سِب. انظر، أعتقد أنك حصلت على هذه الأشرطة الأرجوانية وبعدها بعض... حسنا؟».
- «حسنًا».

قال بيتل وهو يخرج آلة الزمن الثمينة: «على كلٍّ، لم يحن منتصف الليل بعد، ولن يحل منتصف الليل في **القلعة** قبل زمن طويل».

- «لا فرق. لن أعود في موعدي».
- «حسنًا، أخبرها أنك اضطررت للتأخير. ستتفهم».

- «كيف يمكنني أن أفعل ذلك قبل منتصف الليل؟»

قال بيتل: «الأمر سهل. أرسل حمامة».

- «ماذا؟».

- «أرسل إحدى حمامات **المركز التجاري**. الجميع يفعل ذلك. إنها سريعة حقًّا، خاصة إذا استخدمت الخدمة السريعة».

قال سبتيموس: «أظن أن هذا سيفي بالغرض، المشكلة أن مارشا تثق بي الآن. لا أريد أن أخذلها».

- «نعم، أعرف. هيا، سأريك **مكتب بريد الحمام**».

16

مكتب بريد الحَمَام

كان **مكتب بريد الحمام** مبنى حجريًّا طويلًا منخفضًا يمثل الحدود بين المرفأين رقمي اثني عشر وثلاثة عشر. كان مكتب البريد الفعلي في الدور الأرضي، وفوقه كانت أعشاش الحمام، مقر مئات من الحمامات الناقلة.

وقد وضع مصباحان ضخمان - على رأسيهما حمامتان - على جانب البابين العريضين اللذين يؤديان إلى داخل مكتب البريد نفسه. كان سطحه الأبيض الطويل يلمع على ضوء الأنوار التي أضيئت لتوها، وحينما صار هو وبيتل أقرب، لاحظ سبتيموس أن بياض السطح ظهر لأنه متخم بمخلفات الحمام، ولم تكن رائحته رائعة. انحنيا داخلين وكل ما فعلاه أنهما تفاديا ما كان معروفًا في

المركز التجاري «بكتف الحمام» (وكان يعتبر على نحو هامشي أفضل من «رأس الحمام»).

كان مكتب البريد ممتلئًا بالحركة إلى حد كبير . كان صف من مصابيح الإضاءة العملية يضيء بنعومة من فوق الرءوس، مذكرة بيتل بقبو إيفانيا جريب. وبمحاذاة طول المكتب كانت هناك سبع نوافذ عليها علامات تقول إرسال، استقبال، متأخرات، مفقودات، مستدل عليه، تالف، شكاوى. كان أمام كل واحد منها شخص أو اثنان في الانتظار، ما عدا شباك الشكاوى الذي كان أمامه طابور طويل.

أخذ سبتيموس وبيتل طريقهما نحو نافذة الإرسال. انتظرا في صبر خلف بحار شاب، أنهى معاملته على الفور، وأقل صبرًا خلف رجل عجوز استغرق وقتًا طويلًا ليكتب رسالته ثم تجادل طويلًا بشأن التكلفة. وفي النهاية انصرف متبرمًا وانضم إلى طابور الشكاوى.

أخيرًا تقدما إلى الشباك. ودون أن ينبس ببنت شفة ناولهما الموظف - وهو رجل أشيب مترب يشبه فيما يثير الشك رأس حمامة في حالة مزرية - نموذجًا وقلم رصاص. قدم بيتل طلبًا ثم، بعناية بالغة، ملأ سبتيموس النموذج:

المستلم: مارشا أوفرستراند، الساحرة العظمى

العنوان: الدور العلوي، برج السحرة، القلعة، البلد الرطب الصغير عبر البحر

المرسل: سبتيموس هيب

عنوان المرسل: السيريس، حوض 5، مرفأ 12، المركز التجاري

الرسالة (حرف أو مسافة أو علامة ترقيم واحدة فقط في كل مربع باللوحة).

عزيزتي مارشا. وصلت بأمان. الجميع هنا. الكل بخير لكن تأخرت العودة. لافظ اللهب متعب جدًّا. نحن على متن سفينة ميلو. نحن لم نغادر بعد، لكن سنفعل في أسرع وقت ممكن. لك حب متدربك الأول، سبتيموس xxx. ملاحظة. أرجو أن تخبري السيدة بيتل أن بيتل بخير.

الخدمة المطلوبة (اختر واحدة فقط):

على راحتنا

سريعة.

وضع علامة على سريعة وسلم النموذج

تفحص الموظف النموذج ثم تجهم. وضع إصبعه بغضب على المربع الذي يحوي كلمة المرسل. كان سبتيموس قد وقع اسمه بالزخرفة المعتادة غير المقروءة. سأله الموظف «ما هذا؟».

رد سبتيموس: «اسمي».

تنهد الموظف: «حسنًا، هذه بداية فيما أظن. أين إذن الحروف الحقيقية؟».

سأل سبتيموس محاولًا التمسك بالصبر: «هل تريدني أن أكتبه مرة أخرى؟».

قاطعه الموظف: «أنا سأفعل ذلك».

- «حسنا».
- «إذن ما هو؟».
- «ما هو ماذا؟».

تنهد الموظف مرة أخرى وقال ببطء شديد: «اسمك أيها الولد الصغير. ما هو؟ أريد أن أعرف حتى أستطيع كتابته، أفهمت؟».

لم يجد سبتيموس عجبًا في وجود طابور طويل على شباك الشكاوى، قال: «سبتيموس هيب».

وبمشقة بالغة أخرج الموظف قدرًا من الصمغ، ولصق قطعة من الورق فوق التوقيع المخالف. وجعل سبتيموس يتهجأ حروف اسمه ثلاث مرات وأحدث قدرًا لا بأس به من الهرج وهو يكتبه. وأخيرًا انتهى وألقى بالرسالة داخل صندوق مكتوب عليه ختم وإرسال. ندت عن سبتيموس تنهيدة ارتياح وهو يسدد رسوم البريد ويغادر الشباك أخيرًا.

صاح صوت: «هيه أنت! سبتيموس هيب!» استدار سبتيموس ورأى الموظف عند شباك الاستلام يشير إليه «لدي رسالة لك».

توجه سبتيموس إلى الشباك: «أنا؟».

كان موظف شباك الاستلام، وهو قبطان بحري سابق ذو لحية بيضاء كثيفة، يمثل تحسنًا واضحًا عن موظف شباك الإرسال. ابتسم: «أنت سبتيموس هيب، أليس كذلك؟».

أومأ سبتيموس في حيرة: «بلى، لكني لا أتوقع أي رسائل».

قال الموظف: «حسنًا، ليس هذا يوم سعدك إذن؟» وسلم سبتيموس ظرفًا صغيرًا مطبوعًا عليه اسمه بأسلوب مكتب بريد الحمام المميز، قال الموظف: «وقع هنا من فضلك». وقدم ورقة لسبتيموس.

وقع سبتيموس باسمه، وهو واعٍ لنفسه نوعًا ما، وأعاد الورقة للموظف الذي لم يبد أي تعليق.

قال سبتيموس: «شكرًا لك».

قال الموظف مبتسمًا: «على الرحب والسعة. نحن نعمل حتى منتصف الليل إذا أردت أن ترسل ردًّا. التالي من فضلكم».

*وقف سبتيموس وبيتل أسفل أحد الفوانيس وعلى مسافة آمنة بعيدًا عن **مكتب بريد الحمام**. وبعد التأكد من عدم وجود حمام يحوم فوقهما، فتح سبتيموس الظرف الذي كان مختومًا باللون الأحمر بكلمات هيئة*

مقدم الخدمة المُفضل «ظرف آمن للرسائل غير القياسية».

أخرج سبتيموس قصاصة ورقية صغيرة، وحين شرع يقرأ اكتسى وجهه بالحيرة.

سأله بيتل: «ماذا تقول الرسالة؟».

- «لا أفهم... إنه إيصال استلام حساء الكرنب».

قال بيتل: «اقلبها، هناك كتابة على الوجه الآخر».

- «ياه، ياه، إنها من العمة زيلدا. ولكن كيف لها أن تعرف...؟!»
- «ماذا تقول؟».

*«عزيزي سبتيموس. طيه تعليمات **تعويذة السلامة** الخاصة بك. نسيت أن أعطيها لبارني بوت. لا تتردد في استخدامها لو احتجت لذلك. ستكون مخلصة وصادقة. خالص محبتي، العمة زيلدا xxx».*

- «أف، أف، أف، أف».
- سأل بيتل «أفٍّ لأي شيء يا سِب؟».
- «**تعويذة السلامة**. طفل صغير يدعى بارني بوت، حاول أن يعطيها لي، لكني لم أرد أن آخذها. لم يكن هناك سبيل لأن آخذ **تعويذة سلامة** مزعومة من شخص غريب، ليس بعدما أخذت **حجر البحث** عن طريق الخطأ من شخص ظننت أني كنت أعرفه بالفعل».

أبدى بيتل ملاحظة بانزعاج: «لكنها لم تكن من شخص غريب، كانت من العمة زيلدا».

قال سبتيموس عابسًا: «أنا أعرف ذلك الآن يا بيتل، وقتها لم أكن أعرف. بارني لم يقل إنها من العمة زيلدا؛ قال فقط إنها من إحدى السيدات. كان يمكن أن تكون أي أحد».

- «آه، حسنًا، أنا واثق من أن الأمر لا يهم يا سِب. لا أرى أنك ستحتاج إليها».
- «نعم، أحسب ذلك... لكن من الواضح أن العمة زيلدا رأت أني كنت أحتاج إليها. لا أدري لِمَ؟».

كان بيتل صامتًا وهما يسلكان طريقهما عائدين إلى السيريس. وحين اقتربا من السفينة العالية، التي صارت الآن تتلألأ بالمصابيح، قال: «إذن ما هي تحديدًا تلك التعليمات يا سِب؟».

هز سبتيموس كتفيه: «وما الذي يهم في ذلك؟ فالتعويذة ليست معي على أي حال».

كان بيتل، الذي كان مفتونًا **بالتعاويذ** من جميع الأصناف وكان يأمل أن يصبح في يوم ما متخصصًا في **التعاويذ** بدار المخطوطات، يرى أن الأمر يهم. وأمام إصراره، فتح سبتيموس قطعة ورقية أخرى يملؤها خط العمة زيلدا بالغ الدقة، من ذلك النوع الذي

استخدمته من أجل تعليمات الفتى الذئبي. وحين شرع سبتيموس في القراءة تغير رد فعله إلى الدهشة.

سأل بيتل في نفاد صبر: «ما الذي تقوله يا سِب؟».

- «اللعنة... إنها تقول، يا سبتيموس، استخدم هذه جيدًا وستكون خادمك المخلص للأبد. التعليمات كما يلي:

1 - فض غلاف القنينة في مكان جيد التهوية، ويفضل في مكان واسع مفتوح.

2 - إذا فضضتها في الخارج، فتأكد أن المنطقة محمية من الرياح.

3 - بمجرد أن يخرج الجني...».

*شهق بيتل: «جني!! يا إلهي! لقد أصابها الخرف وأرسلت لك **تعويذة سلامة** حية. أنا لا أصدق».*

كان سبتيموس صامتًا. قرأ باقي التعليمات لنفسه وقد غلبه إحساس مروع بالأسف.

كان بيتل يقول: «جني!! لا يمكنني أن أصدق أنك أفلت هذا الأمر، ياه، يا لها من فرصة!».

قال سبتيموس عابسًا: «حسنًا، فات الأوان» أعاد طي التعليمات ووضعها بعناية في حزام التدريب.

استمر بيتل دون مراعاة شيء، وقال: «كنت أفكر دائمًا في مدى روعة أن يكون لديك جني رهن إشارتك وطلبك، ولم يعد أحد يمتلك أيًا منهم يا سِب، لقد أصبحوا نادرين للغاية. فمعظمهم تم تحريرهم ولا يعرف أحد كيف يعيدهم هذه الأيام، ما عدا الجن الآخرين بالطبع، وهم لا يقولون. أووووففف...أمر خيالي إضاعة فرصة كهذه».

كان سبتيموس لديه ما يكفيه. التفت لبيتل: «انظر، عليك أن تغلق فمك بشأن هذا الأمر، هلا فعلت يا بيتل؟ حسنًا، أنا لم آخذها وحسنًا، ربما كان هذا غباء، ولكني لم أفعل وهذا نهاية الأمر».

- «هيه، اهدأ يا سِب. أنا لم أقل مطلقًا إنه غباء. ولكن انظر... ربما..»
- «ربما ماذا؟»
- «ربما ينبغي لك أن ترسل رسالة إلى العمة زيلدا لتقول لها إنك لم تحصل عليها. سيكون عليها أن تستعيدها من بارني بأسرع ما يمكنها. أعني، بافتراض أنه سيفتحها».

هز سبتيموس كتفيه بغضب.

واصل بيتل: «هذا مهم يا سِب، إذا كانت العمة زيلدا قصدت أن تكون لك، فستكون قد أيقظته بإخباره بكثير من الأمور عنك، كل شيء عن عائلتك، عن كيف تبدو، كم أنت رائع وكيف

سيكون الجني مميزًا بخدمتك طيلة ما بقي له من أيام... إلخ إلخ إلخ. لقد رأيت نسخة مكتوبة من نشيد إيقاظ، وهو مثل عقد قانوني حقيقي، وإذا لم يكن النصف الآخر من العقد موجودًا، فعندئذ يعتبر الجني نفسه محررًا؛ لذا فإذا أخذ الفضول هذا الطفل بارني بوت وأخرج الجني، فستكون هناك مشكلة كبيرة. سيكون الجني حرًّا ليسبب خرابًا.. وأراهن أنه سيفعل. والشخص الوحيد الذي سيكون لديه الأمل في السيطرة عليه هو الشخص الذي أيقظه».

قال سبتيموس: «العمة زيلدا؟».

- «نعم. عليك أن تخبرها يا سِب».

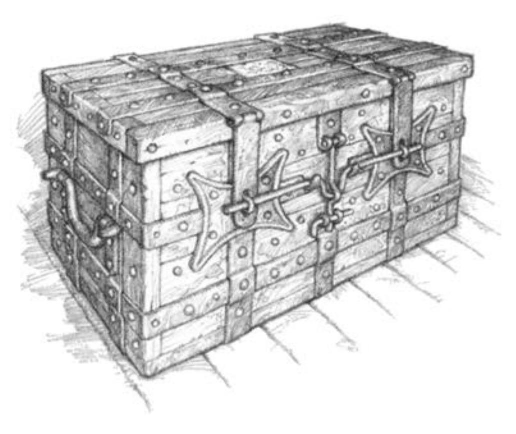
كان سبتيموس وبيتل قد وصلا إلى السيريس. انحنى البحار الذي يرتدي زيًّا بالغ النظافة حين خطا سبتيموس على سلم الصعود. وانحنى البحار مرة أخرى بعدما مر سبتيموس.

تنهد سبتيموس: «حسنًا، أنت على حق. سنذهب ونرسل رسالة. وإذا حاول ذلك الموظف أن يكون مرحًا مرة أخرى فسوف...».

وضع بيتل ذراعه في ذراع سبتيموس وقال: «نعم، أنا أيضًا سوف...».

17

الصندوق



بينما كان سبتيموس وبيتل يمران بتحدي الحَمَام مرة أخرى، قبعت جينا فيما لا يختلف عن الحمامة نفسها؛ إذ كانت جالسة تؤرجح قدميها بثقة من فوق طرف صاري السفينة الأمامي الأشد انخفاضًا وهي تتابع تفريغ شحنة ميلو التي طال انتظارها. معلقًا على ذراع إحدى الرافعات، كان هناك صندوق ضخم عتيق من خشب الأبنوس مربوط بقيود حديدية وكان يتأرجح ويدور وهو ينزل ببطء إلى داخل عنبر الشحن.

وقف ميلو باندا عند حافة العنبر، مربع الذراعين، وقد انعكست الشمس من الأطراف الذهبية لسترته الحمراء الطويلة. تدلى شعره الأسود الطويل مسترسلًا على كتفيه مثبتًا بالمزيد من الذهب؛ عقال عريض رأى ميلو أنه يعطيه نوعًا من الهيبة (وكان بالفعل يعطيه علامات حمراء على جبهته حين يخلعه ليلًا). في تلك اللحظات، بدا ميلو باندا أشبه برجل حقق النجاح وهو فخور بذلك.

وإلى الأسفل بعيدًا عن قدمي ميلو باندا الذي ارتدى صندلًا، انفتح عنبر الشحن داخل أعماق السيريس. كان المكان مضاءً بستة مشاعل غمست في قطران، يحمل كلَّ واحد منها عامل متلهف يقود الصندوق الثمين إلى مكانه. كان العنبر نفسه لا يمتلئ أكثر من نصفه على الأكثر. وكان يحتوي على المزيج المعتاد من الأشياء الغريبة المتجهة إلى **القصر** وبعض الأشياء والتي ينوي ميلو بيعها في **الميناء**.. بالات من الأقمشة الصوفية، ومجموعة مختارة من قلادات اللؤلؤ من **جزر البحار الضحلة**، وكومة من جلود حيوان الرنة من **أرض الليالي الطويلة** وعشرة صناديق تحتوي على أطباق متنوعة، وأحذية ذات رقبة، وسترات قطنية، ومصائد فئران مشتراة بأسعار زهيدة من أحد المزادات الليلية الغامضة **بالمركز التجاري**.

ولسارة هيب كانت هناك حقيبة من الكئوس الفضية، والتي فكر ميلو أنها ستكون تطويرًا هائلًا للكئوس الفخارية الخشنة التي تصر

على استخدامها. كان هناك أيضًا أدوات تستهدف إنعاش (حسب تعبير ميلو) الممشى الطويل. من بينها كان زوج من التماثيل المطلية التي كان قد اشتراها بسعر معقول من بعض التجار من أرض **الرمال المغنية**، مصحوبة بالجرار السياحية المزخرفة المروعة الخاصة بما يسمى الرمل المغني، الذي كانت به عادة أن يظل صامتًا بمجرد تعبئته. كان هناك كذلك مجموعة من الصور الغريبة المصنوعة من المحار وعائلة من ثعابين البحر العملاقة المحنطة، وقد تخيلها ميلو (بتفاؤل مفرط، حين كُشف عنها) وقد تدلت من سقف **الممشى الطويل**.

كان ميلو سعيدًا بهذه المقتنيات، غير أنها لم تكن السبب الذي بقيت من أجله السيريس راسية في مرساها الرئيسي في المرفأ رقم اثني عشر لأسابيع طويلة جدًّا باهظة التكلفة. كان السبب في ذلك قد هبط بعناية بالغة أمام عيني ميلو الحارستين واختفى في الجوف الذي تضيئه المشاعل. ابتسم ميلو، وقد استقر الصندوق الذي يقوده العمال داخل المكان المخصص له، والذي كان يناسبه تمامًا.

أشار ميلو لجينا، التي كانت لا تزال محلقة في نقطة المراقبة، وتبدو مدربة كما لو كانت هي نفسها واحدة من البحارة، لفَّت جينا نفسها فوق طرف الصاري، وانزلقت على أحد الحبال وهبطت بخفة على ظهر السفينة. تابعها ميلو بابتسامة، متذكرًا اليوم الذي

أصرت فيه والدتها على تسلق الكرمة النابتة على جدار **القصر**، صاعدة إياها حتى السطح، فقط لتجلب كرة تنس، ثم انزلقت نازلة، آخذة معظم الأوراق معها. كانت قد هبطت ضاحكة، مغطاة بالأغصان والخدوش، وكانت كذلك قد فازت بالمباراة. كل يوم كان يقضيه مع جينا، كان يتذكر المزيد عن والدتها، رغم أن ميلو أحيانًا يتمنى ألا يفعل؛ فلم يكن هناك سوى الكثير من الذكريات التي يمكنه أن يتذكرها.

انضمت له جينا، فنفض ميلو ما يراوده من أفكار. قفز إلى السلم وتقدم الطريق نزولًا إلى داخل العنبر. تبعته جينا، صار الهواء باردًا ورطبًا وهي تنزل داخل جوف السيريس نحو ضوء ألسنة المشاعل المترجرجة وجو الإثـارة الذي أحاط بالمقتنيات الجديدة. للمفاجأة، كانت المسافة إلى الأسفل طويلة، لم تكن جينا قد لاحظت حجم السفينة الذي يقبع تحت سطح الماء. وأخيرًا انضمت لميلو على أعتاب السلم، وبصحبة عامل يحمل مشعلًا لينير الطريق، قادها إلى الصندوق.

تراجعت جينا، فقد لف الصندوقَ شعور غريب، ولم تكن واثقة من أنها أحبت ذلك كثيرًا.

ابتسم ميلو، وقال: «بإمكانك أن تلمسيه، لن يعضك».

تقدمت جينا في حذر نحو الصندوق ولمسته. كان الخشب القديم باردًا وصلبًا مثل المعدن. كان منبعجًا وبه خدوش، وكان ذا

بريق بني مائل للسواد يعكس الضوء المنبعث من ألسنة المشاعل، أضفى عليه مظهرًا خارجيًّا غريبًا يوحي بالحركة. كانت الأربطة الحديدية حوله ممتلئة بنقر الصدأ والشقوق، وبدا الصندوق وكأنه مر بأوقات عصيبة. وقفت جينا على أطراف أصابعها وكانت بالكاد تستطيع رؤية غطاء الصندوق حيث كان مثبتًا في الخشب مربع كبير من الذهب، وقد حفرت في الذهب ثلاثة أسطر من الكتابة الهيروغليفية.

قالت جينا: «تبدو هذه الكتابة مثيرة، ماذا تقول؟».

- «لا تزعجي نفسك بتلك الأشياء القديمة» قال ميلو ذلك باستخفاف، ثم التفت إلى العمال: «اتركونا».

قدم العمال التحية بسرعة وانصرفوا.

انتظر ميلو حتى تسلق آخر رجل قمة السلم ثم التفت إلى جينا وقد امتلأت عيناه ببريق النصر. كانت جينا قد صارت الآن تعرف ميلو بما يكفي لتستشعر أنه مقبل على إلقاء خطبة. ندت عنها تنهيدة.

قال ميلو: «حسنًا، يا لها من لحظة. منذ أن قابلت أمك وأنا أبحث عن هذا...».

- «أمي؟» سألته جينا وهي تتعجب: لماذا قالت سارة هيب لميلو أن يذهب ويبحث عن صندوق قديم منبعج؟ إلى أن

تذكرت أن ميلو كان يتحدث عن **الملكة سيريس**، التي أطلقت عليها سارة هيب «الأم الأولى».

- «نعم، العزيزة، أمك العزيزة. آه يا جينا، لكَمْ تشبهينها! أتعرفين، لقد اعتادت أمك أن تنظر لي بالنظرة نفسها التي تنظرين بها لي الآن، خاصة حين كنت أخبرها عن خططي الرائعة، لكن الآن أتت خططي ثمارها أخيرًا، وصرنا نملك هذه الثمرة الحقيقية.. مممم.. الصندوق في أمان داخل السيريس. وما هو حتى أفضل، أن أميرتي هنا أيضًا، في تمام لحظة وصوله. فأل حسن على نحو رائع، هل لك ألا تقولي ذلك؟» بعد سنواته العديدة في البحر، اكتسب ميلو قدرًا معينًا من خرافات البحارة.

لم تجب جينا، التي لم تكن مقتنعة كثيرًا بالفأل.

وضع ميلو يده على غطاء الصندوق وابتسم لجينا: «أظن أن علينا أن نفتحه، أليس كذلك؟».

أومأت جينا دون أن تكون واثقة. فعلى الرغم من أنها كانت يملؤها الفضول لرؤية ما بداخل الصندوق، لم تستطع أن تبعد شعورها بعدم الارتياح في وجوده.

لم ينتظر ميلو تقريبًا موافقة جينا. أخرج مسمار فك العقد من حزامه، وبدأ في حل الشرائط الجلدية التي تشد القيود الحديدية بعضها إلى بعض من أبازيمها النحاسية السميكة. سقط القيد

الأول محدثًا جلبة جعلت جينا تقفز من مكانها؛ وسقط الثاني على قدم ميلو.

شهق ميلو: «هه»، وعضَّ على أسنانه وهو يمسك الغطاء ويفتحه لأعلى ببطء حتى استقر مستندًا على شريطين باقيين.

قال ميلو بفخر: «انظري بالداخل، كل هذا ملكك».

شبت جينا على أطراف أصابعها ونظرت بالداخل ثم قالت: «ياه!».

قال ميلو: «لا ينبغي أن تصيبك خيبة أمل، إن هذا كنز أعظم مما يمكن أن تتخيلي».

شكت جينا في أن يكون هذا ممكنًا، كان بإمكانها تخيل كنز كبير الحجم لو فكرت في الأمر. نظرت داخل الصندوق في ارتباك، ما هذا الذي أحدث ميلو ذلك الضجيج من أجله؟ كان كل ما أمكنها رؤيته هو مجرد خشب أصابه التسويس، ليس به حتى إطار فضي، مثلما كان الكثير من صناديق المجوهرات. كان يحتوي على صفوف من أنابيب الرصاص المنبعجة المليئة بالخدوش موضوعة في أطباق خشبية مرصوصة بانتظام. كان كل أنبوب مغلفًا بالشمع وبه خط ملتو صغير محفور عليه. كانت مرتبة في مربعات منظمة في مجموعات كل منها مكون من اثني عشر أنبوبًا، وكل مجموعة عليها النقش نفسه. كانت منظمة على نحو

ملحوظ لكنها ليست في حجم المجوهرات والعملات المعدنية التي كانت تتوقعها جينا.

سألها ميلو وقد بدا محبطًا نوعًا ما: «ألست منبهرة؟».

فكرت جينا في شيء إيجابي تقوله: «حسنا، هناك الكثير منها. و..همممم، أنا واثقة أن الأمر كان صعبًا للعثور على عدد كبير منها».

قال ميلو وهو يحملق داخل الصندوق مأسورًا: «ليس لديك أدنى فكرة عن مدى تلك الصعوبة، لكنها تستحقها، انتظري وسترين». استدار إلى جينا وقد لمعت عيناه: «الآن فإن مستقبلك بوصفك ملكة صار مضمونًا. آه، فقط لو كنت استطعت أن أعثر عليها في الوقت المناسب من أجل أمك العزيزة....»

نظرت جينا إلى الصندوق وهي تتساءل عما إذا كان هناك شيء لا تفهمه.

سألت: «إذن هل هناك شيء مميز تحت هذه الـ... امممم، الأنابيب هذه؟».

بدا ميلو منزعجًا نوعًا ما: «أليست هذه مميزة بما يكفي؟».

سألت جينا: «ولكن ماهي؟ وما المدهش للغاية فيها؟».

قال ميلو وهو يغلق الصندوق في إجلال: «أرجو ألا تحتاجي أبدًا إلى اكتشاف ذلك».

خالج جينا شعور داخلي بالانزعاج. تمنت لو أن ميلو لم يكن بكل هذا الغموض. بدا الأمر لها وكأنه لا يقول شيئًا أبدًا بصراحة. كان يقدم تلميحات لكنه يبقي دائما شيئًا في الخفاء، جعلها تتساءل، وقد رغبت في معرفة ما هو أكثر قليلًا. كان الحديث معه أشبه بمحاولة إمساك الظلال.

شغل ميلو نفسه بتأمين الأربطة حول الصندوق.

«حين نعود إلى **القلعة**، سآخذ هذا مباشرة إلى **القصر** وأضعه في **قاعة العرش**».

«قاعة العرش؟ لكني لا أريد...»

«جينا أنا مُصِرٌّ، ولا أريدك أن تخبري أي أحد بما في هذا الصندوق. يجب أن يكون هذا سرّا خاصّا بنا. لا يجب أن يعرف أحد».

قالت جينا: «ميلو، أنا لا أخفي أي أسرار عن مارشا».

قال ميلو: «آه، بالطبع سنخبر مارشا، في الحقيقة، سنحتاجها لمصاحبتنا إلى السراديب في دار المخطوطات، حيث سأذهب لجمع الـ... هممم، القطعة الأخيرة من هذه الشحنة. ولكني لا أرغب أن يعرف أحد على متن السفينة أو في **المركز التجاري**. فلست الشخص الوحيد الذي كان يبحث عن هذه، لكني الشخص الذي حصل عليها، وهذا هو الحال الذي أنوي أن يظل الأمر عليه. أنت تفهمين، أليس كذلك؟».

قالت جينا بلا حماس: «أفهم». قررت أنها، أيًّا كان ما قاله ميلو، ستخبر سبتيموس وكذلك مارشا.

- «رائع. والآن فلنؤمن الصندوق من أجل رحلته للوطن»

ورفع ميلو صوته: «فلينزل العمال إلى العنبر».

بعد عشر دقائق ملأت رائحة القطران الساخن الجو. كانت جينا عائدة للسطح وهي تشاهد أبواب العنبر تنخفض واحدًا تلو الآخر حتى صارت كلها في أماكنها. كانت ألواح خشب الساج على الأبواب تنتظم على نحو متقن مع الألواح على السطح. تأكد ميلو أن كل شيء مؤَمَّن، ثم أشار إلى عامل شاب كان يقلب قدرًا صغيرًا من القطران فوق اللهب، أخذ العامل القدر من فوق اللهب وأحضره لميلو.

تابعت جينا ميلو وهو يفتش في أحد جيوب سترته، وبشكل خفي نوعًا ما، أخرج قارورة سوداء صغيرة. قال ميلو للعامل: «أبق القدر معتدلًا يا جيم، فسأضيف هذا للقطران. أيًّا كان ما يجري لك، لا تتنفس». نظر العامل لميلو بقلق وسأله: «ما هذا؟»

قال ميلو: «إنه ليس بالشيء الذي ستصادفه في حياتك، حسنًا، آمل ألا يحدث بأي حال. لا أود لمسعفنا العبث مع هذه».

ارتفعت سحابة سوداء من البخار؛ أدار جيم وجهه وسعل.

قال ميلو: «سخنها حتى الغليان ثم صبها كالمعتاد وشمِّع العنبر».

«تمام، ياسيدي» قال جيم ذلك وأعاد القدر إلى اللهب. انضم ميلو لجينا.

سألته: «ما كان ذلك الشيء؟».

*أجاب ميلو: «آه، مجرد شيء بسيط حصلت عليه من **متجر أغذية السحر الأسود** في المرفأ رقم ثلاثة عشر. فقط للحفاظ على كنزنا في أمان حتى **الميناء**. لا أريد أن يدخل أي أحد إلى العنبر».*

*قالت جينا: «آه، تمام». لم تصدق للحظة أن ميلو كان يعبث بتلك الأشياء **السحرية**، وأزعجها أنه يفعل. في صمت، توقفت وتابعت جيم وهو يبعد قدر القطران عن اللهب ويمشي بحذر شديد حول حافة الأبواب المؤدية للعنبر، ويصب دفقة رفيعة من القطران الأسود اللامع داخل الفتحة التي بينها وبين السطح.*

وفي فعل أدهش جينا، وضع ميلو ذراعه حول كتفيها وسار بها عبر السطح في الاتجاه المعاكس من المرفأ، بعيدًا عن الحشد الصغير من المعجبين الذين يتجمعون دائمًا للحملقة في السيريس. قال: «أعرف أنك تظنينني أبًا مهملًا، هذا حقيقي، ربما أكون كذلك، لكن هذا ما كنت أبحث عنه، هذا هو سبب ابتعادي كثيرًا. وفي القريب العاجل، إذا تهيأ لنا العبور الآمن والرياح المعتدلة، فسيكون آمنًا في القصر. وكذلك ستكونين أنت».

نظرت جينا لميلو: «ولكني ما زلت لا أفهم. ما الأمر المميز جدًّا فيها؟».

قال ميلو: «ستكتشفين في الوقت الصحيح».

- «لماذا لا تجيب أبدًا عن أسئلتي بطريقة ملائمة؟»

أكمل ميلو بغياب تام لإدراك أن ابنته تتوق للصراخ: «تعالي يا جينا، فلننزل للأسفل. أظن أن بعض الاحتفالات يجري ترتيبها».

قاومت جينا حاجة ملحة في ركله.

وبينما كان ميلو يقود جينا للأسفل كان جيم ينظر بشك إلى الرواسب السوداء الملتصقة بقعر القدر. وبعد تدقيق النظر ألقى القدر من فوق جانب السفينة. لم يكن جيم دائمًا عاملًا قليل الشأن. كان في وقت ما يقضي فترة تلمذة لدى طبيب شهير في **أرض الليالي الطويلة**، إلى أن وقعت ابنة الطبيب في غرام ابتسامته الخادعة وشعره الداكن المموج، وصارت الحياة معقدة جدًّا من وجهة نظر جيم. ترك جيم التلمذة مبكرًا، لكنه كان قد تعلم ما يكفي ليعرف أن **مواد التشميع السحرية** ليست من نوعية الأشياء التي يرغب أحد أن تكون على متن سفينة. خطا بحذر فوق شريط القطران الرفيع الذي يحدد خط أبواب عنبر الشحن واتجه للأسفل إلى العيادة، حيث كتب لافتة للطاقم تعلمهم بألا يخطوا فوق أختام باب عنبر الشحن. وفي العمق داخل عنبر الشحن، كانت محتويات الصندوق الأبنوسي القديم تقبع في الظلام وتنتظر.

18

عرض

اتخذ احتفال ميلو شكل احتفالية مذهلة للغاية على السطح، على مرأى كامل من رصيف المرفأ رقم اثني عشر؛ فقد أقيمت سقيفة حمراء مزينة بالذهب وفُرشت أسفلها طاولة ممتدة وبسطت عليها كل أنواع التجهيزات الفاخرة: مفرش حريري أبيض، وكئوس فضية، وأدوات مائدة ذهبية، وأكوام من الفاكهة (لم تكن كلها حقيقية)، وغابة من الشموع. رصت حول الطاولة «ستة» مقاعد عالية الظهر بها ما يشبه على نحو مريب تيجانًا صغيرة موضوعة على قمتها.



اتخذ ميلو مكانه على رأس الطاولة، وجينا عن يمينه، وكان سبتيموس يتلو جينا، أما بيتل، المتألق تمامًا في سترة الأدميرال، فقد ترك بعيدًا نوعًا ما عند آخر المائدة، بالقرب من لافظ اللهب النائم ونسمات أنفاس التنين التي تهب بين الحين والآخر. وعن يسار ميلو جلست سنوري وتحت قدميها تقريبًا أولر في هيئته الليلية، وإلى جوارها نكو.

أخذ ميلو زمام الحديث، الذي اقتصر عليه فقط؛ إذ شعر كل الآخرين بحرج بالغ من التحدث. وعلى رصيف المرفأ بالأسفل كان حشد متزايد آخذ في التجمع يراقب العرض باهتمام ممتع، بالأحرى وكأن الناس سيشاهدون الشمبانزي في حديقة حيوان. حاولت جينا أن تلتقي بنظر سبتيموس، على أمل الحصول على نظرة تعاطف، غير أن سبتيموس جلس بادي الحزم محملقًا في طبقه بسخط. دارت جينا بعينيها حول المائدة لكن أحدًا لم يبادلها النظر، ولا حتى بيتل، الذي بدا أنه وجد شيئًا شائقًا للغاية جذب نظره على قمة أقرب صارٍ.

شعرت جينا بانزعاج مروع؛ كانت قد بدأت تتمنى لو أنها لم تصطدم بميلو في ذلك المقهى الحقير في المرفأ رقم واحد، لكن في ذلك الوقت بدا كل شيء مثيرًا؛ دعوتهم لسفينة ميلو، وسعادة نكو وسنوري بالوجود على ظهر السيريس، والشعور الرائع، الذي لاقى ترحيبًا بعد الأيام الأخيرة المرهقة، بأن هناك من يهتم لأمرك،

والنوم في سرير مريح والاستيقاظ وهي تعلم أنها في أمان. وبعد ذلك كانت هناك الإثـارة التي صاحبت إخبار ميلو إياها بأن السيريس صارت الآن سفينتها، على الرغم من تراجعه عن ذلك بشكل ما حين قال لاحقًا إنها، بطبيعة الحال، لا يمكن أن تكون سفينتها في الحقيقة إلا حين تبلغ الخامسة والعشرين، وهي السن التي يمكنها فيها تسجيل الملكية. فكرت جينا في أن هذا، مطابق لمعظم الأشياء التي قدمها ميلو، إنه دائمًا يحتفظ بشيء ما رهن سيطرته. سرت داخل جينا فجأة مشاعر ارتباك. كانت مع ثلاثة ممن تهتم بهم أيما اهتمام، استثنت جينا سنوري من القائمة، وقد جعلتهم يجلسون خلال هذا العرض، كل ذلك بسبب أنها سمحت لنفسها أن تثير عناية ميلو حماسها.

مرت الاحتفالية ببطء يبعث على الاستياء، وأمتعهم ميلو كالمعتاد بذخيرته من قصص البحر، التي كانوا قد سمعوا الكثير منها من قبل، والتي كان ينتهي معظمها بانتصار ميلو على حساب الآخرين.

وبينما كان ميلو يتحدث في رتابة، قدم طباخ السفينة سلسلة متتابعة من الأطباق بالغة التنميق، كان كل منها أشد زخرفة ومكدسًا بأعلى ما يكون، فلم تكن تختلف عن الباروكات التي يرتديها المسئولون في المرفأ رقم اثني عشر. كان كل طبق يأتي مصحوبًا باستعراض كبير من العمال، الذين صاروا الآن يرتدون ستراتهم

البيضاء والزرقاء الخاصة بالمساء، والأسوأ بين كل ذلك، خطبة مزعجة على نحو مروع من ميلو، الذي أصر على إهداء كل طبق لواحد منهم بادئًا بجينا.

وحين جاء الدور على طبق الحلوى -الذي كان مُهدى لبيتل- كان حشد المشاهدين قد أصبح صاخبًا وبدءوا في إلقاء التعليقات، ولم يكن أي منها ملائمًا بوجه خاص. لمعت أذنا بيتل بحمرة متألقة، متمنيًا أكثر من أي شيء آخر في العالم أن يختفي على الفور، وهو يتابع أحد العمال وهو يخرج من الفتحة رافعًا ذراعه بالحلوى بفخر. كانت ابتكارًا غريبًا على نحو استثنائي؛ طبق كبير من شيء أسود متأرجح، يحتمل أن يكون قنديل البحر، ويحتمل كذلك أن يكون فطرًا جُمع من أعماق عنبر السفينة. وفي إجلال، وضع العامل الطبق في وسط المائدة. حملق الجميع في اندهاش. وفي صدمة أدركوا جميعًا أنه يشبه -وربما كان بالفعل- خنفساء عملاقة مسلوقة ومقشرة وموضوعة فوق بطانة من أعشاب البحر.

كان ميلو يستمتع باللحظة. كان بيده كوب، وبصحبة التصفيق والصفير المتفرق من الحشد بالأسفل، وقف ليهدي الحلوى لبيتل، الذي كان يفكر بجدية في إلقاء نفسه من السفينة. ولكن، حين فتح ميلو فمه لإلقاء خطبته، انقض عليهم لافظ اللهب.

كانت لحظة سيظل بيتل يثمنها لوقت طويل جدًّا.

كان لافظ اللهب قد استيقظ وهو يتضور جوعًا وما كان ليعبأ كثيرًا بما يأكله. أقحم رأسه من فوق بيتل وأرسل لسانه الأخضر الطويل زاحفًا فوق الطاولة. صرخت سنوري، التي شعرت بانفعال شديد. وثب ميلو على قدميه وقذف أنف لافظ اللهب بمنديله بقوة دون أي تأثير فيما شفط التنين هلام الخنفساء ثم المنديل بشفطة طويلة مزعجة. ولكن هلامًا على شكل خنفساء ومنديلًا من الحرير الخالص ما كانا ليسدا رمق تنين جائع. فعلى أمل أن يجد شيئًا آخر ليأكله واصل لافظ اللهب الشفط، وفي ضوضاء تشبه مياه تهدر في مصرف – لكن بصوت أعلى ألف مرة – بدأت الأدوات الثمينة التي فوق الطاولة في الاختفاء.

صرخ ميلو: «إلا الأقداح» وأخذ يبعد أقرب الأقداح الفضية. ارتفعت صيحات الضحك من الحشد الذي تزايد بسرعة بالأسفل. أسقط ميلو الأقداح وقد رأى مفرش الطاولة الحريري يختفي داخل فم لافظ اللهب، وتشبث بقوة بطرف المفرش وجذبه. تعالت الهتافات وبعض صيحات التشجيع من وسط الحشد. ولم يحرك أحد آخر ممن حول الطاولة ساكنًا. بدأت مسحة ابتسامة تظهر على جانبي فم سبتيموس وهو يشاهد طبقه يرحل عبر الطاولة رغم جهود ميلو الفائقة.

ألقى نظرة سريعة نحو نكو، ومما كان مفاجئًا وسارا له، أنه وجد إشارات تنم عن ضحكة مكتومة. وعندئذ، ووسط أزيز

يصيب بالصمم، اختفت كامل محتويات الطاولة داخل فم لافظ اللهب. انطلق صوت مدوٍ من فم نكو ووقع من فوق كرسيه في نوبة من الضحك. أما سنوري، التي اعتادت على نكو الأكثر جدية، فقد راقبته في حيرة وهو يتمدد في اهتزاز على السطح. ومن الرصيف بالأسفل انتشرت كالموجة أصوات رد الفعل الضاحكة.

نظر ميلو إلى أطلال أمسيته بفزع. أما لافظ اللهب فقد نظر إلى الطاولة الفارغة بخيبة أمل. فقد قعقعت معدته بأشياء حادة وكان لا يزال جائعًا. أما ميلو، الذي لم يكن على ثقة تامة بما إذا كانت حدود التنين ستقف عند التهام البشر، فقد أطبق على يد جينا وبدأ في التراجع بعيدًا جاذبًا إياها لتنزل على قدميها.

نزعت جينا يدها بعيدًا، وقالت بعنف: «لا تفعل».

بدا ميلو متفاجئًا ومتأذيًا نوعًا ما، وقال: «ربما يجدر بنا أن نجد إقامة بديلة لتنينك».

قالت جينا: «إنه ليس تنيني».

- «ها، لكنك قلت...»
- «أعرف أنني قلت. ولكن ما كان يجب أن أفعل. أنا فقط الملاح. إنه تنين سِب».
- «آه. حسنًا، في هذه الحالة أنت تفهمين بالقطع أن التنين يخضع للوائح الحجر الصحي الخاصة **بالمركز التجاري**. بالطبع، بينما هذا الشيء...».

صححت له جينا: «هو..»

- «حسنًا، بينما هو على متن السفينة لا تطبق عليه اللوائح، لكن بمجرد أن يضع هذا الشيء..»
- «هو».
- «بمجرد أن يضع هو.. هم» ألقى ميلو نظرة نحو لافظ اللهب ليتأكد أن لديه أقدامًا حقًّا: «قدمه على الأرض سيكون لزامًا اصطحابه إلى الحجر الصحي».

وقف سبتيموس وقال: «لن يكون هذا ضروريًّا؛ فلافظ اللهب سيغادر الآن. نشكرك على استضافتنا، ولكن أما وقد استيقظ لافظ اللهب فعلينا الذهاب، أليس كذلك يا بيتل؟»

كان بيتل منشغلًا بإبعاد خرطوم لافظ اللهب: «ابتعد يا لافظ اللهب. آه... بلى، سنفعل. ولكن شكرًا لك يا سيد ميلوباندا. شكرًا للسماح لنا بالإقامة على ظهر سفينتك. أقصد سفينة جينا. كان شيئًا...شائقًا بالفعل».

كان ميلو يستعيد زمام أمره. ابتسم بأدب وقال: «على الرحب والسعة، أيها الكاتب»، ثم التفت إلى سبتيموس: «ولكن المؤكد، أيها المتدرب، أنك لا تنوي الطيران على الفور. لقد جبت البحار السبعة على مدى سنوات طوال، وأستطيع أن أقول لك إنني أشم رائحة عاصفة في الجو».

كان سبتيموس قد سمع ما يكفي عن البحار السبعة ليظل على علم بها لمدة طويلة، وسمع الكثير جدًّا عن مهارات ميلو في التنبؤ بالطقس.

قال وهو يتجه نحو بيتل: «سنطير فوقها، أليس كذلك يا بيتل؟».

أومأ بيتل وهو غير متيقن نوعًا ما.

بدا ميلو متحيرًا، فقال: «ولكن ليس هناك ما هو فوق عاصفة»؟

هز سبتيموس كتفيه وربت على أنف تنينه وقال: «لافظ اللهب لا يهتم بعاصفة صغيرة، أليس كذلك يا لافظ اللهب؟».

صهل لافظ اللهب وسقط خيط من لعاب التنين على شريطي سبتيموس الأرجوانيين الثمينين، مخلفًا بقعة داكنة ربما لا تزول أبدًا.

بعد خمس دقائق كان لافظ اللهب يقبع مثل نورس ضخم على الجانب الأيمن من السيريس، مواجهًا للبحر، وصار الرصيف مزدحمًا بحشد أكبر وأكثر حماسًا. استقر سبتيموس في موقع القائد الغاطس خلف عنق التنين، وجلس بيتل إلى الخلف تجاه الذيل، محشورًا وراء السرجين. وكان مقعد الملاح، مع ذلك، لا يزال خاليًا.

وقفت جينا بجوار لافظ اللهب، وقد أحكمت معطفها في مواجهة الرياح الباردة التي بدأت في الهبوب على المرفأ. قالت:

«ابق هنا الليلة يا سِب، أرجوك. بمقدور لافظ اللهب أن ينام على السطح لليلة أخرى. لا أريدك أن تذهب أنت وبيتل وسط الظلام».

أجاب سبتيموس: «علينا أن نذهب يا جين، لا سبيل لنوم لافظ اللهب الليلة. سيتسبب فقط في خلق متاعب. وإذا وُضع في الحجر الصحي... حسنًا، لا أريد حتى أن أفكر في ذلك. على أي حال، نحن نرغب في الذهاب، أليس كذلك يا بيتل؟».

كان بيتل يتابع السحب الداكنة التي تتحرك بسرعة أمام القمر. لم يكن واثقًا تمامًا. وخارج سور المرفأ كان بإمكانه رؤية اشتداد الأمواج، وتساءل عما إذا كان محقًّا بشأن قدوم عاصفة، قال: «ربما أصابت جينا يا سِب، ربما يجدر بنا أن نبقى الليلة».

وافقه ميلو قائلًا: «يجب أن تنتظرا للغد، سيقيد الطاقم التنين إلى الصاري الرئيسي الليلة»، تبادل بيتل وسبتيموس وجينا نظرات مرتعبة، وواصل ميلو كلامه: «وغـدًا، وبينما التنين في أمان، سنتناول إفطار وداع كبيرًا على السطح؛ لنراكما وأنتما تطيران بطريقة مثيرة للإعجاب. ما رأيكم في ذلك؟».

كان سبتيموس يعرف تمامًا رأيه في ذلك، قال: «لا، شكرًا لك، استعد يا لافظ اللهب!» فرد لافظ اللهب جناحيه ومال للأمام وسط الريح. انحرفت السيريس على نحو مأساوي على ميمنتها وصرخ شخص ما على الرصيف.

صاح ميلو وهو يتشبث بحاجز السفينة: «احذروا».

نظر سبتيموس نحو جينا وسألها: «هل ستأتين أيتها الملاحة؟».

هزت جينا رأسها، ولكن كان هناك شيء يدعو للأسف في قسماتها جعل بيتل يتشجع، فقال: «جينا، تعالي معنا!».

ارتبكت جينا. كانت تكره أن يذهب سبتيموس بدونها، ولكنها كانت قد وافقت على العودة على متن السيريس مع ميلو. وكان هناك نكو أيضًا؛ كانت تريد أن تكون معه وهو يبحر عائدًا إلى الوطن. نظرت نحو نكو في تردد؛ رد عليها بابتسامة لطيفة ووضع ذراعه حول سنوري.

قال بيتل ببساطة شديدة ودون توسل: «أرجوكِ تعالي معنا يا جينا».

قاطعه ميلو: «بالطبع لا يمكنها الذهاب معكما، مكانها هنا، مع سفينتها. ومع والدها».

كان هذا كفيلًا بالأمر، قالت وقد حدجت ميلو بقوة «بوضوح، هي ليست سفينتي على كل حال، وأنت لست والدي الحقيقي. والدي هو...»، وعندها لفت ذراعيها حول نكو «أنا آسفة يا نِك. إني راحلة. أتمنى لك رحلة آمنة وسأراك مجددًا في **القلعة**». ابتسم نكو ورفع لها إبهامه قائلًا: «أنت فتاة صالحة يا جين، كوني حذرة».

أومأت له جينا. بعدها رفعت يديها وأمسكت بعظمة **الملاح** وسحبت نفسها للأعلى إلى داخل مكان الملاح خلف سبتيموس مباشرة، وقالت: «انطلق يا سِب».

صاح ميلو: «انتظر!» لكن لافظ اللهب لا يستجيب لأحد غير قائده وأحيانًا – إذا كان رائق المزاج – لملاحه. والمؤكد بشدة أنه لن يستجيب لأي أحد كان يقترح وضعه في سلاسل طوال الليل.

توقف كل شيء في المرفأ رقم اثني عشر لإقلاع لافظ اللهب. مئات الأزواج من العيون تابعت التنين وهو يتكئ على السفينة ويرفع جناحيه عاليًا، وبضربة للأسفل يرتفع ببطء في الهواء. ارتدت دفعة قوية من الهواء الساخن من تحت الجناحين محملة برائحة التنين عبر السطح مسببة السعال والقيء لميلو وطاقمه، في حين ارتفع صوت التصفيق من على الرصيف.

رفع لافظ اللهب جناحيه مرة أخرى وطار لأعلى وراح جناحاه الممتدان يضربان ببطء وقوة وهو يزيد ارتفاعًا بثبات. وبالطيران وسط الريح في منحنى واسع، دار لافظ اللهب عبر المرفأ على مستوى أعلى قليلًا من ارتفاع الصاري واتجه خارجًا أعلى سور المرفأ. لفترة وجيزة، انقشعت السحب عن القمر، وندت عن الرصيف آهة إعجاب حين تحرك خيال التنين مع الأجساد الثلاثة الصغيرة بثبات عبر قرص القمر الأبيض واتجه نحو البحر، تاركًا ميلو مشدوهًا في أعقابهم.

أصدر ميلو عددًا من الأوامر للعمال لتنظيف الأسطح ثم اختفى بالأسفل، تاركًا نكو وسنوري على السطح وسط عملية التنظيف الجارية.

همست سنوري لنكو: «آمل أن يكونوا بأمان».

قال نكو: «وأنا أيضًا».

ظل نكو وسنوري يشاهدان السماء حتى اختفت النقطة السوداء البعيدة للتنين وسط إحدى السحب ولم يصبح بمقدورهما أن يريا المزيد. وحين نظرا أخيرًا للناحية الأخرى كان السطح قد صار نظيفًا ومرتبًا وخاليًا. تقاربا معًا وسط الريح الباردة التي كانت تهب من البحر وتابعا مصابيح المركز التجاري وهي تنطفئ لقدوم الليل وقد صار شريط الأضواء الممتد على طول الشاطئ أخف؛ إذ بقيت فقط ألسنة لهب المشاعل المحترقة. ظلا يصغيان وقد هدأت أصداء الأصوات حتى أصبح كل ما يمكنهما سماعه هو صرير ألواح المراكب، وصوت ارتطام الأمواج، وطقطقة الحبال المشدودة إلى الأوتاد الخشبية وقد ضربتها الريح.

قال نكو وهو ينظر إلى البحر في اشتياق: «غدًا نبحر».

أومأت سنوري: «نعم يا نكو. غدًا سنرحل».

وهكذا جلسا، في حال طيبة وسط الليل ملتفين بالبطاطين الناعمة التي يضعها ميلو في حقيبة كبيرة على السطح. تابعا النجوم وقد اختفت واحدًا تلو الآخر وراء كتل السحاب القادمة. بعد ذلك، التفا بجوار أولر طلبًا للدفء، وذهبا في النوم.

وفوقهم، تجمعت سحب العاصفة.

19

العاصفة

لم يكن بيتل جالسًا في الموضع الأكثر راحة الذي يمكن فيه ركوب التنين. كان خلف الجناحين وعلى المنزلق المنخفض نحو الذيل، وهو ما كان يعني، لأن لافظ اللهب يستخدم ذيلــه للتحكم في الطيران، أن بيتل وجد نفسه يتحرك صعودًا وهبوطًا مثل اليويو. ورغم ذلك، كان محشورًا بقوة بين فقرتين مرتفعتين وظل يقول لنفسه إنه لا سبيل لسقوطه. لكنه لم يجد نفسه مقتنعًا تمامًا.

بعد إقــلاع لافـظ اللهب، التفـت بيتـل ونظـر للخلف فـي اتجاه

ذيل لافظ اللهب العملاق، وأخذ يشاهد المراكب في المرافئ وهي تزداد صِغَرًا، إلى أن بدت في حجم لا يزيد على حجم اللعب الصغيرة. بعدها ركز على أضواء المركز التجاري المتلألئة، وهي تنتظم مثل سلسلة على طول الشاطئ. تابعها بيتل وهي تزداد خفوتًا، وحين أسدل الليل أستاره من خلفهم واختفى آخر بريق خافت للضوء، تسلل بداخله شعور بالرعب. ارتعش وقرب إليه **عباءة التدفئة**، غير أن بيتل كان يعرف أنه لا يشعر بالبرد، بل بالخوف.

كان الشعور بالخوف ليس من الأشياء التي حدثت لبيتل من قبل، بقدر ما يمكنه أن يتذكر. كان قد مر بلحظات عصيبة في **الأنفاق الجليدية**، خاصة أثناء رحلاته القليلة الأولى، حين كان مضطربًا نوعًا ما، ولم يشعر كذلك بارتياح شديد في **الغابة المتجمدة** على الطريق إلى **بيت الفوريكس**، غير أنه لا يظن أنه شعر على الإطلاق بإحساس الرعب الذي بات الآن قابعًا مثل ثعبان سمين ملتف في تجويف معدته.

واصل لافظ اللهب طيرانه بثبات. مرت ساعات، كانت كالأيام بالنسبة لبيتل، لكن خوفه لم يتبدد. أدرك بيتل الآن لِمَ يشعر بهذه الحالة السيئة. كان قد ركب لافظ اللهب مع سبتيموس من قبل في رحلات غير رسمية إلى **المزارع** وذات مرة إلى **الخليج المنعزل**، الذي كان بالغ الرعب. كان حتى يجلس في الموضع نفسه الذي

يجلس فيه الآن حين طاروا جميعًا من بيت الفوريكس إلى المركز التجاري، لكنه كان دائمًا يطير منخفضًا وكان بمقدوره رؤية الأرض أسفل منه. أما الآن، وسط الظلام وعلى ارتفاع شاهق فوق البحر، فقد غمره الخواء الهائل من حولهم وجعله يشعر كما لو أن حياته معلقة بخيط. لم يخفف الأمر أن الجو صار عاصفًا على نحو متزايد، فحين ضربت هبة ريح لافظ اللهب فجأة وجعلته يتأرجح على جانبيه، زاد التفاف الثعبان القابع في بطن بيتل.

قرر بيتل أن يتوقف عن النظر حوله وأن يركز بدلًا من ذلك على سبتيموس وجينا، لكنه لم يستطع إلا رؤية جينا، وليس جزءًا كبيرًا منها. كانت هي الأخرى تتدثر بعباءة تدفئة، وكان الشيء الوحيد الدال على من داخلها هو بعض خصلات شعر طويلة تتطاير في الهواء. كان سبتيموس خارج مجال رؤيته، منخفضًا في تجويف عنق التنين ومختفيًا وراء عظمة القائد العريضة. انتاب بيتل شعور غريب بالوحدة. ولم يكن ليندهش أن يكتشف فجأة أنه الوحيد الذي يركب لافظ اللهب.

كان سبتيموس، رغم ذلك، على ما يرام. كان لافظ اللهب يطير بشكل طيب، وحتى هبات الريح، التي كانت تزداد قوة وتتابعًا، لم يبد أنها تزعج التنين. حقيقة، تساءل سبتيموس عما إذا كان باستطاعته أن يسمع أصوات رعد على البعد، لكنه قال لنفسه إنها ربما كانت ضوضاء منبعثة من جناحي لافظ اللهب. حتى حينما

ضربتهم عاصفة مفاجئة من الأمطار الثلجية، لم يقلق سبتيموس كثيرًا. كانت باردة، وصارت قارسة حين تحولت ببساطة إلى وابل، لكن لافظ اللهب واصل طيرانه خلالها. غير أن ما أحدث له صدمة هو صوت دوى الرعد المفاجئ.

ففي صوت يماثل قرع مليون صفيحة، زحف البرق من خارج السحب في مواجهتهم. وفي ظرف ثانية واحدة، وقد انعكس عليه وميض البرق، ظهر لافظ اللهب أخضر لامعًا، وجناحاه أحمران شفافان مع زخارف لعظام سوداء، أما وجوه ركابه فقد بدت شاحبة مرتاعة.

ترنح لافظ اللهب للخلف بفعل الوميض وقد ارتفع رأسه، واشتعلت فتحات أنفه. وللحظات من الرعب، شعر بيتل أنه ينزلق للخلف. تشبث بقوة بالعظمة التي أمامه وجذب نفسه للخلف فيما استعاد لافظ اللهب وضعه خافضًا رأسه وواصل طريقه.

بدأ بعض من ثقة سبتيموس في التراجع، صار بمقدوره الآن أن يسمع هزيم رعد متواصل، وفي مواجهته، كان يمكنه أن يرى حزمًا ومضية من البرق تتحرك عبر قمم السحب. لم يكن هناك مهرب منها، كان ميلو على حق، كانوا يطيرون في اتجاه عاصفة.

نقرت جينا على كتف سبتيموس، وصاحت قائلة: «هل يمكننا الالتفاف حولها؟».

التفت سبتيموس ونظر للخلف، ليفاجأ برؤية حزمة من البرق تنزل عليهم، وبالكاد أخطأت ذيل لافظ اللهب، فات الأوان، صارت العاصفة حولهم فجأة.

- «سأهبط به.. سنطير قرب الماء.. أقل عصفًا...» كان ذلك كل ما تطاير إلى سمع جينا وقد مزقت الرياح الكلمات الخارجة من فم سبتيموس.

كان الشيء التالي الذي عرفه بيتل هو أن لافظ اللهب يسقط مثل حجر. كان بيتل مقتنعًا أن لافظ اللهب أصابته صاعقة برقية؛ وبدأ الثعبان القابع في تجويف بطنه يلف نفسه في عقد؛ أغمض عينيه، وبينما صار صوت هدير الأمواج أكثر ارتفاعًا وضرب رذاذ الملح وجهه، كان في انتظار الصدمة الحتمية. وحين لم تأت خاطر بيتل بفتح عينيه، وتمنى أنه لم يفعل. كان جدار من المياه بارتفاع منزل يتجه نحوهم مباشرةً.

كان سبتيموس قد رآه هو الآخر. صاح: «اصعد! اصعد! يا لافظ اللهب» وقد أعطى التنين ضربتين قويتين في جنبه الأيمن. لم يكن لافظ اللهب بحاجة إلى تعليمات أو ضربات. كان يكره جدران الماء مثلما كرهها ركابه. وانطلق مرتفعًا في الوقت المناسب، ومرت الموجة الهائلة من تحتهم ممطرة إياهم برذاذها.

ارتفع سبتيموس بلافظ اللهب أعلى قليلًا حتى يطير التنين بعيدًا عن مدى الرذاذ مباشرة ثم أمعن النظر تجاه البحر. لم يكن قد

رآه قط على هذه الحال.. أغوار عميقة وجبال متحركة من المياه قذفت الرياح بقممها في طبقات أفقية من الزَبَد. ابتلع سبتيموس ريقه. كان الأمر خطيرًا.

صاح: «استمر يا لافظ اللهب، استمر في طريقك، سنخرج من هذا قريبًا».

لكنهم لم يخرجوا منها قريبًا. لم يقدر سبتيموس من قبل قط مدى الضخامة التي قد تكون عليها العاصفة. كانت العواصف دائمًا شيئًا يمر فوق الرءوس، لكنه الآن بدأ يتساءل: كم ميلًا قد يبلغ عرض العاصفة بالفعل، والأهم: هل هي ذاهبة في اتجاههم أم تقطع مسارهم؟

وترنحوا؛ فقد عوت الرياح وهدرت الأمواج وتصادمت مثل الجيوش المتصارعة، ملقية إياهم هنا وهناك وسط غمار معركتها. موجات عاتية من الرياح ضربت جناحي لافظ اللهب، اللذين بدأ سبتيموس يلاحظ أنهما صارا واهيين إلى حد ما، ليس بهما سوى جلد تنين رفيع وشبكة عظام ضعيفة. وفي كل مرة تضرب الريح لافظ اللهب كانا يلقيان على جانبيه، أو، ما هو حتى أسوأ، إلى الخلف، وهو ما كان التعافي منه أصعب كثيرًا وترك بيتل يلهث في رعب. كان سبتيموس يعرف أن لافظ اللهب قد حل به التعب. فقد سقط عنق التنين، وتحت يديه بدت عضلات لافظ اللهب مشدودة ومنهكة.

صاح سبتيموس عاليًا مرة بعد مرة حتى بح صوته: «تقدم يا لافظ اللهب، تقدم!».

اندفعوا للأمام وسط الرياح والمطر المنهمر، قافزين عند كل قرعة رعد، جافلين عند كل انفجارة برق.

وسط ذلك ظن سبتيموس أنه رأى ضوء منارة على البعد. أمعن النظر، ليتأكد فقط أنه ليس وميض برق آخر، لكن الوهج الذي أضاء الأفق لم يكن وميضًا، إنه يتلألأ بثبات ولمعان. وأخيرًا شعر سبتيموس أن أمامهم فرصة. وقد تذكر ما قاله نكو عن طريق العودة للوطن، غير مساره ووجه لافظ اللهب نحو الضوء بين فكي الريح.

عند مؤخرة التنين، لاحظ بيتل تغيير المسار وتساءل عن السبب، إلى أن التقط بوادر الضوء أمامهم. وفجأة ارتفعت معنوياته؛ لا بد أنه ضوء **الكثيب المزدوج**. غمرته الأفكار الدافئة السعيدة عن ميناء الاستقبال الذي ليس ببعيد، حتى أن الأمل بدأ يراوده أنه يحتمل - إذا حالفهم الحظ - أن يكون **متجر فطائر المرفأ ورصيف الميناء** ربما يكون ما زال مفتوحًا، وأن يكون أحد أبناء عمومته حاضرًا ليوفر لهم جميعا مأوى لقضاء الليلة.

وبينما راودت بيتل أحلام اليقظة بفراش دافئ جاف وفطيرة من متجر **المرفأ ورصيف الميناء**، كان سبتيموس يحدوه الأمل أيضًا، إذ كان واثقًا بأن العاصفة تهدأ. عاد ليحلق بلافظ

اللهب عاليًا مرة أخرى حتى يتسنى له الحصول على رؤية أفضل لوجهتهم.

ظهر الضوء أشد تلألؤًا وسط الليل، وابتسم سبتيموس؛ كان الأمر كما يأمل. كان هناك مصدرا ضوء متجاورين، تمامًا حسب وصف نكو، الآن عرف أين هم. طار بثبات إلى أن صار قريبًا جدًّا حتى أمكنه رؤية النقاط المميزة التي على شكل الأذن عند أعلى قمة برج المنارة. ولكن حين ارتفع قليلًا بلافظ اللهب قبل أن يقوم بتغيير المسار، ضربت العاصفة ضربتها الأخيرة. فمن فوقهم مباشرة، نزل لسان هائل من البرق، وهذه المرة، أصاب الهدف؛ فقد أصاب لافظ اللهب فترنح. وغشيتهم رائحة قوية للحم تنين يحترق وقد هوى التنين من السماء.

صاروا في وضع هبوط عمودي في اتجاه المنارة. وأثناء سقوطهم عاد بيتل إلى الواقع؛ إذ لاحظ أن الضوء لم يكن محصورًا في الإطار المعدني المتهالك لضوء الكثيب المزدوج لكن كانا مصدرين للضوء أعلى برج حجري مسوَّد يحمل نقطتين بدتا، حسبما ظن بيتل في حالته المروعة، مثل أذني قطة.

وبينما هم يسقطون في اتجاه البحر، رأى بيتل أنه ليس هناك أضواء ترحيب بالميناء في انتظارهم. لا شيء سوى الظلمة.

20

مِيار

نظر ميار إلى الخارج من منصة المراقبة على منارة **صخرة القطة**، وهي منارة تقع على صخرة في وسط البحر، وكانت قمتها على هيئة رأس قطة، كامل بأذنين وشعاعي ضوء يلمعان من عينيها.

كان ميار في نوبة حراسة مرة أخرى. فأمام إصراره، كان يقوم بالمراقبة كل ليلة ويقوم بكثير من نوبات المراقبة النهارية أيضًا. فلم يعد يثق بشريكه في المراقبة أكثر من أن يقذف به، وفي ظل الفرق الهائل بينهما في الحجم، فلم يكن هذا بعيد المنال، إلا إذا...



ارتسمت ابتسامة صغيرة على فم ميار الرقيق وقد خص نفسه بحلم اليقظة المفضل لديه، وهو إلقاء **كرو السمين** من أعلى إحدى العينين. والآن ستكون هذه رمية طويلة حقًّا. فكم تبلغ المسافة إلى الصخور بالأسفل؟ كان ميار يعرف الإجابة جيدًا.. ثلاثمائة وثلاثة وأربعون قدمًا بالتمام.

هز ميار رأسه ليخلصها من تلك الأفكار الخادعة، فكرو السمين لن يمكنه مطلقًا أن يصعد إلى **المنارة**؛ فلم يكن هناك سبيل ليحشر نفسه عبر الفتحة الضيقة عند قمة السارية التي تؤدي من منصة المراقبة إلى **ساحة المنارة**. أما كرو النحيف، من الناحية الأخرى، فلن يواجه مشكلة في ذلك. ارتجف ميار من فكرة تسلل كرو النحيف إلى **منارته** الغالية مثل حيوان ابن عرس. ففي حالة الاختيار بين التوءمين كرو – وهو اختيار لا يرغب مطلقًا أن يقوم به – فسيختار السمين في أي وقت؛ فالنحيف شخص شرير.

جذب ميار قلنسوته المحكمة المصنوعة من جلد الفقمة حتى غطت أذنيه ولف عباءته جيدًا حول نفسه. كان الجو باردًا على قمة المنارة، وراح يرتجف بسبب العاصفة. أطبق أنفه الصغير المسطح على الزجاج وحملق في اتجاه العاصفة، واتسعت عيناه الكبيرتان عن آخرهما واخترق بصره الليلي الحاد الظلام. عوت الرياح وانهمر المطر في اتجاه زجاج نافذة منصة المراقبة الأخضر السميك. كانت حزمتا الضوء تعكسان الأجزاء

السفلى من سحب العاصفة السوداء التي شكلت غطاءً منخفضًا لا ينتهي حتى أن ميار كان واثقًا من أن أذني المنارة لا بد أنهما تلامسانها. مرت خلال السحب ومضة برق صامتة، وطقطقت الشعيرات في خلفية عنق ميار من وقع الكهرباء. اندفع وابل من المطر متناثرًا على الزجاج فقفز من وقع المفاجأة. كانت أعنف عاصفة رآها منذ زمن طويل؛ وكان يشفق على أي أحد في الخارج في تلك الليلة. طاف ميار بخفة حول منصة المراقبة متفحصًا الأفق. ففي ليلة كهذه يكون من السهل جدًّا أن تنجرف أي سفينة إلى موقع قريب جدًّا من المنارة ومن منطقة الخطر. وإذا حدث هذا فسيكون عليه النزول إلى قارب الإنقاذ ومحاولة إرشاد السفينة إلى بر الأمان، وهي ليست مهمة سهلة في ليلة كهذه.

من كابينة النوم بالغة الصغر بعيدًا بالأسفل، كانت أصوات الشخير الملتهب لكرو السمين ترسل أصداءها عبر بئر درج المنارة الأشبه بالكهف. تنهد ميار بعمق. كان يعرف أنه يحتاج إلى مساعد، ولكن لماذا أرسل له سيد مرفأ الميناء التوءمين كرو فهذا ما لا يعرفه. فمنذ أن اختفى شريكه في المراقبة –ابن عمه، ميرانو– آخر من تبقى من عائلته باستثنائه هو– في ليلة الزيارة الأولى لمركب الإمداد الجديد، المارودر، أُجبر ميار على مشاركة منارته مع ما اعتبره في ذلك الوقت مخلوقات أفضل قليلًا من القرود. فمنذ وصول الأخوين كرو– ومن قبيل احترام القرود – راجع ميار ذلك

الرأي؛ فهو الآن يراهما أفضل قليلًا من دود البزاق، الذي حمل كل من كرو السمين والنحيف قدرًا ملحوظًا من صفاته.

الآن إذن، وفي أعماق المنارة وفي المكان الذي كان يومًا كابينة النوم الصغيرة الدافئة الخاصة به وبميرانو، كان ميار يعرف أن كرو السمين يحتل ما كان يومًا فراشه المريح في الطابق السفلي للسرير. تجهم ميار في حزن وكان لم ينم جيدًا منذ اختفاء ميرانو. وعلى غرار كل المراقبين كان هو وميرانو يتبادلان النوم في سرير واحد، وكانا يقضيان ساعات قليلة معًا كل يوم وهما جالسان على منصة المراقبة يتناولان وجبتهما المسائية من السمك قبل تغيير نوبة المراقبة. أما الآن فإن ميار صار ينام – أو يحاول أن ينام – على كومة من الأكياس في غرفة عند سفح المنارة. كان دومًا يوصد الباب، ولكن معرفة أن واحدًا من آل كرو كان طليقًا في منارته الجميلة كانت تعني أنه لا يمكن أن يرتاح أبدًا. هز ميار نفسه ليتخلص من أفكاره البائسة؛ فلم تكن هناك فائدة من إمعان التفكير في الأيام الخوالي الطيبة حين كان ضوء صخرة القطة واحدًا من أربعة أضواء حية، وكان لدى ميار من أبناء العم والإخوة والأخوات أكثر من أن يعدهم على أصابع يديه وقدميه. لم تكن هناك فائدة من التفكير في ميرانو؛ فقد راح إلى الأبد. لم يكن ميار بغباء تفكير الأخوين كرو بشأنه؛ فهو لم يصدق روايتهما بأن ميرانو سئم من صحبته وتسلل هاربًا على قاربهما إلى أضواء الميناء المبهرة. كان

ميار يعرف أن ابن عمه، مثلما اعتاد المراقبون أن يقولوا، يسبح مع الأسماك.

ربض ميار بجوار النافذة السميكة المقوسة محملقًا في الظلام. إلى الأسفل بعيدًا رأى أبنية الموج تتعاظم في ارتفاع هائل بكل قوتها ثم تهدر في ضربات رعدية مرسلة وابلًا شديدًا من الزبد في الهواء يضرب بعضها حتى زجاج المراقبة. كان ميار يعرف أن سفح المنارة صار الآن تحت الماء، كان يعرف ذلك من صوت الرجرجة الهادر الذي بدأت تتصاعد حدته على الصخور الجرانيتية بالأسفل، الأصوات الهادرة الذي استشعر حركتها من أخمص قدميه حتى رأسه المغطى بجلد الفقمة. لكنها على الأقل غطت على أصوات شخير كرو السمين، كما أن صرخات الريح حملت معها كل أفكار ميار عن ابن عمه المفقود.

أمسك ميار بالجراب المضاد للماء المصنوع من جلد الفقمة الذي يعلقه على حزامه وأخرج عشاءه ثلاث سمكات صغيرات وبسكويت السفينة، وبدأ في مضغها. ووسط ما يفعل، كانت عيناه مفتوحتين يراقب البحر، الذي أضاءته حزمتا الضوء اللتان تحركتا عبر جبال الماء المرتفعة. راودته الأفكار بأنها ستكون ليلة شائقة. كان ميار قد التهم لتوه آخر سمكاته – الرأس والذيل والعظام وكل شيء – حين أدرك مدى التشويق الذي ستكون عليه تلك الليلة. كان ميار عادة يراقب الماء؛ إذ ما الذي يمكن أن يكون ذا أهمية في

السماء؟ لكن في تلك الليلة محت الأمواج الجبلية الحدود بين البحر والسماء، وشملت عين ميار المفتوحة كل شيء بنظرها. كان مشتتًا إلى حد ما في إخراج شوكة سمكة حشرت بين أسنانه الرقيقة المدببة حين التقطت إحدى حزمتي الضوء هيئة تنين وسط وهجها. شهق ميار في عدم تصديق. نظر مرة أخرى لكنه لم ير شيئًا. صار ميار الآن قلقًا. كانت إشارة سيئة حين يبدأ المراقبون في تخيل أشياء، إشارة تأكيد بأن أيامهم في المراقبة باتت معدودة. وبمجرد أن يذهب، من ذا الذي سيراقب المنارة؟ غير أنه في اللحظة التالية تبددت مخاوف ميار. فبوضوح ضوء النهار عاد التنين ليظهر مجددًا في مسار حزمة الضوء، ومثل فراشة خضراء ضخمة تندفع نحو لهب، كان التنين آتيًا مباشرة في اتجاه المنارة. ندت عن ميار صرخة ذهول، فقد صار الآن لا يرى التنين وحسب، بل يرى ركابه أيضًا.

أصابت ضربة رعد مفاجئة أعلى المنارة مباشرة، ونزل ضوء برقي مبهر زاحف، ورأى ميار صاعقة البرق وهي تصيب ذيل التنين بومضة زرقاء تأخذ بالأبصار. ترنح التنين وفقد التحكم، وفي رعب، تابع ميار التنين وركابه، وقد أوضح هيئتهم غطاء قزحي بفعل الشحنة الكهربية الزرقاء، وهم يندفعون مباشرة تجاه منصة المراقبة. وعكس الضوء باختصار وجوه ركاب التنين

المرتعبة، وعندها غلب الجانب الغريزي فألقى ميار بنفسه على الأرض، في انتظار الصدام الحتمي حين يضرب التنين الزجاج.

غير أن شيئًا لم يحدث.

وقف ميار بحذر. كانت حزمتا الضوء لا تظهران شيئًا سوى السماء الخالية الزاخرة بالمطر في الأعلى والأمواج العاتية في الأسفل. لقد اختفى التنين وركابه.

21

هبوط لولبي

رغم أنه أغلق عينيه، كان بيتل يعرف ما يحدث، فقد أمكنه شم رائحة لحم تنين يحترق، وهي ليست برائحة طيبة وأنت تطير في الهواء بالفعل على ظهر التنين المحترق على ارتفاع نحو خمسمائة قدم. إنها في الحقيقة ليست برائحة طيبة في أي وقت، خاصة بالنسبة للتنين. كان البرق قد صعق لافظ اللهب في تصادم يصم الآذان، باعثًا صدمة كهربية تزلزل العظام تخللتهم جميعًا.

ورغم أن كل ذلك حدث بسرعة هائلة، فإن بيتل كان عليه فيما بعد أن يتذكره بالحركة البطيئة الصامتة.

تذكر البرق وهو يندفع نحوهم، بعدها صدمة عنيفة جرت في أوصال لافظ اللهب حين ضربته الصاعقة وارتفع رأس لافظ اللهب عاليًا من الألم. بعد ذلك حدثت ميلة، فلفة، فسقوط حر باعث على الغثيان وقد هوى التنين من السماء، متجهًا مباشرة نحو المنارة. كان هذا في اللحظة التي رأى فيها بيتل الرجل الضئيل الحجم، على أعلى قمة المنارة، وقد حملقت عيناه الواسعتان نحو الخارج في رعب، حينها أغلق بيتل عينيه. كانوا في طريقهم للاصطدام بالمنارة وكان لا يريد أن يرى ذلك. فقط لم يرد.

لكن سبتيموس لم تكن لديه تلك الرفاهية، فاتسعت عيناه عن آخرهما. ومثل بيتل، رأى هو الآخر الوجه المصدوم للرجل ضئيل الحجم على قمة المنارة؛ في الواقع، لمجرد ثانية وقد اندفع لافظ اللهب نحو البرج، التقت عيناهما، كلاهما يتساءل عما إذا كان هذا سيكون آخر شيء يريانه. وحين استطاع سبتيموس، في آخر لحظة، أن يحول اتجاه تنينه المتعثر بعيدًا عن المنارة، نسي على الفور أمر المراقب الذي في المنارة، وانصب تركيزه على الاحتفاظ بلافظ اللهب في الهواء.

ومع كل خفقة جناح، كان سبتيموس يحفز لافظ اللهب. مال التنين عن البرج الأسود الغارق في مياه المطر، عبر حزمة الضوء اللامعة واتجه نحو ظلمة الليل مرة أخرى. وعندئذ رأى سبتيموس

شيئًا.. إنه هلال شاحب من الرمال يظهر بالكاد على ضوء القمر الذي انكشف من انفراجة صغيرة وسط السحب.

في حماس التفت إلى جينا، التي كان وجهها شاحبًا من وقع الصدمة، وأشار تجاه الأمام صائحًا: «الأرض، سنفعلها، أعرف أننا سنفعلها!».

لم تستطع جينا أن تسمع كلمة مما قاله سبتيموس، لكنها رأت تعبير الارتياح والحماس باديًا عليه فرفعت إبهامها مشجعة له. التفتت إلى بيتل لتفعل الشيء نفسه لكنها صُدمت؛ كان بيتل مختفيًا بالكامل، كان كل ما استطاعت رؤيته منه هو قمة رأسه؟ فقد تدلى ذيل لافظ اللهب للأسفل آخذًا بيتل معه، وتبخر شعور جينا بالتفاؤل. كان ذيل لافظ اللهب قد أُصيب، فكم من الوقت يستطيع أن يستمر في الطيران؟

استحث سبتيموس لافظ اللهب على الاستمرار في اتجاه الرقعة الرملية، التي كانت تقترب أكثر فأكثر. سمع لافظ اللهب سبتيموس وجاهد للتقدم، لكن ذيله المجرجر عديم الفائدة سحبه للأسفل، حتى استطاع بالكاد أن ينزلق على سطح البحر الهائج.

كانت العاصفة في سبيلها للمغادرة الآن، آخذة برقها وأمطارها الغزيرة إلى الميناء، إلى حيث تضرب سايمون هيب وقد استلقى نائمًا تحت سياج في طريقه إلى **القلعة**. لكن العاصفة كانت لا تزال

قوية والأمواج عاتية، وبينما كان لافظ اللهب يكافح في المياه المتلاطمة بدأت قواه تخور.

ضم سبتيموس عنق التنين إليه. وهمس: «لافظ اللهب، لقد أوشكنا على الوصول، أوشكنا على الوصول!» ظهرت الهيئة الداكنة لجزيرة، حددها بياض شريط طويل من الرمال، قريبة على نحو مغر: «أمامنا القليل فقط يا لافظ اللهب. تستطيع أن تفعلها، أعرف أنك تستطيع...».

بألم بالغ، مد لافظ اللهب جناحيه المنهكين، واستعاد إلى حد ما التحكم في ذيله لثوانٍ قليلة، ومع تشجيع ركابه الثلاثة جميعهم على الاستمرار، تزلج على قمم الأمواج القليلة الأخيرة القادمة مع المد واندفع على سطح من الرمال الناعمة، وقد أفلت بالكاد مجموعة نتوءات صخرية.

لم يتحرك أحد. لم يتكلم أحد. جلسوا مصدومين، بالكاد يستطيعون تصديق أن هناك أرضًا تحت أقدامهم، أو بالأحرى تحت بطن لافظ اللهب، إذ كانت ساقاه ممتدتين في منخفض رملي عميق حيث انزلق حتى توقف واستلقى منهكًا، واضعًا كل ثقله على بطنه العريض الأبيض.

انشقت السحب مرة أخرى وتلألأ القمر، مظهرًا ملامح جزيرة صغيرة وخليجًا رمليًا ذا انحناءات خفيفة. بدت الرمال بيضاء لامعة في نور القمر، بدت صافية على نحو رائع، غير أن صوت

الأمـواج وهي تهدر على الصخور ورذاذ الملح وهو يغطي وجوههم ذكرهم بما نجوا منه للتو.

مع تنهيدة كبيرة راجفة، وضع لافظ اللهب رأسه على الرمال. هز سبتيموس نفسه ليتحرك وانزلق نازلًا من مقعد القائد، وسرعان ما تبعته جينا وبيتل. وللحظة مرعبة ظن سبتيموس أن عنق لافظ اللهب قد كُسر، فهو لم يره قط ملقى بهذا الشكل، حتى في نومه العميق الزاخر بالشخير كان لافظ اللهب يحوي تقوسًا في عنقه، لكنه الآن ملقى على الرمال مثل قطعة حبل قديمة. جثا سبتيموس على ركبتيه ووضع يده على رأس لافظ اللهب، الذي كان مبتلًّا بزخات المطر والملح. كانت عيناه مغلقتين ولم تبديا أي إشارة إزاء لمسة سبتيموس كما كانتا تفعلان دومًا. حبس سبتيموس دموعه؛ كان هناك خطب ما في لافظ اللهب ذكره بما بدا عليه مركب التنين حين أصابته ومضات سايمون الرعدية.

همس: «لافظ اللهب، ها، لافظ اللهب، هل أنت...هل أنت بخير؟».

رد لافظ اللهب بصوت لم يسمعه سبتيموس من قبل مطلقًا -نوع من الخوار نصف المخنوق- والذي أرسل رشة من الرمال في الهواء. وقف سبتيموس وهو ينفض الرمال عن عباءة تدفئته المبللة.

نظرت جينا نحوه في فزع، قالت وهي ترتجف وقد تساقط الماء من شعرها الذي على هيئة ذيل الفأر: «هو..هو في حالة سيئة، أليس كذلك؟»

قال سبتيموس: «أنا.. لا أعرف».

قال بيتل: «ذيله لا يبدو في حالة جيدة تمامًا، عليك أن تلقي نظرة».

كان ذيل لافظ اللهب في حالة يرثى لها. كانت صاعقة البرق قد أصابته قبيل الذَّنَب مباشرة مخلفة مزيجًا من القشور المهترئة، والدماء، والعظام وربما تكون قد طالت الذَّنَب نفسه. انحنى سبتيموس ليرى عن قرب. ولم يعجبه ما رأى. كانت قشور الثلث الأخير من الذيل مسودة ومحترقة، وفي المكان الذي ضربته الصاعقة، كان بإمكان سبتيموس أن يرى قطعًا من العظام البيضاء تلمع في نور القمر. كانت الرمال من تحته داكنة وممزوجة بالفعل بدماء التنين. برقة بالغة، وضع سبتيموس يده على الجرح. ندى عن لافظ اللهب خوار نصف مخنوق مرة أخرى وحاول أن يبعد ذيله.

ناداه سبتيموس: «اهدأ يا لافظ اللهب. ستكون الأمور على ما يرام. اهدأ».

أبعد يده ونظر إليها. التمعت يده بالدماء.

سأل بيتل: «ماذا ستفعل؟».

حاول سبتيموس أن يتذكر معلوماته **الطبية**. تذكر قول مارسيلوس له إن كل المخلوقات الفقارية مبنية على ما أسماه «الخطة نفسها»، وأن كل القواعد **الطبية** التي تسري على البشر قد تسري أيضًا معها. تذكر ما أخبره به مارسيلوس عن الحروق: الغمر الفوري في المياه المالحة لأطول فترة ممكنة. لكنه لم يكن واثقًا من أنك ينبغي أيضًا أن تُعرِّض جرحًا مفتوحًا للغمر. وقف سبتيموس مترددًا وهو يدرك أن جينا وبيتل كليهما كانا في انتظار أن يفعل شيئًا.

أصدر لافظ اللهب خواره مرة أخرى وحاول تحريك ذيله. اتخذ سبتيموس قرارًا. كان لافظ اللهب يحترق. كان يتألم. الماء المالح البارد سيخفف الألم ويوقف الحرق. وكان أيضًا، إذا كان يتذكر على نحو صحيح، مطهرًا جيدًا.

قال سبتيموس وهو يشير إلى بركة واسعة تقع في الخلف وسط الصخور المنعزلة بشكل ما: «نحتاج إلى وضع ذيله في هذه البركة».

قال بيتل: «لن يحب ذلك» وهو يمرر يديه على شعره مثلما يفعل دائمًا حين يحاول أن يحل مشكلة ما. تجمد؛ فقد كان شعره مشدودًا لأعلى مثل فرشاة المدخنة. كان بيتل يعرف أنه لا ينبغي أن يفكر في أشياء مثل الشعر حاليًّا، ولكنه كان يأمل بالفعل ألا تكون جينا قد لاحظته.

كانت جينا قد لاحظت شعر بيتل. لقد جعلها تبتسم ربما للمرة الأولى في هذه الليلة، لكنها كانت تعرف ما هو أفضل من التعليق على هذا الأمر. قالت مقترحة: «لم لا تذهب وتتحدث مع لافظ اللهب؟ أخبره بما سوف نفعله، وعندئذ سيمكننا أنا وبيتل من رفع ذيله ووضعه في البركة».

بدا سبتيموس متشككًا، فقال: «ذيله ثقيل حقًّا».

– «ونحن قويان حقًّا، أليس كذلك يا بيتل؟»

أومأ بيتل، آملًا ألا يتمايل شعره كثيرًا. لكنه تمايل بالفعل، لكن جينا تعمدت النظر نحو الذيل.

وافق سبتيموس: «اتفقنا».

جثا سبتيموس مرة أخرى بجانب رأس لافظ اللهب الهامد وقال: «لافظ اللهب، نحن نحتاج إلى إيقاف احتراق ذيلك، ستقوم جينا وبيتل برفعه ووضعه في بعض الماء البارد. قد يسبب ذلك القليل من الألم، لكن بعدها ستشعر بتحسن. سيكون عليك أن تزحف للخلف قليلًا، حسنًا؟».

ما أحدث ارتياحًا لسبتيموس أن لافظ اللهب فتح عينيه. نظر التنين بعينين غائمتين نحوه لثوانٍ قليلة، ثم أغلقهما مرة أخرى.

نادى سبتيموس جينا وبيتل: «حسنًا».

قال بيتل: «أمتأكد أنت؟».

قال سبتيموس: «نعم، ابدآ».

أمسك بيتل بالجزء المصاب من الذيل - الذي كان يعرف جيدًا أنه الأثقل - وحملت جينا الذَّنَب عند نهايته، والذي كان لا يزال ساخنًا عندما لمسته.

قال بيتل: «سأعد: واحد اثنان ثلاثة ثم نرفع، حسنًا؟».

أومأت جينا:

- «واحد، اثنان، ثلاثة و... أففف إنه ثقيل!»

وإذ يترنحان تحت الحمل الثقيل للذيل الحرشفي الضخم، تمايلت جينا وبيتل خطوة وراء خطوة إلى الخلف نحو البركة، التي ظهرت منبسطة وساكنة في نور القمر. كانت عضلات ساقيهما تئن تحت وطأة الحِمل، لكنهما لم يجسرا على إسقاط الذيل قبل أن يصلا إلى الماء.

قالت جينا وهي تلهث: «سب، إنه يحتاج إلى... أن يستدير.. بشكل ما».

- «يستدير؟»

- «اممم»

- «يمينًا أم يسارًا؟»

- «أخ... يمين، لا، يسار، يسار».

هكذا وبتوجيه من سبتيموس، زحف لافظ اللهب حول نفسه جهة اليسار وبالتبعية تحرك ذيله إلى جهة اليمين آخذًا مساعدي الرفع معه.

- «لا، تراجع.. تراجع!»

ببطء وألم شديد، تحرك لافظ اللهب وجينا وبيتل متثاقلين للوراء عبر فتحة ضيقة وسط الصخور في اتجاه البركة.

همهم بيتل: «خطوة.. أخرى.. واحدة».

تششش! صار ذيل لافظ اللهب في البركة الصخرية. تطاير رذاذ هائل من الماء. رفع لافظ اللهب رأسه وهدر في ألم - لقد لسعه الماء بشدة أكبر مما قال سبتيموس. خرج صوت هسهسة مرتفع من البركة، وارتفع البخار حيث كانت الحرارة المشتعلة في أعماق لحم التنين تتبدد خلال المياه. هرعت مجموعة من الأخطبوطات الصغيرة المحبوسة في البركة التي صنعها المد وقد احمرت لتبحث عن الحماية في شقوق إحدى الصخور، حيث قضت ليلة غير سعيدة وقد أصابها الشحوب من الخوف، إذ حبسها ذيل لافظ اللهب.

هدأ لافظ اللهب حين بدأ الماء يلطف الحرق ويخدر مناطق الإحساس في ذيله. وبامتنان دفع أنفه في كتف سبتيموس، فوقع سبتيموس أرضًا على الفور. فتح لافظ اللهب عينيه مرة أخرى وتابع سبتيموس وهو ينهض، ثم وضع رأسه على الرمال، ورأى سبتيموس أن التقوس الطبيعي في عنق التنين قد عاد. بعد دقيقة كانت أصوات شخير التنين قد عادت أيضًا، ولأول مرة كان سبتيموس سعيدًا لسماعها.

وإذ ذهب لافظ اللهب في النوم؛ ارتمت جينا وبيتل وسبتيموس بجانب التنين. لم يقل أي منهم شيئًا. نظروا نحو البحر وتابعوا نور القمر منعكسًا على الأمواج، التي صارت الآن أكثر هدوءًا وكانت لا تمثل سوى فورة مستمرة فحسب على الرمال.

على بعد كبير رأوا حزمتي الضوء المنبعثتين من المنارة الغريبة التي كانت قد أرشدتهم لبر الأمان، وتساءل سبتيموس عما كان يفعله الرجل الضئيل في النافذة حينها.

نهضت جينا وخلعت حذاءها ذا الرقبة ومشت حافية على الرمال الناعمة نحو البحر. تبعها بيتل. وقفت جينا عند حافة الأمواج تنظر فيما حولها. وابتسمت حين انضم لها بيتل.

قالت: «إنها جزيرة».

رد بيتل: «أممم». افترض أن جينا قد رأتها من السماء وشعر بشيء من الإحراج من أنه كان يغلق عينيه.

قالت جينا: «أستطيع أن أشعر بها. هناك شيء ما... ينتمي للجزر فيها. أتعرف؛ لقد قرأت عن بعض الجزر في أحد فصولي الخاصة **بالتاريخ الخفي**. وإني أتساءل عما إذا كانت هذه إحداها».

سأل بيتل في افتتان: «التاريخ الخفي؟».

هزت جينا كتفيها: «أحد الأمور الخاصة بالملكة. إنها مملة أغلب الوقت. أف، المياه باردة، لقد تخدرت قدماي. هلا ذهبنا ورأينا ما يفعل سِب؟».

– «حسنًا». تبع بيتل جينا عائدين نحو التنين، وهو يرغب في السؤال عن "الأمور الخاصة بالملكة" لكنه لم يجرؤ.

في غضون ذلك، كان سبتيموس قد انشغل في التنظيف. كان قد سحب السرجين المبللين من فوق لافظ اللهب وفرد محتوياتهما على الرمال. كان معجبًا للغاية، ومتأثرًا بما وجده. لاحظ أنه، خلال أمسيات الشتاء المظلمة بجوار المدفأة، حين كان يتحدث غالبًا عن أيامه في **جيش الشباب**، لم تكن مارشا تستمع لوصفاته عن تدريبات الليل وحسب، بل إنها تذكرتها، من أولها وحتى ترتيب حقائب النجاة المتنوعة. ولدهشة سبتيموس، وضعت مارشا **حقيبة ضابط جيش الشباب المتدرب للنجاة من أرض الأعداء**، مع بعض الزيادات الإضافية الجيدة في شكل **عبوة فوارة** لتجديد الذات من النوع الخاص، وعلبة حلوى ممتص الصدمات المتنوع من متجر **ما كاسترد**، وقزم ماء مزخرف. ما كان ليستطيع أن يفعل هو نفسه أفضل من ذلك. كان ينظر للمجموعة في استحسان حين جلست جينا وبيتل إلى جانبه.

قال سبتيموس: «سيظن أي شخص أن مارشا كانت في جيش الشباب، لقد وضعت كل شيء كنت سأضعه».

قالت جينا باسمة: «ربما كانت فيه، فهي تؤدي نوع الصياح نفسه».

قال وهو يرسم تكشيرة على وجهه: «على الأقل هي لا تؤدي نوع الرماية نفسه». أمسك صندوقًا صغيرًا متصلًا بسلك دائري من قمته: «انظرا، لدينا موقد بهذا **السحر** الجديد الذي كانت تفعله، **اللهب الوامض**. فقط انقر عليه هكذا» كان يعرض ما يقول؛ فخرج لهب أصفر من أعلى الصندوق وجرى حول السلك «أف، ساخن!».

وضع سبتيموس الموقد بسرعة فوق الرمال، وتركه مشتعلًا، فبيَّن باقي محتويات السرجين.. «أتريان؟ هناك طعام يكفينا لمدة أسبوع على الأقل، وأطباق، وقِدَر، وأقداح، أشياء لنبني ملجًأ وانظرا .. لدينا أيضًا قزم ماء». رفع سبتيموس مجسمًا صغيرًا الرجل ذي لحية صغيرة يرتدي قبعة بارزة.

سأل بيتل: «هل هذا واحد من الوقحين».

قال سبتيموس ضاحكًا: «على الإطلاق، هل ترى أن مارشا تسمح بعبور أحد هؤلاء من الباب؟ إن الماء يخرج من وعاء الماء الخاص به، أتريان؟ قلب سبتيموس المجسم، وبثقة كاملة، خرج خرطوم صغير من الماء العذب من وعاء الماء بالغ الصغر الخاص بقزم الماء. التقطت جينا أحد الأقداح الجلدية ووضعته تحت الخرطوم حتى امتلأ، ثم تناولتها في جرعة واحدة.

قالت: «طعمها جيد».

وباستخدام تشكيلة من العبــوات المكتــوب عليهــا، أعد سبتيمــوس مـــا أسماه: «يخني جيش الشباب». جلسوا وتابعوا اليخني وهو يبقبق في القدر على الموقد إلى أن جعلت الرائحة من المستحيل مجرد النظر إليه ثانيةً، أكلوه مع خبز مارشا **الطازج دائمًا** ومحوا أثره بالشوكولاتة الساخنة، التي صنعتها جينا بمساعدة **تعويذة الشوكولاتة**، التي كانت قد استخدمتها على بعض الأصداف البحرية.

وبينما هم جالسون حول موقد **اللهب الوامض** المترجرج يشربون الشوكولاتة الساخنة في صمت، شعر كل منهم بالرضا على نحو باعث على الدهشة. كان سبتيموس يتذكر وقتًا آخر على شاطئ آخر - المرة الأولى التي تذوق فيها الشوكولاتة الساخنة أو جلس فيها حول النار وليس معه من يصيح فيه. عاد بالذاكرة بمشاعر إعزاز حقيقي لتلك الفترة؛ كانت البدايات الأولى لحياته الجديدة - رغم أنه وقتها، تذكر بأسى، كان يظنها نهاية العالم.

شعرت جينا بسعادة؛ فقد أصبح نكو في أمان، سيبحر إلى الوطن عما قريب، وكل المشكلات التي بدأت باصطحابها سبتيموس ليرى **المرآة** في **غرفة الملابس** ستنتهي. لن يكون خطؤها هي بعد الآن.

أما بيتل فقد شعر بالاندهاش. لو أن أحدًا أخبره منذ شهور قليلة مضت أنه سيجلس على شاطئ مهجور... حسنًا، مهجور إلا من

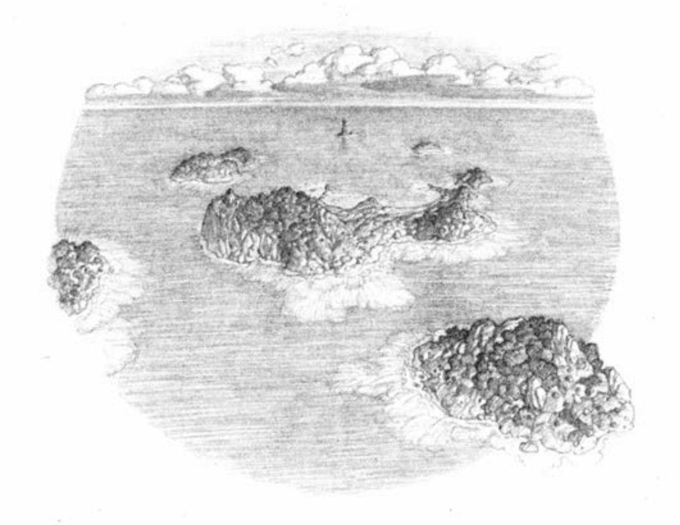
تنين يغط في الشخير وأفضل أصدقائه، في نور القمر مع الأميرة جينا، لقال له أن يكف عن التخريف وأن يذهب ويفعل شيئًا ذا فائدة، مثل تنظيف مخزن الكتب البري. لكنه صار هنا. وإلى جواره مباشرة الأميرة جينا. والقمر... ودفقات أمواج البحر الرقيقة و... أف..إنه رائع جدًّا ماذا كان ذلك؟

قفز سبتيموس: «لافظ اللهب، أف، كان هذا سيئًا. أظن أن بطنه مضطرب قليلًا. يجدر بي أن أذهب وأدفن بطنه في الرمال».

وكانت مارشا – بخبرتها – قد وفرت مجرفة.

22

الجزيرة



استيقظتْ جينا وبيتل وسبتيموس في الصباح التالي تحت السقيفة المؤقتة المصنوعة من **عباءات التدفئة** التي جهزوها بسرعة بجوار لافظ اللهب عندما بلغ بهم الإجهاد مبلغه في نهاية المطاف.

زحفوا خارجين وجلسوا على الشاطئ يتنسمون الهواء الرقيق المشبع بالملح، ويلتمسون دفء الشمس وهم يحملقون في المنظر من حولهم.. كان رائعًا على نحو أخَّاذ.

كانت العاصفة قد خلفت الإحساس بهواء نظيف مغسول، ولم يكن هناك ولا سحابة واحدة في السماء الزرقاء المشرقة، ولمع البحر اللازوردي بالملايين من نقط الضوء الراقصة، وامتلأ الهواء بصوت المد والانحسار الهادئ، وقد أخذت الأمواج الخفيفة تزحف نحو الشاطئ ثم تتراجع مخلفةً وراءها الرمال اللامعة المبللة. على يسارهم امتد قوس خفيف طويل من الرمال البيضاء، خلفها تلال رملية تنفتح على هضبة من العشب تنتشر فيها الصخور، وتقود إلى تل تغطيه الأشجار. وعن يمينهم كانت الصخور ذات القمم الدائرية -التي بالكاد أفلتوا منها في الليلة السابقة- وبركة لافظ اللهب الصخرية. همست جينا خلال الهدنة الصغيرة التي تحدث بعد أن تندفع الموجة على الشاطئ وقبل أن تعود أدراجها إلى البحر مرة أخرى: «أليست رائعة؟».

قال بيتل حالمًا: «حقًّا...».

نهض سبتيموس وذهب للاطمئنان على لافظ اللهب.. كان التنين لا يزال نائمًا ممددًا في تجويف خلف الصخور، وقد توافرت له الحماية من أشعة الشمس.. كان يتنفس بانتظام، وكانت حراشفه ذات ملمس دافئ على نحو يبعث على السرور. كان الماء في

البركة ذا لون باهت مائل للحمرة، ومن خلال الماء العكر لم يبد ذيل لافظ اللهب في حالة جيدة.. ظهر انحناء عميق واضح، وارتخى الذَنَب على القاع الرملي للبركة الصخرية. سبَّب هذا قلقًا لسبتيموس؛ إذ كان لافظ اللهب دائمًا يرفع الجزء الشوكي من ذيله عاليًا، وكان التقوس الطبيعي للذيل يؤدي - على نحو طبيعي - لارتفاع الذَنَب لأعلى خارج الماء، لا أن يتمدد مرتخيًا وفاقدًا للحياة. وبمشاعر منقبضة أدرك سبتيموس أن الذيل مكسور.

لكن الأسوأ من ذلك أن الجزء من الذيل على الجانب الآخر من الكسر -أو الجزء البعيد، مثلما كان سيطلق عليه مارسيلوس- لم يكن لونه على ما يرام. كان لون الحراشف الأخضر قد صار أشد قتامة، وفقدت بريقها اللوني، أما الذَنَب - من خلال الجزء الذي أمكنه رؤيته من تحت الماء - فقد بدا أسود تقريبًا، وطفت رقائق من حراشف التنين الميتة على سطح الماء، وحين مال سبتيموس على إحدى الصخور وانحنى ليرى عن قرب لاحظ أن البركة كلها كان بها مسحة تعفن.. كان هناك ما يجب فعله.

راحت جينا وبيتل يحث كل منهما الآخر على النزول للسباحة حين عاد سبتيموس لينضم إليهما. شعر على نحو ما أنه مثل **الجني جيلي** وهو يوقف جماعة من الكَتَبة الضاحكين حين ظهر من بين الصخور وقال: «ذيله يبدو في حالة شديدة السوء».

كانت جينا تدفع بيتل نحو البحر.. توقفت متجمدةً، وقالت: «سيئة؟ إلى أي حد؟».

- «من الأفضل أن تأتيا وتلقيا نظرة».

وقف ثلاثتهم عند حافة البركة الصخرية ونظروا نحو الماء في انزعاج.

قال بيتل: «شيء مقرف».

قال سبتيموس: «أعرف، وإذا زاد هذا القرف أكثر من ذلك فسيفقد طرف ذيله.. أو ما هو أسوأ.. علينا أن نفعل شيئًا بسرعة».

قال بيتل: «أنت الخبير يا سِب، أخبرنا ماذا نفعل وسنفعله. أليس كذلك يا جينا؟».

أومأت جينا، وقد صدمتها رؤية الماء العكر.

جلس سبتيموس على صخرة وأخذ ينظر إلى البركة مفكرًا.. بعد برهة قال: «هذا ما أرى أننا يجب أن نفعله.. بدايةً سنجمع بعض الأعشاب البحرية ونبحث عن قطعة خشب طويلة مستقيمة، بعدها - وهذا لن يكون أمرًا لطيفًا - سننزل إلى البركة ونرفع ذيله خارجها، حينها سيكون بمقدوري أن أنظر إليه نظرة صحيحة، سيكون عليَّ تنظيف وإزالة كل الأشياء المقرفة، وهذا لن يكون لطيفًا للافظ اللهب؛ لذا سيكون عليكما أن تبقيا بجانب رأسه وأن تتحدثا إليه.. سأغلف الجرح بالطحالب البحرية؛ فبها الكثير من المواد المفيدة لالتئام الجروح، وإذا كان الذيل مكسورًا - وهو ما

أنا واثق منه تمام الثقة - فسيكون علينا تثبيته بجبيرة كما تعرفان: ربطه مع قطعة الخشب حتى لا يمكنه تحريكه. وبعد ذلك سيكون علينا فقط أن نأمل أن يتحسن وألا...».. خمد صوت سبتيموس.

سأله بيتل: «وألا ماذا يا سِب؟».

- «يسقط».

شهقت جينا..

- «أو الأسوأ: أن يصاب بما اعتاد مارسيلوس أن يطلق عليه: (الطين الأسود القاتل كريه الرائحة)».

- سأل بيتل محرجًا: «الطين الأسود القاتل كريه الرائحة، ياه، وماذا يكون ذلك؟».

- «أشبه كثيرًا بما يوحي به اسمه. إنه يحمل كل...».

قالت جينا: «توقف، أنا بالفعل لا أريد أن أعرف».

قال بيتل: «انظر يا سِب، أخبرنا ما نفعله وسنفعله. سيكون لافظ اللهب بخير، سترى».

بعد ساعتين جلس كل من جينا وبيتل وسبتيموس مبللين ومنهكين على العشب القاسي فوق الصخور، وإلى أسفل منهم استلقى تنين ذو ذيل بدا مفرطًا في الغرابة.. بدا - حسب ملاحظة بيتل - مثل ثعبان ابتلع صخرة ضخمة، ومع العناية الإضافية بأن أحدهم قد لف النتوء الذي به الصخرة الضخمة بقماش أحمر كبير، وربطه على شكل قوس.

اعترض سبتيموس: «ليس قوسًا».
قال بيتل: «حسنًا، عقدة كبيرة إذن».
- «عليَّ أن أتأكد أن عباءات التدفئة لا تزال موضوعة، لا أريد أن تدخل فيه الرمال».
قالت جينا: «لقد أبلى لافظ اللهب بلاءً حسنًا، أليس كذلك؟».
وافقها سبتيموس: «بلى، إنه تنين جيد، إنه يُصغي حين يعرف أن الأمر خطر».

سأل بيتل: «هل تعتقد أن الأمر لا يزال خطرًا بالفعل؟».

هز سبتيموس كتفيه: «لا أعرف، لقد بذلت أقصى ما يمكنني. لقد بدا أفضل كثيرًا حين نظفتُ كل الوَسَخ، و....».

سألت جينا، وهي تشعر بالغثيان: «هل تمانع في عدم ذكر الوسخ يا سِب؟».. ووقفت وأخذت نفَسًا عميقًا لتصفيَ ذهنها. ثم قالت: «أتعرفان؛ إذا كنا سنظل محتجزين في مكان ما لعدة أسابيع؛ فبإمكاني أن أفكر في أماكن أسوأ من هذا. هذا مكان غاية في الجمال».

قال بيتل: «أفترض أننا سنبقى محتجزين هنا إلى أن يتحسن لافظ اللهب». كانت الاحتمالية الرائعة في قضاء أسابيع طويلة في خمول في مثل هذا المكان الجميل بصحبة الأميرة جينا - وسِب بالطبع - قد طغت على تفكيره. لم يكن قادرًا على تصديق ذلك تمامًا.

كانت جينا قلقة؛ فقالت: «هيا نذهبْ ونستكشفْ قليلًا، يمكننا أن نتجه بمحاذاة الشاطئ ونرى ما على الجانب الآخر من تلك الصخور عند نهايته مباشرة»، وأشارت إلى البروز الصخري البعيد الذي يشكل حدود الجانب الأيسر البعيد للخليج.

قفز بيتل واقفًا، وقال: «تبدو فكرة رائعة».

- «هل ستأتي يا سِب؟»

هز سبتيموس رأسه: «أنا سأتابع لافظ اللهب، لا أريد أن أتركه اليوم. اذهبا أنتما».

تركت جينا وبيتل سبتيموس جالسًا بجانب تنينه واتجها نحو الشاطئ، متجولين على طول خط طحالب البحر، والأخشاب الطافية، والقواقع التي ألقت بها العاصفة.

التقط بيتل قوقعة كبيرة ذات أشواك ورفعها ليرى ما بداخلها: «إذن... ما الذي تتذكرينه عن جُزرك المذكورة في التواريخ الخفية؟ مثل: هل يعيش أحد هنا؟».

ضحكت جينا: «لا أعرف، أفترض أنه عليك أن تهزها لترى ما سيخرج منها».

- «ها؟ آه، ممتع.. حقيقةً أنا لا أظن أنني أرغب في مقابلة من يعيش هنا. أراهن أنه كبير وذو أشواك»، ووضع بيتل القوقعة مجددًا على الرمال، فخرج منها سلطعون صغير يجري مسرعًا.

قالت جينا وهي تأخذ طريقها خلال أكوام من الأعشاب البحرية لتصل إلى الجزء الرملي الأكثر صلابة بالأسفل: «حقيقةً، كنت أفكر في ذلك هذا الصباح قبل كل الأشياء المقرفة الخاصة بالذيل، لكني لا أعرف ما إذا كان أحد يعيش هنا. أتذكر الآن.. لقد قرأت فقط الجزء الأول من الفصل الخاص بالجُزر، كان هذا حين حدثت كل تلك الأشياء المتعلقة **بالمرآة**، وبعدها فقدنا **نكو**... وعندما عدت للبيت كانت معلمتي منزعجة من أنني فقدت الكثير، وجعلتني أبدأ مباشرة من المادة التالية؛ لذا لم أقرأ الباقي قط، أف!» ركلت جينا كتلة متشابكة من الأعشاب البحرية في غضب: «كل ما يمكنني تذكره أن هناك سبع جزر، لكنها كانت يومًا جزيرة واحدة، تعرضت لسيل حين اخترقها البحر وملأ كل الأودية، لكن لا بد أن يكون هناك سر ما هنا؛ لأن الفصل كان يسمى «سر الجزر السبع».. إنه شيء مزعج للغاية.. عليَّ أن أقرأ الكثير من المعلومات المملة حقًّا؛ إنه أمر نموذجي أن الشيء الوحيد الذي كان من الممكن أن يكون مفيدًا هو الشيء الوحيد الذي لم أتمكن من قراءته».

ابتسم بيتل: «حسنًا، سيكون علينا فقط أن نكتشف ما هو السر».

قالت جينا: «ربما يكون شيئًا مملًّا بالفعل، فمعظم الأسرار تكون كذلك، بمجرد أن تعرفها».

قال بيتل وهو يتبع جينا عبر الأعشاب البحرية في اتجاه البحر: «ليس كلها، فبعض أسرار دار المخطوطات شائقة على نحو مذهل، لكن – بالطبع – لا يُفترض بي أن أبوح بها، أو بالأحرى، كان لا يُفترض.. حسنًا، حقيقةً أنا لا أزال لا يُفترض بي أن أبوح نهائيًّا».

قالت ضاحكة: «إنها تظل أسرارًا إذن؛ وهو ما يعني أنها لا تزال شائقة. على أي حال يا بيتل؛ أنت تحب مثل هذه الأشياء؛ فأنت ماهر، أما أنا فقد شعرت بالملل وحسب، سأسبقك».

جرى بيتل خلف جينا صائحًا: «هه!» إن جينا ترى أنه ماهر.. تُرى كم كان هذا رائعًا؟!

كان سبتيموس جالسًا على الصخور الدافئة، مائلًا نحو عنق لافظ اللهب البارد بينما كان التنين نائمًا في هدوء. كان هنا شيء باعث على الراحة في أنفاس التنين النائم، خاصةً حين يمتد أمامه شريط من الرمال البيضاء ومن ورائها بحر أزرق هادئ. كانت الأصوات الوحيدة التي يمكن لسبتيموس سماعها الآن – وقد اختفت جينا وبيتل فوق الصخور عند الطرف البعيد للخليج – هي أصوات حركة الأمواج البطيئة، تخللتها أصوات شخير بين حين وآخر من لافظ اللهب. بدأ إرهاق الأسبوع المنقضي يحل على سبتيموس، وتحت هدأة دفء الشمس؛ انغلقت عيناه وغاب وعيه شيئًا فشيئًا.

ووسط نعاسه تسلل بداخله صوت فتاة خفيض ومتناغم يناديه برقة: «سبتيموس....، سبتيموس، سبتيموس...» تحرك سبتيموس، وفتح عينيه نصف فتحة، ونظر نحو الشاطئ الخالي ثم تركهما لتنغلقا مرة أخرى.

- «سبتيموس، سبتيموس».

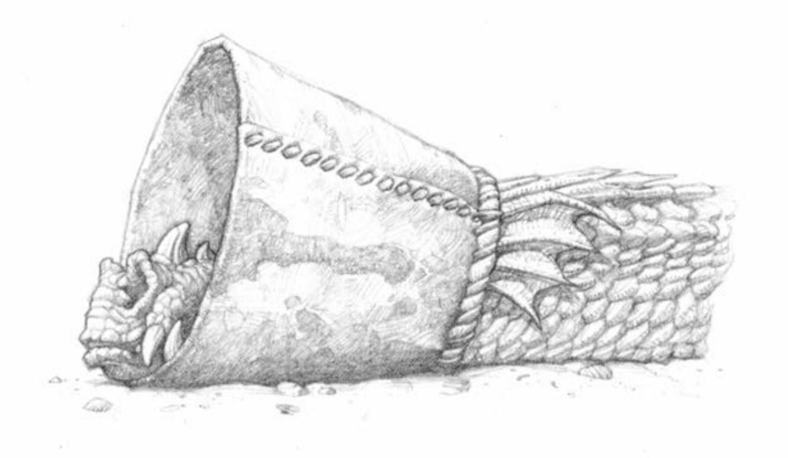
غمغم: «ابتعدي يا جين، أنا نائم».

فتح سبتيموس عينين غائمتين ثم أغلقهما مرة أخرى. قال لنفسه: إنه لا أحد بالمكان.. كان يحلم...

وقفت فتاة نحيفة ذات رداء أخضر وسط الكثبان الرملية فيما وراء الصخور تنظر إلى التنين وإلى الصبي بالأسفل، بعد ذلك انزلقت على الكثبان ومشت في صمت نحو صخرة مسطحة دافئة حيث جلست لفترة **وتابعت** سبتيموس وهو نائم، منهك، تحت أشعة الشمس.

23

دلاء



واصل سبتيموس نومه، وتعامدت شمس الظهيرة.. جلست الفتاة ذات الرداء الأخضر بلا حراك على صخرتها وقد سحرها النوم، وهي تتابع. وبعد بعض الوقت بدأ إحساس التعرض للمراقبة يسري داخل سبتيموس حتى وهو يغطّ في نوم عميق؛ فندت عنه حركة، وبسرعة هبت الفتاة واقفة ولاذت بالهرب.

أخذت الحرارة تبعث الدفء ببطء في دم لافظ اللهب التنيني البارد، وحين بدأت دورته الدموية في التسارع بدأ ذيله ينبض بالألم.. أصدر التنين آهة طويلة خفيضة، وعلى الفور استيقظ سبتيموس ونهض واقفًا.

- «لافظ اللهب، ما الأمر؟»

كما لو كان يجيب، تلوى لافظ اللهب فجأة، وقبل أن يتمكن سبتيموس من إيقافه كان قد وضع ذيله في فمه.

- «لا، لا! توقف يا لافظ اللهب، توقف».

أسرع سبتيموس نحو الذيل.. أمسك بإحدى فتحات أنف لافظ اللهب بقوة وجذبها بأقصى ما يمكنه.

- «دعه يا لافظ اللهب، دعه!» صاح سبتيموس وهو يصارع لجذب أنياب التنين المقوسة بعيدًا عن عباءات التدفئة الملفوفة بعناية، لكن بلا جدوى.

قال سبتيموس بصرامة: «لافظ اللهب؛ أنا آمرك أن تترك ذيلك.. الآن!».

تركه لافظ اللهب - الذي كان لا يشعر بأنه على طبيعته ذات الشخصية المواجِهة هذا الصباح - ولم يعجبه مذاق ذيله نهائيًّا.

وقد شعر سبتيموس بارتياح أكبر، فدفع رأس التنين بعيدًا، وقال له: «لافظ اللهب، يجب ألا تعَض ذيلك مرة أخرى». أعاد لف عباءات التدفئة الممزقة بينما نظر التنين إلى محاولات ربطه بعين

غاضبة.. انتهى من ربط العباءات معًا، ورفع رأسه وواجه نظرة لافظ اللهب، وقال: «لا تفكر حتى في ذلك يا لافظ اللهب، يجب أن تدع رباطك وشأنه.. لن يتحسن ذيلك إذا ظللت تعضه. هيا حرك رأسك في هذا الاتجاه، هيا».

أمسك سبتيموس بقوة بالفقرة الكبيرة التي على قمة رأس لافظ اللهب وسحبه بعيدًا عن ذيله. استغرق الأمر عشر دقائق من الإقناع والدفع والغرز للوصول برأس التنين إلى مسافة آمنة من ذيله مرة أخرى.

قال سبتيموس وهو يربض بجواره: «أنت فتى صالح يا لافظ اللهب، أعرف أنه مؤلم، لكنه سيتحسن قريبًا، أعدك بذلك». أحضر قزم الماء، وصب تيارًا متصلًا من الماء داخل فم لافظ اللهب، وقال له: «اخلد للنوم الآن يا لافظ اللهب» وفي مفاجأة له؛ أغمض لافظ اللهب عينيه في طاعة.

شعر سبتيموس بالسخونة والتعرق بعد الجهد الذي بذله مع ذيل لافظ اللهب.. بدا البحر باردًا ومشجعًا؛ فقرر أن يضع أصابع قدميه في الماء. جلس على حافة بركة لافظ اللهب، دون أن يلحظ أن لافظ اللهب كان ينظر إليه بعين واحدة بشيء من الاهتمام.. فك أربطته، وخلع حذاءه وجوربيه، وحرك أصابعه في الرمال الدافئة. على الفور شعر سبتيموس شعورًا رائعًا بالحرية، مشى ببطء على الشاطئ الذي يتدرج منبسطًا نحو الماء، وعبر الرمال الرطبة الصلبة التي

خلّفها المد المنسحب.. وقف عند حافة البحر يتابع قدميه وهما تغوصان قليلًا في الماء وهو في انتظار الموجة القصيرة التالية لتصطدم بأصابعه. وحين حدث ذلك كان سبتيموس متفاجئًا من مدى برودة المياه.. انتظر المويجات التالية، وبينما يستنشق الهواء النقي المشبع بالملح، شعر - للحظة عابرة - بسعادة لا توصف.

وشعر بحركة سريعة مفاجئة من خلفه.

استدار سبتيموس..

صاح: «لا يا لافظ اللهب». كان التنين يُطْبق بفكيه على ذيله مرة أخرى، وفي هذه المرة كان يمضغ.. هُرع سبتيموس عائدًا عبر الرمال، وقفز فوق الصخور، وبدأ في سحب التنين بعيدًا عن ذيله.

قال له سبتيموس بصرامة وقد نجح أخيرًا في جذب فكي التنين بعيدًا عن الرباط الممزق: «أنت تنين سيئ يا لافظ اللهب، يجب ألا تعَض ذيلك، إذا فعلت ذلك فلن يتحسن، وعندها...».. كان سبتيموس على وشك أن يقول: وعندها سنظل محتجزين هنا للأبد»، لكنه توقف. تذكر شيئًا اعتادت العمة زيلدا أن تقوله: إنه حين تقال الأشياء فإنها تصبح حقيقة على نحو أكثر سهولة، فغيرها بحرج إلى «وعندها ستندم».

لم يبدُ على لافظ اللهب أنه على وشك أن يندم على أي شيء؛ إذ رأى سبتيموس أنه يبدو غاضبًا بشدة. وفي تجاهل لنظرة تنينه - التي تعكس مزاجه السيئ - ربط سبتيموس ما بقي من عباءات

التدفئة الممزقة ووقف يحرسه وهو يحاول أن يقرر ماذا يفعل. تمنى أن يعود بيتل وجينا؛ فبإمكانه أن ينتفع ببعض المساعدة.. والصحبة. غير أنه لم يكن هناك أثر لهما.. كان عليه أن يفعل شيئًا حيال عض لافظ اللهب لذيله، وعليه أن يفعل ذلك الآن؛ فهو لا يعتقد أن الذيل سينجو من المزيد من الهجمات العديدة على غرار الهجمة الأخيرة. أبعد رأس لافظ اللهب عن ذيله مرة ثانية، وعندئذ، وهو يحتفظ بقبضة قوية على أنف لافظ اللهب، جلس وبدأ يفكر.

تذكر سبتيموس حادثًا وقع لقِطَّة والدة بيتل منذ عدة شهور مضت. كانت القطة - وهي مخلوقة عنيفة لم يألفها بيتل قط - قد أصابتها مشكلة بالذيل بعد معركة شرسة.. قامت والدة بيتل بربط الذيل بحنان، لكن القطة كانت تفعل ما يفعله لافظ اللهب تمامًا.. مرة بعد مرة. كانت السيدة بيتل تتحلى بالصبر أكثر من سبتيموس، وجلست مع القطة لثلاثة أيام وليالٍ قبل أن يصر بيتل على أن تأخذ قسطًا من النوم، ووعد بأن يتابع هو القطة. ومع ذلك لم يكن بيتل مخلصًا مثل والدته؛ فقد نزع قاعدة لعبة قديمة على شكل دلو وحشر الدلو في رأس القطة حتى ترتديه وتكون على هيئة **قلادة عنق سحرية**. لكن الدلو حل المشكلة بشكل جميل؛ فلم تعد القطة قادرة على مهاجمة الأربطة الملفوفة حول ذيلها؛ إذ لم تكن قادرة على إيصال رأسها من خلال جوانب الدلو. شعرت والدة بيتل بالرعب

حين استيقظت ورأت قطتها الحبيبة والدلو على رأسها، لكن حتى هي كان عليها أن تعترف بأن فكرة بيتل نجحت على نحو جيد.. وقضت الأسابيع التالية تعتذر للقطة، بينما كانت الأخيرة تتجاهلها عمدًا، ولكن الذيل شُفي، تم نزع الدلو، وتوقفت القطة عن العبوس. فكر سبتيموس أن ما نجح مع قطة غاضبة من المحتمل أن ينجح مع تنين يحمل الغضب نفسه.. لكن أنَّى له أن يجد دلوًا عملاقًا؟

قرر سبتيموس أن عليه فقط أن يصنع دلوه الخاص. أخذ قدحًا جلديًّا من سرجي مارشا، ونزع القاعدة، وقطع بطول الوصلة التي ترتفع على جانبه نحو القمة.. بعد ذلك - وقد قال للافظ اللهب بصرامة شديدة إن عليه ألا يتحرك بمقدار بوصة وإلا فستكون هناك مشكلة كبرى - فرَدَ الشريط الجلدي الصّغير الهلالي الشكل على الرمال وأدى سبع **تعاويذ تضخيم**، سامحًا للجلد بأن ينمو ببطء، ومتجنبًا خطر أن ينهار، وهو ما يمكن أن يحدث كثيرًا مع تعويذة تضخيم حماسية على نحو مبالغ فيه. وأخيرًا صار معه قطعة من الجلد طولها نحو عشرة أقدام وعرضها أربعة أقدام.

والآن جاء الجزء الصعب؛ وصل سبتيموس إلى لافظ اللهب؛ وهو يجر قطعة الجلد **المتضخمة** على الرمال؛ رفع لافظ اللهب رأسه ونظر إليه متشككًا.

فطن سبتيموس لنظرة التنين وبادله إياها، وبأسلوب رسمي جدًّا قال: «يا لافظ اللهب؛ بوصفي راعيك، فإني أصدر الأمر لك بأن تبقى ثابتًا». بدا التنين مُفَاجأً، ولكن لدهشة سبتيموس، أطاع الأمر. لم يكن سبتيموس متأكدًا كم من الوقت ستدوم هذه الطاعة؛ لذا فقد شرع في العمل على وجه السرعة؛ لفَّ قطعة الجلد الثقيلة حول رأس التنين وشمعها بطول الخط الذي كان قد قطعه قبل دقائق قليلة.

وحين حرره راعيه أخيرًا من الأمر الذي أصدره له وتراجع للخلف ليرى ما صنع بيديه؛ صار لافظ اللهب يحمل على رأسه ما بدا على هيئة دلو جلدي ضخم، ويحمل كذلك تعبيرًا بالغ الانزعاج.

وبينما كان سبتيموس يراقب لافظ اللهب، صار يدرك أنه هو نفسه يتعرض للمراقبة.

- «سبتيموس».

التفت؛ لكن لم ير أحدًا.

- «سبتيموس... سبتيموس».

انتفضت الشعيرات في مؤخرة عنق سبتيموس.. كان هذا هو الصوت الذي سمعه ينادي اسمه حين بدأ الطيران نحو المركز التجاري.

وقف سبتيموس بجوار تنينه ليحميه، جاعلًا ظهره نحو لافظ اللهب، ثم التف ببطء في دائرة وتفحص الصخور، والشاطئ،

والبحر الخالي، والكثبان الرملية، والأعشاب الشجرية الصخرية خلف الكثبان والتل من ورائها.. لكنه لم ير شيئًا. كرر الدوران مرة ثانية، مستخدمًا تقنية جيش الشباب القديمة بتتبع الحركة من خلال النظر أمامه مع الانتباه لما يقع عند حافة مرمى بصره؛ وعندئذ.. وجدها.

هيئة شخص.. بل شخصين... يمشيان داخل العشب المتشابك خلف الكثبان.

نادى سبتيموس: «جينا! بيتل!».. انتابه شعور كبير بالارتياح حيال الهاجس الذي تسلل إليه، وجرى نحو الكثبان ليقابلهما.

قالت جينا أثناء تزحلقها هي وبيتل على آخر كثيب في اتجاهه: «مرحبًا سبتيموس، أأنت بخير؟».

ابتسم سبتيموس: «نعم، صرت بخير الآن. هل قضيتما وقتا طيبا؟».

- «رائع.. ياله من مكان جميل! و... هه، ما هذا الذي على رأس لافظ اللهب؟»

قال بيتل: «إنه دلو قطة، أليس هذا صحيحًا يا سِب؟».

ابتسم سبتيموس.. كانت عودة جينا وبيتل أمرًا جيدًا حقًّا. فهناك ما لا يمكن إنكاره؛ وهو أن الجزيرة مكان من المزعج أن تبقى فيه وحيدًا.

وبعد ظهر ذلك اليوم أعد سبتيموس مخبأً.

لقد تمكن منه الإحساس بأنه مُراقب، وشعر سبتيموس بنفسه يعود أدراجه إلى طريقة تفكير جيش الشباب. الطريقة التي بدأ ينظر بها للأمر؛ إنهم محاصرون في مكان غريب وسط أخطار مجهولة، وربما غير مرئية، وعليهم أن يتصرفوا وفقًا لذلك؛ وهذا يعني أن يكون هناك مكان آمن لقضاء الليالي. وباستخدام محتويات **حقيبة ضابط جيش الشباب المتدرب للنجاة من أرض الأعداء**، وبمساعدة مترددة - بالأحرى - من جينا وبيتل - اللذين أحبَّا النوم على الشاطئ ولم يفهما ما الذي كان يقلقه - بنى سبتيموس مخبأً وسط الكثبان. اختار موقعًا يكشف الخليج لكنه قريب من لافظ اللهب بما يكفي لحراسته.

تناوب هو وبيتل على حفر حفرة عميقة ذات جانبين منحدرين ودعماها بالأخشاب الطافية لتجنب خطر انهيارها. بعد ذلك دفع سبتيموس بمجموعة الأقطاب التليسكوبية المرنة الخاصة بمارشا داخل الرمال حول الحفرة وغطاها بلفة من قماش الكتان **التمويهي** خفيف الوزن الذي وجده محشورًا في قاع الحقيبة، والذي اختلط بالكثبان جيدًا حتى إن بيتل أوشك أن يخطو فوقه ويسقط. بعد ذلك غطى سبتيموس سطح قماش الكتان بطبقة سميكة من العشب الذي جلبه من الكثبان؛ لأن هذا ما كانوا يفعلونه دائمًا في **جيش الشباب**، وبدا من الخطأ ألا يفعل. وقف بعيدًا ليبدي إعجابه

بصنع يديه.. كان فرحًا؛ فقد بنى أحد مخابئ **جيش الشباب** التقليدية.

كان المخبأ من الداخل فسيحًا على نحو يثير الدهشة، وقد فرشوه بعشب طويل غليظ ووضعوا فوقه السرجين ليكونا بمثابة بساط. قنعت به جينا؛ إذ أعلنت أنه «حقًّا مريح». أما من الخارج فقد كان مدخله لا يكاد يُرى؛ فلم يكن سوى شق ضيق يُشرف من خلال المنحدر الواقع بين كثيبين على البحر من ورائهما. كان سبتيموس واثقًا تمام الثقة أنه بمجرد أن يغطى هو الآخر بالعشب؛ فإن أحدًا لن يمكنه أن يخمن مطلقًا أنهم هناك.

في مساء ذلك اليوم جلسوا على الشاطئ وطهوا سمكًا.

احتوت حقيبة **ضابط جيش الشباب المتدرب للنجاة من أرض الأعداء** - بالطبع - على خيوط صيد وصنانير وطُعم مجفف، والتي كانت مارشا قد تذكرتها بطبيعة الحال. وحين غطى المد الرمال الدافئة حاملًا معه كميات كبيرة من الأسماك السوداء والفضية؛ جلس بيتل فوق صخرة وصاد ستًّا في تتابع سريع.. خاض في المياه عائدًا وقد رفع السمك عاليًا في إحساس بالنصر، وعمل مع جينا لإعداد النار من الخشب الطافي على الشاطئ.

طهوا السمك على طريقة سام هيب المجربة، وذلك بوضعه في عصي رطبة ثم فوق النيران المتوهجة. وتكفل خبز مارشا **الطازج**

دائمًا والفواكه المجففة بتوفير باقي الوجبة، وقدم قزم الماء الكثير من جرعات **شراب الفاكهة الفوار** التي لم يُحصوا عددها.

جلسوا إلى وقت متأخر من الليل يتناولون دببة الموز وقطع حلوى الرواند، وشاهدوا البحر وقد بدأ ينحسر مرة أخرى تاركًا الرمال تتلألأ في نور القمر.. وبعيدًا على امتداد الخليج رأوا صف الصخور الداكنة الطويل الذي يؤدي إلى صخرة وحيدة تقف مرتفعة مثل عمود الارتكاز أسمتها جينا **صخرة القمة**. وعن يمينهم، بعد صخور لافظ اللهب، رأوا القمم الصخرية لجزيرة صغيرة عند نهاية اليابسة، والتي أحجمت جينا عن تسميتها؛ إذ كان لديها شعور غريب بأن الجزيرة تعرف اسمها ولن تستحسن أن يُطلق عليها اسمٌ آخر. كانت الجزيرة، في الحقيقة، تسمى **جزيرة النجمة**.

في معظم الوقت لم يكونوا يلتفتون يمنة ولا يسرة، لكنهم كانوا يمعنون النظر إلى الأمام حيث الأضواء البعيدة للمنارة، تلك الأضواء التي قادتهم إلى الجزيرة وأنقذتهم. تحدثوا عن الرجل الضئيل الحجم الذي كان في أعلى المنارة، وتساءلوا عمن يكون وكيف وصل إلى هذا المكان. وحينئذ، وبعد وقت طويل، حشروا أنفسهم داخل المخبأ وراحوا سريعًا في سبات.

في وقت لاحق، في الساعة المبكرة من الصباح، عادت الفتاة ذات الهيئة النحيفة الغامضة والرداء الأخضر لتتجول في أنحاء التل، ووقفت أعلى المخبأ تستمع إلى أصوات النوم.. ندت حركة عن سبتيموس؛ ففي أحلامه كان هناك من يناديه، وحَلم بأنه وضع دلوًا على رأسه ولم يعد يسمع شيئًا.

⸸ 24 ⸸

البريد

عودة إلى برج السحرة.. كانت مارشا تتناول الإفطار في وقت متأخر للغاية.. كان على مائدتها - بجانب فتافيت التوست المتناثرة، وقدر قهوة متجهم (كان قد سقط مع صف التوست بسبب الصراع على الأسبقية) - كبسولة زجاجية صغيرة مقسومة بعناية إلى نصفين بطول خطها الجانبي الأحمر المنقط، وشريط رقيق من الورق الملفوف. وعلى الأرض بجانب قدميها كانت هناك حمامة تنقر في كومة من الحبوب.

في مطبخ الساحرة العظمى كانت ضغوط الأسبوع المنصرم ظاهرة بجلاء؛ فقد تكومت مجموعة من الأطباق دون غسل في

الحوض، وعدد متنوع من الفتات، وهو ما كان مصدر سعادة للحمام، الذي افترش الأرض.. كانت مارشا لا تزال مشتتة قليلًا؛ إذ حين كانت تقلب دقيق الشوفان هذا الصباح فنجح قدر القهوة في الإفلات من دفع رف التوست عن المائدة دون حتى أن تلاحظ ذلك.

كانت مارشا نفسها لا تبدو في أفضل أحوالها.. فقد ظهرت الهالات الداكنة تحت عينيها الخضراوين، وتجعد رداؤها الأرجواني، ولم يكن شعرها مصففًا بعناية كما يجب أن يكون. ولم تكن فكرة تأخير الإفطار فكرة واردة تقريبًا، إلا ربما في يوم **عيد منتصف الشتاء**.

لكن مارشا لم تكن قد نامت كثيرًا الليلة الماضية.. فبعد انقضاء منتصف ليلة الموعد النهائي لعودة سبتيموس - الذي حدده بنفسه - قضت الليلة تحملق في الفضاء من نافذة المراقبة الصغيرة الواقعة أعلى سطح **المكتبة الهرمية**؛ على أمل أن ترى أثرًا للتنين العائد، لكنها لم تر شيئًا، ومع الضوء الأول للفجر رأت الهيئة الداكنة لحمامة **بريد الحمام** تخفق بجناحيها قاصدة **برج السحرة**.

كانت الحمامة قد وصلت حاملة كبسولة رسالة. تنهدت مارشا تنهيدة ارتياح حين فتحتها ورأت اسم سبتيموس (مُلصقًا بغرابة) على الجانب الخارجي من اللفافة الصغيرة. كانت قد فكت قطعة

الورق الرقيقة، وقرأت الرسالة، وشعرت بارتياح بالغ، وراحت في النوم على الفور على مكتبها.

ابتلعت مارشا آخر رشفة من قهوتها وأعادت قراءة الرسالة:

عزيزتي مارشا؛ وصلنا بأمان.. الجميع هنا.. الكل بخير، لكن العودة تأخرت.

لافظ اللهب متعب جدًّا.. نحن على متن سفينة ميلو.

لم نغادر بعد، لكننا سنفعل بأسرع ما يمكن.

لك حب متدربك الأول. سبتيموسxxx.

ملاحظة: أرجو إخبار السيدة والدة بيتل بأنه بخير.

كان من السهل قراءتها؛ فكل حرف وُضع بانتظام في مربع على شبكة خانات.. فكرت مارشا بابتسامة ساخرة أنه ربما يكون عليها أن تجعل سبتيموس يكتب بهذه الطريقة مستقبلًا. أخرجت قلمها من جيبها لتكتب الرد، وقد كنس طرف كمها ما تبقى من فتات التوست من على المائدة.. صاحت مارشا في طلب الجاروف والمقشة ليأتيا ويكنسا، وبينما كان الجاروف والمقشة يقومان بالتنظيف كانت قد ملأت بعناية خانات الرد في خلفية الرسالة:

سبتيموس: تسلمت الرسالة.. رحلة آمنة.. سأقابلك في الميناء عند عودة السيريس.

مارشا×

لفَّت مارشا قطعة الورق وأعادت وضعها في الكبسولة.. ربطت نصفي الزجاجة معًا وأمسكتهما في وضع قائم حتى **يعاد تشميع** الزجاج.

وفي تجاهل للجلبة الواقعة عند قدميها، وقد سحبت المقشةُ فتات الخبز المرتعب إلى داخل الجاروف ولم تسمح له بالخروج مرة أخرى؛ التقطت مارشا الحمامة وأعادت ربط الكبسولة في القرطاس على ساقها. مشت مارشا وهي تُطْبق على الحمامة – التي نقرت بسعادة الفتات القليل العالق بكم ردائها – نحو نافذة المطبخ الصغيرة، وفتَحتْها.

دفعت مارشا الحمامة بقوة خارج حافة النافذة.. هز الطائر جسده ليعدل ريشه المنفوش، وبعدها، وبضربة من جناحيه، ارتفع في الهواء ورفرف مبتعدًا في اتجاه الأسطح **غير المنتظمة** لمنطقة العشوائيات.

ووسط غفلتها عن صوت الجاروف وهو يفرغ محتوياته في أنبوب قمامة المطبخ، وعن رقصة النصر لقدر القهوة وسط الأطباق المتسخة، تابعت مارشا الحمامة وهي تتجه أعلى حدائق

قمم الأسطح المزخرفة وتخرج فوق النهر، إلى أن غابت عن ناظريها فوق الأشجار على الضفة الأخرى.

كانت هناك - رغم ذلك - رسالة أخرى يجب التعامل معها.. كانت عقارب ساعة المطبخ (وهي مقلاة كان قد حوَّلها ألثر، ولم يطاوعها قلبها لترميها) قد أشارت للتو إلى الثانية عشرة إلا الربع، وكانت مارشا تعرف أن عليها أن تسرع.. هُرعت إلى داخل غرفة الجلوس، ومن الرف العريض نصف الدائري الذي فوق المدفأة أخذت بطاقة **القصر** الصلبة التي كانت مستندة على إحدى الشموع. كانت مارشا لا تحب الرسائل الآتية من **القصر**؛ إذ كانت - في العموم - تأتي من سارة هيب حاملة بعض تساؤلات لا يمكن إجابتها عن سبتيموس. ومع أن هذه الرسالة، التي وصلت في وقت مبكر جدًّا من الصباح - لم تكن من سارة، ولكن كانت بالقدر نفسه من الإزعاج، إن لم يكن أكثر. كانت من العمة زيلدا، وكانت مكتوبة بحبر أسود غليظ يستحيل تجاهله، وكانت تقول:

مارشا..

يجب أن أراك لأمر عاجل. سأحضر إلى برج السحرة عند منتصف نهار اليوم.

زيلدا هيب

الحارسة

نظرت مارشا في الرسالة مرة أخرى، وشعرت بمسحة القلق المعتادة التي تصاحب أي شيء له علاقة بالعمة زيلدا. تجمدت.. كان لديها موعد مهم في دار المخطوطات لمدة ثلاث دقائق قبل منتصف النهار. خالفت كل مبادئها في الذهاب قبل موعدها مع جيلي دجين، لكن هذه المرة كان الأمر يستحق.. فإذا أسرعت، فسيمكنها أن تصل إلى دار المخطوطات فقط قبل أن تتدحرج زيلدا آتية عبر **طريق السحرة**. الآن يمكنها أن تفعل ذلك لتجنب نفسها بقبقة الهراء السحري الصادر من ساحرة بيضاء في وجهها. في الحقيقة، يمكنها دائمًا أن تفعل بدون بقبقة الهراء السحري.

ألقت مارشا عباءتها الصيفية الجديدة المصنوعة من الصوف الخالص المزينة بالحرير على كتفيها، وأسرعت خارجة من غرفتها، آخذة الباب الأرجواني على حين غرة، وبينما كانت تسرع عبر العتبة المؤدية إلى السلم الحلزوني الفضي؛ انغلق الباب بحذر بالغ؛ فلم تكن مارشا تحب الأبواب التي تحدث ضجة. وقفت السلالم الحلزونية صامتة وانتظرتها بأدب لتخطو فوقها. وبعيدًا أسفل السلالم كان هناك صف من **السحرة العاديين** جميعهم تعرضت رحلاتهم للتعثر على نحو مفاجئ.. راحوا يقرعون بأرجلهم بنفاد صبر، فيما كان بعيدًا بالأعلى، في الطابق العشرين، تقف ساحرتهم الاستثنائية على السلالم.

وجهت مارشا التعليمات للسلالم: «**أسرعي!**»، وعندئذ، وأمام فكرة البقبقة في وجه العمة زيلدا قالت: «**حالة طوارئ!**». فانطلقت السلالم متحركة، دائرة بأقصى سرعة، وكان السحرة المنتظرون بالأسفل قد انحنوا للأمام، وكان اثنان من السحرة - لم يسعهما الوقت للإمساك بالدرابزين المركزي - قد استبعدا من الهبوط التالي بشكل غير رسمي، أما الباقون فكان عليهم الصعود بطول الطريق نحو قمة البرج والعودة للأسفل مرة أخرى بمجرد نزول مارشا إلى **القاعة الكبرى**. تم توقيع ثلاثة نماذج للشكاوى وتسليمها للساحر المنوب، الذي ضمها إلى مجموعة من النماذج المماثلة تتعلق باستخدام الساحرة العظمى للسلالم.

هرعت مارشا عبر فناء برج السحرة، وقد خفف عنها أنه لم يكن هناك أي أثر للعمة زيلدا، التي كان من السهل تمييزها بخيمتها المنتفخة المزركشة، وحين دخلت إلى ظلال القنطرة الكبرى كان وقع حذائها الأرجواني المدبب المصنوع من جلد الثعبان يرسل صداه عبر الجدران اللازوردية. نظرت في ساعتها واندفعت داخل شيء ناعم ومنتفخ ومزركش على نحو يثير الشك.

شهقت العمة زيلدا: «أف، حاولي أن تنظري إلى أين تذهبين يا مارشا».

تأوهت مارشا وقالت: «آه.. حضرتِ مبكرًا».

بدأت الدقات المعدنية لساعة ساحة البزازين في الظهور عبر قمم الأسطح.

قالت العمة زيلدا وقد دقت الساعة اثنتي عشرة مرة: «أعتقد أنك ستكتشفين أنني في موعدي تمامًا يا مارشا، آمل أن تكوني قد تلقيتِ رسالتي».

- «نعم يا زيلدا، تلقيتها. ومع ذلك، ففي ظل الحالة المزرية لخدمة الجرذان الرسل وما يستتبعها من طول الوقت الذي يستغرقه السحرة البسطاء ليحصلوا على الرسائل عبر المستنقعات، كنت - لسوء الحظ - غير قادرة على الرد بأن لدي ارتباطًا مسبقًا».

قالت العمة زيلدا: «حسنًا، شيء جيد أن أصطدم بك الآن إذن».

قالت مارشا وهي تشرع في الانصراف: «حقًّا؟ حسنًا، أنا جد آسفة يا زيلدا. كنت أحب أن أتبادل معك الحديث قليلًا، ولكني ببساطة مضطرة للإسراع»، لكن زيلدا - التي كان بإمكانها أن تسرع الخطى حين تريد ذلك - قفزت أمامها وسدت طريقها للخروج من القنطرة. قالت العمة زيلدا: «لا تسرعي هكذا يا مارشا. أعتقد أنك سترغبين في سماع هذا. إنها تخص سبتيموس».

تنهدت مارشا: «وما الذي لا يخصه؟» لكنها توقفت وانتظرت لتسمع ما الذي كان على العمة زيلدا أن تقول.

سحبت العمة زيلدا مارشا نحو ضوء الشمس في **طريق السحرة**. كانت تعرف كيف أن الأصوات تنتقل خارج **القنطرة الكبرى** عبر فناء **برج السحرة**، وهي لم ترد أن يسمع أي ساحر فضولي؛ وكان كل السحرة فضوليين، من وجهة نظر العمة زيلدا.

همست العمة زيلدا، وقد احتفظت بقبضة قوية على ذراع مارشا: «هناك شيء ما يحدث».

رسمت مارشا تعبير الحيرة وعلقت قائلة: «هناك عادة شيء يحدث يا زيلدا».

- «لا تحاولي أن تتذاكي يا مارشا، أعني شيئًا يحدث لسبتيموس».
- «حسنًا، نعم، من الواضح أن هناك شيئًا. لقد طار طوال الطريق إلى **المركز التجاري** وحده. هذا بالفعل شيء كبير».
- «ولم يعد؟»

لم تر مارشا ما شأن العمة زيلدا بمكان سبتيموس، وكانت تميل بشدة لأن تقول إنه عاد، ولكن شفرة الساحرة العظمى المنتبهة، القسم 1، بند س ع ي ع م ك ح ح س («الساحرة العظمى لا يصدر عنها عمدًا مطلقًا أي كذب، حتى لإحدى الساحرات») فأجابت، باقتضاب شديد: «لا».

مالت العمة زيلدا نحو مارشا بطريقة تآمرية.. تراجعت مارشا للوراء.. كانت رائحة العمة زيلدا مزيجًا قويًّا من الكرنب ودخان الخشب وطين المستنقع، همست: «أنا رأيت سبتيموس».

- «أنتِ رأيتِه؟ أين؟»

- «لا أعرف أين. هذه هي المشكلة. لكني رأيته».

- «آه، تلك الرؤيا القديمة».

- «لا حاجة لأن تزدري الرؤى هكذا يا مارشا، الرؤى تحدث، وأحيانًا تصدق.. والآن استمعي لي. قبل أن يغادر، رأيت شيئًا فظيعًا؛ لذا فقد أعطيت بارني بوت...».

تعجبت مارشا: «بارني بوت! وما دخل بارني بوت في كل هذا؟».

قالت العمة زيلدا صارخة: «لو توقفتِ فقط عن المقاطعة، لربما عرفتِ». دارت كما لو كانت تبحث عن شيء: «آه، ها أنت، عزيزي بارني.. لا تكن خجولًا الآن، أخبر الساحرة العظمى بما حدث».

خرج بارني بوت من خلف رداء العمة زيلدا المنتفخ.. كان أحمر الوجه من الإحراج.. دفعته العمة زيلدا للأمام: «تفضل يا عزيزي، أخبر مارشا بما حدث. إنها لن تعضك».

لم يكن بارني مقتنعًا، فلم يزد عن قول: «أممم.. أنا، هاا».

تنهدت مارشا في نفاد صبر.. لقد تأخرت تقريبًا، وكان آخر شيء تحتاجه في هذا الوقت أن تضطر للاستماع إلى بارني بوت المتلعثم. نفضت مارشا يد العمة زيلدا القابضة عليها وقالت: «آسفة يا زيلدا، أنا واثقة أن بارني لديه قصة رائعة ليحكيها، لكني حقًّا يجب أن أذهب».

- «مارشا، انتظري. لقد طلبت من بارني أن يعطي سبتيموس تعويذة السلامة الحية الخاصة بي».
- أوقف هذا مارشا في مسارها: «يا للسماوات العُلا يا زيلدا! **تعويذة سلامة** حية؟ هل تقصدين: جنيًّا؟»
- «نعم يا مارشا.. هذا ما قلته».
- بدت مارشا ذاهلة: «يا إلهي.. أنا حقًّا لا أدري ماذا أقول.. ليس لدي أي فكرة أن لديكِ شيئًا كهذا».
- «حصلت بيتي كراكل عليها.. لم أجرؤ على التفكير كيف. لكن الأمر أن سبتيموس لم يحصل عليها، وأمس تلقيت خطابًا من بارني». فتشت العمة زيلدا في جيوبها وأخرجت قطعة ورقية مكرمشة ظنت مارشا أنها تحمل ما يُشك في أنه رائحة براز تنين.. وضعتها في يد مارشا المقاومة.

أمسكت الورقة على طول ذراعها (ليس لأنها لم تطق رائحة براز التنين وحسب؛ ولكن لأن مارشا لم ترد أن تدرك زيلدا أنها تحتاج إلى نظارة)، قرأت مارشا:

عزيزتي السيدة زيلدا..

أتمنى أن تصلك هذه.. أنا متأسف جدًّا جدًّا لكن المت.. المتر.. المتدرب لم يأخذ تعويذة السلامة التي أعطيتها لي، وبعدها أخذها أحد الكتبة وأنا أردت أن تعرفي هذا لأني لا أريد أن أصبح تمساحًا..

من بارني بوت

ملحوظة: أرجوك أخبريني لو كان يمكنني المساعدة لأني أريد ذلك.

«تمساح؟» سألت مارشا وهي تنظر إلى بارني في حيرة.

همس بارني: «أنا لا أريد أن أصبح تمساحًا».

علقت مارشا: «حسنًا يا بارني، ومن يريد هذا؟» أعادت الورقة لزيلدا وقالت: «أنا لا أعرف ما الذي تفعلين كل هذا الضجيج من أجله يا زيلدا. أشكر الآلهة أن سبتيموس لم يأخذها، فبعد كل هذه المشكلات مع **حجر البحث** ما كنت أتوقع أن يأخذه. إنه شيء جيد أن الكاتب أخذها **ليحفظها في أمان**، على الأقل هناك شخص ما لديه إحساس بالمسئولية. بصراحة يا زيلدا، ليس من العدل إعطاء **تعويذة سلامة** حية لشخص صغير جدًّا، ليس من العدل على الإطلاق.. أنا لن أسمح قطعًا لسبتيموس بأن يكون لديه جنِّي.. إن لدينا ما يكفي من المشكلات مع تنينه البائس ذلك بدون كيان

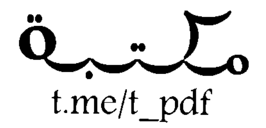
مزعج يتسكع أيضًا. الآن أنا حقًّا يجب أن أغادر؛ فلدي موعد مهم جدًّا في دار المخطوطات». وبهذا انطلقت مارشا في **طريق السحرة**.

«حسنًا!» تعجبت العمة زيلدا لمجموعة من المتفرجين الذين كانوا - بالأحرى - متحمسين لرؤية ساحرتهم الاستثنائية وهي ترتفع إلى ما هو معروف عنها من قدراتها الجدلية، وكانوا يتطلعون إلى إمتاع أصدقائهم بالقصة.

انطلقت العمة زيلدا في نفاد صبر مخترقة الحشد الصغير، وحين ظهرت مع بارني بوت المتعلق في ردائها مثل الصدفة الملتصقة، صرخ بارني: «ها هو! الكاتب! الكاتب الذي أخذ تعويذة السلامة!».

في منتصف طريق السحرة رأى صبي أشعث بالغ الطول يرتدي زي كتبة حقيرًا، رأى خيمة مزركشة ضخمة تخرج من حشد صغير، فاستدار وجرى.

صاحت العمة زيلدا بصوت طوق **طريق السحرة**: «ميرين! ميرين ميريديث، أريد كلمة معك!».



25

طرق السحرة

بمصاحبة رنة حازمة ونقر عداد يتجه نحو الثالثة عشرة، اندفعت مارشا فاتحة باب دار المخطوطات ودخلت إلى المكتب الأمامي. كان المكتب الأمامي خاليًا ويعكس انطباعًا بالإهمال، جعل ذلك مارشا تدرك مدى ما كان يقوم بـه بيتل باعتباره موظف المكتب الأمامي. كان المكان يبدو دائمًا نظيفًـــا ومنظمًـــا جيدًا. ورغم أن النافذة كانت تبـــدو مكدسة لأعلاها بالكتب والأوراق (وبشطائر السجق أحيانًـــا)، فقـد كانت ذات مظهر يدل على العناية، وكأن أحدًا ما يعتني بها بالفعل.

اتجهت مارشا نحو المكتب - الذي تناثرت عليه الأوراق والفتات وأغلفة الحلوى - وضربت عليه بقوة. تفحصت مفاصل يدها بنفور؛ إذ كانتا لزجتين وتفوح منهما رائحة العرقسوس. فقد كانت مارشا تكره العرقسوس.

صاحت بنفاد صبر: «أريد التسوق! أريد التسوق!».

انفتح الباب بقوة في الفاصل الخشبي الزجاجي الذي يفصل دار المخطوطات نفسها عن المكتب الأمامي ولم يخرج منه سوى رئيسة الكتبة السحريين، الآنسة جيلي دجين نفسها، وقد صدر عن ردائها الحريري الأزرق الداكن صوت حفيف ساخط.

قالت بحدة: «هذا مكان للدراسة والتركيز يا مدام مارشا، أرجو احترام ذلك. هل جئت لدفع فاتورتك؟».

قالت مارشا بعداء: «فاتورة؟ أي فاتورة؟».

- «المطالبة رقم 000003542678 ب لا تزال معلقة. الخاصة بالنافذة».

زفرت مارشا: «أعتقد أننا لا نزال في نزاع حول هذا الأمر».

قالت جيلي دجين: «قد تكونين أنت في نزاع، أما أنا فلا. فلا شيء محل نزاع».

قالت مارشا مستخدمة كلمة ونغمة كان سبتيموس قد بدأ مؤخرًا في استخدامهما: «أيًّا كان، الآن أنا لدي موعد بشأن القباء».

انتظرت مارشا وهي تضرب بقدميها بنفاد صبر. تنهدت جيلي دجين.. نظرت حولها بحثًا عن دفتر اليوميات، وأخيرًا أخرجته من أسفل كومة أوراق على المكتب. قلبت الصفحات السميكة ذات اللون الأصفر الشاحب بكثير من التأني.

- «والآن فلنرَ،... آه، نعم، حسنًا، لقد تأخرت عن الموعد دقيقتين و...» تفحصت رئيسة الكتبة السحريين ساعتها المعلقة في وسطها البدين: «واثنتين وخمسين ثانية».

ندت عن مارشا إشارة سخط.

تجاهلت جيلي دجين ذلك: «ومع ذلك، يمكنني أن أحدد لك موعدًا في غضون سبعة عشر يومًا في... دعيني أرَ.... الحادي و... الحادي والثلاثين تجديدًا»..

قاطعتها مارشا: «الآن».

ردت جيلي دجين بحسم: «لا يمكن».

- «لو كان بيتل هنا....».

قالت جيلي دجين بفتور: «السيد بيتل ترك وظيفته لدينا».

سألت مارشا: «وأين موظفكم الجديد؟».

بدت جيلي دجين غير مرتاحة؛ فميرين لم يظهر لليوم الثاني على التوالي، حتى هي نفسها بدأت تتشكك في حكمتها بشأن تعيينها الأخير: «إنه... هه.. لديه ارتباط بمكان آخر».

- «حقًّا؟ يا لها من مفاجأة! حسنًا، بما أن لديك نقصًا بالغًا في العاملين فيبدو أنني سيتعين علي أن أتوجه إلى القباء دون صحبة».

ربعت رئيسة الكتبة السحريين ذراعيها وحدجت الساحرة العظمى بنظرة تتحداها لعدم الموافقة قائلة: «لا. هذا ليس ممكنًا».

واجهت مارشا تحديها: «آنسة دجين، كما تعرفين جيدًا، لدي الحق في فحص القباء في أي وقت، وعلى سبيل الكياسة - ليس إلا - كان تحديدي لموعد، ومع ذلك، يبدو أن الكياسة لا محل لها هنا. أنا أعتزم الذهاب للقباء الآن فورًا».

احتجت جيلي دجين: «ولكنك كنت هناك الأسبوع الماضي».

- «صحيح تمامًا، وأنوي أن أفعل ذلك كل أسبوع، وكل يوم وكل ساعة أرى فيها ضرورة لذلك. تنحي جانبًا».

وهكذا اجتاحت مارشا المكان ودفعت الباب في الفاصل الرفيع المؤدي لداخل دار المخطوطات. توجهت أنظار واحد وعشرين كاتبًا إليها. توقفت مارشا، وفكرت للحظة، ثم ألقت عملة معدنية كبيرة - كراون مزدوج - على منضدة المكتب الأمامي. قالت: «هذا يكفي لإصلاح نافذتك يا آنسة دجين. احصلي بالباقي على قَصة شعر لائقة».

تبادل الكتبة النظرات والابتسامات المكتومة. اتسعت خطوات مارشا عبر صفوف المناضد العالية وهي تدرك جيدًا أن

اثنين وعشرين زوجًا من العيون تتبع كل حركاتها. فتحت الباب السري الموجود في رفوف الكتب بقوة، واختفت داخل الممر المؤدي إلى القباء. انغلق الباب من خلفها، وقال بارتريدج: «ميوووووووو».

ولفرحة بارتريدج، ضحكت موظفة الفحص المعينة حديثًا، روميلي بادجر.

وفي القباء بالأسفل اكتشفت مارشا أمرين: واحدًا سارًّا والآخر أقل كثيرًا في إثارة السرور.

كانت المفاجأة السارة أن تيرتيوس فيوم، شبح المخازن الفظ المتعجرف، لم يكن في مكانه، ولأول مرة كانت مارشا قادرة على الدخول إلى القباء دون أن تنزعج بكلمات السر. استمتعت مارشا بالوجود وحدها في المخازن. أضاءت المصباحين، وتركت واحدًا على المنضدة بجوار المدخل ليرشدها عند العودة وأخذت الآخر إلى داخل الغرف العفنة ذات القباب الواقعة أسفل طريق السحرة. وعلى سبيل الكياسة، كان الطبيعي أن يُرسل أحد الكتبة للقباء مع الساحرة العظمى ليلبي لها طلباتها، لكن اليوم - كما لاحظت مارشا - كان هناك نقص في مخزون الكياسة بدار المخطوطات. ومع ذلك، مثل كل الساحرات العُظميات، كانت لدى مارشا نسخة من خريطة القباء، وكانت راضية تمامًا؛ لأنها

عرفت طريقها خلال متاهة الصناديق، والحقائب، وأنابيب التخزين المعدنية، كلها مرصوصة ومبوبة بانتظام منذ آلاف السنين.

كانت القباء تضم سجلات **القلعة وبرج السحرة**، ولم يكن هناك ما يضارعها. كان هذا دائمًا من دواعي الصلف في أوساط رؤساء الكتبة السحريين، لكنه كان سببًا للانزعاج أيضًا، إذ كانت الساحرات العظميات بالفعل يملكن حق الدخول للقباء في أي وقت، وفي بعض الخرائط القديمة (المحفوظة بسرية في المكتب العلوي لرئيسة الكتبة السحريين) كانت القباء تظهر باعتبارها تنتمي لبرج السحرة.

وجدت مارشا ما كانت تبحث عنه: صندوق الأبنوس الأسود الذي يحتوي على الخطة الحية لما يقع بالأسفل. حدثت مؤخرًا بعض المشكلات في الفتحات الجليدية؛ إذ أصبحت **غير مختومة**، وكانت مارشا تراقب الأمور. على ضوء المصباح مزقت الختم الشمعي، وسحبت صحيفة الورق الضخمة، وفردت الخريطة بعناية. أظهرت الخريطة كل فتحات النفق الجليدي **المختومة**، بما في ذلك الأنفاق التي لم تظهر في الخريطة الأساسية التي أعطيت لموظف الفحص. أمعنت مارشا النظر في الخريطة، ولم تكن

قادرة تمامًا على تصديق ما تراه؛ كان النفق الرئيسي الخارج من القلعة غير مختوم من كلا طرفيه.

بعد دقائق انفتح الباب السري الموجود في رفوف الكتب، واندفعت منه مارشا إلى داخل دار المخطوطات. نظر كل الكتبة إليها. رُفعت الأقلام، لم يلتفتوا لقطرات الحبر الواقعة على أعمالهم، تابعوا الساحرة العظمى وهي تسرع بين المناضد وتختفي داخل الممر الضيق ذي السبعة أركان الذي يقود إلى الغرفة السحرية.

انتشرت همهمات الإثارة في أرجاء القاعة؛ ما الذي ستقوله رئيستهم عن ذلك؟ فلم يدخل أحد، ولا حتى الساحرة العظمى، الغرفة السحرية دون إذن. انتظر الكتبة الانفجار الحتمي.

ولدهشتهم لم يحدث الانفجار؛ فبدلًا من ذلك ظهرت جيلي دجين عند مدخل الممر وهي تبدو مضطربة قليلًا وقالت: «الآنسة بادجر، هلا أتيتِ إلى داخل الغرفة من فضلك؟».

انزلقت روميلي بادجر من فوق مقعدها تصحبها نظرات الشفقة، وتبعت جيلي دجين إلى داخل الممر.

قالت مارشا عند دخول روميلي إلى الغرفة السحرية في أعقاب جيلي دجين: «آه، آنسة بادجر».

كانت الغرفة صغيرة مستديرة مطلية باللون الأبيض، ومفروشة بزجاج يبدو عليه القدم مسند إلى الحائط، ومنضدة خالية في

المنتصف. لجأت جيلي دجين إلى ما وراء المنضدة، في حين تحركت مارشا بخطوات سريعة مثل نمر محبوس بقفص.. واحد من النمور الأرجوانية الخطرة.

قالت روميلي وقد اقتنعت أنها ستتبع خطوات سلفها ويتم صرفها باختصار: «نعم يا مدام أوفرستراند».

- «آنسة بادجر، تقول لي الآنسة جيلي دجين إن **مفتاح ختم** فتحات النفق الجليدي ليس متاحًا حاليًا. بمعنى آخر، إنه مفقود.. هل هذا صحيح؟».

«آ، أمم...» لم تكن روميلي واثقة ماذا تقول. فكل ما تعرفه أنها لم تصبح موظفة التفتيش إلا منذ أربعة أيام، وأنها لم تضع قدمًا بعد في الأنفاق الجليدية بسبب ما أسمته رئيسة الكتبة السحريين «صعوبات فنية».

سألت مارشا: «آنسة بادجر، هل رأيت **المفتاح** بالفعل منذ أن تسلمت وظيفتك؟».

- «لا يا مدام أوفرستراند، لم أره».
- «ألم يبدُ لك ذلك شيئًا غريبا؟».

لمحت روميلي نظرة جيلي دجين الثاقبة فتلعثمت: «حسنًا، أنا....».

قالت مارشا: «آنسة بادجر، هذه مسألة ملحة للغاية، وسأقدر أي معلومات تمامًا، مهما كان عدم أهميتها من وجهة نظرك».

أخذت روميلي نفَسًا عميقًا.. هكذا الأمر.. في غضون نصف ساعة قد تصبح في الشارع، تمسك بقلم دار المخطوطات الخاص بها وتبحث عن وظيفة أخرى، لكن كان عليها أن تجيب بصدق. «الأمر يتعلق بالكاتب الجديد - ذي البثور - الذي يقول بعض الناس إن اسمه ميرين ميريديث، رغم أنه يقول إن اسمه دانييل هنتر. حسنًا، في اليوم التالي لمغادرة بيتل - في اليوم الذي عينت فيه موظفة التفتيش - ذهبت لإلقاء نظرة على خزانة المفتاح - وهي الصندوق الذي يُحفظ فيه المفتاح حين لا نكون في الأنفاق - وقد كان هو هناك. حين رآني دس شيئًا ما في جيبه وجرى بعيدًا. لقد أخبرت السيدة دجين، لكنها قالت إن الأمر على ما يرام؛ لذا فقد ظننت أنه كذلك، رغم أني رأيت أنه بدا مذنبًا بحق...» تلعثمت روميلي مرة أخرى. علمت أنها اقترفت شيئًا لا يُغتفر من نظرة جيلي دجين.

حدجت جيلي دجين روميلي وقاطعتها: «لو كنت تلمِّحين إلى أن السيد هنتر أخذ المفتاح، فيمكنني أن أؤكد أن ذلك غير ممكن؛ فهناك قفل في خزانة المفتاح لا يمكن لأحد معالجته سوى رئيسة الكتبة السحريين».

قالت روميلي: «إلا إذا...».

قالت مارشا: «ماذا يا آنسة بادجر؟».

- «أظن أن السيد ....هـا، هنتر، ربما يعرف جيدًا طريقة المعالجة».

- قالت جيلي دجين: «هراء!».

قالت روميلي بتردد: «أظن أن شبح القباء ربما يكون قد أخبره».

غمغمت جيلي دجين: «لا تكوني سخيفة!».

لم تحب روميلي أن يقال إنها سخيفة: «حسنًا، في الحقيقة يا آنسة دجين، أنا أعتقد أن شبح القباء قد أخبره بالفعل؛ فقد سمعت السيد هنتر يتباهى أنه هو و...»..

أكملت لها مارشا: «تيرتيوس فيوم».

شبكت روميلي سبابتيها وقالت: «هذا هو، هو وتيرتيوس فيوم مثل هذين. قال إن الشبح أخبره بكل الشفرات السرية. لم يصدقه فوكسي.. أقصد، السيد فوكس. وهو مسئول عن خزانات التعاويذ النادرة؛ لذا فقد سأل السيد هنتر عن ماهية طريقة الفتح، وكان السيد هنتر يعرفها. كان السيد فوكس في شدة الغضب وأخبر الآنسة دجين».

سألت مارشا متجاهلة جيلي دجين: «وماذا - إذن - قالت الآنسة دجين؟».

أجابت روميلي: «أعتقد أن الآنسة دجين قالت للسيد فوكس أن يغير القفل، وقد قضى السيد هنتر باقي اليوم يخبرنا أنه إذا أردنا أن

نعرف أي شيء فعلينا أن نسأله؛ لأنه يعرف أكثر حتى من رئيسة **الكتبة السحريين**».

صدرت عن جيلي دجين ضوضاء قد لا يخجل من القيام بها سوى جمل غاضب.

غير أن مارشا كانت أكثر تفهمًا، فقالت: «شكرًا جزيلًا لك يا آنسة بادجر، أنا أقدر أمانتك. أدرك أن هذا قد يضعك في موقف صعب هنا، لكني أثق بأنك لن تتعرضي لأي إزعاج» حملقت مارشا في جيلي دجين وتابعت: «ومع ذلك، لو حدث، فهناك دائمًا مكان لك في برج السحرة. طاب يومك يا آنسة دجين. لدي مسائل عاجلة تستدعي وجودي هناك».

اندفعت مارشا خارجة من دار المخطوطات وأسرعت في طريق السحرة. وبينما تسرع عبر **القنطرة الكبرى**، وقف في طريقها جسم ضخم.

- «زيلدا، أرجوكِ بحق السماء تنحي عن...» توقفت مارشا إذ أدركت أن من يقف في ظلام القنطرة لم يكن زيلدا هيب.. ملفوفًا في بطانية متعددة الألوان، بل وقف ابن أخي زيلدا هيب الأكبر **سايمون هيب**.

26

طرق سحرية

ارتكب ميرين ميريديث خطأ الاختباء في متجر **لاري للغات الميتة**، فلاري لم يكن يحب العرقسوس، وخرج من الباب مثل عنكبوت أحس بحركة حشرة طيبة المذاق على شباكه. وقد فزع لرؤية أحد كتبة دار المخطوطات ببابه.

هدر قائلًا: «هل أتيت طلبًا لترجمة؟».

همهم ميرين وهو يدور حول نفسه: «ها؟».

كان لاري رجلًا بدينًا أحمر الرأس تنبعث من عينيه نظرة شرسة ارتسمت من خلال دراسة الكثير جدًّا من نصوص اللغات الميتة العنيفة.

أعاد القول: «ترجمة؟ أم ماذا؟».

وسط حالة التوتر التي هو عليها، اعتبر ميرين هذا تهديدًا، وبدأ في التراجع بعيدًا عن الباب.

ارتفع صوت بارني في حماس: «ها هو! عند السيد لاري!».

فكر ميرين بسرعة أن يجري إلى داخل متجر لاري، لكن لاري كان يسد المدخل كله تمامًا؛ لذا فقد انطلق كالريح إلى داخل أحراش طريق السحرة وواجه مصيره.

بعد ثوانٍ كان بارني بوت يتشبث برداء ميرين مثل كلب صيد صغير. جاهد ميرين ليبعد بارني عنه، لكن بارني تعلق به بقوة أكبر، إلى أن اندفع كلب ضخم من فصيلة روتويلر في رداء مزركش وأمسك به.. تفوه ميرين بكلمة قبيحة.

- «ميرين ميريديث؛ ليس أمام الأطفال الصغار».

تجهم ميرين.

نظرت العمة زيلدا في عيني ميرين، وهو شيء كانت تعرف أنه لا يحبه.. أبعد نظره عنها.. قالت بصرامة: «والآن يا ميرين. لا أريد أي كذب من جانبك؛ فأنا أعرف ما فعلته».

همهم ميرين وهو ينظر لأي شيء سوى العمة زيلدا: «أنا لم أفعل شيئًا» ثم صاح: «ما الذي تحدقون فيه يا وجوه الأسماك؟! ابتعدوا».. كان هذا ما وجهه ميرين لحشد من المتفرجين، كان أغلبهم قد تبعوا العمة زيلدا عبر طريق السحرة بعد جدالها مع مارشا.. لم يأبهوا على الإطلاق، كانوا يستمتعون بيوم لطيف في الهواء الطلق، ولم يكونوا ليسمحوا لميرين بإفساده.. جلس واحد أو اثنان منهم على دكة قريبة ليشاهدا بارتياح.

- «والآن استمع لي يا ميرين ميريديث...».

غمغم ميرين بتجهم: «ليس اسمي».

- «هو بالطبع اسمك».

- «لا».

- «حسنًا، أيًّا كان ما تطلق على نفسك، عليك أن تستمع لي.. هناك شيئان ستفعلهما قبل أن أدعك تمضي...».

ارتفعت معنويات ميرين؛ فالساحرة العجوز ستطلق سراحه إذن، حقًّا؟ فقد تنحى جانبًا خوفًا من أن يؤخذ مرة أخرى إلى تلك الجزيرة القديمة كريهة الرائحة في وسط المستنقعات ويُجبر على أكل شطائر الكرنب لبقية حياته، استفهم باستياء: «أي شيئين؟».

- «أولًا، ستعتذر لبارني عما فعلته به».

نظر ميرين إلى قدميه: «أنا لم أفعل شيئًا له».

- «أوه، توقف عن التلاعب يا ميرين. أنت تعرف أنك فعلت. لقد سرقته بالإكراه، يا إلهي! وأخذت **تعويذة السلامة** الخاصة به.. أو بالأحرى: بي».

تمتم: «يا لها من **تعويذة سلامة!**».

- «ها أنت تعترف. الآن اعتذر».

كان الحشد يتزايد، وكان كل ما يرغب فيه ميرين هو الابتعاد من هناك، تمتم: «آسف».

- «بطريقة ملائمة».

- «هه؟»
- «أنا أقترح: بارني، أنا آسف جدًّا أنني فعلت هذا الشيء المروع، وآمل أن تسامحني».

كرر ميرين كُرهًا كلمات العمة زيلدا.

قال بارني بسعادة: «هذا حسن يا ميرين، أنا أسامحك».

قال ميرين بفظاظة: «إذن، هل يمكنني الانصراف الآن؟».

- «أنا قلت شيئين».. التفتت العمة زيلدا نحو المتفرجين وتابعت: «إذا عذرتموني، أيها الأناس الطيبون، أود أن أتحدث حديثًا سريًّا مع هذا الشاب. ربما تسمحون لنا ببعض اللحظات؟».

بدا المتفرجون محبطين.

اندفع ميرين قائلًا لهم: «إنه عمل مهم يخص دار المخطوطات. سري للغاية وما إلى ذلك. وداعًا».

انصرف المتفرجون بتلكؤ.

هزت العمة زيلدا رأسها وهمهمت في سخط: «هذا الصبي لديه جرأة». قبل أن يتمكن ميرين من التقاط أنفاسه، وضعت العمة زيلدا حذاءً ضخمًا على حاشية ردائه المجرجرة على الأرض، استفهم ميرين: «ماذا؟».

خفضت العمة زيلدا من صوتها: «والآن أعد لي القنينة».

نظر ميرين إلى حذائه ذي الرقبة مرة أخرى.

- «أعدها لي يا ميرين».

ببطء شديد سحب ميرين القنينة الذهبية القديمة من جيبه وسلمها لها. فحصتها العمة زيلدا ورأت في رعب أن الختم تم كسره، قالت بغضب: «لقد فتحتها».

لوهلة، بدا على ميرين الشعور بالذنب، قال: «لقد ظننتها عطرًا، لكنه كان شيئًا مرعبًا. لقد كدت أموت».

وافقته العمة زيلدا وهي تقلب القنينة الذهبية الصغيرة الفارغة- والأخف كثيرًا - مرة بعد مرة في يدها: «صحيح.. والآن يا ميرين؛ هذا أمر مهم، ولا أريد أي كذب، مفهوم؟».

أومأ ميرين باستياء..

- «هل أخبرت الجني أنك سبتيموس هيب؟»

- «نعم، بالطبع. فهذا هو اسمي».

تنهدت العمة زيلدا.. كان هذا سيئًا، قالت في صبر: «هذا ليس اسمك الحقيقي يا ميرين، ليس هو الاسم الذي أسمتك به أمك».

قال: «إنه الاسم الذي نوديت به لعشر سنوات. لقد حملته أكثر مما حمله هو».

ورغم غضبها منه كانت العمة زيلدا تحمل بعض الشفقة تجاهه. كان ما قاله صحيحًا، لقد أُطلق عليه سبتيموس هيب طيلة السنوات العشر الأولى من عمره. كانت العمة زيلدا تعرف أن ميرين مر

بأوقات قاسية، لكن هذا لا يعطيه رخصة لإرعاب الأطفال الصغار وسرقتهم.

قالت بصرامة: «أريدك الآن أن تقول لي ما قلته حين سألك الجني: (ما الذي ترغب فيه أيها السيد؟)».

- «نعم، حسنًا...».
- «حسنًا ماذا؟ حاولت العمة زيلدا ألا تتخيل نوع الأشياء التي قد يكون ميرين طلبها من الجني.
- «قلت له أن ينصرف عني».

شعرت العمة زيلدا بموجة من الارتياح: «هل فعلت ذلك؟».

- «نعم. ناداني بالغبي؛ لذا قلت له أن ينصرف».
- «أوَقد فعل؟»
- «نعم، بعدها حبسني، واستطعت أن أخرج وحسب. كان شيئًا مروعًا».

قالت العمة زيلدا بسرعة: «أنت على حق، والآن شيء أخير بعدها يمكنك أن تمضي».

- «ماذا أيضًا؟»
- «كيف يبدو الجني؟»

ضحك ميرين: «مثل الموزة، مثل موزة عملاقة غبية». وهكذا، تخلص من العمة زيلدا وجرى مسرعًا نحو دار المخطوطات.

تركته العمة زيلدا يمضي. وتمتمت: «حسنًا، أظن أن هذا يضيق المجال».

أمسكت بيد بارني بوت، وقالت: «بارني، هل تحب أن تساعدني في العثور على موزة عملاقة غبية؟».

ضحك بارني وقال: «أوه، نعم أرجوكِ».

بالعودة إلى القنطرة الكبرى، كانت مارشا أقرب للعجز عن الكلام أكثر من أي وقت مضى.

قالت ببرود شديد: «سايمون هيب، اخرج من هنا حالًا قبل أن...».

قال سايمون: «مارشا، اسمعي أرجوك.. إنه أمر مهم».

أيًا ما كان السبب، أهو صدمة **الأنفاق الجليدية غير المختومة** أم **المفتاح** المفقود أم مسحة التصميم المتهور في عيني سايمون؛ قالت مارشا: «حسنًا جدًا، أخبرني وبعدها انصرف من هنا».

تردد سايمون.. كان يتوق بشدة لأن يطلب من مارشا أن تعيد له **كرة اقتفاء الأثر، سلوث**، حتى يمكنه إرسالها في أثر لوسي، لكنه وقد صار الآن هنا بالفعل؛ كان يعرف أن هذا ضرب من المستحيل. إذا أراد أن تسمعه مارشا فعليه أن ينسى أمر **سلوث**.

بدأ بقوله: «سمعت شيئًا في الميناء أظن أنه ينبغي أن تعرفيه».

ضربت مارشا بأصابع قدمها بنفاد صبر: «حسنًا».

- «هناك شيء ما يحدث عند **منارة صخرة القط**».

نظرت مارشا إلى سايمون باهتمام مفاجئ: «منارة صخرة القط؟».

- «نعم...».

قالت مارشا: «تعال بعيدًا عن القنطرة؛ فالصوت ينتقل. يمكننا السير على طريق السحرة.. ستغادر عن طريق المعدية عند **البوابة الجنوبية**، أنا أستخدمها.. بإمكانك أن تخبرني ونحن في الطريق».

وهكذا وجد سايمون نفسه يسير إلى جوار الساحرة العظمى على مرأى كامل من أي شخص في القلعة يتصادف مروره؛ وهو شيء لم يحلم - قط - بأن يحدث، مطلقًا.

- «أنت تعرفين شبح القباء - تيرتيوس فيوم - أظن أن لديه علاقة بالأمر...».

صارت مارشا الآن مهتمة بشدة، قالت: «استمر».

- «حسنًا، أنت تعرفين أنني... آه... اعتدت الحضور إلى دار المخطوطات كل أسبوع...» تورَّد خدًّا سايمون ووجد اهتمامًا مفاجئًا بترتيب أحجار رصف طريق السحرة.

- قالت مارشا بحدة: «نعم، أنا حقًّا مدركة لهذه الحقيقة. توصيل العظام، ألم يكن ذلك؟».

- «بلى، كان ذلك. أنا.. أنا حقًّا، آسف حقًّا لهذا الأمر. لا أدري لِمَ كنت...».

- «لا أريد اعتذارات منك. أنا أنشغل بما يفعله الناس يا سايمون، لا بما يقولونه».
- «نعم بالطبع. حسنًا، حين كنت هناك، سأل تيرتيوس فيوم ما إذا كنت أرغب في أن أكون تابعه. كان يريد شخصًا يقوم بالأعباء عنه، على حد قوله. لقد خذلته ورفضت».

سألت مارشا: «هو أدنى مرتبة منك، أكان الأمر كذلك؟».

شعر سايمون أكثر بعدم الارتياح. كانت مارشا محقة تمامًا. كان قد أخبر تيرتيوس فيوم بتعالٍ بأن لديه أمورًا أهم بكثير ليقوم بها.

همهم: «حسنًا، الأمر هو أنه بعد أسابيع قليلة رأيت تيرتيوس فيوم بالأسفل على منصة الهبوط القديمة الخاصة بدار المخطوطات.. كان يتحدث إلى شخص بدا لي مثل قرصان. كما تعرفين، قرط ذهبي في أذنه، وشْم ببغاء على عنقه، ذلك النوع من الأشياء.. ظننت حينها أن وجه العنزة العجوز – آسف؛ تيرتيوس فيوم – وجد تابعه».

قالت مارشا: «وجه العنزة العجوز لقب لا بأس به عندي، إذن أخبرني يا سايمون: ماذا تعرف عن **صخرة القطة**؟».

- «حسنًا، إيه، أنا أعرف ما الذي يلمع فوقها... وما يقبع تحتها».

رفعت مارشا حاجبيها: «حقًّا تعرف؟».

بدا سايمون محرجًا، قال: «أنا آسف، لكن بسبب ما وصلت إليه حين صرت قليلًا، حسنًا، مجنونًا، فأنا أعرف الكثير من الأمور. هناك أمور أعرف أنه لا ينبغي أن أعرفها، لكني أعرفها، ولا أستطيع ألا أعرفها، إذا كنت تفهمين ما أعني».

استرق سايمون نظرة خاطفة نحو مارشا، لكنه لم يتلق استجابة.

- «لذا، فأنا أعرف عن جزر **الحورية**، وعن الأعماق، أمم، أشياء».

كانت نبرة صوت مارشا باردة: «حقًّا؟ إذن لمَ جئت لتخبرني؟ لماذا الآن؟».

تحدث سايمون كالمعتوه: «و... آه، إنه أمر سيئ، لقد هربت لوسي مع صبي، وأنا أتذكر الآن من هو، إنه صديق لـ...، لأخي، تلميذك.. لقد صوب مدفعه إلى عيني ذات مرة. ليس تلميذك، بل صديقه. أيًّا كان، فهو - الصديق، وليس أخي - هرب مع حبيبتي لوسي، وهما على ظهر مركب تابع للربان فراي الذي لديه ببغاء على عنقه، والذي حروف اسمه هي: ت ف ف، والذي يحمل الإمدادات **لصخرة القط**».

استغرقت مارشا لحظة لتستوعب ذلك: «إذن دعني أفهم ذلك مباشرة.. أنت تقول إن تيرتيوس فيوم لديه **تابع** ذهب إلى منارة **صخرة القط**؟».

- «نعم، وقبل أن يغادر، رأيت التابع يتحدث مع أونا براكيت. وقد أعطته طردًا».

غمر النفور وجه مارشا: «أونا براكيت؟».

- «نعم، أنا واثق من أنك تعرفين ذلك أيضًا، فلا هي ولا تيرتيوس فيوم صديقان للقلعة».
- «همم... إذن منذ متى غادر الربان فراي هذا... التابع هذا؟»
- «منذ يومين. لقد حضرت بأسرع ما أمكنني، كانت هناك عاصفة مروعة و...».

قالت مارشا منهية الحديث: «حسنًا، شكرًا لك، كان هذا غاية في التشويق».

- «آه. صحيح. حسنًا، إذا كان هناك أي شيء يمكنني عمله...».
- «لا، شكرًا لك يا سايمون. ستلحق بالكاد العبَّارة التالية إلى الميناء لو أسرعت. وداعًا». ومع هذه الكلمات استدارت مارشا على كعبها وانطلقت عائدة في طريق السحرة.

هرول سايمون في اتجاه العبارة وقد انتابه شعور بالضآلة.. عرف أنه ما كان ينبغي أن يتوقع أي شيء، لكن كان لديه أمل، مجرد احتمال، في أن مارشا قد تشركه في الأمر، تسأله عن رأيه، أو حتى تسمح له بقضاء الليلة في القلعة.. لكنها لم تفعل، وهو لم يلمها.

****

مشت مارشا في طريق السحرة مستغرقة في التفكير.. كانت زيارتها لدار المخطوطات، مصحوبة بلقائها المفاجئ مع سايمون هيب قد خلّفا لها الكثير لتفكر فيه. كانت مارشا مقتنعة بأن **تيرتيوس فيوم** له علاقة بعدم ختم **النفق الجليدي** السري، وكانت واثقة بأنه ليس من قبيل المصادفة أن يكون **تابعه** متجهًا في تلك اللحظة **لمنارة صخرة القط**. إن **تيرتيوس فيوم** يخطط شيئًا. تمتمت في نفسها: «العنزة العجوز الشرير».

كانت مارشا غارقة في التفكير حين جرى أمامها رجل طويل نحيف يرتدي قبعة صفراء مثيرة للسخرية، فاصطدمت به. طار كلاهما في الهواء. وقبل أن تتمكن مارشا من النهوض على قدميها في معاناة، وجدت نفسها وقد أحاط بها مجموعة من المتفرجين المهتمين - وبالأحرى المتحمسين - الذين كانوا مندهشين لدرجة منعتهم من تقديم أي مساعدة، وقد وقفوا يحدقون في مشهد ساحرتهم العظمى وهي ممدة تمامًا على طريق السحرة. ولأول مرة سعدت مارشا بسماع صوت العمة زيلدا. قالت العمة زيلدا: «انهضي بسلام!»، وهي تساعد مارشا على الوقوف.

«أشكرك يا زيلدا» قالت مارشا ذلك وهي تنفض الغبار عن عباءتها الجديدة، ثم حملقت نحو المتفرجين صارخة فيهم: «أليس لكم بيوت تذهبون إليها؟» أسرعوا في خوف وقد حفظوا قصصهم ليرووها لأسرهم وأصدقائهم (هذه الحكايات كانت

أصل أسطورة الساحر الأصفر الغامض القوي الذي - بعد معركة ضارية - طرح الساحرة العظمى أرضًا في البرد على طريق السحرة، فقط ليمسك به صبي صغير يحمل صفات البطولة).

تشتت الحشد، والآن رأت مارشا مشهدًا غريبًا. رجل غريب الشكل يرتدي واحدة من أكثر القبعات التي رأتها في حياتها غرابةً - وقد رأت مارشا عددًا من القبعات في زمانها - كان ملقى على الأرض يحاول النهوض.. كان يواجه بعض الصعوبة بسبب حقيقة أن بارني بوت كان جاثمًا على كاحليه كليهما.

قالت العمة زيلدا بنبرة انتصار: «أمسك به، أحسنت يا بارني!».

ضحك بارني.. لقد أحب السيدة التي في الخيمة. لم يمر بهذه المتعة من قبل مطلقًا. فقد طاردا معًا رجل الموز خلال الأزقة والمحال، ولم يغب عن نظر بارني للحظة، والآن أمسكا به وأنقذا الساحرة العظمى، أيضًا.

قالت العمة زيلدا التي تعرف كيف تسيطر على جني: «حسنًا يا مارشا، أمسكي بإحدى ذراعيه وأنا سأمسك بالأخرى؛ فهو لن يحب ذلك.. لا يزال لديكم **غرفة مختومة** في برج السحرة، أليس كذلك؟».

- «نعم لدينا. يا إلهي يا زيلدا، ما سبب ما يجري بحق السماء؟»

- «مارشا، أمسكي به وحسب، هلا فعلت؟ هذا جني سبتيموس الهارب».

- «ماذا؟» حملقت مارشا في جيم ني بالأسفل الذي رمقها بنظرة مخادعة.

قال: «إنها مسألة خطأ في الشخصية يا مدام، أستطيع أن أؤكد لك، ما أنا إلا عابر سبيل مسكين من شواطئ بعيدة. كنت أستمتع بوقتي في فاترينة أحد المحال في شارعكم الرائع في هذه القلعة الفاتنة حين هاجمتني هذه المرأة المجنونة التي ترتدي خيمة وجعلت طفلها الهمجي يجثو فوقي. ابتعد عني، ممكن؟» حاول جيم ني جاهدًا تحريك قدميه، لكن بارني بوت كان لا يمكن تحريكه.

سألت مارشا وهي تنظر إلى العمة زيلدا، التي صارت تطبق الآن على ذراع جيم ني: «زيلدا، هل أنت متأكدة؟».

- «متأكدة بالطبع يا مارشا. لكن إن أردت دليلًا، فيمكنك أن تناليه» وبحرص شديد أخرجت العمة زيلدا قنينة جيم ني الذهبية ونزعت سدادتها.. شحب لون الجني..

انتحب قائلًا: «لا، لا، ارحموني. أتوسل إليكم لا تعيدوني إليها».

في لحظة كانت مارشا على الأرض بجوار العمة زيلدا، وكان جني سبتيموس فيما أسمته مارشا «الحبس الوقائي».

بينما كان جيم ني يمشي في طريق السحرة، وقد حشر بقوة بين مارشا والعمة زيلدا، وقد تقدمهم بارني بوت على الطريق بفخر؛ توقف

الناس عما يفعلونه وحملقوا.. وتجمع حشد المتفرجين مرة أخرى وتبعوهم طوال الطريق إلى القنطرة الكبرى، لكن مارشا لم تلاحظ.. كانت مشغولة جدًّا بخطتها من أجل الجني.. وحسبما سارت الخطط، عرفت مارشا أنها جيدة. كانت تحتاج أن تقنع بها العمة زيلدا، التي - بوصفها **الموقظة** - يلزم أن توافق.

وبينما هم يمرون وسط الظلال الباردة للقنطرة المبطنة باللون اللازوردي، قالت مارشا: «زيلدا، هل ترغبان أنت وبارني في الصعود إلى غرفتي لتناول الشاي؟»..

بدت العمة زيلدا متشككة: «لماذا؟».

- «لقد مر وقت طويل منذ أن دار بيننا حديث ملائم، ولدي رغبة في قطع شوط نحو رد ضيافتك الكريمة في المستنقعات منذ عدة سنوات. كانت أوقاتًا سعيدة».

لم تتذكر العمة زيلدا إقامة مارشا بهذه النظرة الوردية. كانت تميل إلى الرفض، لكنها شعرت أنه ينبغي أن تسأل بارني أولًا: «حسنا يا بارني، ما رأيك؟».

أومأ بارني، وكان وجهه يلمع بالتعجب، قال: «آه، نعم، أرجوكِ».

قالت العمة زيلدا وهي تشعر أنها ستندم على ذلك: «شكرا لك يا مارشا، هذا عطف كبير».

وبينما كان جيم ني محبوسًا في غرفة برج السحرة **المختومة**، أجلست مارشا بارني بالأسفل مع مجموعة مصغرة من لعبة كونتر فييت وكعكة الشوكولاتة المفضلة لديه. بعد ذلك، شرحت خطتها لزيلدا.. كان على مارشا أن تكون أكثر تهذيبًا مما يمكنها أن تتحمل، لكن في النهاية كان الأمر يستحق ذلك؛ فقد حصلت على ما أرادت.

إن مارشا كانت غالبًا تحصل على ما تريد حين تركز تفكيرها فيه.

27

إلى المنارة

في الصباح التالي – وعلى مسافة بعيدة عن برج السحرة – وصل مركب أسود ذو شراع أحمر داكن إلى منارة صخرة القط.. وصل دون أن يلاحظه أحد فيما عدا حارس المنارة الذي تابعه وقد انتابه شعور بالرهبة.



– «لقد أوشكنا على الوصول، يمكنكما أن تخرجا الآن» ظهر رأس جاكي فراي من الفتحة العلوية مثل مصباح غريب متدلٍّ.. لمع شريط براق من أشعة الشمس لمعان الخنجر، ورمشت عينا سارة جرينج والفتى

الذئبي. لم يكونا قد رأيا ضوء الشمس لوقت بدا أنه سنوات، رغم أنه في الواقع تجاوز ثلاثة أيام بقليل، والحق أنهما رأيا بعض الضوء متمثلًا في الشمعة التي كان جاكي فراي يحضرها كل مساء حين يأتي ليقدم لهما وجبة عشائهما الضئيلة من السمك - ياه، كم كانت لوسي تكره السمك! - وليلعب الورق معهما، ولكن طبقًا **لكتاب قواعد جاكي فراي** فقط، والتي كانت تعني بشكل أساسي أنه مهما حدث فإن جاكي فراي هو الذي يفوز.

همهس جاكي: «أسرعا! أبي يقول الآن، اجمعا حاجياتكما معًا واربطاها جيدًا».

قالت لوسي، التي كان من الصعب إرضاؤها حين تغضب: «ليس معنا أي حاجيات».

«حسنًا، اربطاها إذن».

صدر صوت خوار من على السطح، واختفى رأس جاكي.. سمعته لوسي والفتى الذئبي وهو يصيح: «آه يا أبي، إنهما قادمان. آه، حالًا. بسرعة!» حشر رأسه مرة أخرى، وقد بدا عليه الرعب: «اصعدا هذا السلم وإلا فسنهلك جميعًا».

وبينما كانت المارودر تضرب وتتمايل وسط الأمواج تسلقت لوسي والفتى الذئبي السلم وتحركا ببطء على السطح. تنفسا هواء البحر المنعش

في تعجب.. كيف أمكن أن يحمل الهواء تلك الرائحة الرائعة؟ وكيف للضوء أن يكون له كل هذا البريق؟ ظلّلت لوسي عينيها ونظرت فيما حولها، في محاولة لتحديد اتجاهها.. شهقت؛ إذ وسط السماء الزرقاء اللامعة ارتفع عمود منارة أسود هائل، بدا وكأنه نما من الصخور مثل جذع شجرة ضخم.. كانت قاعدته عبارة عن صخرة تؤدي - على نحو تدريجي - إلى كتل ضخمة من الجرانيت المنقر المغطى بقطران سميك، وكان عليه قشرة من البرنقيل. فبينما كانت المنارة ترتفع في اتجاه السماء، كان الجرانيت قد غطته الحجارة المغطاة بالقطران. تساءلت لوسي، التي كانت مفتونة دومًا بالطريقة التي تُصنع بها الأشياء: كيف يمكن لأي إنسان أن يكون قد بنى ذلك البرج الضخم وقد أحاطه البحر الذي يضرب فيه بلا توقف؟ غير أن أكثر ما فتن لوسي كان قمة المنارة: بدت تشبه رأس قطة.. كان هناك مثلثان مصنوعان من الحجر بدَوَا للوسي مثل أذنين، إنهما الأغرب على الإطلاق وسط كل هذا، وكانت هناك نافذتان على شكل لوزتين تمثلان العينين؛ منهما خرجت حزمتا ضوء شديدتا اللمعان حتى إن لوسي استطاعت رؤيتهما في ضوء الشمس.

بميلة شديدة تقلب المعدة، انحدرت المارودر في جوف موجة، وكانت الشمس قد حجبتها المنارة، فخيم عليهم

ظل بارد. في أعقاب ذلك أخذتهم الموجة عاليًا حتى إن لوسي راحت تنظر بشكل مستقيم إلى قاعدة المنارة المغطاة بالطحالب. وسرعان ما سقطت المارودر مثل حجر يتدحرج من جانب إلى آخر. وفجأة شعرت لوسي بغثيان قوي جدًّا، وفي الوقت المناسب أسرعت إلى حافة المركب وتقيأت خارج المركب.

جأر الربان فراي بالضحك، وكان يقف بلا مبالاة ممسكًا بذراع المقود، وقال بضجر: «نساء على متن المراكب، لا فائدة منهن!».

بصقت لوسي في البحر، ثم استدارت والشرر ينطلق من عينيها قائلة: «ماذا...؟».

كان الفتى الذئبي قد قضى من الوقت مع لوسي ما جعله يعرف متى توشك على الانفجار. جذب كتفها وهمس: «توقفي يا لوسي».

حملقت لوسي في الفتى الذئبي، وهزت رأسها هزة المهر الغاضب، وتخلصت من قبضة الفتى الذئبي، وانطلقت نحو الربان.. وقع قلب الفتى الذئبي، هذه هي النهاية، فلوسي على وشك أن تُلقى من فوق السطح.

كان جاكي فراي معجبًا بلوسي رغم وقاحتها معه وإطلاقها عليه اسم مخ السوس وقسمات البق. حدَس ما سيقع فقفز أمامها.

قال بإلحاح: «لوسي، أريد مساعدتك، فأنت قوية. ألقي لنا الحبل، موافقة؟».

توقفت لوسي بنفاد صبر.. فقد بدت نظرة رجاء في عيني جاكي الذي همس: «أرجوك يا آنسة لوسي، لا تدعي الأمر يتجاوز الحدود، أرجوكِ».

****

بعد عشر دقائق، وبمساعدة لوسي - التي تحولت لتكون رامية حبال بارعة - رُبطت المارودر إلى عمودين حديديين كبيرين وسط الصخور الواقعة فوق ميناء صغير مبتور من الصخرة الواقعة عند سفح المنارة. أمعن جاكي فراي النظر في المركب، متسائلًا في قلق إذا ما كان استخدم حبالاً كافية. كان من الصعب تحديد ذلك. فالمزيد من الحبال سيؤدي بالمارودر إلى الانجراف نحو الصخور، والقليل سيؤدي إلى تركها تسترخي عند انسحاب المد، وإذا حسبها خطأ في كلتا الحالتين فستكون هناك مشكلة.

صاح القبطان في لوسي: «اصعدي هذا السلم».

قالت لوسي لاهثة: «ماذا؟» وهي تحملق في السلم الحديدي الصدئ المزين بالوحل والطحالب، الذي حلق على قمته جاكي فراي في قلق.

- «أسمعتِ، اصعدي السلم، حالًا!»

قال الفتى الذئبي الذي كان يشتاق إلى وضع قدمه على الأرض مرة أخرى، حتى لو كان على صخرة موحلة في وسط البحر: «هيا يا لوسي».

صعدت لوسي السلم وقد أمطرها رذاذ الأمواج المتلاطمة بالأسفل، وتبعها عن قرب الفتى الذئبي والربان فراي. وترك كرو النحيف ليتصارع مع أربع لفائف ضخمة من الحبال، والتي نجح في النهاية في رفعها على السلم بمساعدة جاكي والفتى الذئبي.

يقودهم الربان فراي، تسلقوا ممرًّا ضيقًا محفورًا على مسافة عميقة داخل الصخرة التي تتجه نحو المنارة. راح إحساس الفتى الذئبي بالارتياح من كونه على الأرض يتبخر بسرعة، فعند نهاية الممر كان بوسعه أن يرى بابًا حديديًّا يعلوه الصدأ عند قاعدة المنارة، وحين خطا داخل الظلال الباردة التي شكلتها المنارة كانت ساقاه تؤلمانه بسبب ثقل الحبال التي أُجبر على حملها، إذ شعر أنه هو ولوسي يساقان إلى السجن.

وصل الربان فراي إلى الباب أولًا وأشار إلى كرو النحيف بنفاد صبر. أسقط كرو النحيف الحبال وأمسك بالعجلة الصغيرة المثبتة عند وسط الباب، ولف العجلة بعنف.. لثوانٍ لم يتحرك شيء سوى عيني كرو النحيف اللتين برزتا للغاية حتى ظن الفتى الذئبي أنهما، إذا حالفهما الحظ، ربما تخرجان من تجويفهما.

وعندئذٍ؛ وبصوت صرير عميق من داخل الباب، بدأت العجلة في الدوران. وضع كرو النحيف كتفه المدببة على الباب ودفع.. وبوصة تلو الأخرى فُتح الباب الصدئ ببطء وهو يَصُر، ويتدفق تيار هواء عفن ليقابلهم.

جأر الربان فراي: «ادخلوا. افعلوا ذلك بسرعة». أعطى الفتى الذئبي دفعة لكنه بحكمة ترك لوسي لتدخل حسب إيقاعها الخاص.

كانت المنارة من الداخل تعطي إحساسًا بأنها مثل مغارة تحت الأرض.

جرت جداول ماء غاية في الصغر على الجدران الطينية، ومن مكان ما جاءت أصوات تجويف تطقطق عليه قطرات ماء، وإلى الأعلى فوقهم ارتفع فراغ هائل به درجات معدنية حلزونية ضعيفة ملتصقة على نحو يثير التوتر بالحوائط الحجرية المستديرة. كان الضوء الوحيد يأتي من الباب نصف المفتوح، وحتى هذا كان يتلاشى بسرعة؛ إذ دفعه كرو النحيف حتى انغلق، ومع رنة التجويف قرع الباب عائدًا إلى إطاره المعدني، وغاصوا جميعهم في ظلام دامس.

أطلق الربان فراي اللعنات، وألقى بلفافة الحبال التي يحملها محدثًا قرعًا شديدًا، وسأل مستنكرًا: «كم مرة يجب أن أخبرك ألا

تغلق الباب قبل أن أشعل المصباح، يا مخ الروث؟» وفي جلبة أخرج قداحته وأخذ يحك حجرها، دون نجاح يذكر. عرض جاكي فراي في قلق: «سأوقدها أنا يا أبي».

«لا لن تفعل.. هل تظن أنني لا أستطيع إشعال لمبة صغيرة حقيرة؟ ابتعد عن طريقي، أيها الولد الأحمق». أصاب صوت ارتطام جاكي وهو يلقى على الحائط لوسي والفتى الذئبي بالخوف، وتحت غطاء الظلام تحركت لوسي نحو الصوت. عثرت على جاكي ولفّت ذراعها حوله، وحاول جاكي ألا يبكي.

فجأة ومن مكان ما قرب منتصف البرج الأعلى، سمعت لوسي والفتى الذئبي بابًا يصفق، وبعدها رنة مقدمة حذاء من الصلب على الدرجات الحديدية. بدأت خطوات أقدام ثقيلة تقعقع في طريقها نازلة الدرجات مسببة صدى واهتزازًا، وحاملة الصوت طوال المسافة إلى الأرض. رفعت لوسي والفتى الذئبي عنقيهما للأعلى، وشاهدا دائرة ضوء خافتة بالأعلى فوقهم، راحت تزداد قربًا شيئًا فشيئًا مع كل دوران.

بعد خمس دقائق طوال، نزل توءم كرو النحيف آخر درجة في السلم، وتمكن الربان فراي أخيرًا من إشعال المصباح. توهجت الشعلة فأظهرت ملامح كرو السمين، الذي كان - رغم لفائف

الدهون - يشبه أخاه على نحوٍ غريب. أضاء بمصباحه الخاص هيئتي لوسي والفتى الذئبي.

دمدم بصوت لا يمكن تفريقه عن صوت كرو النحيف: «ما هؤلاء؟».

همهم توءمه: «شيء ليس له فائدة. هل أنت جاهز يا كبير الوجه؟».

رد كرو السمين: «نعم يا مخ الجرذ، أكثر من جاهز.. إنه سيجعلني أجن».

ضحك كرو النحيف في سره: «لا تبق هكذا طويلًا، هئ هئ».

انعكس ضوء المصباح على وجه الربان فراي محولًا إياه للون أصفر كريه.

قال: «حسنًا، هيا تحرك بخفة، وليتك تقوم بها بشكل صحيح، لا أريد أي دليل».

تبادلت لوسي والفتى الذئبي نظرة قلق خاطفة.. دليلًا على ماذا؟

سأل كرو السمين، مشيرًا إلى الفتى الذئبي الذي كان يتوق إلى إنزال لفافة الحبال: «هل سيأتي؟».

قال الربان: «لا تكن غبيًا، لا أثق بهذين اللذين معي يا آخر أسماك الماكريل المتعفنة. خذ حبله وانصرف».

سأل كرو السمين: «ماذا يفعلان هنا إذن؟».

قال الربان فراي: «لا شيء.. بإمكانكما أن تلقيا بهما خارجًا فيما بعد».

ابتسم كرو السمين وقال: «سيكون من دواعي سرورنا يا زعيم».

وجهت لوسي نظرة رعب نحو الفتى الذئبي.. شعر الفتى الذئبي بالغثيان.. كان على حق؛ فالمنارة كانت سجنًا.

انطلق التوءمان كرو وجاكي فراي صاعدين الدرَج.

صاح الربان: «انتظروا!» توقف جاكي والأخَوان كرو. قال بصوت هادر: «ستنسيان رءوسكما المرة القادمة، خذا هذين» أخرج من جيبه كتلة متشابكة من الأشرطة السوداء وقطعًا بيضاوية من الزجاج الأزرق الداكن، وقال بصوت عميق: «أيها التوءمان... واحد لكل منكما، ارتدياها أنتما تعرفان متى، لا أريدكما أن تصيرا عميانًا حين يكون لدينا عمل نقوم به».

مد كرو النحيف ذراعًا نحيلة، وتناول ما كان في الحقيقة زوجًا من واقيات العين.

بدا جاكي فراي قلقًا، فسأل: «ألن أحصل على واحدة يا أبي؟».

– «لا، هذا عمل الرجال. عليك أن تحمل الحبل وتفعل ما يقال لك، أفهمت؟»

– «نعم يا أبي، ولكن ما فائدتهما؟»

– «لا تسألني أي أسئلة، وأنا لن أكذب عليك. الحقْ بهم على السلم يا ولد، حالًا!»

ترنح جاكي تحت كتلة الحبال، تاركًا الربان فراي في بئر البرج يحرس الفتى الذئبي ولوسي.

بعد خمس دقائق من الصمت القلِق المصحوب بسماع صوت قطرات الماء وأصداء وقع الأقدام الصاعدة على السلالم، جال خاطر سيئ ببال الربان فراي.. إنه الفريق الأقل عددًا. كان طبيعيًا أن ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي لم يضع فتاة في اعتباره حين كان يحسب الفريق المعارض، لكنه هذه المرة شعر أن من الحكمة أن يحسب حساب لوسي جرينج. وكان هناك شيء غريب في الصبي أيضًا، شيء وحشي.. سرى خيط من الرعب صاعدًا إلى عنق الربان جعل ببغاءه الموشوم ينتفض.. وفجأة لم يرغب في قضاء ثانية أخرى بمفرده مع الفتى الذئبي ولوسي جرينج.

قال بصوت هادر دافعًا الفتى الذئبي من ظهره: «حسنًا، أنتما الاثنان، يمكنكما الصعود وراءهم».

تأكد الفتى الذئبي أن لوسي تحركت أولًا ثم تبعها. تحرك ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي على مسافة قريبة خلفهما، وكان صوت أنفاسه المجهدة قد قطع على الفور صوت رنين الخطوات التي تلف بعيدًا بالأعلى. كان الطريق طويلًا طويلًا نحو الأعلى، وظهر تأثير التسلق على فراي اللاهث. استمرت لوسي والفتى الذئبي في الصعود متجهين للأمام بثبات.

كانت السلالم التي تبدو بلا نهاية تتخللها أماكن للهبوط كل سبع لفات.. كل مهبط كان به باب يؤدي للخارج. توقفت لوسي والفتى الذئبي لبرهة عند المهبط الرابع ليلتقطا أنفاسهما

حين انطلق نحوهما شعاع ضوء مبهر من أعلى قمة المنارة، تلتْه - بعد ثوان قليلة - صرخة مرعبة.. أو هل كانت مرعبة؟! وسط الضوء الأزرق والأبيض اللامع تبادلت لوسي والفتى الذئبي نظرات مرتعبة.

همهم الفتى الذئبي: «ماذا كان ذلك؟».

همهمت لوسي: «صرخة قطة».

همهم الفتى الذئبي: «بل صرخة بشرية».

همست لوسي: «أو كلتاهما؟».

28

ضربة الكماشة

جمعت الصرخة كلا الصوتين. إذ إن ميار - البشري لكن **المقترن بالقطط** منذ أجيال من الماضي - كان يدافع عن حياته. كان ميار رجلًا نحيفًا ضئيلًا خفيف الوزن؛ فخمسة «ميار» يساوون «واحد كرو» سمينًا، وميارا ن يساويان «واحد كرو» نحيفًا؛ وهذا يعني أنه في مواجهة التوءمين كرو، كان ميار بالنسبة للمعادلة العددية فعليًا واحدًا مقابل سبعة.

كان ميار في منصة المراقبة حين اندفع الأخَوان كرو وجاكي فراي داخلين بحبالهما وألقيا بها على الأرض. كان ميار قد سأل عن سبب وجود الحبال فقيل له: «لا شيء تقلق من أجله..».



أخبرت نظرة واحدة إلى وجه جاكي فراي المرعوب ميار بكل ما احتاج لمعرفته.. فكان أن جرى مسرعًا لأعلى صاعدًا على عمود الأقدام (عمود ذو مساند للقدمين مثبتة على كلا جانبيه)، وفتح بابًا مسحورًا ولجأ لمكان لا أحد في الظروف العادية يجرؤ على أن يتبعه إليه: **مسرح الضوء**.

كان **مسرح الضوء** هو المساحة الدائرية الواقعة عند أعلى قمة المنارة. في مركز الدائرة أخذت تتوهج **كرة الضوء**؛ وهي جسم ضخم مستدير من الضوء الأبيض الباهر. كان **الضوء** محاطًا بممشى رخامي أبيض ضيق. خلف **الضوء**، وفي الجزء المعزول من المنارة، قام لوح جداري من الفضة البراقة، وكان ميار يقوم بتلميعه كل يوم. وفي الجانب المواجه للبحر كانت هناك عدستان زجاجيتان ضخمتان، وكان ميار يلمعهما يوميًّا أيضًا. كانت العدستان موضوعتين على بعد عدة أقدام خلف الفتحتين اللتين على شكل لوزتين - العينين - اللتين كان يتم تركيز **الضوء** من خلالهما. بلغ ارتفاع العينين أربعة أمثال طول ميار، وبلغ طولهما ستة أمثاله. كانتا مفتوحتين على السماء، وحين صفق ميار الباب السحري وأوصده، هب عليه نسيم صيفي منعش محمل برائحة البحر، وجعل الرجل القط يشعر بالحزن. تساءل عما إذا كان هذا آخر صباح يشم فيه نسيم البحر.

كان الأمل الوحيد لميار أن الأخوين كرو سيكون بهما من الرعب ما يجعلهما لا يصعدان إلى **مسرح الضوء**. بعد عدة أجيال كانت عائلة ميار قد تكيفت مع **الضوء** بزرع جفون ثانوية داكنة -**أغطية ضوء**- كانوا يستطيعون الرؤية من خلالها دون أن يصيبهم **الضوء** بالعمى. لكن أي شخص بدون هذه الحماية ينظر إلى **الضوء** مباشرة سيجد أن بريقه يحرق العين، ويخلف ندبًا في مركز الرؤية؛ حتى إنه - وإلى الأبد - سيرى شكل **كرة الضوء** وسط غياب معتم للرؤية. غير أنه حين بدأ القرع على الجانب السفلي من الباب المسحور، عرف ميار أن أمله راح سُدًى. تقوقع بجوار **الضوء** واستمع إلى أصوات قرع قبضات كرو النحيف على المعدن الرقيق المصنوع منه الباب المسحور الذي صنع ليكون مضادًا للضوء وليس مضادًّا للكرو. كان يعرف أنه لن يصمد طويلًا. وفجأة انخلع الباب عن فصالاته، ورأى ميار رأس كرو النحيف الحليق يبرز من خلال الفتحة في الممشى، وهو يضع عدستين بيضاويتين زرقاوين من الزجاج على عينيه؛ ليبدو مثل واحدة من الحشرات العملاقة التي كانت تغزو أسوأ كوابيسه. كان ميار مرعوبًا؛ إذ أدرك أنه أيًا كان ما يوشك الأخَوان كرو على فعله فهو مخطط بعناية. رفع كرو النحيف نفسه إلى الممشى، وقبع ميار منتظرًا، عازمًا أن أي اتجاه سيسلكه كرو النحيف فإنه سيسلك الآخر. ومن الممكن أن يظلا لوقت طويل على ذلك الحال، كان

هذا ظنه. لكن آمال ميار تحطمت فجأة. إذ ظهر رأس كرو السمين كاملًا بعيني الحشرة خلال الباب المسحور. وبرعب كامل – ودهشة – تابع ميار كرو النحيف وهو يرفع أخاه من خلال الفتحة الصغيرة ويسحبه على الممشى إلى حيث استلقى منتفض الأنفاس، مثل سمكة بدينة ألقيت على طاولة.

أغلق ميار عينيه، وراوده التفكير بأن هذه هي نهايته.

والآن بدأ الأخوان كرو جزءهما الاحتفالي؛ ضربة الكماشة. إنه شيء قد مارساه كثيرًا في الأزقة المظلمة في الميناء. كانت الكماشة تبدأ حين يصلان، ببطء شديد، إلى ضحية مرعوبة من كلا الجانبين. كان الضحية يشاهد أحدهما، ثم يشاهد الآخر، محاولًا بيأس أن يكتشف طريقًا للهرب؛ وعندها، وفي لحظة اتخاذه للقرار، يطبق عليه الأخوان كرو.. إنها الضربة.

وهكذا تم الأمر مع ميار؛ انكمش في الحائط المقابل للباب المسحور، وعبر **أغطية الضوء** الخاصة به شاهد كوابيسه تتحقق: فببطء شديد، وبخطوات حذرة على الممشى الحجري، وقد ارتسمت على وجهيهما ابتسامة صغيرة ضيقة وانثنت أصابعهما، تقدم الأخوان كرو نحوه من كلا الجانبين، وصارا أقرب على نحو لا فكاك منه.

ساق الأخوان كرو ميار نحو عيني المنارة، كما كان يعرف أنهما سيفعلان. وأخيرًا وقف في المسافة التي بين العينين وظهره

للحائط وتساءل أي عين سيلقيانه منها. خطف نظرة نحو الصخور البعيدة بالأسفل.. كانت المسافة طويلة للأسفل. ردد كلمة وداعًا لضوئه في صمت.

الضربة! أطبق عليه الأخوان كرو، وفي تناغم - كانت المرة الأولى التي يفعلانه فيها على الإطلاق - أمسكا بميار ورفعاه عاليًا. خرجت من ميار صرخة رعب، وإلى أسفل المنارة، في الطابق الرابع، سمعتها لوسي والفتى الذئبي وانتابهما الرعب. اختل توازن الأخوين كرو وقد تفاجآ بخفة وزن الرجل القط. أفلت ميار من قبضتهما بعدما أخذ يتلوى ويبصق - كثعبان أكثر منه قطًّا - مرتفعًا في الهواء وإلى خارج فتحة العين اليسرى ومنها إلى فضاء السماء. لجزء من الثانية - والذي مر كالدهر على ميار - تعلق في توازن بين دفعة الأخوين كرو وسحب الجاذبية. رأى أربع صور غريبة لنفسه منعكسة في عيون حشرات الأخوين كرو، كان من الواضح أنه يطير ويصرخ في وقت واحد. رأى كرة الضوء العزيزة عليه لما كان واثقًا أنها المرة الأخيرة، بعدها رأى اندفاع شيء أسود حين مر جدار المنارة أمامه - حرفيًّا - بسرعة رهيبة.

ومثل القطط، استدار ميار آليًّا حتى صار مواجهًا للأرض، وبينما هو يسقط جعل اندفاع الريح ذراعيه وساقيه تأخذ شكل النجمة؛ مما جعل عباءة جلد الفقمة التي يرتديها تتمدد مثل زوج من أجنحة الخفافيش. تحول هبوط ميار السريع إلى نزول هادئ،

ولو لم تدفعه هبة ريح للاصطدام بجانب المنارة لكان من المحتمل أن يهبط فوق المارودر التي كانت تحته مباشرة.

وهكذا استخدم ميار واحدة أخرى من أرواحه التسع، فلم يبق إلا ست منها (كان قد استخدم واحدة حين كان رضيعًا وسقط في المرفأ، واستخدم أخرى حين اختفى ابن عمه).

لم تسمع لوسي والفتى الذئبي القَرعة المثيرة للغثيان لميار وهو يصطدم بجدار المنارة؛ فقد غطى عليها وقع أقدام ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي المقتربة. لم تكن لوسي والفتى الذئبي قد تحركا من المهبط؛ فقد أحدثت الصرخة الرهيبة القادمة من أعلى قشعريرة بداخل كل منهما، وقد اقتربت خطوات الربان فراي من المهبط، همس الفتى الذئبي: «سنكون نحن التاليين».

أومأت لوسي وقد اتسعت عيناها.

دفع الفتى الذئبي الباب الذي كان خلفهما، ولدهشته، انفتح. تسلل هو ولوسي بسرعة داخله؛ فوجدا أنفسهما داخل غرفة مفروشة بثلاث مجموعات من الأسرة العارية ذات الطوابق وخزانة تشبه الصندوق. أغلق الفتى الذئبي الباب في صمت وبدأ في إحكامه، ولكن مرة أخرى أوقفته لوسي وهمست: «سيعرف بالتأكيد أننا هنا بالداخل إذا فعلت ذلك، فرصتنا الوحيدة هي أن ينظر ولا يجدنا. بهذه الطريقة سيظن أننا واصلنا الصعود».

صارت خطوات الأقدام أكثر قربًا.

فكر الفتى الذئبي بسرعة. عرف أن لوسي محقة؛ وعرف أيضًا أن ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي سيبحث حتمًا في كل بوصة بغرفة الأسرة، ولم ير أين فكرت لوسي أنهما سيختبئان. كانت طبقات الأسرة المعدنية خالية من أي غطاء - بما في ذلك المراتب - وكان المكان الوحيد الذي يصلح للاختباء هو الخزانة، التي من المؤكد أن الربان سينظر فيها.

توقفت خطوات الأقدام عند المهبط.

أمسك الفتى الذئبي بلوسي بقوة دافعًا إياها داخل الصندوق وحشر نفسه خلفها وأغلق الباب. بدت لوسي مذعورة. همهمت قائلة: «من أجل ماذا فعلت ذلك؟ إنه حتمًا سيبحث هنا».

همس الفتى الذئبي: «هل لديك أي فكرة أفضل؟».

قالت لوسي: «نقفز عليه ونضربه على رأسه».

وضع الفتى الذئبي إصبعه على شفتيه: «ششش، ثقي بي».

رأت لوسي أنه ليس لديها خيارات كثيرة. سمعت الباب المؤدي لغرفة الأسرة يُفتح وخطوات الربان الثقيلة تطأ إلى الداخل. توقفت الخطوات خارج الصندوق مباشرة، وتسلل صوت أنفاس لاهثة مجهدة عبر الباب الرقيق.

جاء صوت الربان الخشن: «يمكنكما الخروج من هناك، لدي ما هو أفضل لأفعله من لعب الاستغماية».

لم تأت إجابة.

«هأنذا أخبركما كليكما، لقد كانت الأمور سهلة حتى الآن، لكنها ستصبح الأسوأ لكما إن لم تخرجا».

اهتز مقبض الباب بعنف..

«كانت أمامكما فرصة، لا تقولا إنني لم أخبركما».

انفتح الباب بقوة.

وفتحت لوسي فمها لتصرخ..

29

غير مرئي

فتح ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي باب الخزانة بعنف.. قابله صرير مكتوم.

صاح شامتًا في نبرة انتصار: «نلت منكما، أواه، يا ذيلَي الفئران، أين هما؟».. حملق الربان متحيرًا داخل ظلمة الخزانة التي بدت متحركة بشكل غريب.. كان بإمكانه أن يقسم أن هذين الطفلين بالداخل.

رأت لوسي تعبير الربان المتحير وهي تنظر من خلف كتف الفتى الذئبي، وأدركت أنه لم يكن قادرًا على رؤيتهما. وفي اندهاش أطلقت صريرًا مكتومًا آخر، وحذِرت من أنْ تحرك

أي عضلة. لاحظت الآن أن الفتى الذئبي كان ثابتًا على نحوٍ لا يصدق، كادت تشعر بموجات التركيز تخرج منه، وكانت على ثقة بأنه هو السبب في عدم قدرة الربان على رؤيتهما. أقرت لوسي بأن هناك شيئًا في الفتى الذئبي أكثر من مجرد النظر في العين. فالحقيقة أنه في ذلك الوقت كان واضحًا أنه لا شيء في الفتى الذئبي يظهر في عيني الربان، ولا شيء فيهما أيضًا؛ كان أكثر الأشياء غرابةً. وحتى تتأكد، أخرجت لسانها لثيودوفيلوس فورتيتيود فراي.. لم تكن هناك رمشة رد فعل، فيما عدا أن حاجبه الأيسر بدأ في الارتجاف.. خنقت لوسي ضحكةٌ؛ فقد بدا حاجبه مثل يرقة كبيرة ذات شعر، وارتعش الببغاء الموشوم على عنقه كما لو كان في طريقه لالتهامه.

لم يلاحظ الفتى الذئبي الحاجب ولا الببغاء، فقد كان يركز بقوة، فتمامًا مثلما علَّمت العمة زيلدا كلًّا من جينا وسبتيموس ونكو طائفة بسيطة من **السحر الأساسي** الخاص بتعاويذ الحماية، فعلت الشيء نفسه مؤخرًا مع الفتى الذئبي. لم يجد الفتى الذئبي الأمر سهلًا، لكنه استمع بعناية، وكان يتدرب كل يوم. والآن، ولأول مرة، يستخدم **درع الاختفاء** حقيقة.. وقد نجح.

وهكذا، حين نظر ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي داخل الخزانة لم ير إلا دوامة خفيفة في الظلام، لكنه عرف أن هناك شيئًا **سحريًا** في الأمر. كان الربان فراي قد تعرض لقدر كبير من السحر في حياته الزاخرة بالأحداث، وكان يسبب له شيئًا غريبًا؛ كان يسبب

ارتجافًا لحاجبه الأيسر. كان الربان فراي من المؤمنين الكبار بحل المشكلات بأسلوب عملي؛ لذا فهو الآن قد سلك الطريق العملي: شرع في مد يده داخل الصندوق ليتأكد من أنه خالٍ بالفعل كما يبدو. وبينما كان يمد يده للداخل، اجتاحه رعب مفاجئ غير محسوب؛ رعب من أن يقوم حيوان الشره بِعضٍّ يده. سرت في عنقه موجة من الاضطراب، وسرعان ما سحب ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي يده. توقف بعد ذلك؛ فقد كان يعرف أنه سمع صريرًا داخل الصندوق.. وإذ بلغ به الخوف ما منعه من أن يعيد يده مرة أخرى؛ تمنى الربان فراي أن يكون قد صدر عن باب الخزانة، فبدأ يحرك الباب للأمام والخلف، وفي المرة الأولى لم تحدث أي ضوضاء، لكن لوسي جرينج أدركت فجأة ما يجري، فصار الباب يَصِرُّ كثيرًا من كل المواضع الصحيحة.

استسلم ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي؛ فقد كان لديه أعمال أكثر أهمية للتفكير فيها من مكان طفلين حقيرين. فبإمكانهما أن يمكثا في المنارة البائسة ويتعفنا، لا يهم.

صفق الباب بغضب، ودلف خارجًا من غرفة الأسرة، وواصل الصعود الطويل إلى قمة المنارة.

هبط الفتى الذئبي ولوسي من الخزانة في حالة من الضحك الصامت.

شهقت لوسي: «كيف فعلت هذا؟ كان شيئًا مدهشًا، إنه لم ير شيئًا مطلقًا!».

همس الفتى الذئبي: «لم أصدق حين بدأت في الصرير، كان هذا جيدًا للغاية».

- «نعم، كان شيئًا ممتعًا ها ها هاااا....».

- «ششش، ليس عليك أن تريني كيف فعلتها، سيسمع. أف، دعي ذراعي».

همست لوسي: «هناك شيء قادم نحو النافذة، انظر!».

- «ياه!».

انكمش الفتى الذئبي ولوسي للخلف.. كانت يدان رقيقتان مخضبتان بالدماء والجروح، ذواتا أظافر مقوسة، كانت طويلة يومًا، وصارت الآن مكسورة ومثنية، قد تشبثتا بعتبة النافذة الصغيرة لغرفة الأسرَّة. وبينما كانت لوسي والفتى الذئبي يشاهدان، تقدمت اليدان المصابتان للأمام شيئًا فشيئًا إلى أن وجدتا الحافة الداخلية ولفَّتا أنفسهما حولها. وبعد ثوانٍ ظهر رأس ميار المغطى بطاقية جلد الفقمة وسط إطار النافذة البيضاوية، وقد امتقع وجهه بالخوف. جذب نفسه لأعلى، ومثل خفاش يعتصر نفسه أسفل إفريز، اندفع من خلال النافذة وسقط على الأرض في حالة إنهاك. صارت لوسي جرينج إلى جواره في لحظة، نظرت إلى الوجه ذي الشعر الخفيف، وإلى العينين اللوزيتين المغلقتين والأذنين

المدببتين الصغيرتين الغريبتين اللتين برزتا من طاقية جلد الفقمة، ولم تكن واثقة ما إذا كانت الطاقية جزءًا منه أم لا، حملقت في الفتى الذئبي، وهمست: «ما هذا؟».

وقف شعر الفتى الذئبي.. كانت هناك رائحة قطة تحيط بالرجل، لكن الشكل المنهار على الأرض ذكره بالخفاش أكثر من أي شيء آخر، همس: «لا أعرف، أظن أنه ربما يكون بشرًا».

رمشت عينا ميار الصفراوان مثل زوج من المصاريع، ووضع إصبعًا على شفتيه وأسكتهما: «ششش...». تراجعت لوسي والفتى الذئبي للخلف من المفاجأة.

همست لوسي: «ماذا؟».

كرر ميار بإلحاح: «ششششش» فقد كان يعرف أن الأصوات في المنارة تنتقل بأغرب الطرق. فقد يصلك عند منصة المراقبة حديث لأشخاص عند عتبة المنارة وتشعر كما لو كانوا بجانبك تمامًا. وكان يعرف أيضًا أنه بمجرد أن يتوقف قرع قدمي الربان فإن الأخوين كرو سيسمعان الهمسات القادمة من غرفة الأسرَّة. وكان هناك ما يخبره أن هذين المخلوقين الرثَّين في غرفة الأسرَّة (فلم تكن لوسي والفتى الذئبي يبدوان في أفضل أحوالهما) لا يرغبان في أن يتم كشف مكانهما. جاهد ميار لينهض.

أشار للأعلى: «أنتما... معهم؟».

هزت لوسي رأسها: «على الإطلاق».

ابتسم ميار، وهو ما كان له الأثر الغريب من هز أذنيه الصغيرتين المدببتين وإظهار نابين سفليين طويلين، واللذين برزا خارجًا فوق شفته العليا. نظرت لوسي لميار واجتاحتها فكرة مرعبة.

سألت: «هل ألقوا بك من القمة؟».

أومأ ميار موافقًا..

تمتم الفتى الذئبي: «القتلة».

قالت لوسي لميار: «سنساعدك، إذا أسرعنا يمكننا النزول وأخذ قاربهم وتركهم جميعًا هناك بالأعلى. عندئذ يمكنهم أن يلقي أحدهم بالآخر ويُسدوا لنا معروفًا».

هز ميار رأسه، وخرج صوته الهامس المتلاشي: «لا، أنا لن أترك منارتي أبدًا. لكن أنتما يجب أن ترحلا».

بدت لوسي غير واثقة.. كانت تعرف أن دقائق ثمينة تنقضي، ففي أي لحظة قد يسمعون صوت وقع أربعة أحذية تهبط السلالم ليمسكوا بهما، لكنها كانت مترددة في ترك هذا الرجل الضئيل المصاب بمفرده ليواجه... من يعرف ماذا؟

همس الفتى الذئبي: «إذا كان يريد البقاء فهذا شأنه، لقد سمعت ما قاله، يجب أن ننصرف. هيا يا لوسي، إنها فرصتنا الوحيدة».

بأسى، استدارت لوسي لتنصرف.

صدر صفير خفيض من الرجل الضئيل الجالس على الأرض، همس: «ميار يقول: اعتنيا بأنفسكما».

سألت لوسي: «ميار؟».

همس الرجل القط، وقد بدا قطًّا أكثر منه رجلًا: «ميار».

قالت لوسي وهي تتراجع: «ياه، صوتك مثل صوت قطتي العجوز الحبيبة».

همس الفتى الذئبي بإلحاح من عند المهبط: «هيا يا لوسي». ومع نظرة أسى إلى الوراء، جرت لوسي في أعقابه، ولكن حين انضمت إليه أعلن وقعُ أقدام عالٍ قادمًا من أعلى نزول ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي وجاكي فراي. لعن الفتى الذئبي في سره، لقد تأخرا جدًّا.

جذب الفتى الذئبي لوسي عائدين إلى ظلال غرفة الأسرَّة، وبهدوء شديد دفع الباب حتى لا يُلمح جسد الرجل القط المنهار إذا - بضربة حظ - ما مر جاكي والربان به مباشرة. ووسط خفقان قلبيهما، انتظرت لوسي والفتى الذئبي خطوات الأقدام وهي تقعقع وتدور وتدور حول السلالم المعدنية وتقترب أكثر وأكثر. كان واضحًا أن ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي أفضل كثيرًا في هبوط السلالم من صعودها؛ ففي أقل من دقيقة سمعت لوسي والفتى الذئبي خطواته الثقيلة تصل إلى المهبط. تجمد كل من بغرفة الأسرة، لم يبطئ ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي حتى من خطواته ومر راعدًا بباب غرفة الأسرَّة، وقد تبعه جاكي عن قرب، واتجه للأسفل نحو المجموعة التالية من السلالم. بدت على لوسي والفتى الذئبي ابتسامة ارتياح، وحتى ميار سمح بظهور زوج من الأنيـــاب.

انتظروا حتى أخبرهم صوت ارتطام الباب بعيدًا بالأسفل أن الربان وابنه قد غادرا المنارة.

عندئذ، وبعيدًا بالأعلى، عند قمة المنارة، بدأت سلسلة من القـرع المرتـفـع المتوالـــي. نظر ميار لأعلى، وقد قلقت عيناه الصفراوان. كانت الأصوات تأتي من النافذة المفتوحة، إذ كان هناك شيء يخبط في الجدار الخارجي. نهض ميار في ألم.. أخرج مفتاحًا من أعماق عباءته وأعطاه للوسي، همس: «لا يزال بإمكانكما الهروب، استخدما قارب الإنقاذ. هناك بابان تحت السلالم التي صعدتما عليها، أحدهما أسود والثاني أحمر، استخدما الأحمر، سيؤدي بكما إلى منصة الانطلاق.. هناك تعليمات على الحائط، اقرأها جيدًا. حظًّا طيبًا».

خبط ورطم (دب دب).. كانت الأصوات تقترب.

أخذت لوسي المفتاح وهمست: «شكرًا، شكرًا جزيلًا لك».

دب.... دب.

أومأ ميار وقال: «اعتنيا بأنفسكما».

دب.... دب.... دب. اقتربت الأصوات أكثر من أي وقت.

قالت لوسي: «تعال معنا يا سيد ميار، أرجوك».

هز ميار رأسه.. هزت قرعة مرتفعة بشكل خاص جدار غرفة الأسرَّة. سرى شعاع من الضوء الأبيض المبهر إلى داخل الغرفة، وأطلق ميار صيحة: «الضوء، انظرا بعيدًا، انظرا بعيدًا».

غطت لوسي والفتى الذئبي عينيهما، وخفض ميار **أغطية الضوء** الخاصة به. ومثل بندول هائل كانت **كرة الضوء** المبهر مكسوة بطاقم من الحبال ومربوطة بعقد لا يعرفها سوى البحارة وقد تأرجحت في مجال الرؤية.

قال ميار وهو يشهق في عدم تصديق: «إنهم يأخذون **ضوئي**». وببطء كان الضوء ينخفض أمامهم، يتأرجح أمام نظرهم وبعيدًا عنه، ويخبط في جوانب المنارة في طريقه. مع كل قَرعة كان ميار يجفل وكأنه يتألم. وأخيرًا لم يستطع تحمل الأمر، فألقى نفسه على الأرض، وجذب عباءة جلد الفقمة، وغطى عينيه وانكمش في شكل كرة.

وكأن لوسي والفتى الذئبي قدْ قُدَّا من مادة أشد صلابة.. فقد جرَيا نحو النافذة، ولكن ميار رفع رأسه وأطلق صافرة تحذير هامسًا: «سسسسسس! انتظرا حتى يبتعد **الضوء** أكثر، ثم غطيا عينيكما وانظرا من خلال أصابعكما، لا تنظرا له مباشرةً. وبعد ذلـك... آه، أرجو أن تخبراني بما يفعلونه **بضوئي**» وعاود الانكماش في شكل كرة وسحب العباءة فوق رأسه.

بنفاد صبر انتظرت لوسي والفتى الذئبي حتى خف القرع على جانب حائط المنارة؛ وعندئذ غطيا أعينهما بأيديهما وتطلعا من خلال أصابعهما ناظرين للخارج. فوقهما، رأيا المنظر الغريب لرأسي التوءمين كرو مختبئين وسط السماء اللامعة، بعيونهما

الحشرية، يبرزان من كل فتحة من فتحتي عيون المنارة وهما يعالجان الحبال بعناية، خافضين **كرة الضوء** الثمينة الخاصة بميار إلى الأرض.

نظرت لوسي والفتى الذئبي بحذر تحتهما.. بعيدًا إلى الأسفل رأيا الربان فراي وجاكي.. كان الربان فراي يلوِّح بذراعيه مثل طاحونة هواء مجنونة موجهًا الأقدام القليلة النهائية في نزول **كرة الضوء** ليرسو على الصخور فوق المارودر مباشرةً.

قفزت لوسي والفتى الذئبي فجأة للخلف وملأ حفيف الحبال النازلة من قمة المنارة غرفة الأسرَّة. بدأ قرع الخطوات المعدني مرة أخرى. ضاع صفير غضب صدر من ميار وسط وقع الحذاءين العاليين ذوَي المقدمة الصلبة وقد مر الأخَوان كرو دون أن يلقيا نظرة.

طوال نصف الساعة التالية، أعطت لوسي والفتى الذئبي بثًّا مباشرًا لما رأياه. كان كل تعليق يقابل بمواء خفيض. شاهدا **كرة الضوء** وهي لا تزال ملفوفة بالحبال، تم جرُّها إلى حافة الصخور وإلقاؤها في الماء. أحدثت ارتطامة عند هبوطها، وبعد ذلك طفت مثل عوامة الصياد، وقد حول الضوء اللامع الماء من حولها إلى لون أخضر شفاف. رأيا الأخوين كرو وهما يشرعان في العمل على تأمين الحبال الممتدة من **الضوء** إلى مؤخرة المارودر، وحين صار الربان فراي راضيًا عن النتيجة، قفز إلى السطح.. وأخيرًا رأيا

جاكي فراي يفك حبل الرسو ويقفز إلى السطح. رفع جاكي الشراع وانطلقت المارودر، وقد تمايلت غنيمتها الغريبة على مسافة خلفها مثل كرة شاطئ عملاقة.

تابعتها لوسي والفتى الذئبي وهي تبتعد، وهمست لوسي: «يبدو الأمر وكأنهم سرقوا القمر».

سمعها ميار، فانتحب قائلًا: «بل سرقوا الشمس، شمسي أنا» وأطلق عويلًا يائسًا نشر موجة قلق في أوصالهما.

صرخ: «آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه، ليتني مِتُّ بدلًا من أن أراهم يأخذون ضوئي».

تركت لوسي النافذة، وجثث بجوار ميار الذي كان لا يزال منكمشًا على شكل كرة صغيرة من جلد الفقمة، وقد رأت أنه يشبه قنفذًا كبيرًا قد أخرج أشواكه.

قالت له: «لا تكن بكل هذا السخف، بالطبع ما كنت لتموت على أي حال، فأنت لم تره. كنت ممددًا هنا مغلق العينين».

انقبضت يد ميار على صدره: «لست في حاجة لأرى، لقد نزعوا قلبي وأبحروا به بعيدًا، آه، ليتني مت، مت!».

قالت لوسي: «حسنًا، أنت لست ميتًا، وعلى أي حال لو كنت ميتًا لما كنت تقدر على استعادته، أكنت تستطيع؟ لكنك الآن تستطيع، أليس كذلك؟».

صرخ ميار: «ولكن كيف..؟ كيف؟».

نظرت لوسي نحو الفتى الذئبي: «يمكننا المساعدة، أليس كذلك؟».

اتسعت عينا الفتى الذئبي كما لو كان ليقول: هل أنت مجنونة؟

عوى ميار: «آآآآآآآآآآآآآآآه».

تذكرت لوسي صارخًا من الفصيلة نفسها، وكانت تعرف تمامًا ما يجب أن تفعل.

تقمصت بسلاسة الدور الذي شغلته دائمًا السيدة جرينج؛ قالت بحسم: «والآن، توقف وحسب يا سيد ميار. توقف على الفور. فلا أحد يسمعك». توقف ميار فجأةً؛ فلم يتحدث معه أحد بهذه الطريقة منذ ماتت جدته العجوز.

قالت لوسي وقد تقمصت حالة السيدة جرينج جيدًا: «هذا أفضل، والآن انهض، امسح أنفك وأحسن التصرف. عندئذ يمكننا الوصول لحل».

وكطفل مطيع، وقف ميار، وحك كم عباءته في أنفه ونظر في أمل نحو لوسي، سأل وقد حدقت عيناه الصفراوان الكبيرتان فيها بجدية: «كيف ستستعيدين ضوئي؟».

«حسنًا، إيه... أولًا سنحتاج إلى قارب الإنقاذ، هذا واضح، ثم سنحتاج إلى...» نظرت إلى الفتى الذئبي طلبًا للمساعدة.

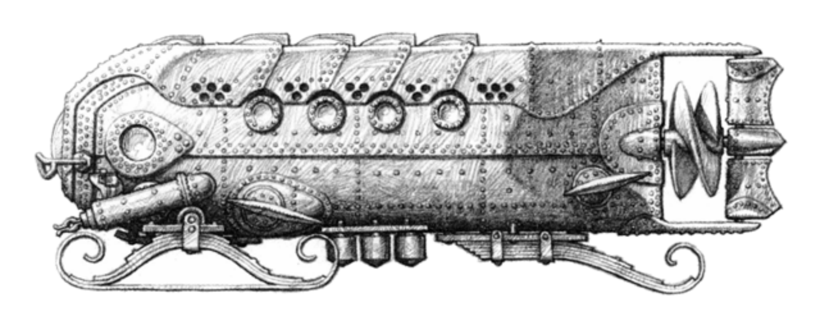
قال بابتسامة: «خطة، هذا واضح».

أخرجت لوسي لسانها؛ فصبي بسروال أنيق ورجل قط مصاب بنوبة غضب لن يثنياها عن مواجهة قاطعي طريق قاتلين وربانهما الوقح، مطلقًا.



30

الأنبوب الأحمر



ترنح ميار على قدميه وخارت ساقاه.. جلس على الأرض في غرفة الأسرَّة وقد أصابته الرعشة، قال وهو ينشج: «اتركاني وحدي، لقد قُضي علي».

قالت لوسي بصرامة: «الآن يا سيد ميار، هذا النوع من السلوك لن ينقذ ضوءك، أليس كذلك؟ سنحملك أنا والفتى الذئبي».

سأل الفتى الذئبي: «نحن سنحمله؟».

قالت لوسي: «نعم، سنحمله».

وهكذا فعلا. حملا ميار الذي كان، من دواعي السعادة، أخف حتى كثيرًا مما يبدو، نزلوا على السلالم المهتزة المرعبة حتى وصلوا أخيرًا إلى الأرض الصلبة في بئر المنارة. وضعاه برفق على الأرضية الترابية واستعادا أنفاسهما.

قال ميار وهو يشير إلى بابين ضيقين - أحدهما أسود، والثاني أحمر- مخفيين في الظلام خلف آخر لفة من السلالم: «عبر هذا، افتحا الباب الأحمر، ثم عودا إلي. لا بد أن أستريح لبعض اللحظات».

أخذ الفتى الذئبي المصباح من فوق حامله على الحائط ورفعه للوسي حتى يمكنها أن ترى وهي تفتح الباب. دار المفتاح بسهولة، ودفعت لوسي الباب فاتحة إياه. اندفعت نحوهما رائحة البحر وبعيدًا إلى الأسفل كانت تصل إلى أسماعهما أصوات ارتطام الأمواج. حبست لوسي أنفاسها في دهشة. أما الفتى الذئبي، الذي لم يكن يدهشه كثير من الأشياء، فقد أطلق صفيرًا تعبيرًا عن المفاجأة.

همهم: «ما هذا؟».

جاء صوت ميار من المنارة وقد بدا مستمتعًا: «هذا هو الأنبوب الأحمر، إنه قارب الإنقاذ».

قالت لوسي: «هذا ليس بقارب، هذا...» تلعثمت وهي لا تستطيع أن تجد الكلمات لتصف الكبسولة الحمراء الضخمة التي أمامها.

صعد الفتى الذئبي إلى الأنبوب الأحمر، وبحذر شديد لكزه، وقال: «إنه معدني».

قالت لوسي: «ولكن كيف يكون معدنيًا لو أنه قارب؟».

أزال الفتى الذئبي بقعة صدأ بأظافره، وقال: «لكنه معدني، أتعرفين، إنه يذكرني بتلك القصص عن الناس في الأزمنة الخوالي الذين اعتادوا الطيران إلى القمر في أشياء كهذا».

قالت لوسي: «الكل يعرف أنها غير حقيقية، كيف يمكنك الطيران كل هذه المسافة صعودًا إلى القمر؟»

– «نعم... حسنًا، إنها ليست حقيقية بالطبع، هذا واضح».

أخرجت لوسي لسانها.

تابع قائلًا وهو ينقر على جدار قارب ميار، الذي كان يرن مثل الجرس:

«لكني اعتدت الإعجاب بالقصص القديمة رغم هذا. كان لدينا الزعيم كاديت اللطيف لفترة، قبل أن يكتشفوا أنه كان لطيفًا ويضعوه في حفرة حيوان الشره لمدة أسبوع. على أي حال، اعتاد أن يحكي لنا قصصًا عن القمر، وكانت جميعها عن أشياء مثل هذا».

كان الأنبوب الأحمر موضوعًا بعناية بين منصتين شبكيتين معدنيتين ترتفعان حتى منتصف جانبيه. كان، في تقدير الفتى الذئبي، يبلغ طوله خمسة عشر قدمًا، وكان به صف من النوافذ الصغيرة ذات زجاج أخضر سميك على طول الجانبين ونافذة واحدة أكبر عند المقدمة. ومن خلال الزجاج استطاع الفتى الذئبي أن يميز أشكال مقاعد عالية الظهر، وكانت لا تشبه أي مقاعد أخرى رآها في حياته من قبل.

استقر الأنبوب الأحمر على مجموعتين من القضبان المعدنية المتوازية، وامتدت القضبان لمسافة عشرين قدمًا تقريبًا، ثم راحت تنحدر تدريجيًّا لأسفل وتنزل نحو الظلام في اتجاه صوت الأمواج. تطلع الفتى الذئبي ولوسي للأسفل، وكشف ضوء المصباح لمعة القضبان المعدنية وهي تختفي داخل المياه السوداء.

قالت لوسي، وقد أحدث صوتها صدًى داخل الكهف: «ربما لا يمكننا الدخول في هذا الشيء».

سأل الفتى الذئبي: «ولكن هل من طريقة أخرى يمكن أن نخرج بها من هذه المنارة؟ أنخرج سباحة؟».

«اللعنة»؛ قالتها لوسي ثم صمتت على نحو غير معهود.

مشى ميار مرتعشًا من خلال الباب الأحمر وانضم إليهما على المنصة المعدنية بجانب الأنبوب الأحمر.

قال وهو يشير إلى أصغر وأبعد الأبواب الصغيرة الأربعة المصفوفة في خط واحد على طول السقف: «افتح باب القائد من فضلك، اضغط على الزر الأسود الذي أمامه وسينفتح».

مال الفتى الذئبي على قارب الإنقاذ وهو يشعر كما لو كان في إحدى حكايات **الزعيم كاديت**، وضغط على دائرة سوداء مصنوعة من مادة مطاطية من نوع ما كانت مثبتة في مستوى السطح المعدني. وبأزيز خافت انفتح الباب البيضاوي بنعومة، وخرجت من داخل الكبسولة رائحة حديد وجلد رطب.

ومثل القط قفز ميار على الأنبوب الأحمر واختفى في الأسفل عبر الفتحة. تابعت لوسي والفتى الذئبي من خلال النوافذ الخضراء السميكة هيئة ميار الغائمة وهي تلقي نفسها في الكرسي الصغير عند مقدمة الأنبوب الأحمر، وعندئذٍ، وفيما بدا أنها مناورة تم التدريب عليها جيدًا، بدأ في إدارة مجموعة من العقارب أمامه. انغلق باب ميار ببطء، وتساءلت لوسي عما إذا كان سيذهب بدونهما. وبالنظر نحو ما تستشعره بمعدتها من تدهور، رأت أنها في الحقيقة لا تمانع إذا ذهب بالفعل بدونهما. لكن لم يُتح هذا الحظ؛ إذ فجأة جاء صوت ميار المشوه بغرابة يقعقع في الهواء.. كيف؟ لم يكن لدى لوسي والفتى الذئبي أدنى فكرة. ملأ صوت ميار الذي لا يخرج من جسده أرجاء الكهف، وانفتح الباب الأكبر خلف القائد: «أسرعا فالكبسولة ستنطلق في ظرف دقيقة واحدة».

شهقت لوسي: «دقيقة واحدة؟».

«تسع وخمسون ثانية، ثمان وخمسون، سبع وخمسون...» بدأ ميار العد التنازلي، لكن الفتى الذئبي ولوسي تراجعا.. «خمسون، تسع وأربعون، ثمان وأربعون...».

قالت لوسي، وقد بدت مرعوبة: «آه، اللعنة، سنظل هنا إذا لم نفعل».

- «نعم».

«واحدة وأربعون، أربعون، تسع وثلاثون....».

- «قد لا نغادر المنارة أبدًا، أبدًا».

- «نعم».

- «ثلاث وثلاثون، اثنتان وثلاثون، واحدة وثلاثون...».

- «وقد قلنا إننا سننقذ الضوء».

- «تقصدين، أنتِ قلتِ».

- «خمس وعشرون، أربع وعشرون، ثلاث وعشرون».

- «حسنا، ادخل إذن».

- «أنتِ أولًا».

- «تسع عشرة، ثماني عشرة، سبع عشرة.....».

- «هـاااااااااااااااااااااااااااع» تسلقت لوسي على القمة المعدنية المستديرة لقارب الإنقاذ، ثم أخذت نفَسًا عميقًا وسقطت من خلال الباب. هبطت على الكرسي خلف كرسي ميار، رغم أنها

لم تستطع رؤية شيء من شاغله، إذ كان مسند الرأس المبطن العريض يحجب رأسه الدقيق المغطى بجلد الفقمة عن الرؤية. نظرت لوسي عبر النافذة الخضراء السميكة ورأت الفتى الذئبي مترددًا على المنصة.

كان صوت ميار مرتفعًا وواضحًا داخل قارب الإنقاذ: «إحدى عشرة، عشر، تسع...».

صاحت لوسي بأعلى صوتها وضربت على الزجاج بقوة: «ادخل!».

- «سبع، ست....».
- «بحق الآلهة، ادخل الآن!»

كان الفتى الذئبي يعرف أن عليه أن يقوم بذلك. علق كل آمال النجاة لأكثر من دقيقة أخرى وقفز. هبط محدثًا رجة بجوار لوسي، وشعر كما لو كان قد هبط في نعشه. انغلق الباب من فوقه وأحكم إغلاق غطاء نعشه.

قال ميار: «خمس، أربع، ثبتا أحزمة الأمان من فضلكما.. كل الطاقم يجب أن يرتدي أحزمة الأمان».

تلمست لوسي والفتى الذئبي شريطين جلديين سميكين وربطاهما حول خصريهما. أدركت لوسي أن شيئًا ما لا بد أنه أخبر ميار أنهما صارا مربوطين، فالرجل القط لم ينظر حوله، لكنه واصل عده التنازلي.

- «ثلاث، اثنتان، واحدة.. انطلاق!»

انطلق الأنبوب الأحمر ببطء خادع طوال العشرين قدمًا الأولى من القضيب، ثم مال للأمام. شعرت لوسي بالغثيان. أما الفتى الذئبي فقد أغلق عينيه بقوة. علا صوت صرصرة صارخة وقد احتكت مقدمة القارب بالقضبان.. وهكذا انطلقوا.

ترك قارب الإنقاذ القضبان في أقل من ثانيتين. اصطدموا بالماء محدثين فرقعة تصم الآذان، وعندئذ - ولفزع الفتى الذئبي - واصلوا التقدم لأسفل وأسفل وأسفل إلى حيث الظلمة، تمامًا مثلما فعل منذ سنوات طويلة مضت في تلك الليلة في النهر عندما سقط من قارب جيش الشباب.

والآن - تمامًا مثلما حدث في تلك الليلة وسط النهر - استقر الغوص المرعب، وخفف الماء من قبضته، ومثل الفلين بدءوا يرتفعون إلى السطح. بدأ الضوء الأخضر الجميل يلمع من خلال النوافذ الصغيرة، وبعد لحظة، ووسط نافورة من الفقاقيع البيضاء الراقصة، شقوا السطح وغمرهم ضوء الشمس.

فتح الفتى الذئبي عينيه في اندهاش - كان لا يزال حيًا - نظر إلى لوسي.. ظهر عليها شبح ابتسامة، وقد شحب وجهها.

قال ميار، وصوته لا يزال يقعقع بشكل مخيف: «اكتمل الانطلاق، تم الوصول للسطح بنجاح، الأبـواب مؤمَّنة، بدء الغوص قيد التحكم».

ولفزع لوسي والفتى الذئبي بدأ الأنبوب الأحمر في الغوص مرة أخرى. تحول ضوء الشمس إلى اللون الأخضر، والأخضر إلى الأزرق النيلي، ثم الأزرق إلى الأسود، أما داخل الكبسولة فبدأ ضوء أحمر خافت في اللمعان، معطيًا دفئًا مغايرًا للبرد الذي كان يتسرب من أعماق البحر الباردة.

التفت ميار ليتحدث مع راكبيه، امتزجت طاقية جلد الفقمة بالخلفية المظلمة، وبدا وجهه المسطح الأبيض مثل القمر، والتمعت عيناه الصفراوان الكبيرتان في حماس. ابتسم ميار، ومرة أخرى تجاوز ناباه السفليان شفته العليا. ارتعشت لوسي.. بدا مختلفًا جدًّا عن المخلوق المثير للشفقة الذي انهار على أرضية غرفة الأسرَّة والذي رغبت بشدة في مساعدته. وبدأت تتساءل عما إذا كانت قد ارتكبت خطأً فادحًا.

سألت محاوِلة أن تمنع ظهور الرجفة في صوتها دون أن تنجح بشكل كامل: «لماذا... غطسنا؟».

كان ميار غامضًا، أجاب: «حتى نعثر على الضوء، يجب أولًا أن ندخل في الظلام» ثم التفت مرة أخرى للوحة التحكم.

همست لوسي للفتى الذئبي: «لقد أصيب بالجنون».

وافقها الفتى الذئبي الذي كان يعرف أنه على حق تمامًا طوال الوقت بشأن النعش: «مجنون، هذيان كامل، جنون صارخ».

31

سايارا سايارا

لم ترجينا ولا بيتل ولا سبتيموس وصول المارودر في ذلك الصباح؛ إذ كانوا غارقين في النوم في المخبأ. كانت طبقة العشب السميكة التي وضعها سبتيموس فوق القماش الكتاني قد حمتهم من الاستيقاظ بفعل حرارة الشمس، وقد خرجوا منها بحلول منتصف النهار، وخاض بيتل خلال مياه المد المنحسر نحو صخرة ذات قمة مسطحة فكر في أن تكون صخرة الصيد الخاصة به، وفي ظرف نصف ساعة صاد ثلاثًا من السمكات ذوات اللونين الأسود والرمادي مثل التي

استمتعوا بها في اليوم السابق. وبينما يصطاد بيتل كان سبتيموس قد أعاد إشعال النار على الشاطئ وشرع في تقليب السمك على اللهب المتصاعد من الأخشاب الطافية. أخذ بيتل يرسم على الرمال بشكل عشوائي بقزم الماء، في حين وقفت جينا تحملق نحو البحر في عبوس.

قالت: «هذا غريب!».

قال بيتل: «كان المقصود أن تكون زلاجة **برج السحرة**، غير أن الماء واصل التدفق وجعل الخطوط تبدو مضحكة».

أشارت جينا بعيدًا نحو البحر: «لا، لا أتحدث عن رسمك يا بيتل. هناك بعيدًا... انظر».

قال بيتل الذي كان يعاني قليلًا من قصر النظر: «ماذا؟».

قالت: «المنارة، إنها مظلمة».

قال بيتل وهو يحاول أن يضبط لوحي الزلاجة جيدًا على الرمال: «نعم، إنهم يغطونها بالقطران؛ وهذا يساعد على منع دخول مياه البحر إلى أحجارها».

وقف سبتيموس وظلل عينيه، وقال: «لقد انطفأ الضوء».

قالت جينا: «هذا ما ظننته».

- «تُرى لماذا؟».

- «ربما كانت الشمس ساطعة جدًّا...».

- «ربما...».

****

أكلوا السمك مع المزيد من خبز مارشا الطازج دائمًا وبعضٍ من شوكولاتة جينا الساخنة. قرر بيتل أنه يرغب في اصطياد بعض السمك الأكبر حجمًا.

قال وهو يشير إلى الصخرة المرتفعة: «أراهن أن هناك بعض الأسماك الكبيرة. أنا لا أمانع في رؤية ما يمكنني أن أصيده هناك، هل يحب أحد أن يأتي؟».

قالت جينا: «أنا سآتي».

- «سِب؟».

هز سبتيموس رأسه: «لا، أفضل ألا أفعل».

قالت جينا: «هيا يا سِب، أنت لم تذهب لأي مكان بعد».

قال سبتيموس بشيء من الأسى: «لا يا جين، أرى أنه ينبغي أن أبقى مع لافظ اللهب، إنه لا يبدو في حالة جيدة، فهو حتى لم يشرب أي ماء هذا الصباح، اذهبا أنتِ وبيتل».

قالت جينا: «حسنًا... فليكن يا سِب، ما دمت متأكدًا...».

كان سبتيموس متأكدًا من أنه لا ينبغي له أن يترك لافظ اللهب، وذلك على الرغم من أنه لم يكن متأكدًا أنه يرغب في أن يُترك

وحيدًا مرة أخرى. لكنه قال لنفسه إن هذا شيء سخيف: «نعم، أنا متأكد. سأكون على ما يرام مع لافظ اللهب».

تابع سبتيموس جينا وبيتل وهما ينطلقان بخفة على امتداد الشاطئ، وعند نهاية الخليج تسلقا صاعدين سلسلة الصخور ولوَّحا له. رد سبتيموس بالتلويح لهما، وشاهدهما يقفزان نازلين إلى الجانب الآخر ويختفيان عن الأنظار. وعندئذ استدار ليتجه نحو لافظ اللهب.

في البداية فحص ذيل التنين. كانت **عباءات التدفئة** داكنة اللون، وحين لمسها، كانت يابسة وملتصقة بقوة بالحراشف. لم يكن سبتيموس يدرك بالضبط ماذا يفعل. كان يخشى أن يسبب جذبها أذى أكثر من أن يكون مفيدًا؛ لذا قرر أن يتركها كما هي. تشمم سبتيموس، كانت هناك رائحة غير جيدة، لكنه قال لنفسه إنها ربما تكون رائحة الطحالب التي ربطها فوق الجرح؛ وقرر أنه لو ساءت الرائحة بحلول منتصف النهار، فسيتحقق من الأمر.

وبالعودة إلى الدلو عند طرف التنين الآخر، لم تبدُ الأمور أفضل كثيرًا؛ إذ كانت عينا لافظ اللهب مغلقتين بقوة، ومع أن سبتيموس حثه كثيرًا وخاطبه: «استيقظ يا لافظ اللهب واشرب»؛ فإن التنين لم يستجب. كان سبتيموس يأمل أن يكون لافظ اللهب مستاءً بسبب وجود الدلو على رأسه، لكنه لم يكن واثقًا تمام الثقة من هذا. ظن أن أنفاس التنين تبدو مجهدة نوعًا، وتساءل إن كان يشعر

بالحرارة، لكن الصخور كانت توفر ظلًّا كاملًا، وكانت حراشفه باردة إلى حد كبير. التقط سبتيموس قزم الماء، وجذب شفة لافظ اللهب السفلى قليلًا ووضع بعض قطرات الماء داخل فمه، لكنه لم يكن متأكدًا مما إذا كان التنين قد بلعها بالفعل، إذ بدا أن أكثرها قد تساقط للخارج ونزل في بقع داكنة على الصخور. جلس سبتيموس مبتئسًا، وتحسس أنف لافظ اللهب وتمتم: «ستكون على ما يرام يا لافظ اللهب، أعرف ذلك. وأنا لن أتركك حتى تتحسن، أعدك».

وفجأة سمع سبتيموس صوت حركة في الكثبان الرملية خلفه؛ فقفز واقفًا وقال بأقصى ما أمكنه أن يحشد من ثقة: «اخرج، أيما تكون» وهو يمسح بعينيه الكثبان الخالية ظاهريًّا. أغلق عينيه نصف انغلاقة – وهي أفضل طريقة على الإطلاق لرؤية الأشياء، كما تقول مارشا عادةً – وهناك في الكثبان على مسافة ليست بالبعيدة رأى شيئًا بالفعل. فتاة – كان متأكدًا أنها فتاة – ترتدي زيًّا أخضر.

وكما لو كانت تعرف أنها مرئية، بدأت الفتاة تمشي في اتجاهه. تابع رأسها وهو يتمايل خلال الكثبان، وحين خطت خارج آخر كثيب إلى الشاطئ بالأسفل، رأى سبتيموس فتاة طويلة نحيفة عارية القدمين ترتدي سترة خضراء رثة.

دار سبتيموس حول دلو لافظ اللهب وقفز نازلًا إلى الرمال. مشت الفتاة ببطء نحوه، وحين صارت أكثر قربًا كان بإمكان سبتيموس أن يرى أنها ترتدي ما بدا مثل سترة تدريب قديمة الطراز ترجع لزمن كانوا فيه يطرزونها برموز **سحرية**. وقد أظهر شريطان أرجوانيان باهتان عند طرف كل كم أنها أيضًا متدربة أولى. وقد لف شعرها الداكن الرقيق الأشعث وجهًا مهمومًا يغطيه النمش. كان لدى سبتيموس ذلك الشعور الأكيد بأنه رآها من قبل.. لكن أين؟

وقفت الفتاة قبالته، نظرت عيناها الخضراوان نحوه بتوتر ثم انحنت انحناءة رسمية خفيفة تذكر بها فجأة «**المتدربون في عصر مارسيلوس** كان يحيي بعضهم بعضًا». قالت: «سبتيموس هيب».

أجاب سبتيموس بحذر: «نعم».

تحدثت الفتاة، حسبما رأى سبتيموس، وكأنها غير معتادة على الكلام: «لقد... التقينا من قبل... أمر... جيد... أن أراك مرة أخرى».

سألها: «من أنتِ؟».

«أنا سايارا، سايارا سايارا».

كان الاسم مألوفًا أيضًا، «ولكن من أين؟».

سألت الفتاة: «أنت لا تتذكرني، أليس كذلك؟».

«أظنني أتذكر، لكن...».

استحثته الفتاة: «برج السحرة؟».

هذا هو! تذكر سبتيموس الصور التي كان قد رآها على جدران برج السحرة قبل هروبه مباشرة من **الحصار**، خاصة صورة الفتاة التي توجه لكمة **لتيرتيوس فيوم**. هز رأسه في عدم تصديق. من المؤكد أنه لا يمكن أن تكون هي؛ فقد حدث هذا منذ مئات السنين.

قالت الفتاة: «لقد وجهت لك التحية».

«أنتِ وجهت لي التحية؟». صار سبتيموس مشوشًا بالكامل.

«نعم. وهذا سبب معرفتي من تكون. أنت... المتدرب الكيميائي، ذلك الذي اختفى على نحو غامض. لكني أهنئك. لقد عدت، حسبما أفترض، وقد أخذت مكاني مع جوليوس».

- «جوليوس؟».

- «جوليوس بايك، إنه الآن **ساحرك الأعظم**».

تنهدت سايارا بحزن وتابعت: «ياه، ماذا يمكن أن أبذل لأرى جوليوس العزيز مرة أخرى؟».

شعر سبتيموس أن عالمه كله يتحول. ما تقوله هذه الفتاة سايارا.. أيعني أنه عاد لذلك الزمن ثانيةً؟ أجبر سبتيموس نفسه على التزام الهدوء، وقال لنفسه إنه لم يحدث شيء يوحي - مجرد إيحاء - أنهم قد عادوا **بالزمن** مرة أخرى، إلا إذا... إلا إذا كان للعاصفة يد في هذا الأمر... أو ربما تلك المنارة الغريبة التي كادوا

يصطدمون بها... أو يحتمل أن تكون صاعقة البرق؟ أيحتمل.. أيحتمل، حين تكون قد مررت بزمن ما؛ أن يمكنك بطريقة ما أن تنجذب عائدًا لذلك الزمن دون حتى أن تدري؟ لا، قال لنفسه، هذا ليس ممكنًا. التفسير الوحيد هو أن سايارا شبح، إنها شبح ذو مظهر شديد التماسك، هذا حقيقي، لكن حياة الجزر صالحة للأشباح على نحو واضح.

قالت سايارا: «لديك تنين».

قال سبتيموس: «نعم».

- «لدي اعتراف. لقد راقبتك أنت وتنينك».

- «أعرف أنكِ فعلتِ، لماذا لم تأتِ وحسب وترحبي بي؟».

لم تجب سايارا، قالت: «تنينك قد حُشر رأسه في دلو، ينبغي أن ترفع عنه الدلو».

قال سبتيموس: «لا سبيل لذلك، لقد كان إلباسه إياه صعبًا للغاية».

- «أنت ألبسته الدلو؟ هذه قسوة بالغة».

تنهد سبتيموس: «تنيني مصاب إصابة سيئة بالذيل، والدلو مهمته إيقافه عن عض الأربطة».

- «آه، فهمت. كانت لدي قطة ذات يوم و...».

قال سبتيموس مقاطعًا: «حقًّا؟»؛ فقد كان يريد صرف سايارا، شبح أو غير ذلك، كان حديثها عن مارسيلوس وجوليوس بايك قد

أشعره بالاضطراب. مسح الصخور البعيدة بعينيه على أمل أن يرى جينا وبيتل ليعيده ذلك إلى الواقع.. أين هما؟

لكن سايارا لم تبد نية للانصراف، بدت منبهرة بلافظ اللهب. قفزت فوق الصخور ومشت حوله ببطء، وشعر سبتيموس بانزعاج.

قال لها: «إنه يحتاج للراحة، لا ينبغي إزعاجه».

توقفت سايارا ونظرت إلى سبتيموس وقالت: «تنينك في طريقه للموت».

شهق سبتيموس: «ماذا؟».

- «تنبعث من ذيله رائحة الطين الأسود المُنتِن».

- «ظننت أنها رائحة الطحالب البحرية».

هزت سايارا رأسها: «لا، إنها رائحة الطين، وهذا سبب استمراره في محاولة عضه. التنين يعرف هذه الأشياء».

«لا...» لكن سبتيموس كان يعرف أن سايارا محقة.

وضعت سايارا يدها على ذراع سبتيموس، كانت لمستها دافئة وحانية وقد أصابت سبتيموس بالرعب؛ إنها حية. وإذا كانت سايارا حية، فما الزمن الذي هم فيه الآن؟ كان مصدومًا للغاية حتى إنه لم يستوعب في البداية ما تقوله له. قالت: «سبتيموس، يمكنني إنقاذ حياة تنينك».

- «أيمكنك حقًّا؟، آه، شكرًا لك، شكرًا لك». غمر سبتيموس شعور بالأمل.

- «لكن هناك شيئًا».

- «ها»، قالها وقد انهارت معنوياته مرة أخرى.

- «هناك شيء أريدك أن تفعله في المقابل. وعلي أن أخبرك أنه أمر خطير».

- «ما هو؟».

- «لا يمكنني إخبارك».

واجه سبتيموس نظرة سايارا الثابتة. لم يكن يعرف ما يفعله مع هذه الفتاة الغريبة التي كانت تنظر إليه بمزيج الأمل واليأس نفسه الذي كان يشعر به.

- «وإذا لم أوافق على فعلٍ أيًا ما كان ذلك؛ فهل ستقومين بإنقاذ لافظ اللهب؟».

أخذت سايارا نفَسًا عميقًا وقالت: «لا».

حملق سبتيموس في لافظ اللهب - تنينه الكبير الفوضوي العنيد الأخرق، الذي رآه وهو يخرج من بيضته، البيضة التي أعطتها له جينا. تنينه الأحمق الشره حاد الطباع الذي أكل معظم عباءات **السحرة العاديين في برج السحرة**، التنين الذي أنقذ مارشا من **الظل** وفعل أشياء لا توصف بسجادتها - تنينه الجميل يموت. في أعماقه أدرك أنه فهم ذلك طيلة الصباح، منذ أن رفض

لافظ اللهب شرب الماء. ازدرد سبتيموس ريقه بصعوبة.. لا يستطيع أن يترك لافظ اللهب يموت، لا يستطيع. إذا كانت هناك أدنى فرصة لأن تنقذ سايارا تنينه فسيكون عليه اغتنامها. لا خيار أمامه.

قال: «سأفعل ما تريدين أيًّا كان، إذا كنت ستنقذين لافظ اللهب.. لا يهمني ما يكون، سأفعله.. فقط حافظي على لافظ اللهب حيًّا. أرجوكِ».

كانت سايارا رشيقة ومحترفة. فكت الأربطة، ومع سقوط آخر طبقة من عباءات التدفئة الممزقة، ترنح سبتيموس للخلف. كانت رائحة اللحم النتن بالغة النفاذ، وكان الجرح عائمًا في طبقة طينية لزجة. ظهرت العظام مثل أجزاء من جزر صفراء باهتة وسط بحر من الطين الأسود المخضر، والحراشف التي كانت سليمة من قبل صارت منسدلة للخلف مثل أوراق الشجر الميتة، كاشفة تحتها عن المزيد من اللحم الأسود الرقيق الذي ينذر بالسوء. وبعيدًا عن صدمته من حالة ذيل لافظ اللهب، كان سبتيموس يشعر بالخزي من فشل مهاراته الطبية.

قرأت سايارا الانطباع المرتسم على وجهه، قالت: «أعرف أن مارسيلوس علمك بعض الأمور الطبية، وأنا واثقة أنك بذلت قصارى جهدك، لكن لا يتعين عليك أن تلوم نفسك؛ فالطين

الأسود النتن يأتي، كما يقولون، مثل ذئب في الليل ويسرق الناس بعيدًا عن أيدي حتى أمهر الأطباء».

سأل سبتيموس: «إذن، ما الذي يمكنك فعله؟».

- «سأمزج **السحر بالطب**، جوليوس، العزيز جوليوس، علمني ذلك. إنه شيء قوي، نجح فيه جوليوس ومارسيلوس معًا. إن تأثير **السحر والطب** المستخدمين معًا أقوى كثيرًا مما قد تتوقع أن يكون عليه المزيج. كان هذا آخر ما تعلمته، وقد أراني جوليوس كيف أمزجهما في آخر يوم قبل رسم...» تلاشى صوت سايارا للحظة وقد تاهت في ذكرياتها.

بعد عشر دقائق أصبح لافظ اللهب محاطًا بشرنقة **سحرية**. كان سبتيموس قد تابع سايارا وهي تجعل الطين الأسود المنتن يتبخر في تيار من البخار الأسود كريه الرائحة، كانت تلك الرائحة النتنة قد ظلت في الهواء حتى انتهت سايارا تقريبًا مما تفعل. كان يتابع سايارا وهي تعمل كجراح ماهر، وكان يناولها مجموعة متنوعة من السكاكين والشوك والملاعق من **حقيبة ضابط جيش الشباب المتدرب للنجاة من أرض الأعداء** التي أعدتها مارشا والتي اعتادت حشوها بأشياء لا يمكن ذكرها (جهز سبتيموس إشارة عقلية بعدم استخدام الأواني على العشاء). بعدها تابع سايارا وهي تضع بضع قطرات من زيت أخضر اللون من قنينة فضية صغيرة

على الجرح وعندئذ تولد سديم سحري أرجواني مخضب باللون الأخضر. انتشر السديم فوق الذيل المصاب وغطاه بمادة هلامية لامعة شفافة.. شيء لم يره سبتيموس من قبل قط. حين استقرت المادة الهلامية، أرته سايارا كيف أن الحراشف قد عادت بالفعل للون الأخضر، وحتى وهو يشاهد؛ بدأ اللحم ينمو فوق العظام. والآن علقت في الهواء رائحة النعناع النظيفة المنعشة.

أعطته سايارا القنينة الفضية الصغيرة: «خذ هذه، بها محلول يسرع التئام الجروح. يمكنني أن أرى أن جناحيه بهما أماكن ممزقة. حين يصير أقوى خذه إلى مكان يمكنه فيه فرد جناحيه وضعْ نقطة واحدة من الزيت فوق كل مزق، ستترابط معًا؛ أما الآن فدعه ينام إلى حين يتعافى ذيله» ثم ابتسمت وتابعت: «لا تقلق يا سبتيموس، سيعيش».

«آه، أنا... حسنًا، أشكرك» وإذ تغلب على الموقف فجأة، اندفع سبتيموس لإحضار قزم الماء.

شرب لافظ اللهب هذه المرة. شرب حتى تألمت ذراع سبتيموس بسبب رفعه القزم الثقيل، لكن سبتيموس لم يعبأ. فلافظ اللهب سيعيش، وكان هذا هو كل ما يهم.

تابعت سايارا لافظ اللهب وهو يشرب. وحين أنزل سبتيموس قزم الماء أخيرًا، قالت: «مارسيلوس أعطى جوليوس واحدًا من

هذه في يوم عيد منتصف الشتاء، لكنه لم يكن يشبه ذلك تمامًا، كان بالأحرى...».

سأل سبتيموس: «وقحًا؟».

ابتسمت سايارا للمرة الأولى: «نعم».

هز سبتيموس رأسه. كانت كل ثوابته تتهاوى مثل أوراق الخريف. لقد أعطى مارسيلوس قزم ماء وقحًا على سبيل الهدية، فإذا كان هذا ممكنًا، فسيكون كل شيء ممكنًا».

قالت سايارا: «لقد نفذت ما وعدت به، والآن هل ستفعل ما وعدت به؟».

قال سبتيموس: «نعم، سأفعل. ما الشيء الذي تريدينه؟».

– «ألا تزال تحتفظ بمفتاح الكيمياء الخاص بك؟»

فوجئ سبتيموس: «نعم، أحتفظ به. لكن كيف عرفتِ أنني أملك المفتاح؟».

قالت سايارا وقد لمعت عيناها وهي تتذكر أيامًا أكثر سعادةً: «**الكل** كان يعرف، فبعد أن غادرتَ ظن معظم الناس أنك هربت؛ لكن قيل في برج السحرة إن مارسيلوس أعطاك مفتاحه مقابل تعاهد سري. ولم يتحدثوا في شيء آخر لأسابيع».

ابتسم سبتيموس؛ لم يتغير برج السحرة.. كان لا يزال مرتعًا للشائعات.

- «لكن، كما تعرف، مارسيلوس لم يتحدث عن هذا قط، ولا حتى مع جوليوس الذي كان أقرب أصدقائه. وأظن أن هذا ضايق جوليوس كثيرًا» بدت سايارا حزينة وهي تتذكر جوليوس بايك الذي تحبه كثيرا، سألت: «هل ستريني **المفتاح**، من فضلك؟ أحب أن أراه».

أدخل سبتيموس يده داخل سترته وأخرج **مفتاح الكيمياء** من حول عنقه، ووضع القرص الذهبي الثقيل في راحة يده حتى تستطيع سايارا رؤيته. راح يتلألأ في ضوء الشمس، وكان رأسه الضخم المميز مزينًا بالرمز **الكيميائي** للشمس - والذهب - وهو نقطة في مركز الدائرة.

قالت سايارا: «إنه جميل».

قال سبتيموس وهو يعيد **المفتاح** حول عنقه متسائلًا: «نعم، إنه جميل. إذن... ما الذي تريدين أن أفعل؟».

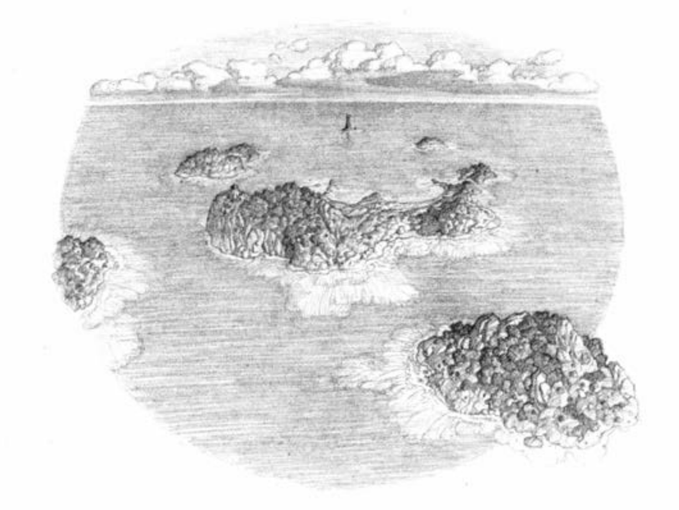
- «تعال معي وسأشرح لك. تنينك - لافظ اللهب - سينام حتى نعود».

أعطى سبتيموس أنف لافظ اللهب ربتة توديع، ثم قفز نازلًا خلف سايارا على الشاطئ وتبعها داخل الكثبان الرملية.

كان خوفه على لافظ اللهب قد زال، لكنه الآن صار يخاف على نفسه.

32

حجاب الذهن



مشى سبتيموس مع سايارا خلال الكثبان الرملية واتجها إلى أعلى حيث الصخور العشبية. كان لديه شعور طاغٍ يعتمل في تجويف بطنه، وكان يعرف السبب. لم تكن حقيقة أنه يساق إلى خطر مجهول؛ فذلك شيء يستطيع التعامل معه، لكن ما وجد التعامل معه أصعب هو حقيقة أنه لم يعد يعرف **الزمن** الذي هو فيه.

اتخذت سايارا خطوات سريعة فوق الصخور العشبية متجهة نحو التل العالي الذي يرتفع في مركز الجزيرة. كان على سبتيموس أن يهرول ليسايرها. وعند سفح التل كان هناك ممر أكثر تحديدًا، والذي التف صاعدًا خلال الصخور المتناثرة. كان عرضه يسع شخصًا واحدًا فقط، وتقدمت سايارا متقافزة على الممر بسهولة عنزة جبلية خبيرة. تبعها سبتيموس ببطء أكبر.

وفي منتصف الطريق الصاعد للتل توقف سبتيموس والتفت على أمل أن يرى لافظ اللهب، لكن الكثبان الرملية كانت تخفي التنين بالفعل. التقط أنفاسه ثم واصل السير نحو سايارا التي كانت جالسة في انتظاره، مستندة على صخرة، وقد سكنت هي نفسها مثل الصخرة.

استمر سبتيموس في السير ببطء محاولًا أن يستكشف ما حوله.. ترى هل سايارا في زمنه أم أنه هو في زمنها؟ تساءل عما إذا كانت سايارا روحًا؛ لكنها لا تبدو مثل إحداها، وفي الحقيقة بدت تمامًا على الهيئة التي كان يتوقع أن يكون عليها أي أحد حوصر على جزيرة، نحيفة ومسفوعة بالشمس، وممزقة الملابس.

حين اقترب سبتيموس أعادت سايارا شعرها البني الداكن الأشعث للوراء خلف أذنيها وابتسمت له، حسبما رأى، تمامًا مثلما قد تفعل فتاة حقيقية. عند قدميها تدفق نبع من بين بعض الصخور المستوية المكسوة بالطحالب، وأصيب سبتيموس بفورة قلق

مفاجئة، كان هذا هو النبع ذاته الذي طالما تخيله بوضوح أثناء طيرانه فوق الجزر. سحبت سايارا كوبًا مقصوفًا من الصفيح من بين الصخور وجعلت الماء يتدفق داخله؛ قدمته لسبتيموس وهو جالس على الصخرة إلى جوارها. شرب الماء في جرعة واحدة، كان مثلجًا ومذاقه أفضل مائة مرة من ذلك الماء الدافئ ذي النكهة المعدنية الذي يخرج من قزم الماء.

بعد ثلاثة أكواب من الماء شعر سبتيموس أن عقله صار أكثر صفاءً بكثير. قال: «حين ناديتني، كنت تجلسين هنا».

أومأت سايارا: «بالفعل كنت أجلس هنا. هذا هو مكاني المفضل على الجزيرة كلها. في ذلك الصباح نظرت فرأيت تنينك وعرفت أنه أنت. وعرفت أنه إذا كنت أنت، فلعلك ما زلت محتفظًا بالمفتاح».

سأل سبتيموس: «ولكن كيف عرفتِ أنه أنا؟».

بدت سايارا متفاجئة، قالت: «كل المتدربين يعرف أحدهم الآخر». نظرت إلى شريطي المتدرب الأول، اللذين بعد دمار العاصفة، وعمليات ذيل لافظ اللهب، لم يعودا جديدين ولامعين: «أنا مندهشة لأن جوليوس لم يعلمك هذا بعد، لكنه سيفعل. إنه معلم جيد حقًّا، أوَليس كذلك؟».

لم يجبها سبتيموس؛ إذ لم يستطع تحمل فكرة احتمال أن يكون قد عاد إلى زمن سايارا. قفز صاعدًا وهو يتوق بشدة لأن

يلمح جينا وبيتل، قائلًا لنفسه إنه لو استطاع رؤيتهما فسيكون كل شيء على ما يرام. لكن لم يكن هناك أثر لهما، وغمره إحساس مقيت بأنه وحيد على الجزيرة، وقد حوصر مرة أخرى في زمن مختلف.

كانت سايارا تحملق نحو البحر باستمتاع غير مدركة للحالة الشبيهة بالرعب التي بدا عليها سبتيموس، همهمت: «أنا لا أتعب مطلقًا من هذا، قد يصيبني التعب من أي شيء آخر إلا هذا».

نظر سبتيموس إلى المشهد الذي يمتد أسفل منه، كانت أربع جزر صغيرة خضراء مرقطة بصخور رمادية تحدها أشرطة بيضاء رقيقة من الشواطئ قد تراصت بغير انتظام وسط االبحر المتلألئ ذي اللونين الأزرق والأخضر. كان يعرف من رحلته الجوية أن هناك جزيرتين صغيرتين أخريين على الجانب الآخر من التل؛ لتشكل جميعها سبع جزر. كانت رائعة على نحوٍ أخاذ، غير أن كل ما أمكنه التفكير فيه هو: أي زمن هذا؟

وقفت سايارا، وظللت عينيها ونظرت نحو ضوء **صخرة القطة** وقالت: «هذا الصباح أخذوا الضوء؛ لذا فقد جئت إليك. إنها بداية».

لم يردَّ سبتيموس، كان منشغلًا بالكامل في محاولة أن يحدد اللحظة التي يحتمل أن يكون قد عاد فيها إلى زمن سايارا. أكانت قبل أم

بعد أن ذهبت جينا وبيتل للصيد؟ وهل هما في هذا الزمن معه أم لا؟ كلما فكر في الأمر دار رأسه.

قال: «سايارا»..

- «إيه؟»

- «كيف جئت إلى هنا؟».

- «على ظهر درفيل».

- «على ظهر درفيل؟».

- «إنها قصة طويلة. دعني أسدي لك نصيحة يا سبتيموس؛ إذا أصابك النصَب من الرحلة؛ فاهرب حينما تستطيع».

رد سبتيموس بهدوء: «نعم، أعرف. وهذا ما فعلته».

- «هل فعلت ذلك؟».

رد هو الآخر: «إنها أيضًا قصة طويلة».

نظرت سايارا نحو سبتيموس بشيء جديد من الاحترام؛ فهذا المتدرب الشاب يملك ما هو أكثر مما كانت تظن. ووضعت يدها في جيب داخل سترتها المهترئة وأخرجت كتابًا صغيرًا ملطخًا بالمياه. كان الغلاف مصنوعًا من نسيج أزرق باهت وكان مزينًا بعلامات ورموز مرسومة باليد، لم يعرف سبتيموس معظمها. وبحروف ذهبية كبيرة على الغلاف الأمامي كُتب:

كتاب سايارا الحورية
موجه إلى: جوليوس بايك
الساحر الأعظم. الجزر

قالت سايارا: «كان هذا سجل إحدى السفن، لقد وجدته مبتلًّا على الشاطئ. لقد صار رفيقي الحقيقي الوحيد على هذه الجزيرة، وفيه كتبت قصتي لكي أتمكن من تذكر من أكون، ومن كنت. إنه يشرح كل شيء، خذه من فضلك وأعطه لجوليوس حين تعود، لقد كتبته من أجله أيضًا.

نظر سبتيموس في الأسماء المكتوبة على الغلاف وسأل: «إذن.. هل تدعين سايارا أم **الحورية**؟»

- «هنا في الخارج، أنا سايارا».

سأل سبتيموس: «هنا في الخارج؟».

قالت سايارا: «اقرأه، وستفهم. فيما بعد» ثم أضافت حين بدأ سبتيموس في رفع الغلاف الهش: «والآن يجب أن نذهب».

اتسع الممر بعد النبع ومشى سبتيموس بجانب سايارا في اتجاه قمة التل الشجرية. وحين اقتربا من القمة التفتت سايارا له وقالت: «ما أطلب منك فعله ليس من أجلي، إنه من أجل **القلعة**. وأعتقد أنك إذا عرفت ما هو فستصر على القيام به بأي طريقة» نظرت إلى سبتيموس وقد أُغمضت عيناها نصف إغماضة بفعل الشمس

الساطعة من خلفه والتي أضفت على شعره هالة ذهبية غامضة، ابتسمت وقالت: «نعم، أنا واثقة أنك ستفعل».

سأل سبتيموس: «حسنًا، ما دمت واثقة كل هذه الثقة، فلماذا لا تخبرينني؟».

- «لا أستطيع».

بدأ سبتيموس يشعر بالانزعاج، قال: «ولم لا؟ إذا كنت تريدينني أن أفعل ذلك الشيء الخطير، فأظن أن أقل ما يمكنك فعله هو إخباري ما هو وألا تتلاعبي بي».

- «لأني لو أخبرتك؛ فستعرف. وإذا عرفت فستعرف **الحورية**...».

سأل سبتيموس: «**الحورية**؟». نظر نحو الاسم على الغلاف: **الحورية**... الاسم الذي بعد اسم سايارا. **الحورية**... الاسم الذي استبدل باسم سايارا. سرت رعشة باردة في أوصاله؛ بدأ يداخله إحساس سيئ بشأن الجزيرة. خفض سبتيموس صوته: «إذا كنت لا تستطيعين إخباري بما سأقوم به، إذن على الأقل يجب أن أعرف ما الذي أنا بصدد التعامل معه. من هي.. أو ما هي.. الحورية؟».

كانا الآن قد وصلا إلى حافة الأشجار عند قمة التل، قالت سايارا: «حسنًا جدًّا، ولكن قبل أن أخبرك عن **الحورية**، يجب أن أعرف شيئًا واحدًا: هل يمكنك أن تصنع حجاب الذهن؟ إذا كنت لا تستطيع؛ فصدقني، من الأفضل ألا تعرف الآن».

لكن سبتيموس كان يمكنه بالفعل أن يصنع حجاب الذهن.

تذكر جيدًا اليوم الذي علمته فيه مارشا.

فمن اللحظة التي خرج فيها بعد ترتيب المكتبة الهرمية اتخذ اليوم منحًى سرياليًّا. كل شيء قاله أو فعله كانت مارشا قد تنبأت به، لقد أتمت جمله بدلًا منه، أجابت عن الأسئلة التي لم يسألها، جاءت له بكتاب كان على وشك الذهاب للبحث عنه، وقامت بحيل صغيرة أخرى لا حصر لها. وبنهاية فترة الصباح شعر سبتيموس أنه على وشك الجنون.. فكيف عرفت مارشا ما كان يفكر فيه وما كان ينوي عمله؟

أصرت مارشا حينها على أن يتناولا غداءهما معًا، بدلًا من أن ينزل سبتيموس إلى مقصف برج السحرة كما كان يفعل عادةً. جلس سبتيموس في المطبخ الصغير وتناول الطعام في صمت، رافضًا أن يُجر إلى الحديث. كان يركز بقوة في كل شيء على المائدة، وركز كليًّا على كل مضغة من طاجن الخضار باللحم الطازج الجيد نوعًا الخاص ببرج السحرة الذي كان قد أرسل لمارشا. وحين رأى مارشا تنظر إليه بابتسامة استمتاع خفيفة لم ينظر بعيدًا؛ بل حاول أن يضع حجابًا عقليًّا بين عينيه وعينيها دون أن يفكر إلا في أشياء عادية. ومع الانتهاء من الحلوى - فطيرة شوكولاتة برج السحرة ذات الرغاوي - كانت مارشا مبتهجةً. وضعت ملعقتها وصفقت بيديها؛ قالت حينها: «عمل رائع

يا سبتيموس. لقد استخدمت كل قوى القراءة التي أملكها، وأنت لم تعرف ما كنت أفعله فحسب، بل عرفت كيف تحجبني. جيد جدًّا! لقد أتقنت المرحلة الأولى من حجب الذهن وحدك تمامًا.

سنقضي فترة ما بعد الظهيرة في المرحلة الثانية؛ وهي جعل حجابك الذهني لا يمكن كشفه. إذا نجحت في ذلك سنقوم بالمرحلة الثالثة؛ وهي السماح لك باستخدام الأفكار الخادعة، التي ستجعل لك اليد العليا دائمًا».. ابتسمت وتابعت: «عندئذ ستكون محميًّا ضد أي مخلوق متطفل أو ساحر؛ بما في ذلك أنا».

سارت فترة ما بعد الظهيرة على ما يرام، وكان سبتيموس قد وصل للمرحلة الثالثة، رغم أنه في بعض الأحيان تسببت أفكاره الخادعة في انهيار المرحلة الثانية، وهو ما قالت عنه مارشا إنه مشكلة دائمة بالنسبة لمبتدئ، لكنها ستتحسن بالممارسة.

ابتسم سبتيموس: «نعم، يمكنني أن أعمل حجابًا ذهنيًّا».

قالت سايارا: «جيد» ومثل حيوان يغوص داخل جحره، غاصت داخل الأشجار واختفت. تبعها سبتيموس ووجد نفسه مصابًا بعمى لحظي بسبب الظلال بعد أن كان في ضوء الشمس المشرق. انطلق خلف سايارا بشيء من الصعوبة. وعلى الرغم من أن الأشجار الصغيرة كانت معرضة لعصف الريح وكانت واهنة فإنها كانت تنمو على نحو متقارب، وكانت تغطيها أوراق لبية صلبة صغيرة، علقت بـــه وقطعت عليه الطريق وهو يندفع خلالها.

كانت الأشجار تنمو في أشكال لولبية ملتوية، وكانت تمضي في اتجاهات غير متوقعة كما لو أنها تتعمد طرحه أرضًا، أما سايارا فقد عرجت خلالها بسرعة وقد سقطت الظلال المرقطة على سترتها الخضراء الرثة. بدت لسبتيموس مثل غزال أحراش صغير، يقفز هنا ويثب هناك وهي تتبع مسارًا لا يعرفه غيرها.

توقفت سايارا عند الحافة البعيدة للأيكة وانتظرت سبتيموس ليلحق بها. وبينما كانت تقف مظللة بضوء الشمس الساطع لاحظ سبتيموس مدى النحافة الشديدة التي هي عليها. كانت سترتها الرثة متدلية منها مثل خرقة على خيال مآتة، وكان رسغاها وكاحلاها البنيَّان النحيفان قد ظهرت من الأطراف المهلهلة مثل عصي معقودة.. ذكرته بفتيان جيش الشباب الذين لا يأكلون.. كان هناك دائمًا واحد أو اثنان منهم في كل فرقة، وكانوا لا يستمرون طويلًا على الإطلاق. تساءل: كيف كان شكل حياة سايارا على هذه الجزيرة؟

انضم سبتيموس لسايارا عند حافة الأشجار، كان أمامهما في ضوء الشمس الساطع قمة جرف صخري عريض مفتوح يبرز في اتجاه البحر مثل مقدمة السفينة، امتدت وراءه بانوراما رائعة للبحر، لا يقطعها سوى برج دائري رابض ذي حلقة من النوافذ الصغيرة عند أعلى قمته. رفعت سايارا ذراعها لتمنع سبتيموس من الخطو خارج غطاء الأشجار. أشارت نحو البرج وهمست: «هذا

هو المرصد، إنه **محل سكن الحورية**».. توقفت سايارا عن الكلام، وأخذت نفَسًا عميقًا وقالت: «الحورية هي روح **مستحوذة**، وقد **استحوذت عليَّ**».

على الفور فهم سبتيموس غلاف الكتاب، وبإحساس بالذنب شعر بموجة سعادة تندفع بداخله.. إنه لا يزال في زمنه. تذكر كلمات من كتاب **دان فورست** «علاجات أساسية» عن **الاستحواذ**: «لعنة المستحوذ عليه هي البقاء لمئات عديدة من الأزمنة دون أن يعرفها. إنه نوع من الخلود الذي لا يرغب فيه أحد».

ابتعد سبتيموس عن سايارا على نحو غريزي.. كانت مارشا تقول دائمًا إنه ليس بالأمر الجيد الاقتراب من أحد قيد الاستحواذ.

بدت سايارا غاضبة، قالت: «لا بأس، لن يلحق بك شيء. أنا مستحوَذ علي داخل المرصد فقط؛ فكما قلت، بالخارج أنا سايارا».

- «إذن، لم تدخلين المرصد من الأساس؟»

هزت سايارا رأسها: «حين تستدعيني الحورية، يجب أن ألبي. إلى جانب...» تثاءبت: «آه، معذرة، أنا متعبة جدًا. لقد ظللت مستيقظة بالخارج بأقصى ما يمكنني، لكن المكان الوحيد الذي يمكن أن أنام فيه هو داخل المرصد».

تذكر سبتيموس الآن شيئًا لم يكن كتاب علاجات أساسية **لدان فورست** قد غطاه؛ شيئًا كان قد عثر عليه في لفيفة مكرمشة في مؤخرة الدرج في مكتب المكتبة الهرمية، كان قد كتبها ساحر

استثنائي شاب تعرض للاستحواذ من روح حاقدة تسكن في كوخ بجانب الجدول المنعزل.

استطاع الساحر العودة إلى برج السحرة، وراح يكتب وصيته، وكانت في بدايتها هذه الكلمات: «مضت أربعة أيام طوال منذ هربت بعيدًا عن المستحوذ عليّ. لقد اخترت ألا أعود، وأعرف أنه لا بد لي من مواجهة النومة النهائية قريبًا». وتبع ذلك وصف لما حدث له، إلى جانب تعليمات تفصيلية لخليفته، وقائمة بالوصايا، ورسالة أخيرة لمن وصفها بـ«حبه الحقيقي الوحيد»، والتي انتهت بعلامة طويلة بالحبر حيث سقط القلم من بين يديه حين غلبه النوم في النهاية.

كان سبتيموس قد أطلع مارشا على الرسالة في حزن. وقد شرحت أنه لو أن شخصًا واقعًا تحت حوزة روح ساكنة راح في النوم خارج مكان السكن، فإنه سينام إلى الأبد.

سأل سبتيموس متحيرًا: «ولكن كيف يمكن للناس أن يناموا للأبد؟».

قالت مارشا: «حسنًا، في الحقيقة يا سبتيموس، إنهم يموتون. بشكل عام في غضون ثلاث دقائق من نومهم».

فكر سبتيموس أن ذلك يفسر التجويفين الداكنين اللذين تظهر منهما عينا سايارا كمنارتين محمومتين، قال: «ياه يا سايارا، أنا آسف جدًّا!».

بدت سايارا مندهشة؛ فلم تكن تتوقع ذلك التعاطف من سبتيموس. وفجأة طغت عليها فداحة ما أجبرته على الموافقة على القيام به. تقدمت نحوه ووضعت يدها على ذراعه، وقد لاحظت بامتنان أنه لم يجفل: «آسفة لأني قلت إنني سأنقذ تنينك فقط مقابل... هذا. هذا لم يكن صحيحًا، إنني أعفيك من وعدك».

ابتسم سبتيموس في ارتياح: «ياه!».. كانت الأمور تبدو أفضل وأفضل. لكنه عندئذ تذكر شيئًا: «لكنك قلت إنني لو عرفت ما الأمر، فسأصر على القيام به بأي طريقة».

- «أوقن أنك ستفعل. فالقلعة في خطر محيق».

- «في خطر؟ كيف؟».

لم تجب سايارا: «لو أعطيتني **المفتاح**، سأحاول فعل ما يلزم فعله».

رأى سبتيموس علامات العبوس محفورة بعمق على وجه سايارا وقد غطت سحب القلق عينيها الخضراوين. كانت يداها النحيفتان متعانقتين، ومفاصل أصابعها شاحبة من التوتر. لو أن أحدًا يحتاج إلى مساعدته لكانت هي، قال: «لا، أيًّا كان هذا الأمر، سأقوم به».

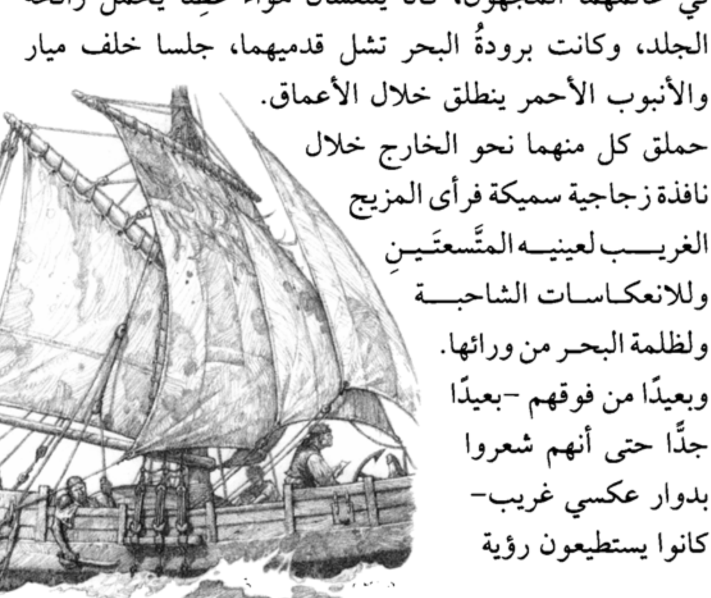
قالت سايارا: «شكرًا لك، شكرًا لك. سنقوم به معًا».

33

صخرة القمة

بينما كان سبتيموس يسير نحو المجهول مع سايارا، كان الفتى الذئبي ولوسي بعيديْنِ بالأسفل تحت سطح البحر غارقيْن في عالمهما المجهول، كانا يتنفسان هواءً عَطِنًا يحمل رائحة الجلد، وكانت برودةُ البحر تشل قدميهما، جلسا خلف ميار والأنبوب الأحمر ينطلق خلال الأعماق.

حملق كل منهما نحو الخارج خلال نافذة زجاجية سميكة فرأى المزيج الغريب لعينيه المتَّسعتَينِ وللانعكاسات الشاحبة ولظلمة البحر من ورائها. وبعيدًا من فوقهم -بعيدًا جدًّا حتى أنهم شعروا بدوار عكسي غريب- كانوا يستطيعون رؤية



الضوء يتحرك ببطء على سطح الماء، مثل القمر الذي يتهادى في سماء تخلو من النجوم.

قالت لوسي: «سيد ميار، سيد ميار!».

ظهر رأس ميار الدقيق حول حافة كرسيه العالي، وقد لمعت عيناه الصفراوان وسط الوهج الأحمر:

«نعم يا لوسي جرينج!»، سبَّبت لها قعقعة صوته الغريبة إحساسًا بالقلق.

سألت لوسي: «لماذا يبدو صوتك هزليًّا؟ إنه غريب».

أشار ميار إلى دائرة من الأسلاك حول عنقه: «هذه ما تجعله هكذا، إنه شيء يجب على القائد ارتداؤه، مهمتها تسهيل الحديث مع أشخاص عديدين داخل الأنبوب بعد الإنقاذ، إذا كانت ضرورية لكي يُسمع الصوتُ وسط عاصفةٍ، ولإخبار السفن بخطر الجُزُرِ الصغيرة، فإنَّها أيضًا تحمل الصوت إلى الخارج، إن صوتي ليس قويًّا لكن بهذه يصبح كذلك» واختفى رأس ميار عائدًا خلف كرسيه.

والآن وقد عرفت سبب غرابة صوت ميار، هدأت لوسي قليلًا.

«سيد ميار!».

بدا أثر ابتسامة في صوت ميار حين تكلم: «نعم، يا لوسي جرينج!».

- «لماذا نحن على كل هذا البعد بالأسفل؟ إنه شيء مزعج».
- «أريد أن أتَّبع الضوء دون أن نُرَى. ركاب المارودر هؤلاء أناس أشرار».

قالت لوسي: «أعرف، لكن ألا يمكننا أن نصعد قليلًا فقط بالقرب من السطح؟ لن يلاحظِونَا، بكل تأكيد».

قَعْقَعَ ميَار: «هنا أأْمَنُ».

حملقت لوسي خارجًا، وهي تشاهد حزمة الضوء الخارجة من الأنبوب الأحمر وهي تسري خلال المياه نيلية اللون، مُظْهرة غابات من الأعشاب البحرية وهي تتماوج مثل الأذرع تنتظر أن تسحب الناس داخل قبضتها، ارتجفت لوسي؛ إذ كانت قد رأت من الأذرع ما يكفي ليدوم معها لفترة طويلة جدًّا، وفجأة اندفع من بين الأعشاب شيءٌ ذو رأس مُرَقَّطٍ كبير مثلث الشكل، وعينين ضخمتين بيضاوين، وسبح متَّجهًا للنافذة وضربها برأسه بقوة؛ فاهتز الأنبوب الأحمر.

صرخت لوسي.

وشهق الفتى الذئبي: «ما هذا؟».

قال ميار: «إنها السمكة البقرة، إن مذَاقَهَا فظيع».

تطلعت عَيْنا السمكة البقرة الغائمتان في حزن.

ارتجفت لوسي: «ياه، إنها مقزِّزَة، أراهن أن أطنانًا منها تعيش في تلك الغابة العشبية».

غير أن ما أحدث أثرًا حقيقيًا في لوسي في النهاية كان رؤية أذرع حقيقية - أذرع غليظة بيضاء ذات مَاصَّات وردية كبيرة - تخرج من غابة الأعشاب تتلوى في اتجاه الأنبوب الأحمر.

صرخت: «آآآآآآآآآآآآآآآآآآآه».

قَعقَع صوت ميار: «إلى الأعلى» وانطلقوا صاعِدين فوق الأذرع والأعشاب إلى المياه الأكثر تألقًا. واصل الأنبوب الأحمر طريقَهُ، وقد تَبِعَ قائده المارودر بمهارة، محافظًا على مساره على عمق نحو عشرين قدمًا أسفل الضوء، وقد تعلَّل - على وجه صحيح - بأن أحدًا من طاقمها لن ينظر عن قرب شديد في الشيء المتألق الذي يتبعهم.

استقرت لوسي والفتى الذئبي على مِقْعَدَيْهِمَا وقد صارَا الآنَ محاطيْن بمياه خضراءَ صافية وأسماك ذات شكل أكثر أُلْفَةً، وبدآ يستمتعان بإحساس الطيران تحت الماء، على حد وصف الفتى الذئبي، وهم يُنَاوِرَانِ بينَ الصُّخورِ ذاتِ الرءوس المدبَّبَةِ التي امتدت في اتجاه الشمس لتتوقف تحت السطح مباشرة. قدَّم لهما ميار صندوق مَؤُونَةٍ يحتوي - لسعادة لوسي - على كِيسَيْنِ من

زبيب الشوكولاتة وسط عُبوات من السمك المجفف وزجاجات من المياه القديمة.

كان مذاق زبيب الشوكولاتة قريبًا من مذاق السمك نوعًا ما، لكن لوسي لم تعبأ؛ فالشوكولاتة هي الشوكولاتة. ورغم ذلك، غيرت رأيها حين لاحظت أن الزبيب كان عبارة عن رءوس سمك صغيرٍ جدًّا.

فوق سطح الماء، على مسافة غير بعيدة جدًّا، كان بيتل يصادِفُ نجاحًا مع السمكة مألوفة الشكل. كان هو وجينا يجلسان على منصَّةٍ صخريَّةٍ ضخمة تُطلُّ على مياه غاية في العمقِ؛ عميقة حتى أن خضرة المياه الشاحبة المعتادة كانت زرقاء غامقة داكنة. جلسا يشاهدان البحر وهو يتدافع نحو الصخور، وينظران نحو الأسفل ليريَا أعشابَ البحر على الصخور وهي تتحرك بشكل حالم مع التيارات بالأسفل، وبين حين وآخر كانَا يلمحَانِ أسماكًا تَسبَحُ بفُتُورٍ في الأعماق متجاهلة ما يعرضه بيتل. قالت جينا إنه من الواضح أن هناك أشياء ألطف كثيرًا لتأكلها بالأسفل من شطائر رءوس السمك المغروسة في الصنارة.

كان بيتل مُحبطًا؛ فبعد نجاحاته التي حققها من على صخرة الصيد، كان قد بدأ ينظر لنفسه باعتباره صيادًا خبيرًا، لكنه الآن أدرك أنه ربما يكون في الأمر أكثر مما كان يظن؛ فرفع خيط الصيد.

قال: «ربما ينبغي لنا أن نعود إلى سِب ونرى كيف حال لافِظِ اللهب».

أسرعت جينا بالموافقة، فلم تجد الصيد أعظم المهن روعة.

سارا فوق المنصة الصخرية ثم هبطا على شاطئ مغطًّى بالصخور، ثم سلكا طريقهما فوق الحصَى حتى المجموعة البارزة التالية من الصخور. كان المد ينحسر كاشفًا عن صف طويل من الصخور التي امتدت إلى البحر في قوس خفيف، وكأن عملاقًا ألقى سلسلة من اللآلئ السوداء الضخمة في إهمال. انتهى الصف بصخرة عالية تشبه العمود والتي لاحظت جينا أنها هي التي كانت قد رأتها من شاطئِهِمَا وأطلقت عليها **صخرة القمَّة**.

قالت: «انظر يا بيتل! هذه الصخور تشبه أحجار الدَّرَج، يمكننا أن نجرِي فوقها حتى **صخرة القمة**، قد يمكننا أيضًا أن نتَسَلَّقَهَا حتى ونلوِّح لسِب، سيكون هذا ممتعًا».

لم تكن هذه تحديدًا فكرة بيتل عن المتعة، لكنه لم يمانع؛ فإذا كانت جينا تريد أن تفعل ذلك إذن سيكون سعيدًا أن يفعله هو كذلك، انزلقت جينا على الصخرة الأولى.

ضحكت: «هذا رائع، هيا يا بيتل، أراك هناك!».

تابع بيتل جينا وهي تنطلق، قافزة من صخرة لأخرى، وكانت قدماها الحافيتان تهبطان بثقة على الصخور الزَّلِقَة المغطاة

بالطحالب البحرية، وبقليل من الثقة في نفسه، بدأ يتبعها، وهو يخطو من صخرة لأخرى بمزيد من الحذر، وفي الوقت الذي وصل فيه إلى سفح **صخرة القمة**، كانت جينا قد اعتلتها بالفعل.

قالت: «هيا اصعد يا بيتل! الأمر سهل حقًّا، انظر، هناك درج».

كان هناك بالفعل مواطئ لأقدام مقطوعة داخل الصخرة؛ وجرس حديدي ضخم يعلوه الصدأ مدْقُوق في جانِبها.

تسلَّق بيتل مواطئ الأقدام وانضم لجينا على القمة. كانت مُحقَّة، حسبما رأى، فقد كان الأمر ممتعًا، ليست تمامًا بقدر متعة دورة الصَّفِير المزدوج في الأنفاق الجليديَّة، لكنها تأتي قريبة جدًّا منها في المركز الثاني. لقد أحب الجلوس على مسافة بعيدة فوق المياه، مُستشعرًا النسيم البارد في شعره، ومستمعًا إلى صياح طيور النورس، وإلى خَرِيرِ الأمواج الرقيقة بالأسفل، وقد أحب على وجه الخصوص الجلوس هناك مع جينا.

قالت جينا: «انظر، هناك يقع خليجنا، لكني لا أستطيع رؤية سِب في أي مكان».

قال بيتل: «ربما يكون مع لافِظِ اللَّهبِ».

قالت جينا: «اممم، أتمنى أن يكون لافظ اللهب بخير، كانت رائحته مقزِّزَة هذا الصباح، أليس كذلك؟ أعني أشد تقزُّزًا من المعتاد».

قال بيتل: «نعم، لكني لم أقل شيئًا، أنتِ تعرفين مدى حسَاسِيَةِ سِب من أشياء كهذه».

- «أعرف. المكان جميل هنا، أليس كذلك؟ حين يتحسن لافظ اللهب يجب أن نحضر سِب إلى هنا، إنه مذهل». حملقت جينا فيما حولها ناظرة إلى كل شيء، كانت مندهشة من مدى ضيق الجزيرة. لم يكن هناك سوى شريط من اليابسة تتناثر عليه الصخور، يفصل ما اعتبَرته خليجَهم عن الساحل على الجانب الآخر من الجزيرة، نظرت إلى التل الوحيد الذي لا ثاني له، والذي يرتفع من خلفهما. كان هو الآخر تتناثر عليه الصخور وتشكلت قمَّتُهُ من أيْكَةٍ صغيرة من الأشجار المُلتفَّة التي تصدُّ الرياح.

قال بيتل: «نعم، إنه مميز للغاية». جلسا لفترة يستمعان إلى صيحات طيور النورس التي تأتي بين حين وآخر، ويتابعان البحر المتلألئ، إلى أن قال بيتل فجأة: «هناك قارب!».

قفزت جينا واقفةً: «أين؟».

نهض بيتل بحذر على قدميه ليُتيحَ لنفسه رؤيةً أفضل، ولم تكن هناك مساحة كبيرة عند رأس صخرة القمة. ظلَّلَ عينيه من الشمسِ التي بدت ساطعة على نحو زائد وهو ينظر إلى القارب.

قال وهو يشير إلى قارب صيد صغير ذي أشرعة حمراء: «صار للتوِّ في مرمَى البصر عند الطرف الشمالِي للجزيرة».

قالت جينا وهي تبعد عينيها: «إنه متألِّق للغايَةِ، لا أكاد أستطيع أن أنظر إليه».

قال بيتل فجـأة: «لا تنظري إليه، إنه برَّاق للغاية، أظنُّ ياه...! كم هو غريب... أظن أنهم يسحبون مِصباحًا هائلَ الحجم!».

وسط نسيم الصباح الرقيق، كانت المارودر تتقدم ببطءٍ نحو وِجهَتِهَا. كان الرُّبَان فراي قد أبحر شمالي الجزيرة ليوفر طريقًا أكثر أمانًا يتجنَّب فيه بعضَ الصخور الخطرة، غير أن الرياح هدأت واستغرق الأمر وقتًا أطول كثيرًا مما توقع، لكن الآن أصبحت وجهتهم في مرمى البصر.

صاح جاكي: «كن منتبهًا، إننا نقترب من **الصخور المُتوارِيَةِ!**».

كانت **الصخور المُتَوَارِيَةُ** هي سلسلة من الصخور المدبَّبَة تتناثر حول **صخرة القمَّة** وتقع تحت سطح الماء مباشرةً.

جلس جاكي على عارِضَةِ مقدمة القارب ينظر للأسفل داخل المياه الخضراء الصافيَةِ. كان بعيدًا جدًّا عن التأثر **بالضوء** الغريب الذي يهتز بعيدًا من خلفهم، وأبعد ما يمكن عن أبيه والأخوين كرو، الذين شعروا أنهم مهددون أكثر وهم

مختفون وراء نظاراتهم الدَّاكنة. لم يكن أحد قد اهتم بأن يعطي جاكي أي نظارات، لذا فقد قضى الرحلة كلها ينظر بعيدًا عن الضوء، وقد جعل عينيه نصف مغمضتين. حملق في المياه وقد أدهشَهُ مدى صفائها، وكيف أنه استطاع أن يرى كل المسافة حتى قاع البحر، لم يكن هناك الكثير ليراه، لا شيء سوى الرمال المستوية، وأسراب السمك المُسرعة التي تمر عرضًا و.. آه، ماذا كان ذلك؟ أطلق جاكي صرخةً.

صاح الربان مفترضًا أن جاكي رأى صخرة: «أَإِلَى المَيْسَرة أم المَيْمَنة؟».

- «لا هذا ولا ذاك، ياه، إنها ضخمة!».

جاهد الربان فراي ليتجنب إظهار الرعب في صوته: «أين أيُّهَا الأحمق؟ أين هي؟».

شاهد جاكي جسمًا طويلًا ذا لون أحمرَ داكنٍ يصعد من الأعماق. لم يكن قد رأى سمكة بهذا الحجم من قبلُ قط، أو بهذا الشكل، تحرك الشكل بسلاسة تحت القارب في اتِّجاه الضوء ونظر جاكي بعيدًا، صاح: «لقد ذهب، أظن أنه كان حوتًا!».

صرخ الربان فراي: «فتًى أحمق، ليس هناك حيتان في هذه المنطقة».

وفجأة جاءت صيحة من كرو النَّحيف.

«ماذا؟» كان الربان فراي - الذي صار قريبًا جدًّا من هدفه - مضطربًا.

«هناك المزيد من الأطفال الصغار!».

«أين؟».

«فوق صخرة القمة يا ربان! حيث تريد أن تضع **الضوء**».

قعقع الربان فراي: «أنا أعرف تمام المعرفة أين أريد أن أضع **الضوء**، لك الشكر يا سيد كرو، وسأضعه هناك قريبًا جدًّا، في وجود أطفال أو في عدم وجودهم».

قال كرو النحيف: «بدون أطفال أفضل، هل تريدني أن أُزِيحَهُم؟».

صاح جاكي: «**صخرة مُتَوارِيَةٌ!**».

جذب الربان فراي ذراع المِقْوَدِ بعنفٍ وصرخ: «أين؟ مَيْسَرة أم مَيْمَنة يا فتى؟».

صاح جاكي: «إلى المَيْمَنَةِ».

دفع الربان فراي ذراع المِقْوَدِ بقوةٍ بعيدًا عنه وأبْحرت المارودر بجوار الصخرة المدبَّبَةِ القَابِعَةِ بالأسفل.

نظر جاكي فراي لأعلى إلى صخرة القمة، كانوا يزدادون قربًا. ظن أن مَن على رأس الصخرة تشبه لوسي، رغم أنه لم يدرك كيف يمكن ذلك، لكن إذا كانت لوسي، فقد كان يأمل أن تبتعد عن

المكان سريعًا، وفي الحقيقة، كان يأمل أيًا من كانت أن تبتعد عن المكان بسرعة شديدة.

ومن خلال صرخاتٍ مُنضبطةٍ بعنايةٍ: «صخرة مُتوارِيَةٌ مَيْسَرَة» و«صخرة متوارية مَيْمَنَة»، تأكد جاكي فراي أن المارودر أبحرت خارج خط رؤية صخرة القمة على أمل أن لوسي جرينج - إذا كانت هي - يُتاح لها الوقت للاختفاء.

وفي ظل حماس الربان فراي لقرب الوصول لوجهتهم، نسى شيئًا يعرفه كل البحارة؛ وهو أن الصوت ينتقل عاليًا وواضحًا عبر المياه، فقد سمع بيتل وجينا كل كلمة على المارودر، ولم يكونا ينويان البقاء حتى تتم «إزاحتهما». نزلا من صخرة القمة بسرعة واتخذا طريقهما عائدين فوق الصخور الحجرية الدرجية إلى الشاطئ، وبمجرد أن صارا على الأحجار جريا، وهما يراوغان بحثًا عن غطاء، تِجاهَ مُنزَلَقٍ من الكثبان الرملية أسفلَ التلِّ الشجريِّ. وفي الوقت الذي عادت فيه المارودر لمجال الرؤية كانت صخرة القمة خاوية مرة أخرى.

ألقَيَا بأنفسهما داخلَ رمال الكثبان الناعمة والتقطَا أنفاسَهما.

قال بيتل وهو يلهث: «لا يمكنهم رؤيتنا هنا».

قالت جينا: «لا، إني أتساءل ماذا يفعلون؟».

«ليس شيئًا جيّدًا، هذا مؤكد».

قالت جينا: «هذا القارب القادم إلى هنا، إنه فظيع، إنه يسبب شعورًا كأنَّه....كأنه....» بحثت عن الكلمات.

أكمل بيتل: «كأننا نتعرَّض للغزو».

«بالضبط، أتمنى لو رحلوا بعيدًا».

كان بيتل يأمل ذلك أيضًا.

تابعا وصول المارودر. كان القارب عبارة عن جسم داكن عريض وسط المياه الزرقاء المُتلألِئَةِ. انتفخَ شرَاعَاهُ المثلثانِ رُويدًا، وكان صَارِيهُ الأساسي خارجه في زاوية قائمة وصاري الإيقاف الصغير خارجًا عند المؤخرة على عارِضَةٍ مثل ذيل سميك قصير، ويتبعه من الخلف كرة ضوء هائلة، والتي تنافست مع شمس العصر؛ وكسبت المنافسة.

نجحت المارودر أخيرًا في الوصول إلى صخرة القمة، والتي قامت مثل إصبعٍ داكنٍ، وقد صارت أكثر ارتفاعًا من أي وقت مضى بسبب المدِّ المُنسحِبِ. شاهدت جينا وبيتل شخصًا بدينًا يتسلق منصة الرسو ويربط القارب في الحلقة الحديدية. بعد ذلك استدارت المارودر خلف الصخرة حتى أنهما لم يعودا يريان سوى عارضة المقدمة والصاري الأمامي وهما يبرزان من أحد الجنبين وبريق الضوء من الجانب الآخر.

وعلى مدى الساعة التالية، تابعت جينا وبيتل، بنصف عين، عملية غريبة من خلف الكَثِيبِ الرملي.

رأَيَا كرَةً من الضوءِ المبهر يتم رفعها بمشقة أعلى صخرة القمة إلى أن اتَّزَنَتْ أخيرًا، وقد أُمِّنت بشبكة من الحبال، في غير ثبات، على الرأسِ المستوِي.

قالت جينا: «ماذا يفعلون؟».

قال بيتل: «أظنُّ أنهم يخدعون السُّفن».

«يخدعون السفن؛ أتقصد مثلما اعتادوا أن يفعلوا على الصخور الشرسة في الأيام الخَوَالِي؟».

قال بيتل الذي كان مثل كل أطفال القلعة قد تربَّى على حكايات الساحل الصخري المرعب خلف الغابة، والناس المُتوَحِّشين هناك الذين يعيشون على خداع السفن إلى مصيرها المَحْتُوم: «نعم، لكن الشيء الغريب هو أنهم يستخدمون ما يشبه كرة ضوء قديمة، فمن أين يا تُرى حصلوا عليها؟».

قالت جينا: «المنارة، أتذكر كيف لم نستطع رؤية الضوء هذا الصباح؟ لقد سرقوه من المنارة».

قال بيتل: «بالطبع، ياه، تلك المنارة لا بد قديمة جدًّا، إن هذا لَمَكَانٌ غامض».

قالت جينا: «ويزداد غموضًا طوال الوقت، انظر إلى ذلك» وأشارت نحو البحر، عن يمين صخرة القمة، كان يرتفع من الماء أنبوب أحمر طويل ذو انْحِنَاءَةٍ عند قمَّتِهِ. تابعت جينا وبيتل الأنبوب وقد استدار حتى صار في مواجهة صخرة القمة ثم توقف، عندئذ وقف بلا حرَاك. كانت الحركة الوحيدة تأتي من القمم البيضاءِ للأمواج الصغيرة التي تتكسر على صخرة حمراء تحت الأنبوب.

قال بيتل: «هذا **أنبوب بحث**، لدينا – أعني، لديهم – واحد يشبه هذا في دار المخطوطات، إنه ينزل بالأسفل داخل غرفة التَّمَائِمِ **غير المستقرة** حتى يمكننا – يمكنهم – مراقبة ما يجرِي».

قالت جينا: «إذن هناك أحد يراقب من تحت البحر؟».

قال بيتل: «يبدو الأمر هكذا. مثلما قلتِ، يزداد الأمر غموضًا طوال الوقت».

34

الحورية

أخذت سايارا وسبتيموس يسيران فوق الجزء العشبي الربيعي لقمَّةِ الجرف الصخريِّ في اتجاه **المَرْصَدِ**، هبَّ نسيمٌ قويٌّ حاملًا معه رائحة البحر.

همهمت سايارا: «سبتيموس، هناك شيء يجب أن أخبرك به، لكنِّي سأنظر إلى الأرض وأنا أتكلم؛ فالحورية تستطيع قراءة ما يقول المرء بالنظر إلى شفتيه».

سأل سبتيموس وقد سرت رعشة في جسده: «أتستطيع رؤيتنا؟».

- «إنها **تتابع** من خلال النوافذ التي عند القمة؛ لا تنظر للأعلى، أحتاج لأن أقول لك هذا تحسُّبًا لأن تسير الأمور على غير ما يرام...».

قال سبتيموس محذِّرًا: «لا تفكري هكذا».

- «ولكن من أجلك أنت، يجب أن أفعل، أريد أن أخبرك كيف يمكنك الهرب».

قال سبتيموس: «لن أحتاج إلى ذلك، سنسير عائديْن معًا، هكذا» وأمسك بيد سايارا التي ابتسمت.

قالت في إصرارٍ: «لكن، لو دعت الأمور فقط، يجب أن تعرف أنه بمجرد دخولك إلى المرصد فإن المَدْخَلَ سيختفي؛ رغم أنه سيظل في مكانه، ضع علامة على الأرض ونحن داخلان. كذلك في الأعماق...».

- «الأعماق؟».

- «نعم، إنه حيث يجب أن نذهب، ستفهم السبب حين نصل هناك، أتُخفي المفتاح تحت سترتك؟».

أومأ سبتيموس..

- «حسنًا. والآن، إذا احتجت للهرب من الأعماق فهناك بعض الدَّرَجَاتِ التي تصعد عائدة إلى المَرْصد، لكن لا تستخدمها إلا إذا كنت مضطرًّا لذلك تمامًا، إنها موضوعة على عمق داخل الصخرة والهواء ليس آمنًا، هناك درجات من نقطة المراقبة، وهي عبارة عن صفٍّ من النوافذ في الجرف، وهذه لا بأس بها، ستجدها مقابل النافذة الوسطى، تمام؟».

أومأ سبتيموس، مع أنه شعر أنه بعيد جدًّا عن التمام.

كانا قد وصلا إلى ظل **المرصد**، قالت سايارا: «استَدِرْ وانظر إلى البحر، أليس جميلًا؟».

نظر سبتيموس نحو سايارا متحيِّرًا، بدا غريبًا أن تبدي إعجابها بالبحر في مثل تلك اللحظات؛ لكنه أدرك عندئذ ما كانت تفعله سايارا، واستدار بعيدًا عن نوافذ **المراقبة** الخاصة **بالمرصد**.

نظرا عبر سَدِيم الحرارة المتلألئَةِ، ورأى سبتيموس جزيرة أخرى جديدة - أَكَمَةً خضراءَ دائرية ذات شريط شاطئي أبيض ضيق - قابعة وسط البحر اللَّازَوَرْدِيِّ المتألِّقِ، بدت الشمس دافئة عند قمة الجرف طيبة النسمات، واستنشق الهواء المُشَبَّعَ بالملحِ متلذذًا وكأنه يستنشق آخر أنفاسه.

همست سايارا: «سبتيموس، يجب أن أحذرك من أنه حين تدخل المرصد ستكون هناك لحظات قليلة مروعة حين، آه، تحدث أشياء لي، في البداية لن أكون متحكِّمة في جسدي، لكن لا تنزعج، عُدَّ ببطء حتى مائة وعند ذلك - إلا إذا حدث خطأ في شيء ما - سأكون قادرة على فعل ما أريد، ومع ذلك، لن أكون قادرة على قول ما أريد؛ **فالحورية** لها قدرة خاصة على التعامل مع الكلمات، لذا تذكَّر هذا: «ثق فقط بأفعالي، لا بكلماتي. أَتْفهم؟».

- «نعم، أفهم، ولكن...».

- «ولكن ماذا؟».
- «حسنًا، ما لا أفهمه هو، من المؤكد أن **الحورية** ستتساءل عن سبب وجودي هنا؛ أعني، لا أفترض أنك تعتادين إحضار أصدقائك للبيت» حاول سبتيموس أن يبتسم.

نظرت سايارا نحو الزُّرقَةِ البرَّاقَةِ، وهمهمت: «لا، لا أفعل، ولكن الحورية سترحِّب بك، لقد قالت إنها تتمنى آخرين، وقالت إنها سئِمَتْ منِّي» ثم سألت: «هل تُقَدِّر حقًّا ما أقوله؟ هذا شيء خطير بالنسبة لك لتقوم به، ما زال بإمكانك الانصراف، والعودة إلى الشمس المشرقة».

قال سبتيموس: «أعرف أنه يمكنني ذلك، لكني لن أفعله».

منحته سايارا ابتسامة ارتِيَاحٍ، استدارت وقطعا معًا اليَاردَاتِ القليلَة المتبقيَة نحو المَرصدِ. توقفا أمام المدخل الدائري العتيق، الذي كان يملؤه الظلام المتنَقِّل الذي عرفه سبتيموس من الوصف الوارد في وصيَّة **الساحر الاستثنائي الشاب**.

التفتت له سايارا، وقد بدا القلق في عينيها، حركت شفتيها: «**حجاب الذهن**». أومأ سبتيموس وضغط على يد سايارا، خطوا معًا عبر الظلال؛ ثم إلى داخل البَريقِ المدهش للمرصد، أفلتت سايارا يد سبتيموس كما لو كانت قد حرقَتْهَا فجأة، وجرت إلى الحائط البعيد للبرج، جَاعِلَةً بينهما مسافة بعيدة قدْرَ ما أمكنَ.

صار سبتيموس بمفرده.

بسرعة وضع علامة × على الأرضية الترابية بكعب حذائه العالي. نظر نحو سايارا في الجانب المقابل من البرج وقد أعمل **حجاب الذهن** الذي عرض ذكريات مريحة عن ظهر أحد الأيام في معرض **تَسَاوِي الليل مع النهار في الربيع** مع جينا وبيتل، كانت ملتصقة بالحائط وعلى وجهها تعبير أرنب مُطارَد. شعر سبتيموس بالغَثَيَانِ، نظر بعيدًا وبدأ بشكل منهجي في فحص الجزء الداخلي للمرصد، ملاحظًا كل شيء بعناية كما لو كان يؤدي مشروع واجب منزلي لمارشا.

كانت الجدران الداخلية للمرصد مغطاة بجِصٍّ أبيض صلب، وفَاضَ الضوء خلال صف النوافذ الصغيرة المتراصَّةِ حول القمة ملقيًا بخيوط برَّاقة طويلة من ضوء الشمس على الأرضية الترابية المضغوطة التي رأى سبتيموس في وسطها دائرة متلألئة من الضوء تحفُّها الحجارة.

كانت قطعة الأثاث الوحيدة هي سلَّمُ مكتبةٍ معدنيٌّ صَدِئ على عجلات، وكان مُبعدًا عن قضيب دائري تحت فتحات نقطة المراقبة مباشرةً، كان موضوعًا على قمته كرسي معدني و – نعم، والآن رآها – على الكرسي كانت هناك هيئة امرأة ذات لون أزرق باهت، كانت هذه، كما حدس سبتيموس، طيفَ الاستحواذ الخاص بالحورية.

إن الأشباح المغرقة في القِدم يمكنها أحيانًا أن تشبه **أطياف الاستحواذ**، خاصة إذا فقدت الاهتمام بأن تصبح أشباحًا، كما يفعل البعض بعد عدة آلاف من السنين، غير أن سبتيموس كان يعرف كيف يميز بين **طيف** وشبح. عليك الانتظار حتى يتحرك؛ الشبح سيحافظ على تكوينه، أما الطيف فلا. لم يُضطرَّ سبتيموس للانتظار طويلاً؛ فقد تمدد الشكل إلى شريط طويل من الجسيمات ذات اللون الأزرق الشاحب والتي بدأت في الدوران مثل إعصار صغير، اندفع من الكرسي وطار حول صف النوافذ ثلاث مرات مُستَجمِعًا سرعتَهُ وهو يتحرك قبل أن يغوص هابطًا ويتجه مباشرة قاصدًا سايارا.

عبر البرج، ألقت سايارا نظرة تبعث على الرعب إلى سبتيموس، حركت شفتيها، ثق بي، وبعد ذلك اختفت؛ إذ تدحرجت الدوامة الزرقاء نحو رأسها وغلفتها بإطار خارجي أزرق لامع، وتم الاستحواذ على سايارا.

ارتجف سبتيموس، أخذ نفسًا عميقًا وبدأ يَعُدُّ إلى مائة، كانت مارشا قد قالت لسبتيموس ذات مرة إنه أمر فظيع حقًّا أن ترى إنسانًا وهو يتعرض **للسكن** من **طيف استحواذ**، وقد فهم السبب الآن. كانت سايارا الجديدة صورة زَائِفَةً، جاءت نحوه وهي تحجِلُ، وتلْتَفُّ مثل طفل راقِصٍ. كانت تشير بإصبعها، وتلوِّح

بيديها، وتضع ابتسامة مصطنعة، لم يكد سبتيموس يستطيع تحمُّل النظر.

فقد ذكرته بالدُّمَى ذات الحجم الطبيعي التي كان رآها في المسرح الصغير في منطقة العشوائيات منذ وقت ليس بالبعيد، لقد وجدها مزعجة للغاية؛ وكذلك مارشا التي كان قد جرَّها معه، قالت مارشا: «إنها مثل هياكل عظمية معلقة في سلاسل».

وصلت سايارا المعلقة في سلسلة عند سبتيموس وبدأت ـ وهي لا تزال تدور وتَتَقَافَز ـ في الكلام، ولكن ليس بصوتها، جاء صوت **الحورية** العميق الرنان ساخرًا فيما تؤدي سايارا رقصة دائرية خفيفة: «لقد خدعتك يا سبتيموس، لقد أحضرتك هنا بناء على أمري، أولم تفعل ذلك ببراعة شديدة جدًّا؟ فتاة رائعة، ياه، إنني فتاة رائعة! سيقوم بعمل رائع، وهو أكثر **سحرًا** منك يا سايارا، وَلَكَمْ سأستمتع بالغناء بصوت صبي؛ أكثر نقاءً بشدة من صوت فتاة».

صار سبتيموس فجأة مقتنعًا أن سايارا خدعته بالفعل، نظر في عينيها ليحاول أن يعرف الحقيقة، ثم نظر بعيدًا في رعب؛ كانتا مغطاتين بغشاء أبيض رقيق. حدث في تلك اللحظة أن راودته فكرة، كانت مخبأة بأمان تحت حجاب الذهن، إذا كانت سايارا قد أحضرته للمرصد بأمر من الحورية، فلماذا أخبرته بكيفية الهرب؟

نظر خلفه ليتأكد مما إذا كان المدخل إلى البرج قد اختفى بالفعل، كان قد اختفى؛ لكن علامة × التي رسمها كانت لا تزال هناك.

لمحت سايارا نظرته المُرتَعِبَة، قالت ضاحكة: «لا مَهْرَبَ، لم تقل لك ذلك».

أدار سبتيموس مجموعة من الأفكار الخِدَاعِيَّة عن مدى كرهه لسايارا بسبب ما فعلته، لكنه تحتها بدأ يداخله بعض الأمل. إذا كانت الحورية تعتقد حقًّا أن سايارا لم تخبره بشأن المدخل المختفي؛ فإن هذا يعني أن سايارا كانت تُعمل حجاب الذهن الخاص بها؛ إلا إذا كانت **الحورية**، بالطبع، تمارس خِداعًا مزدوجًا. دار رأس سبتيموس وسط جهده للحفاظ على استمرار **حجاب الذهن** – واختلاق حالة رعب تام من **الحورية** – وتحتها محاولة الحفاظ على هدوئه واكتشاف الأمور.

تقافزت الدمية سايارا حوله، وهي تجذب شعره وتشدُّ سترته، وكان كل ما يمكن لسبتيموس أن يفعله هو الثبات ومواصلة العد البطيء إلى المائة، وصل إلى التسعينيات وسايارا تَثِبُ حوله في دوائر، وتضحك مثل روح الشُّؤم، وبدأ يَنْتَابُهُ الخوف من ألا تتمكن سايارا من السيطرة، واصل سبتيموس العدَّ بإصرار، وكطوق نجاة أُلقِي إليه، وحين وصل إلى سبعة وتسعين، توقفت سايارا فجأةً وهزت رأسها وأخذت نفسًا طويلًا مرتجفًا، لم يكن هناك أثر للدُّميَةِ المُميتَةِ الرَّاقصةِ.

التفتت سايارا إلى سبتيموس ومنحته ابتسامةً معوَجَّةً، وببطء شديد، وكما لو كانت تبدأ الاعتِيَاد على جسدها مرة أخرى، أشارت إلى الدائرة المتلألئة في وسط الأرضية، أومأت وجرت نحوها، ولدهشة سبتيموس، قفزت فيها واختفت، تبع ذلك قَرْعَةٌ خفيفَةٌ، وصعد بعض الرِّيشِ.

جرى سبتيموس إلى حافة الفتحة ونظر فيها، لكنه لم يستطع رؤية شيء سوى الريش. كان وقت اتخاذ القرار؛ فالآن يمكنه فقط أن يسير عبر الجدار حيث وضع علامة × وألا يرى سايارا مرة أخرى، والشكر لسايارا، فَلافِظُ اللهب سيكون بخير قريبًا، وبإمكانه هو وجينا وبيتل أن يغادروا الجزيرة، ويمكنه أن ينسى كل ما يتعلق بها. لكن سبتيموس كان يعرف أنه لن يمكنه أن ينسى سايارا أبدًا، فأغمض عينيه وقفز.

هبط على عاصفة من النَّوارِسِ بالأسفل، نهض مترَنِّحًا على قدميه وهو يسْعُلُ ويبصُقُ، وحين استقر الريش وجد سايارا تنتظره في مدخل ضيق عند قمة سلم، وأشارت له. خاض سبتيموس في الغرفة وتسلق السلم وانطلقا في ممر أبيض ضيق محفور وسط الصخر. بدأت سايارا خطوات نشطة، وتلاشت ضربات قدميها العَارِيَتَينِ أمام صوت حذاء سبتيموس الطويل وهو يتبعها. أخذهما الممر عبر صف طويل من النوافذ، عرف سبتيموس أنها نقطة

المراقبة، وحين مرًّا بالنافذة الوسطى، رأى المدخل إلى سلالم الهروب، وبدأ يشعر بثقة أكبر قليلًا.

تبع سبتيموس سايارا حول منحنَيَيْنِ إضافيَّيْنِ ينتهيان إلى لا شيء؛ إذ كان الممر مسدودًا بجدار من مادة لامعة بالغة النعومة. وضعت سايارا راحتها على بقعة مُتآكلة في الجانب الأيمن من الجدار. لمع ضوء أخضر تحت يدها ثم انزلق باب بيضاوي خفي مفتوحًا بصمت شديد حتى إنه قفز للخلف متفاجئًا.

قفز سبتيموس فوق العتبة وتبع سايارا إلى داخل حجرة دائرية صغيرة ذات جدران وأرضية وسقف مصنوعة من المادة السوداء اللامعة نفسها. ضغطت سايارا بيدها على بقعة متآكلة أخرى بجوار الباب، فتوهَّج لون أحمر، وانزلق الباب منغلقًا. وبِتَأَنٍّ شديد، مشت سايارا نحو سهم ذي لون برتقالي باهت بدا -حسبما رأى سبتيموس- كما لو كان يطفو أسفل سطح الجدار مباشرةً. مثل سبَّاح محبوس تحت الجليد، ارتجف سبتيموس؛ إذ عرف أنه صار الآن محبوسًا هو الآخر. ضغطت سايارا على السهم الذي كان يشير تجاه الأرض، وفجأة انْتَاب سبتيموس إحساسٌ مرعبٌ بالسقوط.

استند سبتيموس إلى الجدار، وشعر بالغَثَيانِ، وبدت معدته وكأنها اندفعت إلى أذنيه تفحَصُ الأرض - كانت لا تزال في مكانها - إذن لماذا شعر وكأنه سقط بسرعة غاية في الخطورة؟

قالت سايارا بصوت الحورية العميق الرنَّانِ: «لأننا نسقط».

وبانقِبَاضَةِ خوفٍ، أدرك سبتيموس أن حجاب الذهن قد زال، وبسرعة، أعاده ببعض الأفكار الخِدَاعِيَّةِ عن لقائه بالفتى الذئبي على **الجسر**؛ وهو اللقاء الذي شعر وكأنه كان منذ سنوات وليس منذ أيام، نظر نحو سايارا لكنها كانت تمعن النظر في السهم البرتقالي الذي كان يتحرك لأسفل ببطء، قرر سبتيموس أن الخيار الأكثر أمانًا هو أن يتصرف على نحو طبيعي بقدر ما يستطيع.

سأل: «كيف يمكن أن نسقط مع أننا ما زلنا في المكان نفسه؟».

أجابت سايارا: «بمقْدورِنَا أن نكُونَ أشياء عديدة في وقت واحد، خاصةً في مكان عتيق كهذا».

سأل سبتيموس بأدبٍ: «عتيق؟» مغيِّرًا **حجابَ الذهن** إلى اهتمام معقول بما كانت تقوله سايارا. قالت: «إنني أعرف هذا المكان منذ **أيام العالم الآخر**».

قال سبتيموس وقد أصيب بصدمة: «لكن هذا غير ممكن، لا شيء يعود إلى أيام العالم الآخر، لم يتبقَّ شيء من هذا الزمن».

ردت سايارا وهي تلوِّح بيديها حول الغرفة: «عدا هذه». أجرت إصبعها على الحائط، وتبع ضوء برتقالي باهت مسارها، وكان يتلاشى حين ترفع إصبعها.

بلغ الافْتِتَانُ بِسبتيموس مبلغًا جعله ينسى للحظة مع من كان يتحدث، سأل: «هل هو **سحر**؟».

جاءت الإجابة: «إنه شيء وراء السحر».

وفجأة سقط قلب سبتيموس إلى قدميه.

أعلنت سايارا: «وصلنا».

وفي ظل انشغال **حجابه الذهني** بالتساؤل عن أيام العالم الآخر، لاحظ سبتيموس أن السهم البرتقالي يشير الآن لأعلى، مشت سايارا عبر الغرفة، وتابع سبتيموس كيف وضعت يدها مرة أخرى فوق مساحة صغيرة حيث كان اللمعان قد خبا بسبب الاستعمال، وبعد لحظات قصيرة توهج لون أخضر تحت يدها، وانزلق باب بيضاوي على الجانب العكسي من الغرفة مفتوحًا؛ فهبت من خلاله نسمة من الهواء الرطب.

ملأت نبرات سايارا الرَّنانَةُ أرجاء الغرفة، وقالت: «مرحبًا بك في الأعماق».

35

الأعماق

دخل سبتيموس وسايارا ممرًّا حجريًّا عريضًا تضيئه المصابيح البيضاء نفسها التي تُصدر صفيرًا، والتي كان إيفانيا جريب يفضل استخدامها في أَقْبِيَةِ دار المخطوطات.

كانت درجة الحرارة تهبط على نحو منتظم أثناء سيرهما، وأمكن سبتيموس رؤية أنفاسه وهي تصنع الصّقيع في الهواء، صبَّ تركيزه على حجابه الذهني؛ نزهته في العام الماضي بمحاذاة الممر الخارجي مع لوسي جرينج، وتساءل: لماذا قفز هذا إلى ذهنه؟ وعندئذٍ أدرك أن السير إلى المجهول سبب له ورطة كبيرة. كان لديه شعور غريزي بأن هذه المرة يحتمل أن تسبب الشيء نفسه. ألقى نظرة على شرِيطَي المتدرب الأول اللذين كان بريقهما السحري لا يزال مرئيًّا من تحت البقع التي تسبب فيها ذيل لافظ اللهب، وقال لنفسه إنه أيًّا كان ما

عليه القيام به الآن، فسيكون بمقدوره أن يفعله، إذ ذكَّر نفسه أنه كان المتدرب الوحيد الذي أكمل الرحلة على الإطلاق.

انعطف الممر شيئًا فشيئًا إلى اليسار، وبعد عدة دقائق وصلا إلى مجموعة عريضة من الدرجات، عند عتَبَتِهَا جدار هائل من المادة السوداء اللامعة التي كانت الغرفة المتحركة مصنوعة منها، استطاع سبتيموس أن يرى الشكل المستطيل لباب عريض، وخمن أنهما اقتربا من نهاية رحلتهما.

وبينما يهبطان الدرجات، رنَّ فجأة صوت الحورية العميق على نحو مروِّع: «لا يتقدم الصبي أكثر من ذلك».

تجمد سبتيموس.

هزت سايارا رأسها، وفي رعب حثَّتْهُ على التقدم للأمام فيما خرج صوت الحورية معارضًا: «تراجع للخلف! لا تلمس المدخل!».

تراجع سبتيموس؛ لا لأنه يطيع الصوت، ولكن لأنه بدا هناك نوع من الصراع الدائر بين سايارا والمستحوِذة عليها، وأراد أن يقف على الحياد. تابع سايارا وهي تحرك يدها نحو لوحة الفتح المتآكلة بجوار الباب بحركة غريبة مرتعشة، وكان بإمكانه رؤية عضلات ذراعيها مشدودة وهي تدفع بيدها، بجهد بالغ، نحو اللوحة. وببطء انزلق الباب مفتوحًا، ومشت سايارا للأمام بطريقة الأداء الصامت

فراحت تدفع عاصفة متخيَّلة، وفي حالة من الذعر الهائل، تبعها سبتيموس.

انغلق الباب من خلفهما، قطعت نقرة خفيفة الهواء وظهر ضوء أزرق فاتح، وشهق سبتيموس؛ إذ صارا في كهف يرتفع من أعماق الصخرة، ورأى فوق رأسه رواسبَ كَلْسِيَّةً مُدَلَّاة تلمع وسط الضوء الأزرق الأَثِيرِيِّ؛ وعند قدميه كان أكبر مدخل **نفق جليدي** رآه في حياته، أُصيب سبتيموس بصدمة.

لم يكن ما صدم سبتيموس هو الحجم الهائل للمدخل؛ بل كان حقيقة أنه يسبح مع المياه، فالنُّتوءُ المائل للاستدارة للمدخل برز مثل جزيرة وسط بحر من الهدير الرمادي الرملي الذي غطى أرضية الكهف، للوهلة الأولى رأى سبتيموس مدخل **نفق جليدي** بدون غطائه الحِمَائِيّ من الجليد، وكان مذهلًا. كان عبارة عن كتلة صلبة من الذهب المصقول الداكن، وفي مركزه **لوحة ختم** فضية بارزة، وحُفرَ في الذهب صف طويل من الكتابة المتراصة المتلاصقة، والتي تبدأ من **لوحة الختم** وتلتف في شكل حلزوني حتى الحافة.

أشار إصبع سايارا المرتعشُ إلى المدخل، واتجهت يدها الأخرى إلى عنقها ثم تحركت بسرعة وأطبقت على إصبعها التي تشير للمدخل وأجبرته على النزول، والآن فهم سبتيموس سبب وجوده هنا؛ لقد أرادت سايارا منه أن **يختم** المدخل **بالمفتاح**، لم

يعرف سبب وجود نفق جليدي هنا، ولم يعرف سبب عدم **ختمه**، لكن ما عرفه بالفعل هو أن عليه أن يتصرف بسرعة، كانت سايارا في سبيلها لفقد السيطرة على أفعالها؛ وبسرعة أخرج **مفتاح** الكيميائي من حول عنقه ونزل على يديه وركبتيه في المياه المثلجة ووضع **المفتاح** على **لوحة الختم**. شعر بنظرات سايارا على مؤخرة عنقه فرفع نظره إليها. كانت عيناها البيضاوان ترقبانه وقد ارتسمت عليهما ملامح حيوان الشَّرِه الذي يوشك أن ينقض على فريسته.

وفجأة اندفعت سايارا نحو **المفتاح** وانتزعته، وَثَبَ سبتيموس ناهضًا على قدميه وعندئذٍ، وبغرابة شديدة، ومع ارتعاش عضلاتها من فرط جهد مصارعة إرادة **الحورية**، وضعت سايارا بحذر شديد المفتاح في يد سبتيموس وحركت شفتيها بكلمات.. اجرِ يا سبتيموس اجرِ. وباندفاعة من قوة داخلية مفاجئة، أُلقي جسدها على الأرض وتمددت منبطحة في بركة الجليد الذائب.

وقف سبتيموس للحظات مترددًا، متسائلًا إذا كان بمقدوره بطريقة ما أن ينقذ سايارا، لكنه سرعان ما رأى بوادر ضباب أزرق يخرج من جسدها الساجي. استرد إدراكه وضرب براحته اللوحة المتآكلة في الجدار الأسود. انفتح الباب. وإلى الوراء رأى **طيف الاستحواذ** يرتفع من سايارا مثل سَلْطَعُون ينفصل عن صَدَفَتِهِ، فانطلق يجري.

انطلق سبتيموس على الدرجات مسرعًا وهو يدعو أن ينغلق الباب قبل أن تصل **الحورية** إليه، وأخذ حذاؤه ذو الرقبة يقعقع على الأحجار. حين وصل إلى رأس السلم التفت في الوقت المناسب ليرى **طيف الحورية** وهو ينضغط خلال الفجوة التي تضاءلت بأشد ما يكون، لم ينتظر سبتيموس ليرى المزيد؛ إذ اندفع عبر الممر ذي الانحناءات المبطن بالحجر والذي بدا أنه يمتد بلا نهاية، غير أنه في نهاية المطاف رأى الجدار الأسود اللامع للغرفة المتحركة، كان يعرف أن فرصته الوحيدة تكمن في دخول الغرفة وإغلاق الباب بسرعة.

انزلق حتى توقف أمام الجدار الذي لا ملامح له، أين كان الباب؟ تنفس بعمق؛ وقال لنفسه: ركز، ركز. وفجأة رأى البقعة المتآكلة التي كانت سايارا قد وضعت يدها عليها؛ فوضع راحته عليها، فلمع ضوء أخضر تحتها وانفتح الباب بسهولة، قفز سبتيموس من خلال الباب وصفق يده على البقعة المقابلة في الجانب الآخر، وحين بدأ الباب ينغلق رأى **الحورية** تظهر حول المنعطف الأخير في الدهليز، كانت قريبة جدًّا حتى إن سبتيموس كان بمقدوره رؤية ملامحها؛ شعرها الطويل الناعم وهو يتطاير وكأنه وسط نسيم شبحي، وعينيها الباهتتين تصوبان النظر إليه، ويديها النحيفتين العظميتين تمتدان نحوه، كان مشهدًا باعثًا على الرعب، غير أنه كان هناك ما هو أسوأ، إذ كان إلى الأمام منها يجري

كل من جينا وبيتل؛ اللذين صرخا: «انتظر يا سبتيموس! انتظر!»، وقبل أن يسعفه الوقت للتصرف، انغلق الباب.

اكتشف سبتيموس أنه يرتعش، ومن الجانب الآخر من الباب سمع جينا وبيتل يصيحان: «النجدة! دعنا ندخل، دعنا ندخل!».

كان الأمر – وهو يعرف أنه كذلك – مجرد **عرض للصور**. إن جينا وبيتل يبدوان تمامًا كما كانا في حجابه الذهني، وقد ارتدى بيتل زي دار المخطوطات، ولبس سترة الأدميرال الفاخرة الجديدة، والتي يرفض خلعها حتى الآن، ولكن **الصور** المتحركة أفزعت سبتيموس بشدة؛ فقد كانت **الحورية** تملك القوة؛ إذ إنها استطاعت أن تجعل الصور تنطق.

كان سبتيموس يعرف أن عليه أن يجعل الغرفة تتحرك، متجاهلًا توسلات **الصور المتحركة**، فتحرك نحو السهم البرتقالي؛ لكنه امتنع عن أن يضغط عليه، فقد بدأت أغنية **الحورية**.

صار سبتيموس مشلولًا في مكانه كليةً، فقد تهَدَّلَتْ يَدَاه على جانِبَيْهِ وقد أدرك أن كل ما كان يرغب فيه هو الاستماع إلى أجمل صوت في العالم، وتساءل، كيف عنَّ له أن يعيش حياته من قبل بِدونه؟ لا شيء – لا شيء مطلقًا – له أي معنى قبل هذا، كان بديعًا، حلقت الأغنية وارتفعت خلال الغرفة وقد ملأت قلبه وعقله بشعور من المتعة والأمل؛ لأنه في غضون لحظة واحدة، حين يفتح الباب ويسمح **للحورية** بالدخول، ستكون حياته قد اكتملت،

هذا كل ما كان يتمناه، ووسط حالته الحالِمَة، تحرك عائدًا نحو الباب.

حين تحسَّسَتْ راحة سبتيموس لوحة الفتح، طافت بذهنه صور براقة: أيام لا تنتهي على شواطئ مُشْمِسَة، سباحة باسْتِرخَاءٍ في بحار خضراء دافئة، ضحك، مرح، صداقة. شَعَر وكأنه محاط بكل الذين يحبهم؛ حتى مارشا كانت هناك، وهو ما كان -حسبما فكر- شيئًا غريبًا إلى حد ما، فهل هو حقًّا يريد مارشا معه على هذه الجزيرة؟ ملأت رأسه صورة مارشا وقد بدت رافضة، ولوَهْلَةٍ قصيرةٍ حلت محل أغنية **الحورية**.

كانت تلك الوهلة كافية؛ إذ حافظت على صور أكثر اللحظات الرافضة لمارشا بقوة في ذهنه - وهو ما كان سهلًا، إذ كان هناك الكثير ليختار من بينها - خطا سبتيموس بسرعة نحو السهم البرتقالي وضغط بقوة، مع صوت مارشا وهي تخبره أنه تأخر مرة أخرى لأنه كان يتوارى في الفناء الخلفي لدار المخطوطات ليشرب هذا الشيء المقرف مع بيتل، ماذا كان اسمه؟ الشراب الفوار؟ وهل كان يعتقد بالفعل أن له الحق في أن يجعل السلالم في وضعية الطوارئ وأن يزعج كل السحرة المجتهدين الذاهبين إلى أعمالهم؟ كان مخطئًا بكل أسف. تمايلت الغرفة، ووقع قلب سبتيموس في قدميه، وعرف أنه يتحرك صاعدًا.

قضى سبتيموس الرحلة بصحبة مارشا الغاضبة وهي تذرع بيت مارسيلوس باي باحثة عما ظن سبتيموس أنه يقوم به هناك، حتى توقفت الغرفة في النهاية، وبسرعة ضغط لوح الفتح فانزلق الباب مفتوحًا، ومن أجل صحبة مارشا وهي تتذمر بشأن نظافة لافظ اللهب ـ أو على سبيل الدقة؛ من أجل الابتعاد عن صحبتها ـ جرى سبتيموس، وبينما هو يجري سمع صوت الحورية يصرخ بقوة من الأعماق: «سآتي من أجلك يا سبتيموس، وسأعثر عليك...».

انطلق سبتيموس على سلالم الهروب التي كانت محفورة على صخرة الجرْفِ، وخرجَ من خلال مخرج مخْفِيٍّ داخل المرصد. وجد علامة × التي وضعها ما زالت على الأرضية الترابية، فأخذ نفسًا عميقًا وجرى مباشرة بجانب الجدار الصلب الظاهر بوضوح من خلفها، وفجأة صار واقفًا على العشب الربيعي لقمة الجرف وهو يتنفس الهواء المنعش الدافئ.

إن سايارا صادقة.



36

رئيس التلامذة العسكريين

جرى سبتيموس هاربًا من المرصد وهو يتساءل عن المدة التي سيستغرقها طيف الحورية ليدور صاعدًا سلالم الهروب ويَلْحَقَ به. غاص داخل غطاء من الأشجار، وعلى الفور بدأ استخدام درع **الحماية** الأساسي؛ وهو شيء لا يحتاج إلى الكثير جدًّا من التركيز، رَفَعَهُ فوقه مع **تَخَفٍّ صامتٍ** وانطلق خلال الأَيْكَةِ، على أمل ألا تكون لدى **الحورية** القدرة على رؤية العلامات الدالة على **السحر**؛ مثلما هو الحال مع بعض الكيانات. حين ظهر على الجانب الآخر من الأشجار، سلك سبتيموس ممرًّا أقصرٍ وأشد انحدارًا على جانب التَّلِّ يقود إلى غطاء الكُثبَانِ بالأسفل.

وبينما هو في حالة شبه العَدْوِ وشبهِ الانزلاق على جانب التل، لم يكن بمقدور سبتيموس أن يخرج صورة سايارا وهي تتمدد في المياه من رأسه. عاد به الأمر مباشرة إلى زمن ترك فيه أحد صبية جيش الشباب للموت في المناطق الضَّحلَةِ للنهر، وبدأت تطارده ذكريات تدريبات جيش الشباب في **الغابة الليلية**. واصل سبتيموس طريقه خلال الكثبان وقد حاصرته أفكاره، وأصابه الرَّوْعُ حين تعثَّر في جينا وبيتل؛ لكنه لم يصل لنصف ما أصابهما من رَوْع.

صرخت جينا وهي تضرب الهواء «آآآخ، النجدة يا بيتل، هناك شيء ما! أمسك به، أمسك به .. هه! سِب، إنه أنت، ما الذي تفعله؟».

كان سبتيموس قد أزال **تخَفِّيَهُ** بسرعة، ولكن ليس قبل أن ينزل بيتل ضربة على ذراعه، صاح متألمًا: «أف».

شهق بيتل: «سِب» ثم سأل باهتمام وقد رأى ملامح سبتيموس: «إيه، ما الأمر .. لا شيء يخص لافظ اللهب، صح؟».

هزَّ سبتيموس رأسه، على الأقل كان هذا شيئًا واحدًا ليس عليه أن يقلق من أجله، والفضل لسايارا.

****

حكى لهما سبتيموس ما جرى وهم جالسون على الكثبان الرملية يتطلعون إلى قرص الشمس البرتقالي وهو يغرق خلف

شريط من السحب في الأفق، وقد أحاطت بها ألوان وردية وأُرجُوانِيَّةٌ.

عند نهاية قصته ساد الصمت، بعدها قالت جينا: «كان جنونًا أن تفعل ذلك يا سِب، أن تذهب إلى برج غامض مع تلك الفتاة سايارا، أو أيًّا ما كانت. إنها نوع من أرواح الجُزُرِ، على ما أفترض».

قال سبتيموس: «سايارا ليست إحدى أرواح الجُزُرِ! إنها شخص حقيقي».

سألت جينا: «إذن لِمَ لم تأتِ وتقول لنا أهلًا مثلما يفعل الشخص الحقيقي؟».

قال سبتيموس بإصرار: «سايارا حقيقية، أنت لا تفهمين لأنك لم تقابليها».

قالت جينا برعشة: «أتمنى ألا أفعل، إنها تبدو غريبة».

– «إنها ليست غريبة».

– «حسنًا، لا داعي لأن تتوتر يا سِب! أنا سعيدة جدًّا فحسب؛ لأنك خرجت من هناك، هذا كل شيء، لقد كنت محظوظًا».

هَمْهَمَ سبتيموس وهو يُحملِقُ نحو قدميه: «هي لم تكن كذلك».

رَمَقَتْ جينا بيتل بنظرة وكأنها تقول له، ما رأيك؟ فهز بيتل رأسه بشكل غير ملحوظ، كان بالفعل لا يعرف كيف يستوعب قصة سبتيموس؛ خاصةً وصف بوابة **النفق الجليدي**. أعاد بيتل ذهنه إلى الأسبوع السابق في قِبَاءِ دار **المخطوطات**، حين سمحت لــه

مارشا برؤية **الخطة الحية للأنفاق الجليدية**؛ أو هل فعلت؟ أدرك أنه لم يرَ **نفقًا جليديًّا** يمتد تحت البحر؛ كان عليه أن يتذكر ذلك.

غير أن بيتل كان يعرف أيضًا أن حقيقة أنه لم يَرَها لا تعني شيئًا؛ فبإمكان مارشا بسهولة أن تكون قد أخفت بعض المعلومات، فكل من في دار **المخطوطات** كان يعرف أن الساحرة العظمى لا تُرِيكَ إلَّا ما أرادَتْكَ أن ترَاه، لكن - حتى مع ذلك - وجد الأمر صعب التصديق.

سأل: «هل أنت واثق أنها بوابة **نفق جليدي** يا سِب؟ إنها في العادة ليست بتلك الضخامة».

قاطعه سبتيموس: «أعرف ذلك يا بيتل، وأعرف أيضًا بوابة النفق الجليدي حين أراها».

قالت جينا: «ولكن نفق جليدي هنا بعيدًا! إنها مسافة طويلة جدًّا من **القلعة**، يجب أن يقطع الطريق كله تحت البحر».

قال بيتل: «نعم، لقد فكرت في ذلك، ولا أستطيع استيعابه».

قال سبتيموس بسرعة: «لا، بالطبع لا تستطيع، لكن الأشياء ليست دائمًا كما تبدو» أضافت جينا: «خاصة على جزيرة».

كان سبتيموس به ما يكفيه. وقف ونَفَضَ الرمال عن سُترتِهِ وقال: «سأعود لرؤية لافظ اللهب، لقد ظل وحده طِيلة فترة العصر».

نهضت جينا وبيتل، وقالا في صوت واحد: «سنأتي نحن أيضًا» ثم ابتسم كلاهما للآخر، وهو ما سبب الكثير من الحَنَق لسبتيموس.

لفتت حركة بعيدة عند صخرة القمة انتباههم، تَوَارَوا داخل الكثبان مرة أخرى ونظروا بعيدًا، كانت المارودر في طريقها للإبحار. بقوا في الرمال وتابعوا ذهابها، لكن المركب لم يتجه بأمان إلى البحر، كما تمنوا؛ بل استدار إلى اليمين واتخذ مسارًا موازيًا للجزيرة، متوجهًا حول الصخور التي تمتد من مخبأ لافظ اللهب، كانت المارودر قاربًا ذا شكل حسن، على الرغم ممن يقودونها، وقد شكلت صورة قَيْثَارِيَّةً رسمت ظلًّا مقابل السماء المُتَّجهة نحو الإظلام التي أنارها أول ما لاحَ من نجوم قليلة.

قال بيتل متنهدًا وهو يتابع المارودر وهي تختفي أخيرًا خلف الصخور: «هذه الجزيرة مكان رائع الجمال، من الصعب جدًّا أن تصدق أن شيئًا سيئًا يحدث هنا».

قال سبتيموس: «هناك مقولة من جيش الشباب: **الجمال يجذب الغريب نحو الخطر.. بأسهل مما ينتظر**».

هبط الليل، ولمع **الضوء** مثل قمر صغير متلألئ. وحين خرج سبتيموس وجينا وبيتل من مخبئهم وبدءوا السير بمحاذاة الشاطئ، لم يروا قادمًا جديدًا عند قاعدة **صخرة القمة**؛ فقد ارتفعت من الماء الكبسولة الحمراء الطويلة، وفُتح بابها وقذفت بثلاثة أشخاص في حالة رثَّةٍ! اندفع الشخص الأصغر حجمًا صاعدًا

صخرة القمة مثل وطواط ضخم ووضع نفسه بجوار كرة الضوء، ولو التفت أي منهم وألقى نظرة لكان قد رأى هيئة ميار السوداء الصغيرة واضحة على خلفية من الكرة البيضاء المتوهجة، غير أن أحدًا لم يفعل، كان الضوء شيئًا تجنبوا النظر إليه غريزيًّا؛ فقد كان برَّاقًا على نحو مؤذ.

كان السير على الشاطئ عسيرًا، إذ أصر سبتيموس أن يمشوا على الرمال الناعمة تحت غطاء الكثبان الرملية، وأصر كذلك على أن تَتَقَدَّمهُ جينا وبيتل.

سألت جينا: «ألا يمكننا أن نسير على الرمال الأبعد بالأسفل؟ سيكون الأمر أسهل كثيرًا».

قال سبتيموس: «سنكون مكشوفين جدًّا».

– «لكن الظلام حلَّ، ولا يمكن لأحد أن يرانا».

– «يمكنهم ذلك على الشاطئ؛ فالأجسام تظهر على الشاطئ، إنه مكان خالٍ».

– «أفترض أن هناك مقولة لجيش الشباب عن هذا أيضًا».

– «الشجرة المنعزلة يسهل رؤيتها».

– «كانت هناك حقًّا أشعار سيئة في جيش الشباب».

– «لا داعي لأن تكوني ناقدة إلى هذا الحد يا جين».

مشت جينا وبيتل متعثرين يتبعهما سبتيموس، الذي بدا، وهو ما لاحظه بيتل كلما نظر للخلف، يسير بطريقة غريبة تشبه طريقة سرطان البحر، سأله بيتل: «هل أنت بخير؟».

رد سبتيموس: «بخير».

اقتربوا من الصخور التي تحدُّ ما اعتبروه خليجهم، وكادت جينا أن تقفز عليها حين أوقفها سبتيموس.

قال: «لا، **الحورية**.. ستزانا».

كانت جينا متعبة وحادة: «كيف يمكنها ذلك يا سِب؟ نحن لا نستطيع رؤية هذا الشيء البرجي من هنا؛ لذا فهي لا تستطيع رؤيتنا».

قال بيتل: «إلى جانب ذلك، فأمام طيف استحواذ مقيم، ليست هناك مشكلة؛ إلا إذا كان بنا ما يكفي من الجنون لندخل البرج».

قال سبتيموس: «لقد قالت إنها ستأتي وتعثر عليَّ يا بيتل، أنت لم تكن هناك».

«أعرف، لكن... حسنًا، فكِّر بالأمر يا سِب، أنا أتصور - وهي بالمناسبة جماد وليست كائنًا - أنها قصدت أنها ستأتي لتمسك بك في البرج، لقد ظنت أنك محبوس هناك .. صح؟ إنها لم تدرك أنك تعرف كيف تخرج؛ لذا فربما هي الآن تتجول في أرجائه بحثًا عنك، أو ربما تكون قد يئست وعادت إلى ...».

قاطعه سبتيموس: «أغلق فمك فحسب يا بيتل، حسنًا؟» إذ لم يتحمل فكرة أن تكون الحورية قد عادت إلى سايارا.

- «نعم، حسنًا يا سِب، لقد كان يومًا عصيبًا، يمكنني إدراك ذلك».

كان سبتيموس يعرف أن ما قاله بيتل يبدو منطقيًّا، لكنه لم يستطع التخلص من الشعور المُتَنَامِي بالتهديد. فالحقيقة تظل أنه فشل في عمل ما طلبَتْهُ منه سايارا؛ فلم يَزَلِ النفق الجليدي **غير مختوم**، وكان هناك شيء يخبره أن حديث سايارا عما يهدد القلعة يعني أكثر من مجرد مدخل نفق جليدي **غير مغلق**، لكنه لم يعرف كيف يمكنه أن يجعل جينا وبيتل يفهمان؛ لذا كان كل ما قاله هو: «لا يهمني، نحن لن نصعد فوق الصخور؛ إنها مكشوفة جدًّا، سنذهب داخل الكثبان في صف واحد في صمت المعركة...».

صاح بيتل متشككًا: «**صمت المعركة**؟».

«ششششش! هذا أمر جاد، بقدر جدية تدريب **الحياة أو الموت** في الغابة.. حسنًا؟».

علق بيتل قائلًا: «لا، ولكني لا أفترض أن الأمر يستحق، يبدو أنك قد قررت بقوة أن تصبح رئيس التلامذة العسكريين».

أجاب سبتيموس: «شخص **ما** يجب أن يكون كذلك» لم يكن قد اعترف بها لنفسه قط حين كان في جيش الشباب، لكنه ظل دائمًا يخفي طموحًا ملحًّا بأن يصبح رئيس التلامذة العسكريين.

قال وقد تقمص الدور: «تقدموا يا رجال».

اعترضت جينا: «رجال؟».

- «يمكنك أن تكوني كالرجال أنت أيضًا يا جين».
- «آه، رائع. شكرًا جزيلًا لك يا سِب» وجهت وجهها لبيتل، الذي رد عيها بتكشيرة مضحكة.

بدأ بيتل يتكلم: «لكن ...».

- «ششش!».

قال بيتل: «لا، عليك أن تسمعني يا سِب، هذا أمر مهم، إذا كنت مقتنعًا لهذه الدرجة بأن طيف الاستحواذ سيخرج ويمسك بك، فأنا أرى أنك نسيت شيئًا، كل ما عليه فعله هو تعقب آثار أقدامنا وعندئذٍ فيما بعد، حين ننام جميعًا في مخبئنا...».

ارتجفت جينا: «بيتل.. لا تفعل».

بدا بيتل محرجًا: «آسف».

قال سبتيموس: «ليس هناك آثار أقدام ليتم تتبعها، هذا سبب سَيْرِي في المؤخرة؛ لكي أشتِّتَهَا».

سأل بيتل وجينا: «لكي ماذا؟».

- «مصطلح فني».

قال بيتل نصف ضاحك: «أشتت - مصطلح فني؟».

غير أن سبتيموس كان في منتهى الجدية: «إنه شيء يتعلق بجيش الشباب».

همهم بيتل: «ظننت أنها ربما ..».

- «إنها الطريقة التي تحرك بها قدميك على الرمال، انظرا، هكذا ..» وبين سبتيموس حركة السلطعون التي مشى بها.. «أتريان، إنك تشتتها. وإذا فعلت ذلك على النحو الصحيح، سيكون من المستحيل على أي شخص أن يعثر على أثرك، ولكن هذا فقط في الرمال الناعمة، فهو لا ينجح في الرمال الأكثر صلابة، بشكل واضح».
- «بشكل واضح؟».

انطلقت جينا وبيتل داخل الكثبان وسبتيموس خلفهما، وجههما إلى ممر عميق ضيق، مثل جدول مصغَّر، وكان مزينًا عند قمته بعشب الكثبان الغليظ، الذي صنع قوس حماية فوق رءوسهم وشكَّل نفقًا منعزلًا، وإذ حُجب عن تلألؤ الضوء، بدأ **خاتم سبتيموس التِّنِّينيُّ** في التوهج، فجذب كُمَّهُ الملفوف بالشريط الأُرجواني إلى الأسفل ليخفيه.

كان سبتيموس سعيدًا باختياره؛ فقد أخذهم الممر في مسار موازٍ لشاطئهم، وقادهم إلى مكان يقع قبل المخبأ مباشرة، وفي الوقت الذي خرجوا فيه، كانت السماء تتلألأ بالنجوم، وكان المد العالي يبدأ دورته، اتجهوا مباشرة إلى لافظ اللهب.

كان التنين ذاهبًا في نومَةٍ تِنِّينيَّةٍ صحيَّةٍ ذات غَطِيط رقيق. ربَّتت جينا على أنفه الناعم الدافئ، وعلق بيتل مرجعًا الفضل إلى الدَّلْوِ. بعدها، وفي شيء من الخوف، توجه الجميع للنظر إلى الذيل،

على الفور أدركوا أنه بخير؛ فلم يعد الذيل متدليًا مثل شجرة مَبتُورة؛ لكنه صار الآن منحنيًا برفق بطريقته المعتادة، وكانت رائحته جيدة، كانت آثار رائحة النعناع لا تزال عالقة بالهواء، وهو ما ذكَّر سبتيموس بسايارا، غَمَرَهُ شعور بالحزن حين فكَّر فيها.

قال لجينا وبيتل: «سأجلس لبعض الوقت مع لافظ اللهب، حسنًا؟».

أومأ بيتل، وقال: «سنذهب ونعالج بعض الأمور السحرية، انزل أنت حين تكون مستعدًّا لذلك».

جلس سبتيموس قلقًا مستندًا على عنق لافظ اللهب، الذي كان دافئًا لا يزال بفعل الشمس، ووضع يده في جيبه وأخرج الكتاب الصغير الملطَّخ بالمياه الذي أعطته له سايارا وبدأ يقرأ، لكن هذا لم يجعله يشعر بأي تحسن.

وفي حين كان بيتل يتابع خليطًا غير محتمل من الأشياء السحرية في وعاء على فرن **اللهب الوَامِض**، كانت جينا تجلس وتتابع المد وهو يزحف مبتعدًا، تحولت أفكارها إلى نكو، وتساءلت ما إذا كانت **السيريس** قد شرعت في الإبحار. تخيلت نكو عند الدفة الضخمة المصنوعة من خشب الماهوجني، متحملًا مسئولية السفينة الجميلة، وسرت مِسْحَةُ ندم في خاطرها، كانت تحب أن تكون على سطح السفينة مع نكو، أن تقضي وقتًا معه باعتباره أخاها الأكبر مرة أخرى، تمامًا كما كان الأمر من قبل، ثم تذهب

بعدها للنوم في مقصورتها الجميلة المريحة الخالية من الرمال. تذكرت جينا التاج الذهبي الصغير الذي رسمه ميلو على باب مقصورتها وابتسمت. سبَّب لها التاج الإحراج في ذلك الوقت، لكنها الآن ترى أن ميلو فعل ذلك لأنه فخور بها، تنهدت جينا، وشعرت باستياء من الطريقة التي تصرفت بها.. ربما ما كان عليها أن تغادر بالشكل الذي فعلته.

سمع بيتل تنهيدتها فسأل: «أتفتقدين نكو؟».

فوجئت جينا بأن بيتل استطاع تخمين ما تفكر فيه.

ظهر سبتيموس، وقال: «الهدوء يا بيتل، هذا معسكر صامت».

تطلع بيتل نحوه: «ماذا؟!».

- «معسكر صامت! لا ضوضاء، لا حديث، لا شيء سوى الإشارة باليد، أفهمتما؟».
- «لقد وصل إلى رأسك يا سِب. تحتاج لأن تكون حذرًا».
- «ما الذي وصل إلى رأسي؟».
- «كونك رئيس التلامذة العسكريين، إنه شيء غير حقيقي، أنت تعرف».

همس سبتيموس: «بيتل، هذه ليست نزهة».

قاطعه بيتل: «آه، أعطنا فترة راحة يا سِب، أنت تصنع من الحبة قبة. أنت تقابل روحًا على الشاطئ يمكنها أن تصنع **سحرًا** وتعود بأغرب قصة سمع بها أحد على الإطلاق، لو سألتني، لقد سحرتك ووضعت القصة كلها في رأسك، أو أنك نمت وحلمت بذلك».

- «آه، فعلًا؟» مد سبتيموس يده في جيبه وأخرج أوراق سايارا: «اقرأ هذه ثم قل لي إنني حلمت بها».

37

كتاب سايارا الحورية

نظر بيتل وجينا إلى غلاف الكتاب
كتاب سايارا الحورية مرسل إلى: جوليوس بايك
الساحر الأعظم. الجزر. سألت جينا: «لماذا
غيرت اسمها وشطبت على بعض الأشياء؟
قال سبتيموس «اقرئيه وستَرَينَ».
فتحت جينا الكتاب. وبدأت هي وبيتل
في القراءة.

عزيزي، عزيزي جوليوس، إنني أكتب هذا الكتاب من أجلك.

أثق أننا سنقرؤه معًا ونحن جالسان بجوار المدفأة في غرفتك الكبيرة عند قمة برج السحرة. غير أن أحداث الأسبوع الماضي علمتني ألا أتوقع أن تسير الأمور حسبما أخطط لها، وهكذا أعرف أنه من الممكن في يوم ما

أن تقرأ هذا وحدك.. أو ربما لا تقرؤه على الإطلاق. ولكن أيًا كانت الطريقة، أو أيًا كان الوقت الذي يعود فيه هذا الكتاب الصغير إلى القلعة (إذ أعرف أنه سيعود)، فأنا أريد أن أسجل ما حدث لتلميذتك المخلصة، سايارا سايارا الحورية، بعد أن سحبت حجر البحث.

وفيما يلي بيان بما لدي من متاعب:

لم أتوقع قط أن أسحب حجر البحث؛ فلم يتم سحبه منذ أمد بعيد حتى إنني لم أصدق أنه موجود حقيقةً.. حتى بعد أن سحبت الحجر بالفعل كنت لا أزال غير مصدقة. ظننت أنك تمارس إحدى مُزحاتِك المفضلة، لكن حين رأيت وجهك علمت أنك لم تكن تمزح. وعندما أخذني قارب التنقيب بعيدًا، كانت هذه هي أسوأ لحظات حياتي. حاربت طيلة الطريق إلى قارب التنقيب، لكن كان هناك سبعة حراس سحريون في مواجهتي؛ فما كان باستطاعتي أن أفعل شيئًا!

لقد سلب قارب التنقيب قدرتي السحرية وتركني بلا حول ولا قوة. أعتقد أن القارب نفسه كان سحريًا، ولكن ليس من نوع السحر الذي استخدمته أنا أو أنت من قبل. أبحر في النهر بسرعة حتى بدا أننا وصلنا إلى الميناء بعد مجرد بضع دقائق من مغادرتنا القلعة. تحركنا بسرعة مباشرة نحو الميناء ثم خارجه إلى البحر.

وفي غضون دقائق فقدت أي رؤية لليابسة، وعرفت أني سألقى مصيري المحتوم.

وبينما كنا ننطلق بسرعة خلال الأمواج، استَلَّ قارب التنقيب سكاكينهم وتحلَّقُوا حولي مثل النسور الجارحة، لكنهم لم يجرؤوا على ضربي حين نظرت في أعينهم.

هبط الظلام وكنت أعرف أنني لو نمت حتى للحظة فلن أستيقظ أبدًا. بقيت مُستيقظة خلال الليلة الأولى، وطوال النهار التالي، ولكن حين هبط ظلام الليلة الثانية، شككت في قدرتي على مصارعة النوم أكثر من ذلك.

كان منتصف الليل قد مر منذ وقت طويل ولم يكن الفجر بعيدًا حين بدأت جُفوني تسقط، ورأيت ومضة لمعان نصْلٍ يتَّجهُ نحوي. استيقظت في لمحة وقفزت من القارب.

أواه يا جوليوس، كم كان الماء باردًا، وكم كان عميقًا.

غصت مثل الحجر إلى أن انتفخت عباءتي، وبدأت في الارتفاع ببطء نحو السطح. أتذكر رؤية القمر من فوقي وأنا أطفو لأعلى، وحين شققت السطح رأيت أنه لا أثر لقارب التنقيب. كنت وحيدة وسط بحر خالٍ، وعرفت أنني خلال ثوانٍ سأغوص في الأعماق للمرة الأخيرة. وعندئذٍ، ومن دواعي فرحتي، شعرت أن قدرتي السحرية تعود. استدعيت درفيلًا فحملني إلى منارة ذات أذنين عند قمتها

-أنت لن تصدق هذا يا جوليوس- مثل أُذُنَي القطة، وعينين يخرج من خلالهما ضوؤها المبهر مثل الشمس.

كانت المنارة مكانًا غريبًا. كان بها مخلوقان، أشبه إلى القطط منهما إلى البشر، وكانا يعتنيان بالكُرَةِ السحرية التي ترسل الضوء. تركت معهما رسالة لك في حالة إذا ما عبرت بهما سفينة مارة - وأتساءل ما إذا كنت ستتسلمها قبل أن أعود؟ وخطرت لي فكرة أن أنتظر سفينة عابرة بنفسي، غير أنه في تلك الليلة وأنا نائمة في سرير خشن بأحد العنابر، سمعت أحدًا ينادي اسمي برقة بالغة؛ ولم أستطع المقاومة.

مشيت برفق خارج المنارة واستدعيت درفيلي الذي أخذني إلى الجزيرة.

أخذني درفيلي إلى شاطئ صخري حيث المياه عميقة.

وعلى غير مسافة بعيدة وجدت كثبانًا رملية، حيث استلقيت نائمةً.

استيقظت في الصباح التالي على صوت هدير الأمواج الخافت، وصوت آخر يتغنى باسمي يهمس عبر الرمال. وحين ارتفعت الشمس فوق البحر مشيت بمحاذاة الشاطئ وظننت أني في الجنة.

جوليوس، كم كنت مخطئة.

قال بيتل الذي كان خبيرًا في الخطوط: «لقد أضافت الجملة الأخيرة فيما بعد، فالخط أشد اهتزازًا».

قالت جينا: «وقد تم شطبها».

قال بيتل: «بيد شخص آخر، يمكنك أن تقولي ذلك؛ لأن القلم تم مسكه بطريقة مختلفة».

قلبت جينا الصفحة، واستمر الكتاب في صورة يوميات.

أول أيام الجزيرة

أعددت خيمة في حفرة محمية تشرف على المنارة.

أحب أن أرى الضوء ليلًا. اليوم عثرت على كل ما أحتاج: مياه عذبة من أحد الينابيع، وفاكهة مغطاة بالأشواك، لكنها لذيذة جمعتها من بستان أشجار، وسمكتان اصطدتهما بيدي (أترى، وقتي الذي قضيته في الصيد في خندق الماء، لم يضع هباءً)، وأفضل شيء، أنني اكتشفت سجل السفينة هذا مبلَّلًا على الشاطئ، وهو ما سأستخدمه كتابًا لليوميات.

قريبًا يا جوليوس، سأستدعي درفيلي وأعود إليك، لكني أريد أولًا أن أستعيد عافيتي وأستمتع بهذا المكان الجميل الذي تملؤه الأغاني. أنا أغني.

ثاني أيام الجزيرة

اليوم استكشفت المزيد. وجدت شاطئا مختفيا أسفل جرف مرتفع، لكني لم أبقَ طويلًا. فالجرف يرتفع كثيرًا من خلفي، وكان لدي شعور أنني مراقبة. لدي فضول كبير بشأن ما يوجد عند قمة

الجرف، أشعر أن به شيئًا جميلًا. ربما غدًا أتسلق التل ذا الأشجار على قمته وأرى ما هناك. تعال إليّ.

ثالث أيام الجزيرة

هذا الصباح استيقظت على الصوت الرقيق وهو يناديني. تتبعت الأغنية، وبقوة، قادتني إلى أعلى التل، وخلال الأشجار، إلى حيث كنت قد خططت للذهاب اليوم. وراء الأشجار، وعند أعلى قمة الجرف وجدت برجًا عاليًا.

هناك مدخل، لكني رأيت ظلامًا داخله.

تابعته بعض الوقت حتى شعرت أنه يجذبني نحوه بشدة. والآن عدت بأمان إلى مكاني السرّي في الكثبان الرملية. لن أعود للبرج مجددًا.

غدًا أعتزم استدعاء الدرفيل للمغادرة إلى القلعة.

كم أتوق لرؤية ابتسامتك يا جوليوس حين أسير وسط أبواب برج السحرة الفضية الكبيرة مرة أخرى.

لا توجد مرة أخرى.

رابع أيام الجزيرة

استيقظت اليوم خارج البرج؛ ولا أعرف كيف.

أنا لم أسر وأنا نائمة من قبل قط، لكني أعتقد أن هذا هو ما حدث. أنا ممتنة لأني استيقظت قبل أن أمشي للداخل.

جريت هاربة، رغم أن صوتًا جميلًا توسل إليّ كي أبقى. أنا عائدة إلى مكاني السري في الكثبان، وأنا خائفة.

استدعيت الدرفيل، لكنه لم يأت.

لن يأتي أبدًا.

خامس أيام الجزيرة

لم أنم ليلة البارحة، لأني كنت خائفة، أين قد أستيقظ؟ لم يأت الدرفيل بعد.

لن أنام الليلة.

نامي.

سادس أيام الجزيرة

ظللت مستيقظة ليلة أمس أيضًا. أنا متعبة جدًّا. يبدو وكأنني على متن قارب التنقيب مرة أخرى. قريبًا سيهبط الليل، وأنا خائفة. إذا ذهبت في النوم، فأين سأستيقظ؟ أشعر بوحدة شديدة. هذا الكتاب هو صديقي الوحيد.

الليلة ستأتين إليّ.

ارتجفت جينا: «إنه شيء مروع».

قال سبتيموس: «إن الأمور ستزداد سوءًا» وقلب الصفحة الرقيقة، وبإحساس ينذر بالسوء، واصلت جينا وبيتل القراءة.

اليوم استيقظت داخل البرج. لا أستطيع أن أتذكر من أنا.
أنا الحورية.

سابع أيام الجزيرة

قالت جينا: «ياه، ياه هذا فظيع».

انتهت اليوميات عند هذا، ولكن كانت هناك صفحة واحدة مدون بها كتابة، وكانت متَّسِخَةً وبالِيَةً من الاستخدام. وكانت هذه هي الصفحة التي يفتح عندها الكتاب طبيعيًّا. للوهلة الأولى بدت مثل تدريب كتابة لطفل يتكرر مرة بعد أخرى، لكن بدلًا من أن يتحسن في كل مرة أصبح غير منتظم ومشوهًا بخط آخر.

أنا سايارا سايارا. أنا أبلغ التاسعة عشرة من العمر.
أنا من القلعة. كنت المتدربة الاستثنائية لجوليوس بايك.
أنا سايارا سايارا. أنا سايارا سايارا.

أنا سايارا سايارا. أنا أبلغ التاسعة عشرة من العمر.
أنا من القلعة الجزيرة. أنا كنت التلميذة الاستثنائية لجوليوس بايك الجزيرة. أنا سايارا سايارا. أنا سايارا سايارا الحورية.

أنا الحورية. أنا العمر. أنا من الجزيرة.

أنا الجزيرة. أنا الحورية. أنا الحورية.

حين أنادي، ستأتين إلَّي.

همست جينا، وهي تهز رأسها في عدم تصديق: «لقد اختفت».

تابعها سبتيموس وهي تقلب الصفحات باحثة عن كتابة سايارا المنظمة الودود. لكن لم يكن هناك المزيد. لا شيء سوى كتابة نحاسية دقيقة باردة تُظهِرُ علاماتٍ ورموزًا معقدةً لم يستطع أي منهم فهم شيء منها. أغلقت جينا الكتاب وناولته لسبتيموس في صمت.

همست: «أشعر أننا كنا نشاهد شخصًا يتعرض للقتل».

وافقها سبتيموس: «لقد فعلنا، حسنًا، لقد شاهدنا شخصًا يتعرض للاستحواذ، وهو الشيء نفسه. والآن هل تصدقانني؟».

أومأت جينا وبيتل.

قال سبتيموس: «بيتل، سآخذ نوبة الحراسة الأولى، ويمكنك أن تقوم بالثانية. سأوقظك بعد ساعتين. جين، تحتاجين لبعض النوم. اتفقنا؟».

أومأت جينا وبيتل مرة ثانية، ولم يقل أي منهما كلمة أخرى.

اختار سبتيموس مكانًا على بعد ياردات قليلة من المخبأ، في أخدود بين كثيبين، وهو ما أتاح له رؤية جيدة للشاطئ، لكنه وفَّرَ له

غطاء. وعلى الرغم من عوارض الليل المجهولة، شعر بالحيوية والحماس. الآن صار لديه دعم من صديقيه، وأيًّا كان ما سيحدث فسيكونون فيه معًا. كرِهَ سبتيموس التفكير في ما كان عليه شعور سايارا، وهي وحيدة ليس بصحبتها سوى كتابها الأزرق الصغير.

جلس سبتيموس ثابتًا كالحجر، يستنشق الهواء البارد، ويستمع إلى أصوات الأمواج البعيدة والمد ينسحب. أخذ يحرك رأسه ببطء من جانب لآخر، وهو يتابع قمم الأشجار العشبية ليلتقط أثرًا لحركة، ويمسح الشاطئ الخالي من أمامه، وينصت. كل شيء كان هادئًا.

مرت ساعات. ازداد الهواء برودةً، غير أن سبتيموس ظل ثابتًا ومراقبًا، وكان هو نفسه بمثابة جزء من الكثبان. أضاء الوَهَجُ غير الطبيعي القادم من كرة الضوء، السماء عن يساره، شاهد سبتيموس ظهور الهيئة البيضاء اللامعة لجرفٍ رمليٍّ. وهدأت أصوات الأمواجِ وقد قلَّ الماء، وفي الفضاء الصامت سمع سبتيموس شيئًا: صَيحةً بعيدةً لأحد النوارس.. ووقع خطًى متأنيةٍ لأقدام عارية على الرمال الرطبة.

38

الصور المتحركة

في صمت، مثل ثعبان يزحف على العشب، تلوَّى سبتيموس أسفل الأخدود الرملي بين الكثبان، وهو يجرُّ نفسه للأمام بمرفقيه. وسط النور الخافت للقمر الآخذ في الارتفاع، كان شعره بلون الرمال وعباءته بلون خضرة العشب بالأعلى.. لكن حركته لم تمر دون ملاحظة. ففي ظلمة المخبأ الرملية، استيقظ بيتل فجأة، وأخذ يصغي بصعوبة.. كان هناك خطب ما.

انسَلَّ بيتل من تحت عباءة التدفئة، ونهض على قدميه وبشكل آلي أجرى يده على شعره. وعلى الفور تمنى لو لم يفعل فقد صارت يده الآن مغطاة

بمزيج لزج من زيت الشعر والرمل. انحنى بارتباك؛ إذ لم يكن المخبأ مرتفعًا بما يكفي لوقوفه، نظر بيتل للخارج عبر الشق الضيق للمدخل. ومما أثار انشغاله أنه رأى سبتيموس يزحف عبر الأخدود في اتجاه الشاطئ. حشر بيتل نفسه منسلًا خارج المخبأ؛ مما سبب سقوط بعض الرمال التي بالكاد أخطأت رأس جينا.

وفي الداخل واصلت جينا نومها وهي تحلم بنكو على متن سفينته.

وفي هيئة أقرب للسلحفاة منها إلى الثعبان، تحرك بيتل عبر المنحدر في اتجاه سبتيموس، الذي كان الآن يقف على سفح الأخدود وهو يتطلع نحو الشاطئ. انضم إليه بيتل وسط رذاذٍ من الرمال. التفت سبتيموس ووضع إصبعه على شفتيه.

- «ششش...».

همس بيتل: «ما الأمر؟».

أشار سبتيموس إلى جهة اليسار بمحاذاة الشاطئ. وفي خيال للظل، وسط الوهج القادم من الضوء، رأى بيتل شخصين يسيران، وقد أمسكا أحذية ذات رقبة بيديهما، بمحاذاة خط المد المتراجع. بدا أنهما، حسبما ظن بيتل وقد اعترته الغيرة، كما لو كانا يضربان بالعالم عُرض الحائط. وحين صار الشخصان أكثر قربًا، بات

واضحًا أن أحدهما صبي والثانية فتاة. وحين اقتربا أكثر وأكثر، راود سبتيموس ذلك الشعور الغريب بأنه يعرف من هما.

تمتم وهو يحبس أنفاسه: «لا يمكن».

همس بيتل: «ما الذي لا يمكن؟».

- «إنهما يشبهان 409 ولوسي جرينج».

- «409؟»

- «أنت تعرفه، الفتى الذئبي».

في الواقع، لم يكن بيتل يعرف الفتى الذئبي، لكنه يعرف لوسي جرينج.. واكتشف أن سبتيموس كان على صواب.

همس بيتل: «لكن... كيف كان بمقدورهما الحضور إلى هنا؟».

همس سبتيموس: «لم يحضرا، إنها صور **متحركة**. إن الحورية تحاول أن تغريني».

كان بيتل مرتابًا: «هه، انتظر لحظة.. كيف لهذا الشيء المسمى الحورية أن يعرف لوسي والفتى الذئبي؟».

قال سبتيموس: «كنت غبيًا جدًا، لقد فكرت فيهما حين كنت أشغل حجابي الذهني».

تابع بيتل وسبتيموس هيئتي لوسي والفتى الذئبي وهما يقتربان. توقفا عند حافة المياه ووقفا ينظران إلى البحر.

قال بيتل في شك: «إنهما واقعيان جدًّا، ظننت أن الناس يصعب عرضهم بالصور؟».

قال سبتيموس وهو يرتجف متذكرًا عرض صورة بيتل وهو يتوسل إليه أن ينتظر: «لا يصعب على الحورية، بيتل، انزل للأسفل».

دفع سبتيموس بيتل للأسفل. كانت الهيئتان قد التفتا وبدآ يسيران مبتعدين عن الشاطئ في اتجاه المكان الذي بدأ سبتيموس وبيتل ينسحبان منه الآن بسرعة.

همس سبتيموس: «عد إلى المخبأ».

وبعد ثوانٍ كانت جينا قد ردمت بوابل من الرمال.

غمغمت جينا وقد استيقظت فجأة: «ما...».

همس بيتل: «ششش...» وأشار إلى الخارج. نهضت جينا مذعورة ونظرت إلى الخارج.

وعلى الرغم من أن مدخل المخبأ كان يتسع بالكاد لشخص واحد ليمر منه، فقد كان ممكنًا على وجه التقريب أن ينظر ثلاثة أشخاص من خلاله؛ فسرعان ما صار هناك ثلاثة أزواج من العيون – زوج أرجواني، وآخر بني، وثالث أخضر لامع – ترقب هيئتي الفتى الذئبي ولوسي جرينج وهما يتسلقان بحذر المنحدر الصخري بين الكثبان ويتجهان مباشرة نحو المخبأ، الذي تمنى سبتيموس أن يكون غير مرئي.

جلست الهيئتان على الرمال على بُعد لا يزيد على عدة أقدام من المدخل. ونَدَّتْ عن جينا تنهيدة اندهاش.

همس سبتيموس: «ششش...» رغم أنه قال لنفسه إن هذا لا يهم، فالصور المتحركة لا يمكنها أن تُسمع.

حركت جينا شفتيها: «ما الذي يفعلانه هنا؟».

رد عليها سبتيموس: «إنهما صور متحركة».

- «ماذا؟».

- «صور متحركة».

حركت جينا شفتيها: «لكنهما حقيقيان».

كان صحيحًا، حسبما رأى سبتيموس، أنهما بدوَا بالفعل حقيقيين جدًّا.

وفي واقع الأمر بدت عليهما أمارات الحياة حتى إنه شعر أنه لو خرج فسيجد 409 الحقيقي بالفعل، بشعره المجعد، وعباءته الرملية، وكل شيء. أوشك سبتيموس على الخروج؛ لكنه توقف في الوقت المناسب بأن قال لنفسه إن هذه واحدة أخرى من حيل الحورية، فبمجرد أن يُظهر نفسه، ستكون الحورية هناك، في انتظاره. لقد أرسلت صورها المتحركة مثل كلاب صيد تتربص بجحر أرنب لاصطياد فريستها، ولا سبيل لمغامرته بالخروج من جحر الأرنب إلا بعد انصرافهما.

وفجأة تحدثت إحدى الصور المتحركة.

قالت وهي تعبث بضفائرها: «هل سمعت شيئًا الآن؟».

همس بيتل: «إنهما يتكلمان، الصور المتحركة لا تفعل ذلك».

همس سبتيموس: «**الحورية تفعل، لقد أخبرتك**».

خارج المخبأ كانت الصورة المتحركة ذات الضفائر قد بدأت تشعر باضطراب: «تلك الأصوات، ها هي تظهر مرة أخرى».

قالت الصورة المتحركة ذات الشعر المجعد: «لا تقلقي، ربما تكون ثعابين الرمال أو شيئًا من هذا القبيل».

ابتلع بيتل ريقَهُ، ثعابين الرمال.. لم يكن قد فكر في ذلك الأمر.

قفزت الصورة ذات الضفائر على قدميها، وصرخت «ثعابين؟ ثعابين.. آآآآآه» وبدأت في القفز حول نفسها في فزع وهي تنفض سترتها. توالت زخَّاتُ الرمال على المخبأ. همس بيتل وهو يمسح الرمال عن عينيه: «سِب، هذه لوسي جرينج بالتأكيد».

كان سبتيموس مصرًّا: «لا ليست هي».

صاحت الصورة ذات الضفائر: «آه، إني أكره الثعابين، أكرهها!».

قالت جينا: «لا تكن سخيفًا يا سِب، إنها هي بالطبع، لا أحد سواها يصرخ هكذا».

والآن قفزت الصورة ذات الشعر المجعد أيضًا: «ششش، لوسي، ششش! قد يسمعنا أحد».

«لقد سمعك أحد بالفعل» هكذا خرج صوت جينا المجسد من داخل المحبأ.

تشبثت الصورتان كل منهما بالأخرى، وسألت الصورة ذات الضفائر الأخرى ذات الشعر المجعد: «ماذا قلت؟».

بدت الصورة ذات الشعر المجعد مستاءة: «أنا؟ أنا لم أقل شيئًا. كان صوت فتاة. في الواقع بدا مثل صوت....حسنًا، لقد بدا لي مثل صوت جينا هيب».

قاطعته الصورة ذات الضفائر: «الأميرة جينا. لا تكن غبيًا، لا يمكن».

قالت جينا وهي تظهر بوضوح من داخل أحد الكثبان الرملية: «بل يمكن».

أطلقت الصورة ذات الضفائر صرخة استعطاف.

نفضت جينا الرمال عن طيات سترتها وقالت بهدوء كما لو كانت هي ولوسي قد تقابلا للتو في حفل: «مرحبًا بالفتى الذئبي ولوسي. من الرائع رؤيتكما هنا».

فَغَرَتْ لوسي جرينج فاها. قالت جينا: «لوسي، أرجوك لا تصرخي ثانيةً». أغلقت لوسي جرينج فمها وجلست، وقد أعيتها الكلمات.

وليطمئن قلب سبتيموس، قالت جينا: «أنت حقيقية، أليس كذلك؟».

أجابت لوسي بسخط: «بالطبع أنا حقيقية، وفي الحقيقة أريد أن أسألك السؤال نفسه».

قالت جينا: «نعم، أنا أيضًا حقيقية» ثم نظرت إلى الفتى الذئبي وابتسمت: «وكذلك أنت حسبما أفترض».

لم يبد الفتى الذئبي على ثقة تامة، هَمْهَمَ: «هذا غريب جدًّا...» حنَى رأسَهُ في اتِّجاه ما صَارَ يدرك الآن أنه مَخْبَأٌ قياسي لجيش الشباب، وسأل: «هل 412 هناك بالداخل أيضًا؟».

قالت جينا: «بالطبع، وبيتل.. بيتل(*) هناك أيضًا».

«نعم، حسنًا... هناك الكثير من الخنافس في الرمال. إنها تَعَضُّ».

«لا إنَّه بيتل. آه يا سِب اخرج الآنَ».

خرج سبتيموس وقد بدا مُحرجًا ومنزعجًا نوعًا ما، سأل: «ما الذي تفعله هنا يا 409؟».

أجاب الفتى الذئبي وهو يتابع بيتل المعجون بالرمال وهو يخرج من المخبأ: «يمكنني أن أسألك السؤال نفسه. كم عدد من معك هناك بالأسفل يا 412.. جيش كامل؟».

نظر بيتل وسبتيموس والفتى الذئبي كل إلى الآخر بقلق، كما لو كان كل منهم قد انتهك أرض الآخر.

أخذت جينا المبادرة: «هيا، فلنتَّجِهْ إلى الشاطئ ونُشعل نارًا. يمكننا شوْي بعض دِببَةِ الموز».

بدت لوسي مندهشةً، سألت: «ألديكم دِببَةُ موز في هذا المكان المجهول؟».

قالت جينا: «نعم، هل تريدين بعضًا منها؟».

قالت لوسي: «أي شيء لا يحمل مَذَاقَ السمك سيكون طيبًا لي».

---

* بيتل Beetle تعني خنفساء

بدأ سبتيموس في الاعتراض، لكن جينا أوقفته: «انظر يا سِب، هذه الأشياء الخاصَّة بجيش الشباب استمرت أكثر مما ينبغي. لقد أصبحنا خمسةً الآن. سنكون بخير».

لم يَدْرِ سبتيموس ما يقول؛ فقد شعر بالخِزيِ بعد كل الضَّجيجِ الذي صنعه بشأن **الصور المتحركة**.

قال بيتل: «هناك بعض الأخشاب الطَّافِيَةِ على الشاطئ، هل ستأتي يا سِب، و، آه، 419؟».

صحَّحَ له الفتى الذئبي بابتسامة: «409، لكن بإمكانك أن تناديني الفتى الذئبي.. الجميع يناديني بذلك».

قال بيتل: «ويمكنك أن تناديني بيتل» ثم ضحك: «وأنا لا أَعَضُّ».

بعد نصف ساعة اجتمعوا حول نار متأججة على الرمال، يشوون دبة الموز، غير مدركين أنه على مسافة غير بعيدة، كان جاكي فراي يراقبهم في شوق.

كان جاكي جاثِمًا على قمة أعلى نقطة **بجزيرة النجمة**، وهي جزيرة على شكل نجمة قرب طرف الجزيرة الرئيسية مباشرةً. كان يشعر بالبرد والجوعِ، وكذلك ـ وهو ما أدركه وهو يراقب المجموعة المتَجمِّعَة حول النار ـ بالوحدة أيضًا.

مضَغَ رأس سمكة جافَّة وجدها في جَيبه وارْتَجَفَ؛ كان الجو يزداد برودة، لكنه لم يجرؤ على العودة إلى المارودر لإحضار بطانية.

مسحَ جَاكي الأفق بإمعانٍ، فقد أُرسل ليراقب البحر، وليس الأرض، لكنه بين الحين والآخر كان لا يستطيع مقاومة إلقاء نظرة على المجموعة الجالسة على الشاطئ. بدوا قريبين على نحو مثير، ورأى جاكي أن المدَّ المنسحب يخلِّف وراءَه شريطًا رمليًا يربط جزيرة النجمة بشاطئهم. غَمَرتْهُ رغبة في أن يجري على الشريط الرملي وينضم للمجموعة، لكنه لم يتزحزح. لم تكن فكرة وجود أبيه والتوأمين كرو القاتلين على مرمى حجر على متن المارودر هو ما أرعبه، بل كان الشبح القديم الذي كان في انتظارهم على جدار مَرفَأِ جزيرة النجمة القديم عند وصولهم. كان هناك شيء يتعلق بالشبح القديم، بِرِدَائِهِ الأزرق الداكن وبعينيه المُحَملِقَتَيْنِ الشَّبيهَتَينِ بعينَي الماعِزِ هو ما أرعب جاكي. لم تَغِبْ عنه ملاحظَة أنه حتى أبوه بدَا خائفًا من الشبح، ولم يسبق لجاكي أن رأى أباه خائفًا من أي شيء. بمجرد أن هبط الليل، فإن الشبح الذي كان قد قال لجاكي: «اذهب وراقب السفينة، أيها الصبي. لا أريد أن أرى وجهك الهزيل مرة أخرى حتى تتحطم السفينة. وحين تصير كذلك، أريدك أن تعود هنا في اللحظة نفسها التي تصطدم فيها بتلك الصخور، أفهمت ذلك؟» كان جاكي قد فهمه بالفعل.

ووسط غفلتهم عن متابعهم الذي يملؤه الحسد، كانت المجموعة جالسة على الشاطئ بجوار النار، وقد بدأ الفتى الذئبي ولوسي في سرد حكايتهما. استمعت جينا وبيتل وقد ملأهما

الاهتمام، غير أن سبتيموس لم يستطع طرد الإحساس بالتهديد. فقد جلس مبتعدًا قليلًا عن المجموعة. وليحتفظ بقدرته على الرؤية الليلية لم ينظر إلى النار أو إلى الضوء الذي يلمع من أعلى صخرة القمة.

قالت جينا وقد لمحت نظرة أخرى من نظرات سبتيموس القَلِقَةِ: «اسْتَرِخِ يا سِب، الأمر على ما يرام. هذه الجلسة ممتعة إلى حد كبير».

لم يقل سبتيموس شيئًا؛ تمنى لو يشعر أن الأمر كان ممتعًا، لكنه لم يفعل. كان كل ما أمكنه التفكير فيه هو سايارا المُلقَاة على وجهها عند عتبة السلم. فما المتعة التي كانت لديها؟

اتضحت حكاية لوسي والفتى الذئبي، غير أن سبتيموس كان نصف مُصغٍ؛ إذ كان لا يزال يفكر في سايارا. مَضَغَ بضعًا من دِبَبَةِ الموز وتناول مشروب الشوكولاتة الساخنة الذي قدمته جينا، لكن ذكريات العصر حَطَّتْ فوقه مثل بطانية مُبَلَّلَة، وتابع المجموعة الجالسة حول النار كما لو كان، مثل جاكي، على جزيرة أخرى. بدأت النار تَخْمَد والبرودة تشتدُّ، انكمش داخل عباءته، في محاولة لتجاهُلِ جَلَبَةِ القطط التي تقوم بها لوسي جرينج، وحَملَقَ نحوَ البحرِ.

لم يستطع سبتيموس أن يصدق. فمَا كادَ بيتل وجينا يفهمان -أخيرًا- أن هناك شيئًا سيِّئًا يحدث على الجزيرة حتى ظهرت لوسي والفتى الذئبي

وقلبا الأمر كله إلى حفل شاطئي. وكلما فكر في الأمر ازداد شعوره بالغضب. فبدلًا من الضحك على انطباعات لوسي الغبية عن القطط، كان ينبغي أن يناقشوا أسباب أخذ طاقم المارودر للضوء ووضعه على قمة الصخرة؛ كان أجدر بهم أن يحاولوا التوصل لما قصدته سايارا عن وجود تهديد للقلعة؛ ويتساءلوا عما كان يفعله طاقم المارودر الآن. كان سبتيموس واثقًا من أن كل هذه الأشياء متصلة بعضها ببعض، لكن كان صعبًا أن يكتشف وجه الصلة بمفرده. كان يحتاج إلى التحدث في الأمر، وأن يكتشف ما تعرفه لوسي والفتى الذئبي. لكنه في كل مرة كان يحاول إثارة الموضوع، لم يجد مجالًا. كانوا، حسبما رأى سبتيموس، يعبثون كما لو كانوا في رحلةٍ ليوم واحد إلى كثبان جانب الميناء.

وبينما كانت لوسي تمتع الآخرين بوصف شوكولاتة رءوس السمك، كان سبتيموس يواصل النظر نحو الظلام. وفي تلك اللحظات، وعلى خلفية جوقة تصيح: «واااااااو» كان أن رأى في الأفق هيئة سفينة ترفع كامل أشْرَعَتِهَا.

كانت قصة الفتى الذئبي ولوسي تقترب من نهايتها، فقد حكَيَا كيف خرجَا عبر الدرجات الحجرية ليطلبا المساعدة من الناس الذي كان ميار قد رآهم على رأس صخرة القمة في وقت سابق من ذلك اليوم، قهقهت لوسي: «من ذا كان يظن أنهم أنتم؟».

انتهت القصة وخيم الهدوء على المجموعة الجالسة حول النار. وتابع سبتيموس التقدم الثابت للسفينة.

سألت جينا بعد فترة: «هل أنت بخير يا سِب؟».

قال مشيرًا نحو البحر: «هناك سفينة، انظروا».

التفتَتْ أربعة رءوس لتنظر، ولم تستطع أربعة أزواج من العيون التي كانت تحملق في جمر النار أن ترى شيئًا.

قالت جينا: «سِب، إنك في حاجة لبعض النوم. إن عينيك تمارسان ألعابًا خداعية مرة أخرى».

كانت القشة الأخيرة، انتَفَضَ سبتيموس واقفًا في غضب، وقال: «أنتم لا تفهمون فحسب، أليس كذلك؟ أنتم تجلسون تتبادلون الضحكات وتصدرون جَلَبَةً غبية وكأن شيئًا لم يحدث، مُتَعَامِينَ عما يقبَعُ أمامكم مباشرة». وبدون كلمة أخرى، انطلق مبتعدًا عن الشاطئ عائدًا إلى الكثبان.

قام بيتل وقد نهض ليتبعه: «سِب».

جذبت جينا بيتل إلى جوارها، وقالت: «دعه يذهب، يحتاج سبتيموس أحيانًا أن يكون وحده. سيكون على ما يرام في الصباح».

****

وصل سبتيموس إلى الكثبان وتبخَّر غضبه في الظلام. توقف للحظة، وقد حَدَتْهُ نصف رغبة في العودة إلى وهج النار المُريحِ على الشاطئ مع أصدقائه الذين يجلسون حولها. لكن سبتيموس خبر ما يكفي من التراجع في ليلة واحدة؛ فقرر أن يصعد إلى

أعلى الكثبان ويتابع السفينة. فقد يثبت أنه على صواب، ولو حتى لنفسه فقط.

تسلق مسرعًا خلال الكثبان وسرعان ما ظهر على الجزء الأشد صلابة من التربة في القطعة الوسطى من الأرض. توقف والتقط أنفاسه. كان المنظر جميلًا؛ فقد كانت السماء صافية وغمرت الليل زَخَّات من النجوم. أخذ المد ينحسر بهدوء مُخَلِّفًا شرائح رملية تلمع في نور القمر كاشفًا لبضع ساعات عن نمط سري من الطرق القديمة. طرق كانت تنتمي للأناس الذين كانوا يعيشون على الجزيرة منذ عهد بعيد، قبل أن تـأتي السيول وتقسم الجزيرة الواحدة إلى سبعِ جُزُرٍ.

ظلَّلَ سبتيموس عينيه وبحث عن السفينة، وهو يتوقع، نصف توقع، أنه كان قد تخيل وجودها وأنه الآن قد لا يرى شيئًا. لكنها كانت هناك، وقد صارت أقرب الآن، وصار نور القمر يعكس بياض أشْرِعَتِهَا. بدا له أنها تبحر نحو الجزيرة مباشرةً. كان على وشك النزول بسرعة ليخبر الآخرين حين، وبطرْفِ عينه، رأى صفًّا من الأضواء الزرقاء تلمع خلال الأشجار عند قمة التل؛ فألقى بنفسه على الأرض.

بقي سبتيموس مختبئًا وسط العشب، يكاد لا يجرؤ على التنفس. تابع الأضواء، منتظرًا أن تتحرك عبر التل في اتِّجاهه، لكنها ظلت في المكان نفسه تمامًا. وأخيرًا توصل إلى ماهيَّةِ هذه

الأضواء؛ إنها صف النوافذ الصغيرة في قمة **المرصد**. وبينما استلقى سبتيموس متسائلًا عما يمكن أن تعني هذه الأضواء، رأى موجة من الضباب تبدأ في الخروج من الأشجار أسفل المرصد، وتهبط بسرعة عبر التل إلى البحر. أصابته رجفة، إذ صار الهواء فجأة من حوله باردًا، وكان الضباب يعرف وجهته على نحو غريب، وكأنه في طريقه إلى موعد.

نهض سبتيموس على قدميه، وفجأة صار مزيج النار والأصدقاء لا يمكن مقاومته. جرى عائدًا خلال الكثبان، وأمامه أخذ الضباب ينتشر على طول الشاطئ ويبدأ في الاندفاع عبر الماء، وهو يزداد سُمكًا في طريقِهِ. صار الشاطئ بالفعل مغطًّى بالضباب، لكن الوَهَجَ الأحمر المنبعث من النار كان دَلِيلَهُ للعودة.

وصل إلى النار وقد تقطعت أنفاسه، وكان بيتل منشغلًا بوضع قطعة خشب أخرى.

ابتسم، وقد ارتاح لرؤية سبتيموس: «أترى يا سِب، سنترك هذه النار موقدة الليلة؛ فهذا الضباب غريب».

39

نوبة نكو

وقف نكو عند دفة السيريس. كانت ليلة جميلة؛ وقد ارتفع القمر في السماء وتلألأ عدد ضخم من النجوم فوق السفينة الأنيقة المضبوطة بدقة. كانت الرياح مواتية، وراحت تهب بانتظام جاعلة السفينة وكأنها تشدو خلال الأمواج. استنشق نكو هــواء البحر المشبَّع بالملح في ابتهاج، ذلك البحر الذي طَالَمَا حَلُمَ به لوقت طويل طويل جدًّا وانتابه خوف شديد من أنه لن يرَاه مرة أخرى. كان لا يكاد يصدق أنه الآنَ عاد إلى زمنه، على دفة أجمل سفينة رآها على الإطلاق، متجهًا للوطن. أدرك نكو أنه سيتذكر هذه اللحظة ما بقي من حياته.

كــانت الحـركــة المتأنِّيَة للسفينة وروعة المياه الزرقاء، التي تحمل لمحات عابـرة مـــن الوَمِيـضِ الفُسفـوريِّ،

قد خفَّفت حدة الإِنهَاكِ والتوتُّرِ لدى نكو. استجابت السيريس بسهولة لما يقوم به من انعطاف عند الدفة، وملأت الريح أشرِعَتَهَا على نحوٍ مثالي. نظر سبتيموس إلى أعلى نحو الشراع ثم ابتسم لسنوري، ملَّاحَتِهِ. كانت سنوري تستند إلى السِّياج، وقد تطَايَرَ شعرُهَا الأشقر الطويل بفعل النَّسيم، والْتَمَعَتْ عينَاها الخضراوان بالحَمَاس. وإلى جوارِها وقف أولر، أسود وأملس في تَخَفِّيهِ اللَّيليِّ في صورة نمر. وقد استشعرت نظرة نكو لها، التفتَتْ سنوري وابتسمت.

ضحك نكو: «لقد فعلنَاهَا يا سنوري، فعلناها! انظري إلينا الآن»

قالت سنوري ببساطة: «إننا محظوظان، محظوظان جدًّا».

كانت هذه هي الليلة الأولى التي يترك فيها ميلو مسئولية السفينة كاملة لنكو. في الليلة السابقة، كان وكيل الربَّان الأول – وهو رجلٌ متَصيِّد اعتبر نكو هيب الطويل الأشْعَثَ أصغر كثيرًا من أن يقود السِّيريس – قد وقف يراقب كل حركة لنكو وهو يبحر بالسفينَةِ بثَبَاتٍ خلال الأمواج، باحثًا عن أهونِ خطأ لينقِلَهُ إلى ميلو. رأي نكو يسلك مسارًا ثابتًا، ويستجيب بشكل مثالي للريح. تابعه وهو يبحر بالسيريس بأمان وسط مجموعة من قوارب الصيد التي نشرت شِباكها على مسافة واسعة في نور القمر اللامع، وما كان مفاجأة كبيرة لوكيل الربَّان الأول، هو اتخاذُه مسارًا هادئًا منضبطًا

وسط سرب من الحيتان، كانت ظهورهم الضخمة الداكنة مثل الجُزُرِ في الليل.

ربما كان وكيل الربَّان الأول رجلًا متصيّدًا، لكنه كان أيضًا رجلًا أمينًا. فقد أخبر سيده بأن نكو مدير دفَّةٍ حاذق على نحو يثير الدهشة، وأنه لو كان الصبي أكبر بعشر سنوات فقط لكان دُونَمَا أيِّ اعتراض منه قد أصبح مسئولًا عن السيريس في الرحلة الليلية. أما ميلو – الذي كانت جينا قد ملأته بمعلومات عن الخصائص الغريبة لبيت الفوريكس – يرى أنه، مع وضع كل الأمور في الاعتبار، فإن نكو ربما كان أكبرَ سنًّا تقريبًا من كل من على السفينة مجتمعين. وهكذا ترك نكو يتحمل وحده مسئولية القيادة في الليلة الثانية من رحلتهم إلى القلعة.

وهكذا صار نكو ملك الأمواج. فقد ملأت رائحة البحر المنعشة أنفه، واستشعرت شفتاه طعمَ رذاذِ الملح، وتجوَّلت عيناه في الأفق الواسع المفتوح الذي لا تحده الجدران، ولا يعكر سماءه دخان الشموع. كان تحته أعماق المحيط المُوحِشَةِ، وفوقه غبار النجوم اللامع، ولا وجود إلا لطبقة رقيقة من الهواء تقع بين نكو هيب وبين الكون كله. لفَّتْ رأس نكو الفرحة إزاء حريته.

غير أن سعادة نكو لم تبعده قِيرَاطًا عن تركيزه على مهمته؛ قيادة السيريس بأمان خلال الليل إلى أن يتسَلَّمَ قائد دفَّة مُناوبة النهار الأول المهمة عند شروق الشمس.

كان نكو يعرف خطة الرحلة الليلية عن ظَهرِ قلب. كان سيُبْحِرُ في مسار جنوبي غربي، 210 درجات باستخدام البوصلة، إلى أن يلُوحَ أول ضوء **لمنارَةِ صخرة القطّ** في الأفق. كان وكيل الربَّان الأول قد أخبر نكو وسنوري أن المنارة يسهل تحديدها - فهي تشبه القطة؛ وأن الضوء مثبَّت ويخرج من «عينين» - ورغم ذلك فإلى أن تصير قريبًا، ستبدو عينٌ واحدة. ولاستكمال صورةِ القط، كان البُرجُ متوَّجًا بنتوءَينِ على هيئةِ أذنين. كان نكو مفتونًا بوصف وكيل الربَّان الأول لمنارة صخرة القطة. لو كان قد سمعها من أي شخص آخر لظنَّ أنها نكتة، لكن نكو كان باستطاعته أن يعرف أن وكيل الربَّان الأول لم يكن بالرجل الذي يطلق النكات. كان نكو سيتجه إلى المنارة إلى أن تصبح «العين» الواحدة اثنتين، وعندئذ يدير السيريس إلى الجنوب ويبحر في مسار 80 درجة باستخدام البوصلة. وهذا قد يأخذ السيريس بالقرب من منارة أخرى - ذات أذنين لكن بلا أضواء - والتي أكد وكيل الربان الأول لنكو أنه سيتمكن من رؤيتها، لأن القمر حينها سيكون في ذُروَتِه. وعند اتجاه 270 درجة من المنارة المظلمة، كان على نكو أن يبحر في مسار جنوبي شرقي، والذي ينبغي - إذا كان الريح والمدُّ مواتِيَيْنِ - أن يأخذ السيريس مباشرة إلى منارة الكَثيبِ المزدوَج.

لم يكن هذا هو أكثر المسارات استقامةً، لكن نكو كان واثقًا بأنه هو وسنوري سيحالفهما النجاح. كان وكيل الربَّان الأول قد

أزعج نكو بالإصرار لثلاث مرات أنهما يجب رهن أي ظرف ألا يأخذا السيريس جنوب شرق منارة صخرة القطة، في اتجاه الجزيرة التي تقع وراءها. رد نكو بأنه إذا كان قد استطاع تجنب حوت، فهو يظن أن بمَقدُورِهِ أن ينجح في الإبحار بعيدًا عن إحدى الجُزُر.

وفجأة قطعت صرخة متحمسة انطلقت من سنوري أفكار نكو: «ها هي! أستطيع أن أرى أثر الضوء. انظر!»

ومن نقطة المراقبة في عش الغراب جاءت صيحة مدوية «صخرة القطة إلى الأمام مباشرة!»

وقد تأكد بما فيه الكِفَاية، رأَى نكو في الأفقِ انتشارًا ضبابيًا للضوء، يشبه تقريبًا البريق المصاحب لشروق الشمس.. وكانت السيريس تتجه مباشرة نحو الوهج.

بدا نكو متحمسًا. ومع كل الثقة البادية عليه، كان قلقًا من أنه قد يبحر في مسار يجنَحُ أكثرَ ناحية الجنوب، ويفوت منارة صخرة القطة تمامًا. نظر نحو كرة البوصلة الثقيلة التي تتأرجح بهدوء في مكمنها وابتسم، كان المؤشر ثابتًا عند 210 درجات تمامًا.

قطعت السيريس الأمواج، متجهةً نحو الوَهَجِ، الذي زحف فوقَ الأفق وصار أكثر لمعانًا من ذي قبل. كان، حسب رأي نكو، ليس كما توقع تمامًا. كانت منارة صخرة القطة معروفة بارتفاعها الشاهق، غير أن الضوء ظهر أقرب كثيرًا إلى الماء مما كان يتوقع.

وبينما يواصلون الإبحار، أصبح نكو أشد قلقًا.. هناك شيءٌ ما غير صحيح. كان يتوقع رؤية البرج العالي لمنارة صخرة القطة الآنَ، لكن لم يكن هناك شيء سوى ضوء برَّاق يلمع على البعد. اختفى القمر خلف سحابة ضخمة، وبدت السماء مُعتِمَةً فجأة. نظر نكو مرة أخرى نحو البوصلة؛ كان المؤشر ثابتًا في مكانِهِ، يرتعِشُ قليلًا كعادة مؤشرات البوصلة، فوق علامة 210 درجات. كانوا على المسار الصحيح.. لم يكن الأمر منطقيًا.

سألَ بقلق: «سنوري، ألا يمكنك رؤية صخرة القط بعد؟»

قالت سنوري: «لا يا نكو، الأمر غريب. هذا لا يشبه الخريطة، على ما أظن».

انطلقت فجأة صيحة من نقطة المراقبة بالأعلى: «ضباب في المواجهة».

أصيب نكو بصدمة. كانت الليلة رائعة وصافية، ليست مطلقًا من الليالي التي يُتوقَّعُ فيها ظهور الضباب.

صاح بصوت مرتفع: «ضباب؟»

جاءت الإجابة: «نعم ياسيدي، قادم في هذا الاتجاه».

لم يكن نكو قد رأى شيئًا كهذا من قبل قط؛ رُكَام من الضباب يتَدَحْرَجُ عبر البحر نحوَهُم مثل موجة مدٍّ بيضاء طويلة. وفي خلال لحظة كانت قد غلَّفَتِ السفينة بغطاء بارد مبلَّلٍ من الكآبَةِ.

تصاعد على الصَّوَاري بشكلٍ حلزونيٍّ، ودخل في طيَّاتِ الأَشْرِعَةِ، وخنق كل الأَصوات، حتى أن نكو لم يسمع مطلقًا صيحة المفاجأة القادمة من نقطة المراقبة: «تمَّ رصد منارة صخرة القط! مظلمة.. إنها مظلمة يا سيدي!»

جلست سايارا داخل المرصد، جاثمة على الكرسي المعدني الصغير عند رأس السلم المُتَدَاعِي، ثم أخذت تدور وتدور في دوائر مُحْدِثَةً صوتَ صرير واحتكاك وهي تقوم برحلتها اللانهائية على القضبان الصَّدِئَةِ. ملأ ضوء أزرق لامعٌ بياض المرصد، وبينما كانت سفينة نكو تتقدم تدريجيًّا بمُحَاذَاةِ عيني صخرة القطة العَمْيَاوَيْنِ، ألقت سايارا برأسها للخلف وفتحت فمها. ومن مكان ما عميق بداخلها، شدَا صوتٌ جميل، رقيق، فاتن. وبينما كانت سايارا تغني، شكلت الأصوات دوامات في الهواء داخل المرصد، هابطة وملتوية في دوامة من الأغنيات، التي يزداد صوتها ارتفاعًا وقوة مع كل دورة، وهي تنجرف حول الجدران وتستَجْمِعُ نفسها حتى طارت في النهاية من النوافذ مثل طائر، إلى هواء الليل، وعبرت البحر، متَّجِهَةً نحو السفينة كاملة الشراع التي يسطع عليها نور القمر.

حين غَشِيَ الضبابُ عينيه، امتلأت أُذُنَا نكو بأغنية أجمل كثيرًا مما تخيَّل أنه ممكن. وفي أعماق الأغنية سمع اسمه: «نكو، نكو، نكو...».

سأل نكو: «سنوري؟»

- «نكو، أين أنت؟»

- «هنا. أنا هنا، هل ناديتني؟»

كان صوت سنوري متوترًا: «لا. نكو، يجب أن ننزل المِرْسَاةَ. الآن. من الخطرِ أن نستمرَّ، إننا لا نرى إلى أين نتجه».

لم يجب نكو.

شدَا الصوت: «نكو...نكو...» وقد امتلأ الهواء بالبهجة وأُفعم قَلبُهُ بشعور رائع بالعودة للوطن أخيرًا.

شدَتِ الأغنية برقَّةٍ بالغة: «نكو...نكو... تعال إليَّ، نكو». ارتسمت على وجه نكو ابتسامة ناعمة. كان الأمر حقيقيًّا؛ إذ كان بالفعل عائدًا للوطن. عائد للوطن إلى المكان الذي ينتمي إليه حقيقةً، إلى المكان الذي كان يبحث عنه طوال حياته.

وفجأة، ومما أثار سُخط نكو، قطع صوت سنوري المُلِحُّ استِغْرَاقَهُ: «المِرسَاة، نزِّلِ المِرساة!»

رأى نكو أنَّ سنوري مملَّة جدًّا. كان هناك وقع خطوات بالأسفل، لكن نكو لم يهتم، كان كل ما يهم الآن هو الأغنية الساحرة.

جاءت صيحة نقطة المراقبة: «يابسة، حذار. يابسة، حذار!»

صرخت سنوري: «نكو، صخور، ابتعد الآن، الآن».

ولم يستجب نكو.

نظرت سنوري إلى نكو في رعب ورأت عينيه الزَّائِغَتينِ تُحملِقَان بعيدًا. علمت سنوري، العارفة بالأرواح، على الفور أن نكو يتعرض للسحر. دفعت نفسها نحوه وحاولت أن تأخذ منه الدَّفة، غير أن نكو أبعدها، وأطبق على عجلة الدفة بقوة وواصلت السيريس الإبحار.

شَهَقَت سنوري: «أولر، أولر، ساعدني!» ومضت عينَا أولر الخضراوان، وأسرع النمر في اتجاه نكو وفتح فمه «أولر، اسحبه بعيدًا. لا لا تَعَضّه. بسرعة، لا بد أن أمسك بالدفة». لكن حين أطبق أولر بفمه على سُترة نكو، اجتاحت السفينة هزّة قوية، وعلى بعد عدة قَامَاتٍ إلى الأسفل، أحدثت عارضة السفينة أخدُودًا عميقًا داخل مرتفعٍ رملي واستقرت السيريس في وقفة مُزَلزِلَةٍ.

****

نظر جاكي فراي نحو الضباب السَّمِيكِ وهو لا يزال في موقعه على جزيرة النجمة، وانْتَابه الخوف من أن يفوت شيئًا. شاهد المصباح الليلي وقد وضع على الصَّاري الرئيسي للسيريس التي أبحرت أمامه مثل قارب صغير يتحرك بلا هدف في بحر أبيض غريب وقد صاحبها صوت احتكاك مروع، رآها تهتز متوقفة وتفقد توازنها في الضباب.

قفز جاكي من فوق الصخرة وانزَلق على بعض الأحجار الرَّخوة ثم أسرع عبر التلِّ إلى المرفأِ ذي المياه العميقة في الجزء المختفِي من جزيرة النجمة، حيث ترسو المارودر. كان الشبح صاحب عيني العنزَةِ مُستَرخِيًا بوقاحة على سور المرفأ، في حين كان الربَّان فراي والتوءمان كرو جالسَين برعونة على سطح المارودر. بدا الأمر مثل حفل شاي غير باعث على الارتياح بالمرة، وبدون شاي. فجأة شعر جاكي بالسرور؛ لأنه كان في نوبة المراقبة بمفرده.

تناثر وَابِلٌ من الأحجار الصغيرة على رصيف الميناء الضيق عابرًا خلال الشبَح. قفز الشبح وحَدَجَ جاكي بعينين ضيقتين.

قال الشبح ببطء: «إياك...أن ...تفعل...هذا...ثانيةً».

كان أشد الأصوات التي سمعها جاكي رهبةً في حياته. سرى الخوف في عنقه وكان كل ما استطاعه أن أخذ ذيله في أسنانه وجرى. كان يتوقف في طريقه ويصيح: «السفينة.. لقد توقفت لتوِّها».

بدا الارتياح على الربان فراي. قفز هو والأخوان كرو واقفان وكأنما كان هناك ضيف ثقيل أوشك أخيرًا على الرحيل.

قال الربَّان فراي لابنه: «سنتحرَّك، انزل هنا وحلِّ الحبل».

تردد جاكي، إذ لم يكن راغبًا في الذهاب إلى أي مكان قرب الشبَحِ المُرعب الذي كان يقف بجوار المَرْبَطِ الذي به الحبل

مباشرةً. لكن الشبح حل له المشكلة، فقد بدأ يمشي ببطء على طول الرصيف نحو السلالم التي في نهايته.

عند قمة السلالم، توقّفَ الشبح ووجه إصبع وعيد نحو الربّان فراي، وقال بصوت غَائِرٍ بعث بالخوف في كل أوصالِ جاكي: «هل التَّميمَة معك؟»

قال الربان فراي: «نعم ياسيدي».

«أرِنِي».

نزع الربان فراي الجراب الجلديِّ الذي كانت أونا براكيت قد أعطته إياه من جيب بنطاله.

أَلَحَّ الشبَحُ: «أرِنِي».

وبأصابع مرتعشة خَرقَاءَ، أخرج الرَّبان فراي شيئًا ما من المحفظة.

زمْجَرَ الشبح: «جيد، وماذا عن الكلمات؟ أريد أن أرى أن معك نسخة الأبْلَه».

بمزيد من التَّلَعْثُم قدَّم قطعة ورقية ملطَّخَة بالماء خُطت عليها تعويذة لفظية بغير انتظام.

قال الرُّبَّان فراي: «هنا سيدي. إنها هنا».

«جيد. تذكَّر، النبرة على المقطع الأول من كل كلمة».

«على الم.. الأول؟»

قال الشبح: «الجزء الأول من الكلمة. مثل في كلمة مخ الحمار. أفهمت؟»

«نعم ياسيدي. فهمت، ياسيدي».

«والآن، أعِدْهَا إلى جيبك، ولا تضيِّعْهَا».

استدار الشبح ونزل سلالم المرفأ، واستمر في النزول – وسط دهشة جاكي – إلى داخل البحر.

وحين اختفى رأسه تحت الماء تردَّدَت كلماته خلال الضباب «سأُراقِبُك يا فراي».

صاح الربان فراي في جاكي: «لا تقف هكذا مثل دجاجة مَنْتُوفَةِ الرِّيش تنتظر ما يغطيهَا، إننا سنتحرك».

بسرعة قفزَ جاكي فراي على الرصيف، وفكَّ الحبل من المربط المعدنيِّ العتيق وألقاه في المارودر. وبعدها، وخوفًا من أن يترك وحده إذا ما عاد الشبح، قفز على السطح.

قال الربان فراي في صوت هَادِر: «أمسك الدفة يا ولد» ثم إلى الأخوين كرو: «وأنتما، يمكِنُكُمَا أن يمسك كلّ منكما بواحد» وأشار إلى مِجْدافَيْنِ كبيرين. بدا الأخوان كرو متَحيِّرَيْنِ؛ فانفجر فيهما الربان فراي: «ليس هناك ريح وسط هذا الضباب المُتَكتِّل أيها الغبيَّان، لذا يمكنكما التَّجدِيفُ وحافِظَا على الهدوء، لا أريد ضربا في الماء، لا شَخِير، لا عِواء، هذا عمل يتطلب إحداث مفاجأة، هل فهمتما؟»

أومأ الأخوان كرو. أمسكا بالمجدافين واتَّجَها نحو جانب مَيْمَنَةِ القارب.

زمجر الربان فراي: «واحد في كل جانب يا غَلِيظَي الرأس، ربما تريدان أن تقضيا بقية حياتكما تدوران في دائرة مُفرَغة، لكن أنا لا أريد ذلك».

بذل جاكي فراي قصارَى جهده داخل الضباب وقاد القارب الذي يبحر بمجدافين خارج المرفأ الضيق إلى المياه المفتوحة؛ وقد وقف أباه عند المقدمة يُعطِي إشارات يدوِيَّة للاتجاه يمينًا أو يسارًا. كان المدُّ منخفضًا جدًّا، لكن المارودر كانت مصممة للصيد بالقرب من الساحل، وكانت ذا قاع مسطَّح ويمكنها بسهولة التحرُّك إلى حيث لا تجرؤ القوارب الأخرَى علىَ المغامرة. وبينما كان يقود المارودر حول نقطة أقصى شمال جزيرة النجمة، لم يستطع جاكي إلقاء نظرة خاطفة عبر الماء ليرى إن كان يستطيع تحديد موقع النار الموقدة على الشاطئ، غير أنه لم يكن هناك ما يراه سوى غطاء من الضباب الممتد على سطح البحر، وقد ارتفعت فوقه صواري المارودر الثلاثة.

زحف القارب للأمام بقوة الأخوين كرو. حدق جاكي في ظَهْرَي التوءمين كرو الغبيَّيْن وهما يغرسان مِجْدَافَيْهِما في الماء مثلَ الآلات؛ ورأَى الأب المُتَنَمِّرُ بعيدًا عند المقدمة، وأنفه الحاد في اتجاه الريح، وأسنانه بارزة مثل كلب شرس، وتساءل أي وقاحة

هو في طريقه إليها. فكر جاكي في مجموعة الأصدقاء الذي رآهم مُجْتَمعين حول النار؛ وفجأة عرف أن أكثر شيء أراده هو أن يكون حرًّا ليجلس مع أصدقاء له حول نار. ما كان يجب أن تكون حياته على هذه الشاكلة.

أراد جاكي فراي أن يهرب.

40

جُنوح



على متن السيريس، استردّ نكو وعيه وسط الكابوس الذي يواجه كل البحارة. حملق في سنوري في عدم تصديق. شَهَق قائلًا: «ماذا؟ ما الذي فعلته؟».

ردت سنوري باقتضاب: «لقد جَنَحت. نكو أنت لم تسمعني، لقد ... لقد كنت في حالة جنون».

«جَنَحْت؟ لا ...آه، لا. لا!» جرى نكو إلى جانب السفينة ونظر للأسفل. كل ما استطاع رؤيته هو طبقات كثيفة من الضباب تحتضن سطح الماء، لكنه عرف أن سنوري كانت على حق. كان بمقدوره أن يشعر بالأمر؛ فلم تكن هناك حركة للماء بأسفل عارضة السفينة. كانت السيريس الجميلة قد تخلَّت عن رَوْنَقِها وأصبحت مجرد كتلة خشب هامدة ليس إلا.

حدَث هرَجٌ ومرَجٌ في باطن السفينة؛ فقد استيقظ كل أفراد الطاقم، وقد ألقوا بأنفسهم خارج قُمْرَاتِهِم، مُندفعين نحو الأعلى عبر السلالم. أشعر وقع الأقدام الرَّعديُّ نكو بالأسى، وفي غضون لحظة كان ميلو - مشَعَّثًا بفعل النوم، ملقيًا بغطاء في عُجَالَةٍ فوق ثوب نومه الحريري المُزركَشِ - قد صعد إلى جواره.

صاح ميلو: «ماذا.. ما الذي فعلته؟».

في خرَسٍ، هز نكو رأسه؛ لم يكد يتحمل مجرد النظر إلى ميلو، قال في أسىً: «أنا لا ...لا أعرف، فقط لا أعرف».

ظهر وكيل الربَّان الأول على السطح وأجاب عن السؤال بسرعة «لقد جنح بنا يا سيدي» وقد تعلقت عبارة: «لقد قلت لك ذلك» في الهواء دون أن ينطق بها.

كانت سنوري تعرف أن نكو لن يحاول حتى الدفاع عن نفسه، فقالت: «إنها المنارة، لقد تحركت».

ضحك وكيل الربان الأول بسخرية.

أصرت سنوري: «ولكنها تحركت بالفعل. إنها الآن هناك. انظروا» وأشارت إلى صخرة القمة، التي ارتفعت وسط الضباب كإصبع أسود عملاق متوَّج بضوء برَّاقٍ.

قال وكيل الربان هازِئًا: «ها! أحد الأغبياء يشعل نارًا على قمة صخرة، هذا يحدث طوال الوقت. ما كانت هناك حاجة لتوجيه السفينة المسكينة نحوها».

تَلَعْثَمَتْ سنوري قائلة: «السفينة، إنها ...إنها فوق حاجز رملي ليس إلا».

رد وكيل الربان مُتَهَكِّمًا: «أنت خبيرة، أليس كذلك؟».

قالت سنوري: «أنا أعرف كيف يبدو الحاجز الرملي أسفل سفينة، وأعرف أيضًا كيف يبدو الصخر. يبدو هذا حاجزًا رمليًّا».

لم يعرف وكيل الربان كيف يتصرف حيال سنوري، فهز رأسه.

قالت سنوري: «ستطْفُو السفينة مع المدِّ القادم، حسبما أظن».

دَمْدَمَ وكيل الربَّان الأول: «هذا يعتمد على التَلَفِيَّاتِ. فالرمل يغطي كُتَلًا من الخطايا، وكتلا من الصخور؛ فأنت تجدين أسوأ الصخور تحت الرمال، فالماء يُلَيِّنُهَا لكن الرمال لا تفعل فهي تحافظ على حدَّتِها. إنها مثل النُصُولِ، بعضها كذلك. تنغرس في

السفينة مثل سكين ساخن في الزبد» ثم استدار عن سنوري وخاطب ميلو: «أريد إذنًا لإرسال أحد الرجال يا سيدي، لاستطلاع التَلَفِيَّاتِ».

قال ميلو: «تم منح الإذن».

قال نكو محاولًا قصارى جهده ألا يبدو متوسلًا: «أنا سأذهب، أرجوك دعني أقدم شيئًا للمساعدة».

نظر إليه ميلو ببرود مقاطعًا: «لا. بإمكان جيم أن يذهب. أنا أثق بجيم». وفجأة التفَّ على كعبَيهِ ومشى ببطءٍ نحو مقدمةِ السفينةِ حيث وقف وحملَقَ في اكتئابٍ خلال الضباب نحو الأشكال الغامضة لليابسة، كانت غير متوقعة على نحو بالغ، وغير طبيعية على نحو بالغ، وقريبة المنال.

ووسط حالة من الدوار، سمع ميلو جيم وهو ينزل الدرجات على جانب جسم السفينة، ثم يضع السلم المصنوع من الحبال ليصل إلى الرمال بالأسفل. سمع صوت ضربات في المياه الضحلة وصيحات جيم: «الحاجز من الرمال، يا سيدي...هناك بعض الخدوش...ليست على قدر كبير من السوء... آه ...إيه» ثم مزيد من الضربات.

في يأس وضعَ ميلو رأسه بين يديه. كان يفكر في حمولته الثمينة المربوطة في بطن السفينة. تلك الجائزة التي ظل يبحث من أجلها لسنوات طويلة، والتي أبعدته عن زوجته ثم عن ابنته. سنوات

حمقاء، حسبما كان يفكر، سنوات حمقاء كانت هذه نهايتها. تخيل امتلاء السيريس بالماء مع ارتفاع المد، والبحر يتدفَّق داخلها، محيطًا بالصندوق الكبير، مُغرقًا إياه للأبد، حاملًا محتوياته الثمينة إلى قاع البحر، كي يجرفها التيار إلى الشواطئ المُوحشة لذلك المكان المدلهم.

نظر ميلو للخارج عبر المقدمة، التي ارتفعت أكثر من المعتاد، إذ كانت السيريس قد استقرت داخل الرمال وكانت تميل للخلف بزاوية غير طبيعية. حملق خلال الضباب نحو الضوء عند صخرة القمة ورأى أنها ليست نارًا، حسبما قال وكيل الربان الأول. وبينما كان ينظر إلى الضوء محاولًا أن يستكشف ماهيته، بدأ الضباب ينْقَشِعُ. سرت رعشة في أوصَالِ ميلو وهو يرى الضباب يتصرَّفُ كما لا يتصرَّف الضباب، يلتفُّ صاعدًا التل الجَرْفِيِّ المُنحدر تجاه برج صغير يجْثُمُ فوق أعلى القمة، كما لو كان خيطًا يسحبه صياد به سمكة ضخمة جدًّا تحمل اسم السيريس في نهايته، حسبما ظن ميلو بامْتِعَاض. سرت رَجْفَةٌ في أوصاله. هناك شيء غريب يجري، وهناك شيء غريب بشأن البرج على وجه الخصوص، وأراد أن يلقي نظرة أقرب.

صاح ميلو: «تليسكوب!»

وخلال ثوانٍ كان أحد أفراد الطاقم إلى جانبه وقد أحضر تليسكوبه. وضع ميلو الأنبوب النحاسي متقن الصنع على عينه

وركز على البرج. رأى خيطًا غريبًا من أضواء زرقاء دقيقة تجري على طول قمة البرج. ذكرته هذه الأضواء بحكاية غريبة من حكايات البحر كان القراصنة يقصونها في وقت متأخر من الليل عن جزر **الحورية** ذات العيون الزرقاء، والتي تناثرت خلال البحار السبعة، حيث تنادي الأصوات على البحارة وتغريهم، مُستدرجة سفنهم إلى الصخور.

تابع ميلو سجادة الضباب وهي تلتفُّ صاعدةً التلَّ وتتدفَّقُ داخل البرج من خلال النوافذ المضاءة باللون الأزرق، وبدأ يتساءل فقط عمَّا يتحمله نكو من لوم على الجُنوحِ. قرر أن يذهب ويتبادل بضع كلماتٍ مع الصبي، وحينها سمع ميلو صوت فتاة تنادي من الأسفل. كان الصوت يشبِهُ - لكن من المؤكد أنه لا يمكن أن يكون - صوت ابنَتِهِ.

- «انظروا، إنهَا السيريس ! أنا أعرفها. مرْحَى، نكو! ميلو!».

والآن عرف ميلو أن الأمر كان صحيحًا - إن هذه بالفعل واحدة من جُزُر **الحورية** سيِّئَةِ السمعة.

- «مرْحَى - مرْحَى يا ميلو - أبي! انظر للأسفل. إنني أنا، جينا!».

وضع ميلو أصابعه في أذنيه، وصرخ: «اذهبي بعيدًا، اتركينا وحالنا!».

وإلى الأسفل بعيدًا، وعند رأس مجموعة من القادمين للإنقاذ الذين يخوضون المياه الضحلة، سمعت جينا الصياح. وفي انزعاج، التفتت نحو سبتيموس وبيتل، وقالت: «الأمر أصبح مكررًا».

همس سبتيموس: «ششش، أحدهم قادم. أسرعوا، فلينبطح الجميع!» توَارَى خلف الصخرة الضخمة التي كادت السيريس أن تصطدمَ بهَا، جاذبًا معه جينا. وتبعهما بيتل والفتى الذئبي ولوسي بسرعة. همهم بيتل وقد استند على صدفة رَخَوِيَّةٍ، وهو ما لم يكن مريحًا لكلَا المخلوقين: «ما الأمر يا سِب؟».

أشار سبتيموس إلى هيئة السيريس الواقفة، وهي تختلف كثيرًا عما رآها آخر مرة في أُبَّهَتِهَا على المرفأ الثاني عشر في **المركز التجاري**. والآن وقد صارت يُنظَر إليها من وجهة نظر الصَدَفَةِ الرَّخوة؛ لم تعد هيئتها الدائرية الضخمة أنيقة بل صارت مترهلة، مثل حوت مُلقًى على الشاطئ. ورغم أن جانبيها العلويين كانا لا يزالان أمْلسِين، وشريطها الذهبي يلمع في وَهَج **الضوء**، فتحت سطح الماء كانت السفينة باهتة ومتَّسخة بالبَرنَقِيلِ المُتنَاثِر. لكن هذا لم يكن المشهد الحزين للسيريس الملقاة على الشاطئ الذي أراد سبتيموس أن يلمح إليه؛ بل كان الهَيئَتَينِ اللتين لا يمكن إخطاؤهما للتوءمين كرو، اللذين كادا أن يكونا غير مَرئِيَّيْنِ وسط ظلال بروز جسم السفينة، وهما يسلكان طريقهما متَلَصِّصينِ نحوَ جيم، الذي كان منشغلًا بفحص التَّلفِيَّاتِ.

تابعوا في رعب زحف التوءمين، في مناورتهما المعتادة لضربة الكماشة، نحو جيم المطمئن. وفي اللحظة الأخيرة، وقبل أن يُطْبِقَا عليه مباشرة، التفت جيم متفاجئًا، ثم أطلق صرخة حادَّة وارتمى ووجهه إلى الأمام وسط المياه الضحلة. أعاد كلا التوءمين سكينه إلى حزامه، ثم واصلا طريقهما، متسللين على طول عارضة السفينة، مختبئين جيدًا عن أنظار أي ممن على ظهر السفينة.

تحرك التوءمان كرو خلسة إلى سلم الحبال المتدلي من السيريس المطمئنة. والآن رأى المراقبون شخصين آخرين –الربان فراي وجاكي– يظهران من خلف مؤخرة السفينة يتسللان نحو السلم. توقفوا عند أسفل السلم، وكان يمكن رؤية جاكي وهو يشير إلى جثة البحار. وبدا أن جدالًا نشب بين جاكي فراي وأبيه الذي حسمه بوضع سكين طويل على حنجرة جاكي. كان التوءمان كرو قد وصلا بدورهما الآن إلى السلم. أُمر جاكي بإمساك السلم، وواحدًا بعد الآخر بدأ التوءمان كرو، وقد وضع كل منهما مجموعة مرعبة من السكاكين في حزامه وحذائه ذي الرقبة، صعودًا مجهدًا.

شهقت جينا: «لا!» وشرعت في الانسلال من خلف الصخرة، لكن الفتى الذئبي أمسك بها.

قال لها: «انتظري».

احتجت جينا: «ولكن نكو».

نظر الفتى الذئبي إلى سبتيموس: «ليس بعد يا 412، صح؟».

أومأ سبتيموس. كان يعرف أن الفتى الذئبي كان يحسب الأفضليات، تمامًا كما تعلَّمَا في جيش الشباب. والآن كانت الأفضليَّاتُ التي ليست في جانبهم متمثلة في السكاكين، وغياب الرحمة، والقوة الوحشية. كانوا يحتاجون بشدة إلى شيء في صالحهم، ولم يكن لديهم سوى شيء واحد: عنصر المفاجأة.

قال سبتيموس: «**المعركة كي تكسبها، بدقة حدد موعدها**».

رفعت جينا عينيها إلى السماء وقد غَلَبَها الاستياء.

قال سبتيموس: «لكن يا جين، هذه حقيقة؛ فلا بد أن نحدِّدَ الوقت جيدًا. وحين يقل توقعهم له نهاجم، حسنًا، يا 409؟».

رفع الفتى الذئبي إبهامَهُ علامةً على الموافقة وابتسم. كانت هذه تشبه الأيام الخَوَالِي؛ بل هي أفضل ألف مرة. كانَا معًا في سرِّيَّتِهِمَا الخاصة وكانا في سبيلهما للفوز. أما جينا، رغم ذلك، فلم تَرَ الأمر من هذه الوجهة. ففي رعب شاهدت الربَّان فراي يتبع الأخوين كرو صاعدًا السلَّم، وقد ومضَ انعكاسُ وهَجِ الضوء على سيف صغير مقوَّس معلق على رباط خِصْرِهِ. كان التوءمان كرو قد وصلا إلى قمة السلم، توقفا وانتظرا الربان فراي، وعندئذ اندسَّ ثلاثتهم خلسة داخل السفينة.

على ظهر السيريس، علَتِ الصيحات وصرخ أحدهم. لم تستطع جينا تحمُّل المزيد، تخلصت من قبضة الفتى الذئبي وجرت بعيدًا عن الصخرة، وهي تضرب خلال المياه الضحلة وتقفز

الحواجز الرملية المرتفعة متجهة إلى السفينة المُصابة وقد وصلت أصداء الصرخات والصيحات والقَعْقَعَةِ إلى الأسفل.

رأى جاكي فراي جينا قادمة، لكنه لم يتحرك. رأى أربعة أشخاصٍ آخرين يَنْسَلُّونَ من خلف الصخرة ويتبعونها، لكنه مع ذلك ظلَّ لا يتحرك. تابع الأشخاص وهم يصِلون إلى جثة البحار، ورآهم وهم ينْحَنُونَ ويرفعونه، فانْتَابَهُ شعور بالاضطراب. تشبَّثَ بالسلم، مُطيعًا بوضوح لكلمات أبيه الأخيرة التي وجهها له: «أمسك بهذا السلم، أيها الرمح الصغير، وإياك أن تتركه مهما حدث، فهمت؟» لكن جاكي كان بالفعل أشد صدمةً من أن يتركه.

تابع جاكي الأشخاص الخمسة وهم يرفعون البحار ويترَنَّحُونَ به عائدين إلى صخرة قريبة مستوية. أراد أن يذهب ويقدم المساعدة، لكنه لم يجرؤ؛ ففي تلك اللحظات لم يكن يجرؤ على فعل أي شيء على الإطلاق. رآهم وهم يرفعون البحار فوق الصخرة، وعندئذ ركع بجانبه صبي يضع عشًّا من القش على رأسه. وبعد ثوان قليلة نهض الصبي على قدميه وأشار بغضب نحو جاكي.

وفجأة سمع جاكي زئيرَ تهديد أبيه يهدر وسط أصوات المعركة بالأعلى ثم تحول كل شيء إلى الهدوء. ارتجف جاكي. ربما كان أبوه قد وضع سكينًا على حنجرة أحدهم؛ فقد كانت هذه هي الطريقة التي عادة ما يحصل بها على ما يريد. نظر لأعلى لكنه لم

يستطع رؤية شيء سوى القوس المليء بالبَرنَقِيل من جسم السيريس. عندما أعاد بصره للأسفل رأى الصبي الذي يضع عشًّا من القش فوق رأسه هو وأصدقائه الأربعة – وكانت واحدة منهم لوسي جرينج – يتجهون نحوه مباشرةً. بلع جاكي رِيقَه.. لقد حان دوره الآن.

وصلت جينا وسبتيموس إلى جاكي أولًا. أمسك سبتيموس جاكي من يَاقَتِهِ وجذبه بعيدًا عن السلم.

– «اذهب بعيدًا عن السلم أيها القاتل».

– «أنا، أنا لست قاتلًا. أن .. أنا لم أفعلها، بصدق».

– «فعلها صديقاك، الأمر سِيَّان، جميعكم متورطون في الأمر معًا».

– «لا، لا، إنهما ليسا صديقيَّ، ليسا كذلك».

– «ابتعد عن الطريق فحسب. أخونا على ظهر هذه السفينة، ونحن صاعدون».

قال جاكي في مفاجأة لسبتيموس: «سأمسك لكم السلم» صعد سبتيموس على السلم وبدأ في التسلق.

حذره جاكي: «كن حذرا» ثم مُوجِّهًا كلامه للفتى الذئبي: «هل ستصعد أنت أيضًا؟».

قال الفتى الذئبي بِتَجَهُّمٍ: «نعم».

قال جاكي: «حظًّا طيبًا».

تَلَتْهُمَا جينا وتبعها بيتل، لكن لوسي تراجعت إذ كانت قد عانت الكثير من السلالم. حملقت في جاكي وسألته: «ما الذي يجري يا زَفِيرَ السمك؟».

تلعثَمَ جاكي: «لا أعرف يا آنسة لوسي، صدقًا. هناك شيء على هذه السفينة، يعرفه أبي، لكنه لم يقل لي شيئًا عنه قط، هل ستصعدين أيضا؟».

نظرت لوسي لأعلى في الوقتِ المناسِبِ لترَى سبتيموس يختفِي أعلى حافة السفينة. تنهدت. كان هناك بالأعلى الآن اثنان من إخوة سايمون الصغار، وسواء أحبت ذلك أو لا، فسيكون عليها مساعدتهم؛ فقد كانوا، رغم كل شيء، على وشك أن يصبحوا عائلة. وبطريقة عملية، ربطت ضَفيرتَيْهَا في عُقدة حتى لا يتمكن أحد من شدِّهمَا (فقد تعلمت لوسي شيئًا أو اثنين في **مَجمَعِ ساحرات الميناء**).

قالت لوسي: «نعم يا رأس الضفدع، سأصعد».

قال جاكي: «خذي حذرك يا آنسة لوسي، إذا احتجت أي مساعدة، سأكون جاهزًا».

أعطت لوسي لجاكي ابتسامة سريعة غير متوقعة، وقالت: «أشكرك أيها الطفل الصغير، خذ حذرك أنت أيضًا» ثم بدأت التسلق المحفوف بالخطر.

وبينما كانت لوسي تجاهد صاعدةً جانب السيريس، هبط طائر نورس غريب الشكل ذو ريش أصفر على الحاجز الرملي، وأمال رأسه على أحد الجانبين ونظر إلى جاكي فراي شيئًا من الاهتمام، ثم وضع منقاره داخل الرمال ساحبًا سمكة ثعبان رملية وهي تَتَلَوَّى وابتلَعَها. أف، إنه يكره ثعابين الرمال. فقد كانت ثعابين الرمال هي أسوأ شيء في كونك نورسًا. لكن ما باليد حيلة. وبمجرد أن شعر بتحرك حبات الرمال تحت قدميه الصغيرتين الحسَّاسَتَيْنِ، حدث شيء ما، وكان الشيء التالي الذي عرفه أنه صار في حلقه واحد من أكثر الأشياء المقزِّزَة. أَقْلَعَ النَّورس وطار إلى صخرة قريبة ليتعَافَى. لم يصدق النورس الأصفر الصغير أنه وللمرة الثانية يتغير مصيره فجأة. لكنه قال لنفسه إنه لم يكن أمامه أي خيار. كان يعرف أن الساحرة العُظمَى المتسلِّطَة كانت ستتركه بالفعل سجينًا في الغرفة المختومة للأبد لو لم يكن قد وافق على شروطها. قرَّرَ النورس أنه لا داعي للعجلة؛ فبإمكانه أن يتحرك حين يكون قد هضم ثعبان الرمال وليس قبل ذلك. وأَملَ أن يستحق سيده كل هذه المشقَّة، لكنه كان يشك في هذا. وفي محاولة لتجاهل مذاق

ثعبان الرمال الذي يتلوَّى في مَعِدَتِهِ، شاهد النورس لوسي وهي تتسلَّقُ السلالم التي تبدو خطرة على جانب جسم السيريس.

وأخيرًا وصلت لوسي إلى القمة. وظهرت فوق حافة السطح، وفي مفاجأة لها، كان سطح السيريس خاويًا.

أين ذهب الجميع؟



41

العنبر

نظرت لوسي عبر سطح السيريس، الذي ظنت أنه بدا طبيعيًّا على نحو مفاجئ، بغض النظر عن بعض الطِّلاءِ المسكوب الذي خطَّت عليه بغباءٍ. انحنَتْ لوسي لتلتَقِطَ الرِّباط الطويل لحذائها ذي الرقبة بعيدًا عن المادّة اللَّزجَةِ المُزعجة التي التصقتْ بأصابعها و ... آه. وما إن فتحت لوسي فمها كي تصرخ، حتى وجدت يدًا كريهة الرائحة تضغط عليها بقوة.

همس الفتى الذئبي: «ششش، لوسي. لا تصرخي، أرجوك».

غَمْغَمَتْ لوسي تحت أظافِرِ الفتى الذئبي القابضة عليها: «إنه دم، دم».

همهَمَ الفتى الذئبي: «نعم، هناك الكثير منه في الأرجاء. وسيكون هناك المزيد إذا وجدونا».

حرَّكَ إبهَامَهُ المُرتعِش تجاه مقدِّمة السفينة، وفجأة أدركت لوسي أن السطح لم يكن بالخَوَاءِ الذي ظنَّتْهُ. فعلى مساحة واسعة مفتوحة أمام الصَّارِي الأوسط كان يمكِنُها رؤية ظلال ثلاثة أشخاص على ضوء مصباح، يحاولون تشغيل رافِعَةِ عنبر الشحن. لم يكونوا قد لاحظوا أحدث الواصِلينَ إلى السطح، ولو كان الأمر بيدِ الفتى الذئبي لما كان لهم أن يلاحظوا أيضًا. ببطء، وخلسة ساق لوسي للخلف إلى غطاء زَورَقٍ مقلوب.

همس لها: «لا صراخ، اتفقنا؟».

أومأت لوسي ورفع الفتى الذئبي يده عنها.

كان الزورق المقلوب في الجزء المظلم من السطح، بعيدًا عن وَهَج الضوء.

اندسَّتْ لوسي خلفه. همست بانفعال: «ها أنتم جميعًا هنا، كان بإمكانكم انتظاري».

رد سبتيموس الذي كان بالأحرى يأمل ألا تأتي لوسي: «لم نظن أنك آتية».

وعلى غرار حيوان الميركات الفضولي، أخرجت لوسي رأسها فجأة فوق الزورق ونظرت حولها في حماس، وهمست بلهفة:

«إذن ما الذي سنفعله؟» وكأنهم في سبيلهم لتقرير أي الألعاب سيلعبونها في نزهة.

جذَبَتْ جينا بغضب عباءة لوسي الزرقاء الثمينة الملطخة بشدة، وهمست قائلة: «انزِلي، اخرَسِي واسمعي». بدت لوسي مصدومة لكنَّهَا نزلت للأسفل دون أن تنطِقَ. التفتت جينا إلى سبتيموس والفتى الذئبي. قالت لهما: «أنتما الخبيران، أخبرانا ماذا نفعل وسنفعله».

بعد خمسِ دقائق صار لديهم خطة. انفصلوا في مجموعتين، إحداهما يقودها سبتيموس، والأخرى يقودها الفتى الذئبي. تكونت قوة سبتيموس من مجموع كلّي بلغ واحدًا، وهو جينا. أما الفتى الذئبي فقد وقعت في قرعته لوسي، لكنه اكتشف أنِ بيتل قرر الانضمام. تقرر أن تأخذ كل قوة جانبًا من السطح في حركة كماشة قد تنال إعجاب حتى التوءمين كرو. كانت فرقة الفتى الذئبي ستسلك ظلال جانب الميناء، وطاقم سبتيموس سيسلك جانب المَيْمَنَةِ الأكثر انكشافًا، الذي كان يُنيرُه الضوء. حين يصلون إلى العنبر كان عليهم أن يتخذوا وضعية غير المرئي. عند هذه النقطة احتجَّت لوسي، فهذا لم يكن عدلًا: فجميعهم يتقنون وضعية غير المرئي إلا هي.

غير أن سبتيموس لم تكن لديه نيَّة تعليم لوسي وضعية غير المرئي، رغم أنه كان لتوه - حسبما كان يأمل - قد علم بيتل طريقة سهلة جدًّا.

همست جينا: «انظري يا لوسي، أنا وبيتل لن نستخدمها، حسنًا؟ إذن لن تكوني الوحيدة».

قالت لوسي على مَضَض: «حسنًا».

انطلقوا نحوَ الأشخاصِ الذين يضيئُهمُ المصباح، وهم يتحسَّسُون طريقهم وسط فوضَى الحِبَال والأشرِعَة المُتَهاويَةِ ويَطئُونَ بقعَ الدم التي تنذر بالسوء. وبينما هم يتقدمون ببطء في طريقهم للأمام، استمر الصمت المُقلِقُ على السفينة. وكان الصوت الوحيد الذي أمكنهم سَمَاعُهُ هو صَريرُ رفع ترْسِ الغطاء الذي رأته جينا من قبل وهو يُستخدم لإنزال أبواب عَنبر الشحن.

لم تكن قد لاحظت الضوضاء وسط ضجيج الميناء، لكن الآن، وسط سكون الليل، فإن صريرُ الذِّراع التي تدير الرَّافعة جعلها تَجزُّ على أسنانها. ولحسن الحظ أغرق هذا الصوت الصرخة التي ندَّتْ عن لوسي جرينج حين وطئت ما حسبته يدًا مبتورة، والذي اتَّضحَ أنه قفازٌ يستخدم عند التعامل مع الحبال.

تسلَّل سبتيموس والفتى الذئبي للأمام، وهما يثَبِّتَان أعينهما على المشهدِ أمامهما. استطاع سبتيموس أن يحدِسَ أن الربان فراي على المَحكِّ؛ إذ كان يوجه الأخوين كرو بنفادِ صبر وهما يحاولان

تحريك الرافعة في وضع أعلى أبواب مدخل عنبر الشحن، لكنَّه كلَّ ثوان قليلة كان يمسح السطح بنظرة سريعة. وفي كل مرة كان يفعل ذلك، كان طرفَا الكماشة المتقدمان يصابان بالتجمُّد. وبمجرد أن يلتفت مرة أخرى إلى الأخوين كرو الغارِقَيْن في العرق وإلى الرافعة الصارخة، كان طرفا الكماشة يتقدمان مرة أخرى، وفي هدوء يقفزان من كومة حبال إلى قارب إلى صارية إلى أداة رفع إلى باب أرضي، حتى وصلوا إلى عنبر الشحن.

انزلق طاقم الفتى الذئبي خلف كومة من البراميل، ووجد سبتيموس وجينا غطاءً خلف شراع كان قد تم خفضه بسرعة. ومن جانبي السطح كليهما، استعرضوا مسرح العمليات. رفع سبتيموس إبهامه، ورد عليه الفتى الذئبي بالمثل. كانا جاهزين للانطلاق. عد كل منهما حتى ثلاثة سرًّا، ثم انزلَقَا على السطح وبدآ وضعية غير المرئِيَّيْن، متزامنين حتى يظلَّ كل منهما بإمكانه أن يرى الآخر.

تشَمَّمَ الربان فراي مثل كلب متشكِّكٍ وبدأ حاجِبُهُ الأيسر في الانتفاضِ. وكان يعرف ما يعنيه هذا.

صاحَ في الأخوين كرو: «أوقفا الرافعة» توقفت الرافعة وقد استقرت فوق أبواب مدخل الشحن.

أصغى الربان فراي بقوة. كان الصوت الوحيد الذي يمكنه سماعه هو صوت ارتطام البحر، إذ على البعد بأسفل، كان المد قد عاد وبدأ يتحسس طريقه نحو السيريس. كان صوتًا يخبر الربان

فراي أن عليه أن يبدأ بالتحرك، لكن حاجبه كان ينتفض مثل يَرَقَةٍ في عجلة من أمرها، ولم يكن يعجبه ذلك. لقد سبب هذا ذعرًا للربان فراي. فقد كان يحب **السحر الأسود**، لا لمجرد أنه لا يسبب انتفاض حاجبه وحسب؛ بل لأن **السحر الأسود** يفعل نوع الأشياء التي يحب هو أن يفعلها.

مسح الربان فراي السطح متشككًا. وتوصل إلى أن أحد أفراد الطاقم استخدم وضعية غير المرئي ليهرب من الجمع. كانت السيريس سفينة رائعة – رائعة جدًّا بقدر هائل، حسبما ظن – ولن يفاجئه أن يكون أحد بحارتها بشكل ما يعمل ساحرًا لبعض الوقت. كان **الربان فراي يَزْدَرِي غير المرئِيِّينَ**. فإذا كنت لا تريد لأحد أن يراك، فتخلص منه .. إنه أمر أشد أثرًا وأكثر إمتاعًا أيضًا.

غير أن الربان فراي كان يعرف بعض الحيل، وكان يتفاخر بنفسه لأنه قام بخداع بعض أمهر السحرة في **السحر**. توجه إلى الرافعة وتظاهر بالانهماك في تفتيشها، ثم فجأة دار حولها. لكنه لم يَرَ شيئًا. صارَ الربان فراي متحيِّرًا؛ فبما لديه من خبرة فإن أي شخص يتخذ وضعية غير المرئي يكون رد فعله كما لو كان لا يزال مرئيًّا ويجري نحو أي غطاء. وبوصفه بحارًا اعتاد مراقبة البحار لساعات دون توقف، كان الربان فراي خبيرًا في تحديد الشخص **غير المرئي** المتحرك، وهو ما أدى دومًا إلى بعض التشوش. لكنه لم يستطع أن يرى شيئًا؛ لأن الفتى الذئبي وسبتيموس كان كلاهما يقف

ثابتًا بلا حراك، في طاعة غريزية لنظام جيش الشباب: «**حين تتجمد، لا يراك أحد**». حملَقَ الربان فراي في الظلام وهو يحرك رأسه من جانب لآخر مثل الحمامة (وهي حيلة أخرى من حيله)، وكان على وشك أن يلتقط سبتيموس، الذي كادت تطغى عليه فجأة رغبة في الضحك.

لكن حاجب الربان فراي كان لا يزال ينتفض. قرر أن يجري - حرفيًا - وهو اختبار أساسي لغير المرئيين. وفجأة شرع في رقصة بريَّةٍ متعرِّجَةٍ، مُؤَرجِحًا ذِراعيْهِ مثل دوَّامَة هواء وسط عاصفة. كان نهج الربان فراي غير التقليدي في تعقب غير المرئيين فعالًا على نحو يدعو للدهشة؛ إذ تنحَّى الفتى الذئبي وسبتيموس عن الطريق في الوقت المناسب بالكاد. وفي الحقيقة، فقد مس الفتى الذئبي برفق، لكن لحسن الحظ كان الفتى الذئبي في سبيله للقفز خلف الصاري الرئيسي، وأمسك الربان فراي عقدة أحد الحبال بدلًا من مرفق الفتى الذئبي.

كان سبتيموس يضع في الاعتبار فكرة الانسحاب على محمل الجد حين توقف تقليد الدوامة الراقصة على النحو المفاجئ نفسه الذي بدأ به، وكان الربان فراي قد لمح مشهد التوءمين كرو وهما يشير كل منهما للآخر، بما يشير إلى أن عقل ربَّانِهمَا ليس في أفضل ما يكون عليه. وقد مسَّت إشاراتهما وترًا حسَّاسًا.

قال وهو يتنَحْنَحُ ويضرب الأرض بقدَمِهِ كما لو كان يشعر بالبرد: «إننا سنتجمد هنا، هيا تحرَّكا، أيها الأخْرَقَانِ عديمَا الفائدة».

ضحك الأخوان كرو بسخرية ولم يتحركا. نزع الربان فراي سيفه القصير وتقدم نحو كرو النحيف، وجَأَرَ: «افعل ما أُمرت به وإلا سأفصل هذا الرأس الغبي عن عنق الدجاجة الصغير الأعْجَفِ هذا، وأنت أيضًا أيها البدين».

شرع الأخوان كرو في العمل بحماس متجددٍ.

وإذ لا يزال مُنزعِجًا بسبب حاجبه الأيسر، تفحص الربان فراي السطح بحذر وهو يوجه الأخوين كرو. أمسك كرو السمين بالخطاف الذي في طرف الرافعة، وجذبه للأسفل وأدخله في الحلقة المُثبَّتة في مركز باب الميمنة.

صاح الربان فراي: «توقف! هل لديك مقانق بدل المخ أم ماذا؟ قلت لك ألا تفتح الباب حتى أردد الكلمات». وضع يده في جيبه وأخرج التميمة المُكرمَشَةَ، ثم خاطب كرو النحيف: «أعطني المصباح يا رأس الدجاجة، الآن!».

أحضر كرو النحيف المصباح. فتح الربان فراي قُصَاصَتَهُ الورقية، وسعل بشيء من العصبية وبحذر شديد بدأ يقول بصوت منغوم:

«يكس إيت ني تيل، هكتا إيت لايسنو،
إيل سو نيوتب ريراب أون تل».

تبادل سبتيموس والفتى الذئبي نظرات حذرة، وكذلك فعل كرو النحيف وكرو السمين. الأربعة جميعهم، ولأسباب مختلفة، يميزون التميمة العكسية كلما سمعوا واحدة. مسح الربان فراي العرق عن جبينه - فقد كان يكره القراءة - وصاح: «لا تقف هكذا وحسب، يا رأس المسمار، افتح الأبواب!».

جرى كرو النحيف إلى الرافعة وبدأ في فتح يد أخرى ذات صرير.

بعد دقائق قليلة كانت الأبواب المؤدِّية لعنْبَرِ الشحن قد رفعت، وصار على السطح الآن تجْويفٌ واسع غارِقٌ في الظلام. نظر سبتيموس والفتى الذئبي كل منهما إلى الآخر، كانت هذه هي الفرصة التي ينتظرانِها.

رفع الربان فرايِ المصباح وأطلَّ نحو الأسفل داخل الأعماق. وبحذر شديد أطلَّ التوءمان كرو نحو الأسفل أيضًا. ومن خلف الشِّراعِ المُتَهاوِي، تابَعَتْ جينا المشهد الغريب. فقد ذكَّرها بالرسومات التي كانت قد رأتها لعصابة نَابِشِي القبور في منتصف الليل، التي أرعبت القلعة في أحد فصول الشتاء حين كانت صغيرة. وفي اللحظة التالية تلاشى كلّ التَّشابُهِ مع نابِشي القبور، وصار المشهد الآن يذكرها بجماعة القرود الطائرة التي كانت تقدم عروضها خارج بوابات القصر في معرض تساوي الليل مع النهار

في **الربيع**، فيما عدا أنه في هذه المرة كانت القرود أكبر حجمًا، وأكثر قبحًا، وأحدثت ضجيجًا أكبر.

بعد ثلاثة أصوات هَادِرَةٍ ثقيلة صارت القردة الثلاثة مُمَدَّدَة على قمة الصندوق الضخم في قاع العنبر. وعلا صوت سبتيموس المنتصر من جانب الرافعة التي بدأت في التأرجح لأسفل لالتقاط أبواب **عنبر الشحن**: «نِلْنَا منهم».

وفي أعماق المخزن، أطلق الربان فراي والأخوان كرو وابِلًا من الكلمات البذيئة - كثير منها لم تكن جينا وبيتل قد سمعاها من قبل - والتي استمرت حتى سقطت الأبواب بإحكام في مكانها ووضع ذراع الرافعة فوقها. تحرر سبتيموس والفتى الذئبي من وضعية غير المرئيين واتجه خَمْسَتُهم نحوَ أقربِ فتحةٍ تؤدِّي إلى الأسطح بالأسفَلِ. دفع سبتيموس البابين الصغيرين المزدوجين متوقِّعًا أن يكونا مغلقين وموصدين. لكنهما لم يكونا كذلك، فقد تأرجحا مفتوحين بسهولة شديدة، تاركين الجميع وهم يتساءلون: لِمَ لم يجرؤ أحد على الظهور.

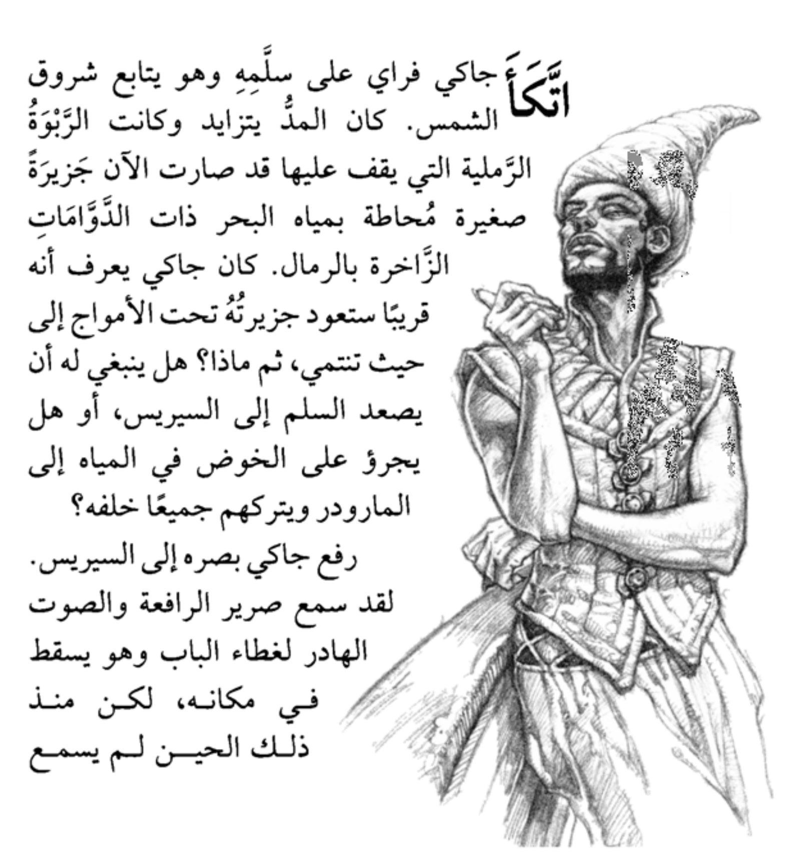
وهكذا، وحين بزغ الفجر وأضاءت السماء بلون أخضر رمادي، واحدًا بعد الآخر تركوا السطح الخاوي وتبعوا سبتيموس خلال الباب الأرضي وإلى أسفل مجموعة السلالم إلى داخل السفينة.

كان الكل يتساءل وسط شعور بالأسَى: ترى ماذا سيجدون؟

42

رجل الموز

اتَّكَأَ جاكي فراي على سلَّمِهِ وهو يتابع شروق الشمس. كان المدُّ يتزايد وكانت الرَّبْوَةُ الرَّملية التي يقف عليها قد صارت الآن جَزيرَةً صغيرة مُحاطة بمياه البحر ذات الدَّوَّامَاتِ الزَّاخرة بالرمال. كان جاكي يعرف أنه قريبًا ستعود جزيرتُهُ تحت الأمواج إلى حيث تنتمي، ثم ماذا؟ هل ينبغي له أن يصعد السلم إلى السيريس، أو هل يجرؤ على الخوض في المياه إلى المارودر ويتركهم جميعًا خلفه؟



رفع جاكي بصره إلى السيريس. لقد سمع صرير الرافعة والصوت الهادر لغطاء الباب وهو يسقط في مكانه، لكن منذ ذلك الحين لم يسمع

شيئًا على الإطلاق. فما الذي يجرِي؟ تساءل جاكي عما يكون قد حدث للوسي؛ وفكَّر في أنه أيًّا كانَ ما حدث فلن يكون شيئًا جيدًا، ذلك لأن لوسي ليست قطًّا هادئة.

وعلى مسافة غير بعيدة، وهو جاثِمٌ فوق صخرته، كان النورس الأصفر قد انتهى من هضم ثعبان الرمال. وبِعُبُوسٍ شديدٍ راجعَ عقل الطائر الصغير الاتفاق الذي أجبرته الساحرة العظمى المُقْتَحِمَةُ على توقيعِهِ. لو كان بإمكان النورس أن يتَنَهَّدَ لفعل، لكنه لم يتَبيَّن إن كان هذا من الأشياء التي تفعلها الطيور. لم يكن هناك مفرٌّ. أخذ النورس نفسًا عميقًا، وبومضة صفراء وفرقعة بسيطة، تحول.

نظر جاكي نحو البحر. عبر الأمواج الملتفَّة بنعومَةٍ إلى الشرق، وخلف صفِّ الصخور التي تؤدي إلى صخرة القمَّةِ، كانت السماء ذات لون أخضر فاتِحٍ جميل، وكانت توحِي بيوم مُشرق رائع، يوم طيب، حسبما فكر جاكي، أن تكون مسئولًا عن قاربِك الخاصِّ دون أن يصرخ أحد في وجهك، دون أن يوجه لك أحد الأوامر.

غطَّت المياهُ أصابعِ قدمي جاكي ثم غطت الدَّفقَةُ التَّالية من الأمواج جزيرَتَهُ وغسَلَت كَاحِلَيْهِ. حان وقت اتخاذ القرار. أدرك جاكي أنه في هذه اللحظة صار حرًّا، حرًّا في أن يترك وراءه كل ما بَغِضَهُ كثيرًا. لاحت له حياة جديدة، لكن هل كان من الشجاعة أن يتمسك بها؟ ارتفعت الشمس فوق الأفق وأرسلت أشعة من الضوء

الباعث على الدفء فوق وجهه. اتخذ جاكي قرارًا. الآن، وفي هذه اللحظة كان شجاعًا بما يكفي. نزل من جزيرته الغارقة ووصل الماء إلى ركبتيه، وعندئذ ربَّتَ أحدهم على كتِفِه، فصرخ جاكي تقريبًا.

استدار جاكي ليرَى رجلًا طويلًا ممشوقَ القوام يرتدي سترة صفراء بلا أكمام وبنطالًا قصيرًا يختبئ وسط ظلال عارضة السفينة. وكان الرجل يرتدي أغرب قبعة رآها جاكي في حياته، أم أنه كان لديه في الواقع كومة من الكعك الأصفر الذي يتناقص دائمًا وقد وضع باتزان فوق رأسه، حينها فقط شعر جاكي أن أي شيء ممكن. حملق نحو الرجل دون كلمات من وقع المفاجأة. كان جاكي، الذي اعتاد تصنيف الناس بسرعة، باستطاعته على الفور أن يعرف أن الرجل لا يمثل تهديدًا.

وعلى غرار الموزة المعتذرة، بدا الرجل وكأنه يشكل نفسه على هيئة محيط السفينة. وحين سحب ذراعه من الرَّبْتِ علَى كتف جاكي كانت هناك سمة مطاطية في حركاته.

ابتسم رجل الموز ابتسامة مهذبة لجاكي، وسأل بلهجة غريبة هامسة: «معذرة، أيها السيد الصغير، هل أنت سبتيموس هيب؟».

قال جاكي: «لا».

بدا الارتياح على الرجل، وقال: «كما ظننت» ثم أضاف: «هل تكون السيد الصغير الوحيد هنا؟».

قال جاكي: «لا».

- «ياه».

بدا رجل الموز محبطًا. وبِقَصْدِ إبداءِ المُساعدة، أشار جاكي إلى أعلى السلمِ.

سأل الرَّجُلَ، وبالأحرى بلا حَمَاسٍ: «أهناك سيدٌ صغير آخر بالأعلى؟».

أومأ جاكِي وقال: «الكثير».

كرر الرجل مكتئبًا: «الكثير؟».

رفع جاكي ثلاثةَ أصابعٍ، وقال: «على الأقل، وربما أكثر».

هز الرجل رأسه بحزن، ثم هز كتفيه وقال: «قد يكون أسوأ، قد يكون أفضل، ربما سأصبح حرًّا لوقت أطول قليلًا، وربما لا». بدا الرجل متشككًا عند السلم، وعندئذ مد ذراعيه المطاطيَّتينِ وأمسك بالحبال الغليظة ووضع قدَمه على الدرجة السُّفلى.

قال جاكي بأدب: «سأمسكه لك».

أخذ الرجل خطوة مبدئية، لكن السلم تأرجح بعيدًا عنه.

قال جاكي ناصحًا: «مل للخلف قليلًا، من الأسهل كثيرًا أن تتسلق بهذه الطريقة».

مال الرجل للخارج وأوشك على السقوط للخلف.

قال جاكي محذرًا: «ليس بعيدًا جدًّا، وبمجرد أن تبدأ لا تتوقف، ولا تنظر للأسفل. ستكون بخير».

بحذر التفت الرجل بما يكفي لتوجيه ابتسامة لجاكي، وقال: «شكرًا لك». نظر إلى جاكي بعينيه الصفراوين الثاقبتين الغريبتين، وسأل: «وهل أنت حر، يا سيدي الصغير؟».

قال جاكي بِابتسامة: «نعم، أعتقد أنني كذلك». نزل جاكي من جزيرته التي غطَّاها البحر وخاض تجاه مؤخرة السيريس الشاهقة. وهناك غطس داخل المياه الأكثر عمقًا، وبدأ في السباحة في اتجاه المارودر، التي كان قد تركها راسية على حاجز رملي على مسافة من السيريس. كانت المارودر الآن تطفو فوق بضعة أقدام من المياه تجذبها مِرسَاتُها، وقد صارت جاهزة للذهاب إلى حيث يرغب جاكي. اتسعت ابتسامة جاكي مع كل ضربة تأخذه بعيدًا عن السيريس. أخيرًا صار حرًّا.

وبينما كان جاكي فراي يسبح نحو الحرية، تسلق جيم ني إلى السطح الخالي للسيريس. تمعن فيما حوله لعدة دقائق قبل أن يقرر أن يجلس ويتابع شروق الشمس وهو يفكر في خطوته التالية. ومثل كل الجن، كان جيم ني لديه القدرة على تتبع سيده - إذا كان مضطرًّا لذلك تمام الاضطرار - وكان واثقًا أن سيده على ظهر السفينة. وكان منطقه؛ ماذا إذن ستضير عدة دقائق أخرى من الحرية؟ سيده لن يذهب إلى أي مكان. فلا شك أنه يتَدَثَّر نائمًا في قُمرة دافئة، وليس مثل جِنيِّهِ سيئ الحظ. تمدد جيم ني فوق شراع ساقط وأغلق عينيه.

وعلى مسافة لا تبعد كثيرًا تحت جيم ني، كان خمسة أشخاص يتحركون بحرص عبر السطح الأوسط الخاوي للسيريس. كان للسفينة ثلاثة أسطح: السطح العلوي، المفتوح على المجال العام للسفينة؛ والسطح الأوسط، الذي يقيم فيه ميلو وضيوفه في شيء من الفخامة؛ والسطح السفلي، الذي يستخدم لغرف الطاقم والمطابخ والمغسلة وأماكن التخزين. وكان السطحان الأوسط والسفلي يضمان أيضًا عنبر الشحن الذي يمتد داخل أعماق السفينة.

قاد سبتيموس جينا وبيتل والفتى الذئبي ولوسي خلال السطح الأوسط الخالي. تفحصوا كل قُمرة، وكل مخزن، وكل ركن وزاوية في طريقهم. كان باب جناح ميلو الفاخر مفتوحًا على مصراعيه، وقد كشف عن فراشه الذي غُودِرَ على عَجَلٍ؛ وكانت قُمرة نكو مرتبة ومنظمة، تمامًا مثلما تركها حين صعد لتولِّي قيادة الرحلة الليلية. وكانت قُمرة سنوري أنيقة على نحو مماثل، مع إضافة غطاء مطوِيٍّ ومفروش على الأرض لأولر. وكانت باقي قُمرات الضيوف خالية أيضًا.

تسلَّلُوا على درجات السلم في اتجاه الجزء الأبعد من السطح الأوسط إلى الصالون، حيث يقضي ميلو أوقات التسلية. فتح سبتيموس الباب المصنوع من الماهوجني بحذر وأطل نحو الداخل. كان المكان خاليًا، وعلى أمل العثور على أي علامة، ربما

حتى رسالة مُشَخْبَطَة على عَجَلٍ - أي شيء - خطا سبتيموس إلى الداخل، وتَبِعَهُ الآخرون.

كان الصالون قد تركه الخادم الليلي مرتَّبًا ونظيفًا. وكان جاهزًا لاستقبال الإفطار، الذي كان سيبدأ قريبًا في الظروف العادية. حملق الجميع بتجَهُّم نحو المائدة التي كانت مجهَّزَةً لثلاثة أفراد وسُلطانيَّة صغيرة علىً الأرض بجوار مقعد سنوري.

همست جينا، مُجَسِّدَةً أفكار الفتى الذئبي: «أحسب...أحسب أنها أصبحت سفينة أشباح».

قال سبتيموس، وهو يهز رأسه: «لا، لا يا جين. لا وجود لسفن الأشباح».

تَمتَمَ الفتى الذئبي: «العَمَّة زيلدا تقول إنها موجودة. إنها تعرف عن مثل تلك الأشياء. لا يا لوسي .. لا تفعلي».

بدت لوسي جرينج مستاءَةً، قالت: «لم أكن سأصرخ، كنت فقط سأقول إنها إذا كانت سفينة أشباح، فعلينا أن نغادرها ونحن لا نزال قادرين على ذلك .. هذا إذا كنا لا نزال...» تلاشى صوتها تاركًا علامات الخوف على جميع سامعيها.

نظرت جينا نحو سبتيموس، فكلهم يعرفون قصص السفن التي أصبحت بشكل ما سفن أشباح. واشتهر عن كثير منها الإبحار في البحار السبعة، وهي تعمل بالكامل بطاقم من الأشباح. وكانوا يعرفون أيضًا أنه بمجرد أن يصعد أي شخص على ظهرها فلن

يظهر على اليابسة مرة أخرى، رغم أنهم كانوا أحيانًا يُلمحون على ظهر السفينة وهم يلوِّحُون لأقربائهم المُلتَاعِينَ الذين كانوا يتتَبَّعون السفينة.

جاءت خبطة مفاجئة من الجانب الآخر من الجدار جعلت الجميع يقفزون.

همست جينا: «ماذا كان ذلك؟».

خبطة، خبطة، ارتطام.

أبدى بيتل رأيه: «أشباح مزعجون هناك بالداخل».

ضحك الجميع في عدم ارتياح.

قال سبتيموس: «هذا حاجز عنبر الشحن، إنه فراي وهذان الأخوان، إنهم يحاولون الخروج».

في قلق نظرت جينا نحو سبتيموس وسألت: «هل يمكنهما اختراقه؟».

قال سبتيموس: «لا سبيل لذلك، هل رأيت الرصاص الذي يغلف تلك الجدران؟ إنهم يحتاجون إلى جيش للخروج من هناك. لقد أحكم ميلو إغلاق كل شيء؛ فهو لا يريد لأشيائه الثمينة أن يُعبث بها».

أومأت جينا. فقد كانت تعرف العناية الفائقة التي يأخذ بها ميلو لحماية كنوزه من التلف: البِطَانَات الرصاصية، والأبواب المانعة لتسرب المياه، والغرف المحصنة لأدواته الأكثر قيمة..

شهقت جينا: «هذه هي! الغرفة المحصنة، إنها مغلقة من الخارج وهي ضد الصوت. هذا هو المكان الذي لا بد أن الجميع فيه. أسرعوا، أسرعوا!».

قال سبتيموس: «حسنًا ياجين، لكن ما الذي يرعبك؟».

- «إنها محكمة ضد الهواء يا سِب».

في نهاية الصالون كان هناك باب صغير يؤدي إلى درجات تهبط إلى مطبخ السفينة في السطح السفلي. فتحه سبتيموس بقوة واندفع على السلالم حيث وقف بنفاد صبر في انتظار جينا والآخرين ليلحقوا به، وقال بعجلة: «قودي الطريق يا جينا؛ فأنت تعرفين مكانها».

غير أن جينا لم تكن واثقة أنها تعرف بالفعل أين الغرفة المحصنة؛ فكل ما يمكنها تذكره هو الشعور بالغضب حين كان ميلو يريها الغرفة ويخبرها عن مدى قيمة كل الأشياء الموجودة بها، لكنها لا تستطيع أن تتذكر كيف وصلا إلى هناك. فعلى خلاف السطح الأوسط بطرقاته الواسعة البراقة وفتحاته الوفيرة، كان السطح السفلي عبارة عن شبكة متداخلة من الممرات الخافتة الإضاءة الضيقة التي تمتلئ بالحبال والأسلاك وكافة أشغال سفينة معقدة مثل السيريس. كانت مُربِكَة تمامًا، إذ نظرت جينا فيما حولها برعب، ورأت الجميع يُحملِقُون فيها بأمل. نظرت إلى سبتيموس طلبًا للمساعدة - آمِلَةً أنه ربما استطاع أن يعمل سحر **إيجاد**

أو شيئًا من هذا القبيل - ورأت **خاتمه التنينيّ** وقد بدأ يتوهَّجُ بضوئه الأصفر الدافئ. وعندئذ تذكرت.

قالت بسرعة: «هناك مصباح أصفر خارج الباب، إنه يضاء عندما يكون هناك أحد بالغرفة، في حالة...في حالة ما إذا حبسوا على سبيل الخطأ، إنه من هذا الطريق». كانت جينا - مما سبَّبَ ارتياحًا هائلًا لها - قد رأت لتوِّهَا علامة توهج صفراء تنعكس على مسار لأنابيب مصقولة جيدًا بالنحاس عند أقصى طرف الممر.

وحين وصلوا إلى نهاية الممر تحول الارتياح إلى أسى، لقد تذكرت جينا الغرفة؛ مبطَّنَة بالرصاص ومحكمة ضد الهواء لحماية كنوز ميلو من التعرض للهواء المشبَّع بالملح المسبب للتَّلَفِ. فكيف لأحد أن يبقى حيًّا بالداخل لمَدة طويلة، ناهيك عن أن يكون أفراد سفينة بالكامل؟

فكرت جينا في رعب نكو من الأماكن المغلقة، ثم أوقفت نفسها؛ فهناك أشياء بالفعل لا تحتمل التفكير فيها.

كان باب الغرفة المحصنة مصنوعًا من الحديد؛ كان ضيقًا ومغطى بالبراشيم. في وسطه كانت هناك عجلة صغيرة، أمسك بها الفتى الذئبي، الذي كان يعرف أنه الأقوى، وأدارها. دارت العجلة لكن الباب لم يتحرك. رجع الفتى الذئبي للخلف وحك يديه في سترته البالية، وقال: «آخ، هناك نوع من **الإحكام الأسود** على

الباب. بمقدور يديَّ أن تشعرا به» إذ كانت يدا الفتى الذئبي حساستين للغاية.

شهقَتْ جينا: «لا! هذا لا يمكن، يجب أن نتمكن من فتحه».

وضع سبتيموس يديه على الباب ثم نزعهما عنه مباشرة مرة أخرى، وقال: «أنت مصيب يا 409، سأحتاج إلى عمل نوع من **العكس**... وهو ليس سهلًا بدون تعويذة **سوداء**. عجيب».

كانت جينا تعرف أنه عندما يقول سبتيموس كلمة «عجيب» تكون الأمور سيئة: «أرجوك يا سِب، عليك أن تخرجهم».

همهم سبتيموس: «أعرف يا جين».

قال الفتى الذئبي: «انتظروا، أنا معي ذلك الشيء» فتح الجراب الجلدي المعلق في خِصرِهِ، وتراجع الجميع للخلف.

كمَّمَتْ لوسي أنفها: «أففف، أظن أنني سأصاب بالغَثَيَانِ» وقد عبأت الرائحة الكريهة لطرف الوحش المكان المغلق.

قالت جينا باستخفافٍ: «لا، لن تصابي» ثم سألت الفتى الذئبي: «ما تلك؟».

أجاب الفتى الذئبي وهو يزيل بُقعَةَ الوحل الداكنة ويناولها له: «إذا كان سبتيموس يريد سحرًا أسود، فقد حصل عليه».

قال سبتيموس بابتسامة حزينة: «أشكرك يا 409، هذا تمامًا ما أردته».

تناول سبتيموس طرف الذراع المقزِّز (والذي ذكَّرَه بذيل لافظ اللهب وهو في أسوأ حالاته) ومسح به حول حافَة الباب، وفي الوقت نفسه راح يتمتِمُ بأشياء في سرّه؛ أشياء حرص على ألا يتمكن أحد من سماعها. عندئذ، وهو يبذل قصارى جهده ألا يتقَيَّأَ، أعادَ قطعة اللحم المُهترِئَة إلى الفتى الذئبي.

صنع الفتى الذئبي تعبيرًا بوجهه وأعادها إلى داخل جِرابِهِ.

سأله بيتل: «هل تحمل هذا دائمًا؟».

تجهم الفتى الذئبي: «لا أحمله إلا مضطَرًّا. فَلْنُعْطِهِ دفعَةً الآن، حسنًا؟ واحد، اثنان، ثلاثة....».

وضع سبتيموس وبيتل والفتى الذئبي أكتافهم ودفعوا الباب، لكنه ظلَّ لا يتحرك.

قالت جينا: «دعوني أفعل ذلك».

قال سبتيموس: «لكن يا جينا، إنه ثقيل بالفعل».

قالت جينا ساخطةً: «سِب، اسمعني. ثلاث كلمات: كوخ، جليد، إيفانيا».

قال سبتيموس: «ياه» متذكرًا آخر مرة قال فيها لجينا إنها لا تستطيع أن تفتح بابًا.

- «لذا دعني أفعل ذلك، حسنًا؟».

- «نعم، بالطبع، تراجع يا 409».

أمسكت جينا بالعجلة وجذبت، وببطء انفتح باب الغرفة الحصينة المبَطَّنَةِ بالرصاص.

ولم يجرؤ أحدٌ على النظرِ نحوَ الدَّاخِلِ.

⇸ 43 ⇷

كسر الحصار

سقط نكو عبر الباب مثل جوال من البطاطس. أمسكت به جينا وسقطت للخلف متأثرة بثقله.

- «نكو، آه، نك .. هل أنت بخير؟»



أومأ نكو وهو يتلوى مثل سمكة خرجت من الماء: «آخ، أف جين، ما الذي تفعلينه هنا؟».

هرعت سنوري خارجة وهي تحمل قطة برتقالية صغيرة تحت ذراعها.

قالت وهي تطوقه بذراعها: «نكو، نكو، كل شيء على ما يرام الآن».

لكن جينا، رغمًا عنها، كانت لا تزال قلقة، قالت: «نك، أين ميلو؟».

تاهت إجابة نكو وسط الفوضى العامة لإخلاء الغرفة الحصينة، غير أن صيحة أمر أجابت سؤال جينا.

علا صوت ميلو: «الهدوء!» توقف الهرج والمرج، فقد التزم الطاقم الصمت وكانوا بين ملطخ بالدماء وأشعث. عشرات الأشكال والأحجام المتنوعة يرتدون خليطًا من ألبسة النوم، والأغطية المقلمة، والبناطيل القصيرة الزرقاء الداكنة، وكان بعضهم ذا ضفائر تنافس ضفائر لوسي جرينج. خرج ميلو شاحب الوجه، وقد تكرمش ثوب نومه الحريري وتلطخ بالدم، لكنه ممسك جدًّا بزمام الأمور. مسح الممر الضيق المكدس متمنيًا أن تكون معه نظارته، ونادى: «جيم! جيم، أين أنت؟ هل أنت من أخرجنا؟».

شعرت جينا بسعادة مفاجئة وقد سمعت «جيم» على أنها «جين».

كان ميلو قد فكر فيها بالفعل، صاحت: «نعم، إنني أنا».

«جينا؟» نظر ميلو حوله متحيرًا، كان الضوء خافتًا، وكان كونه مصابًا بقصر النظر يزعجه في أوقات كهذه. رأى طاقمه مصطفًّا بطول الممر، وفي مفاجأة له، رأى أيضًا – نعم، كان متأكدًا أنهم – سبتيموس وبيتل مع مراهقين رثي الثياب مشكوك في نظافتهما.

من أين أتوا؟ وعندئذ، لدهشته، لمح جينا محشورة في الركن، نصف مختفية خلف نكو وكتلة من الحبال.

- «جينا! ولكن .. كيف وصلت إلى هنا؟»

وفي مفاجأة لميلو، ولنفسها أيضًا، اندفعت جينا للأمام وطوقته بذراعيها: «آه، ميلو، لقد ظننت أنك... أعني، لقد ظننا أنكم مِتُّم جميعًا».

قال ميلو وهو يبتسم لجينا ويربت على رأسها بشيء من الارتباك: «بضع دقائق قليلة أخرى وكنا سنموت بالفعل؛ مع أني في العام الماضي ركبت نظام تهوية ذا فلاتر من أجل نبتات صبار نادرة كنت أسعى لجلبها. إنه نظام عالي الكفاءة لكنه غير مصمم لخمسة عشر شخصًا. أستطيع أن أقول لكم إننا كنا نقاوم بالداخل. والآن .. فلنر ما الذي أخذه هؤلاء السفاحون. أظنهم نهبوا ما طالته أيديهم وهربوا به. قتلة متوحشون. كنت سأحاربهم بيد عزلاء ولكن...».

قاطعته جينا: «ولكن ماذا؟» فقد كانت قد سمعت الكثير من مثل هذه الحكايات من ميلو.

قال ميلو: «ولكن حين يضعون سكينًا على حنجرة أحدنا، فماذا يمكن أن تفعلي؟».

تحسست يد نكو رقبته، وحين فعلت ذلك لمحت جينا خطًّا أحمر متوهجًا تحت أذنه مباشرة، شهقت: «نكو، ليس أنت؟».

أومأ نكو، وقال بمرارة: «بلى، أنا، مرة أخرى».

راجعت جينا رأيها بسرعة.

كانت أفكار ميلو في مكان آخر، قال لأقرب واحد من أفراد الطاقم: «أنت، اذهب وابحث عن جيم. أريد أن أعرف ما الذي وجده بالأسفل. إنه محظوظ إذ فاته كل هذا».

استدار الرجل ليذهب، لكن جينا أوقفته.

قالت لميلو: «لا، إنه ليس محظوظًا، لقد مات».

- «ماذا؟»

- «قتلوه، هؤلاء السفاحون قتلوه».

سرت تنهيدة أسى وسط الطاقم.

بدا ميلو مفجوعًا: «مات؟ مات، أين هو... إذن؟».

- «لقد ...لقد حملناه إلى صخرة قرب الشاطئ. لقد حاولنا - حسنًا، حاول سِب في الواقع - أن يساعده، لكن لم يكن بمقدورنا أن نفعل شيئًا».

صاح ميلو: «هل من متطوعين للذهاب وإحضار جيم على السطح؟».

ارتفعت غابة من الأيدي. اختار ميلو أربعة من طاقمه - هؤلاء الذين لم يصابوا بجروح من سكاكين الأخوين كرو القاتلة - وانطلقت المجموعة بسرعة عبر الممر: «أما الباقون فعليهم التوجه

إلى العيادة والتعامل مع إصاباتهم، ثم الصعود إلى السطح. أريد أن يتم إصلاح السفينة وتجهيزها للتحرك مع المد التالي».

أجاب الطاقم: «تمام يا سيدي».

قال ميلو بحزن وقد اختفى الطاقم عند الركن: «كان جيم رجلًا صالحًا، رجلًا صالحًا ومسعفًا جيدًا أيضًا».

قال سبتيموس: «يمكنني المساعدة في هذا الشأن، فأنا على دراية ببعض فنون الطب الأساسية».

كان ميلو، رغم كل ذلك، لا يستمع؛ قال وقد فتح ذراعيه عن آخرهما عبر الممر وأخذهم جميعًا أمامه: «تعالوا كلكم، لقد قمتم بعمل جيد جدًّا، لقد هزمتم هؤلاء القراصنة، ها؟ والآن علينا أن نرى ما أصاب السيريس. آه، لو أستطيع أن أضع يدي على هؤلاء السفاحين الآن...».

انزعجت جينا من تجاهل ميلو لعرض سبتيموس بالمساعدة، لكن الطريقة التي ساقهم بها وكأنهم مجموعة من الأطفال الهائجين هي ما أزعجها حقيقةً. قالت وهي تظن أنها ستكسب وده: «حسنًا، يمكنك أن تضع يديك عليهم إذا أردت، إنهم في العنبر».

توقف ميلو متصلبًا: «في العنبر؟».

لاحظت جينا أن ميلو بدا عليه الشحوب البالغ فجأة، لكنها لم تفاجأ. فقد كانت تعرف من البداية أن ميلو كان مرعوبًا.

أجابت: «نعم، في العنبر».

همس ميلو: «مع الـ...الصندوق؟ هل هم في العنبر مع الصندوق؟».

قالت جينا بحدة: «نعم، بالطبع هما في العنبر مع الصندوق، فقد دفعهما سبتيموس والفتى الذئبي داخله، كانا اثنين في مواجهة ثلاثة .. كانا شجاعين حقًّا». رغم أنها لم تذكر أنهما كانا غير مرئيين إذ ذاك.

كانوا قد انعطفوا عند أحد الأركان وصاروا الآن سائرين في أحد الممرات، الذي كان على الجانب الآخر من حاجز عنبر الشحن. وأتت ضربات ثقيلة من المخزن.

همس: «كم عددهم بالداخل؟».

قال سبتيموس: «ثلاثة، لقد ألقينا بثلاثة».

قال الفتى الذئبي: «يبدو كما لو كانوا أكثر من ثلاثة الآن، أظن أنه الصدى أو شيء من هذا القبيل».

بدا ميلو مرتعبًا، وشعرت جينا بالخجل من أجله؛ فكيف يمكن أن يكون مرعوبًا لهذه الدرجة من ثلاثة حمقى محبوسين في مخزن؟ والأسوأ من ذلك، فقد أخذ يتحدث إلى نفسه، وراح يقول: «هذا غير ممكن، لا يمكنهم أن يعرفوا ما هي، هذا غير ممكن». تنفس ميلو بعمق وبدأ يستجمع أفكاره، قال: «أنا صاعد للسطح، علينا أن نؤمن العنبر. نكو، هل ستأتي أيضًا؟ أحتاج

لمساعدتك». وانطلق وهو يقول ذلك. أما نكو -الذي كان مسرورًا لأن يكون ذا فائدة مرة أخرى- فقد تبعه.

تابعت جينا أباها وهو يجري في الممر، وقد تطاير رداؤه الحريري، وراح نعلاه المخمليان يضربان في الأرضية مثل جناحي حمامة، قالت: «لقد جُن».

قال الفتى الذئبي: «حسنًا، إنه قلق، هذا شيء مؤكد».

قالت سنوري بهدوء: «أظن أن الأمر قد يكون أن لديه شيئًا هنا يقلق عليه».

قالت جينا، وكانت تجد طريقة سنوري في الكلام يصعب فهمها أحيانًا: «ماذا تعنين؟».

- «هناك أرواح قديمة على متن هذه السفينة. أنا أشعر بها الآن، ولم أكن أشعر بها قبل ذلك. وأولر أيضًا يشعر بها، أترون؟».

رفعت سنوري أولر، الذي كان فراؤه منتصبًا عن آخره، وكان أشبه بفطر برتقالي منتفخ.

قهقه بيتل.

قالت سنوري في تأنيب: «أولر ليس شيئًا مضحكًا، أولر يرى الأشياء. وهو يرى أن هناك شيئًا ما هنا، وهذا ليس أمرًا يستدعي الضحك. أنا ذاهبة لمساعدة نكو». رفعت سنوري رأسها عاليًا وانطلقت خلف نكو.

«آه» استغرق جينا فجأة تفكير عميق. كانت قد أمضت عدة شهور في رعاية أولر وتحمل الكثير من الاحترام للقط. وبينما كانت سعيدة نوعًا بتجاهل سنوري، فإن أولر مسألة أخرى.

انعطفوا حول أحد الأركان ووجدوا سنوري تندفع خلال الحشد المجتمع خارج العيادة. وبالداخل كان هناك مشهد من الفوضى العارمة؛ إذ كان أحد أفراد الطاقم – وهو لا يزيد على كونه صبيًّا – غارقًا في بحر من الدماء، وراحت الأربطة تتطاير في كل مكان، وزجاجة كبيرة من الجنطيانا الأرجوانية قد سكبت، مغرقة الجميع ببقع أرجوانية. لم يبد أن أحدًا يعرف ما الذي عليه فعله.

قال سبتيموس: «الأمر هنا يبدو مشوشًا، سأقدم يد المساعدة. يا 409، يمكنني ذلك مع شخص لديه معرفة بالأكاسير».

قال الفتى الذئبي مبتسمًا: «حسنًا، يا سيدي الطبيب». فالأكاسير هي ما يستطيع إعداده.

عرضت لوسي المساعدة قائلة: «سأتولى وضع الأربطة، أنا أحسن التعامل مع الأربطة، فهي مثل الأشرطة، قابلة للتمدد».

لم يوافقها سبتيموس، ورد قائلا: «إنها ليست مثل الأشرطة». واندفع وسط الزحام، واختفى داخل العيادة.

نادته جينا: «سِب، سأصعد إلى السطح».

قال بيتل: «سآتي معك».

انطلقت جينا وبيتل عبر الممر الذي كان عند نهايته سلم يصعد إلى السطح الأوسط. تسلقا السلم وسلكا طريقهما عبر القاعة الفخمة الخاوية ثم عبرا الممر المواجه للكبائن الخالية. وحين صارا قريبين من السلالم الصاعدة إلى السطح العلوي سمعا صوت ضربات قوية قادمة من داخل عنبر الشحن.

التفتت جينا نحو بيتل، بدا عليها القلق وهي تقول: «أظن أنه عليك أن تعود وتحضر سِب، لدي شعور أننا قد نحتاجه».

- «لكن ماذا عنك؟».
- «أنا أريد الصعود لأرى إن كان نِك في حاجة لأي مساعدة».
- «بإمكاني أنا فعل ذلك، لم لا تذهبين أنت لإحضار سِب؟».
- «لا يا بيتل، لم أتواجد قط حين كان نك يحتاج إليَّ، وهذه المرة سأكون هناك. اذهب وأحضر سِب، أرجوك».

لم يستطع بيتل أن يرفض: «حسنا، لن أتأخر. جينا... كوني حذرة .. أتعدينني؟».

أومأت جينا واختفت صاعدة السلالم.

فوجئ بيتل بالاختلاف الذي طرأ على العيادة. فلم يكن مر سوى دقائق قليلة، لكن سبتيموس أعاد تنظيم كل شيء. الصبي الذي كان ملقى على الأرض صار الآن ممددًا على سرير. كان سبتيموس يفحصه ويتناقش مع الفتى الذئبي بشأن أي جرعة دوائية يستخدمانها لعلاج جرح ناشئ عن طعنة معقدة الشكل. لكن أكثر

ما أدهش بيتل هو مشهد لوسي جرينج –وقد بدت مثالًا حيًّا للكفاءة– وهي تضمد بعناية ذراع أحد أفراد الطاقم. كان ما يفكر فيه بإعجاب هو أن سبتيموس يدير العيادة إدارة جيدة.

واحدًا بعد الآخر غادر أفراد الطاقم الذين تلقوا الرعاية ليصعدوا إلى السطح. كان بيتل تواقًا للصعود إلى السطح أيضًا لكنه لم يرد أن يقطع عليهما عملهما. استند إلى المدخل، وأخذ يشاهد سبتيموس وهو يعمل. كان، حسبما رأى بيتل، يبدو في حالة أريحية تامة.

رفع سبتيموس نظره ورأى بيتل عند المدخل، فسأله: «أأنت بخير؟».

– «لا أعرف يا سِب. جينا تريدك أن تصعد إلى السطح. هناك شيء غير صحيح».

وفي الوقت الصحيح تمامًا، أحدثت ضربة عميقة اهتزازًا في أرجاء السفينة.

– «آه، صحيح. أنا جاهز تقريبًا. أريد فقط أن أفحص هذا مرة أخرى، لقد فقد الكثير من الدماء».

قال وكيل الربان الأول، الذي كان – بخلاف عامل المطبخ الشاب الممدد في السرير – آخر من تبقى، وموجهًا سؤاله للوسي: «يبدو أن السفينة تغير وضعها فوق الحاجز الرملي، سيحتاجون إليّ على السطح. هل ستأتين يا آنسة؟».

قالت لوسي: «أنا بخير هنا».

قال لها سبتيموس: «لا يا لوسي، اذهبي».

قال وكيل الربان الأول: «أنت محق يا سيدي، من الأفضل أن تكون على السطح حين تصبح السفينة في حالة تغيير وضعها. سنعود ونأخذك إذا حدثت أي مشكلة يا لاد». كانت كلماته الأخيرة موجهة لعامل المطبخ.

تابع بيتل لوسي ووكيل الربان الأول وهما يغادران. وبينما كان ينتظر - وقد صار أقل صبرًا الآن - انتهاء سبتيموس والفتى الذئبي، شعر بشيء يمس قدمه. نظر للأسفل فرأى صفًّا طويلًا من الفئران المتلاصقة، تجري أمامه عبر الدهليز متجهة إلى السلم عند نهايته. ارتجف بيتل، وليس بسبب أنه لا يحب الفئران؛ بل كان بيتل يحمل احترامًا كبيرًا للفئران، فحسبما يظن، فإن هذه الفئران عرفت شيئًا. لقد عرفت أن السيريس لم تعد سفينة آمنة لتظل على متنها.

قال بيتل منزعجًا: «سِب....».

كان سبتيموس يغسل يديه، قال: «أنا قادم، هل أنت جاهز يا 409؟».

قال الفتى الذئبي: «نعم».

ألقى سبتيموس نظرة أخيرة على المكان، كان كل شيء منظمًا، وكانت رائحة الدم الحديدي الرطب قد تبدلت إلى رائحة النعناع. خرج من العيادة وهو يستشعر ثقة العمل الذي أُحسن أداؤه.

دفع بيتل سبتيموس والفتى الذئبي عبر الدهليز .. مسرعًا.
قال سبتيموس: «إيه، ماذا هناك؟».
- «جين تريدك فوق .. على السطح. هناك شيء ما غير طبيعي يحدث .. والفئران تعرفه».
- «الفئران؟».
- «نعم، لقد شاهدتها تغادر للتو».
كان سبتيموس يشارك بيتل في احترام الفئران، قال: «آه».
وكما لو أنه إثبات لرأي بيتل، هزت سلسلة من الضربات المتوالية أضلاع السفينة.
قال الفتى الذئبي، الذي كان قد مر بما يكفيه من الحبس تحت الأسطح: «هيا، فلنخرج من هنا» وهرع في اتجاه السلم المؤدي إلى السطح الأوسط.
عند عتبة السلم تدافعوا واقفين؛ إذ كان هناك شخص يهبط السلم.
رجل طويل مصفر، يرتدي لباسًا أصفر ويضع على رأسه ما بدا لسبتيموس مثل كومة من الكعك الأصفر، كان يهبط السلم. استدار ونظر نحو سبتيموس مباشرة وتنهد بقوة.
قال بنبرة إذعان: «هل أنت سبتيموس هيب؟». كان سبتيموس وبيتل يعرفان ما يكفي لتمييز جني حين يريانه، وكان الفتى الذئبي يعرف ما يكفي ليدرك الشيء بالغ الغرابة.

همس بيتل متحمسًا: «سب .. لقد عثر عليك».

تنهد سبتيموس: «أف!»، وأجاب: «نعم، أنا سبتيموس هيب».

بدا الجزع على جيم ني، وقال: «لقد ظننت ذلك بقوة، تمامًا مثلما وصفت الساحرة العجوز. أفٍّ................ آه، حسنـًا، ها نحن مرة أخرى: ما الذي ترغب فيه، أيها السيد العظيم؟».

وسط إثارة اللحظة، كان سبتيموس فجأة غير قادر على تذكر صيغة كلمات **التأمين ضد الفشل** التي يجب أن تستخدم دائمًا في الرد على السؤال الثاني بالغ الأهمية؛ إذا كنت لا تريد للجني الخاص بك أن يتعامل معك بسخافة للأبد. نظر إلى بيتل وحرك شفتيه .. ما هي الكلمات؟

ضرب جيم ني قدميه بالأرض في نفاد صبر .. أكل السبتيموس هيبين بهذا البطء؟

همس بيتل: « أن تكون .... خادمًا مطيعًا ... مخلصًا لي. أن تفعل الصواب ... ومن أجل الأفضل ... أن تقوم به كله ... بناء على أمري».

حرك سبتيموس شفتيه: «أشكرك يابيتل». عندئذ وبنبرة بطيئة واضحة، أعاد ما قاله له بيتل كلمة كلمة.

قال جيم ني على مضض: «حسنًا، على الأقل أنت أفضل من سبتيموس هيب السابق، حسبما أفترض. ليس لأن ذلك أمر صعب».

ضرب بيتل سبتيموس بمرفقه وهمس له: «اسأله إذا كان له اسم، ربما كان أحدهم قد سماه بالفعل، وإن لم تعرفه فلن تكون قادرًا على استدعائه».

- «آه، أشكرك يا بيتل، أنا لم أفكر في ذلك».
- «نعم، إنه مخادع. أراهن أنه يأمل ألا تسأله، فقط قل: أيها الجني، كيف تنادى؟ وسيكون عليه أن يخبرك».

أعاد سبتيموس السؤال.

بدا جيم ني غاضبًا بشدة. وبعد وقفة طويلة أجاب متلكئًا: «جيم ني، أيها السيد الماهر».

- «جيم ني؟» سأل سبتيموس وهو غير متأكد من أنه سمع على النحو الصحيح.

قال جيم ني بعصبية: «نعم، جيم ني. إذن أيها السيد المتشكك، هل تريد فعل أي شيء الآن، أم بإمكاني الانصراف والحصول على قسط من النوم؟ هناك الكثير من القمرات الرائعة هناك بالأعلى».

أحدث فيض آخر من الضربات اهتزازًا عبر السفينة.

قال سبتيموس: «بما أن هذا يحدث، أظن أنني سأحتاج إلى مساعدتك فورًا».

كان جيم ني يجد صعوبة في الاعتياد على الفقد المفاجئ لحريته، قال: «حسنًا جدًّا، أيها السيد الصارم. رغباتك أمر لي، وكلها كذلك. سأعثر على تلك القمرة اللطيفة الصغيرة فيما بعد».

رمق بيتل سبتيموس بنظرة هزلية: «إنه ليس تمامًا ما كنت تتوقعه، أليس كذلك؟».

قال سبتيموس وقد سرت هزة أخرى عبر السفينة: «نعم، ولكن حتى الآن، ما الذي توقعناه وحدث؟».

44

الجن



لمعت الأشعة المنخفضة المائلة الآتية من الشمس المشرقة خلال مدخل مؤخرة السفينة مباشرة، مسببة نصف عمى لسبتيموس وبيتل والفتــى الذئبــي وهــم يركضون صاعدين السلالـم نحــو الأبــواب المفتوحة. خرجوا يرمشون في ضوء النهار وقابلهم مشهد من الفوضى. أخذ ميلــو وطاقمـه المصــاب يقومون على نحو متهور بوضع أكــوام من الصواري والأشرعة والبراميل وأي شيء ثقيل يمكنهم سحبه على سطح الأبواب المؤدية لعنبر الشحن. وكانت لوسي وسنوري تلقيان

بلفة ثقيلة من الحبال، وكان أولر، وقد انتفش فراؤه، يتبع سنوري مثل ظل برتقالي متوتر. أما نكو ورئيس البحارة فقد أخذا يسمران لوح خشب كبيرًا على الأبواب، لكن كل ضربة بمطرقتيهما كان يرد عليها بطرقة قوية من أسفل، وحركة مقابلة لأعلى.

ومن عند حافة المناوشة الجارية، لمحت جينا سبتيموس وبيتل والفتى الذئبي وهم يتحركون للأمام. تركت البرميل الذي كانت تحاول سحبه فوق الأبواب وجرت لتنضم إليهم.

شهقت قائلة: «أين كنتم؟ هناك شيء كبير بالفعل، هناك بالأسفل .. أكبر من هؤلاء الثلاثة الذين رميتما بهم، إنه يحاول الخروج. وميلو.... آه، أعرف أنه يثير اللغط بشأن أشيائه، لكن هذه المرة الأمر حقيقي. انظروا له!».

بدا ميلو يائسًا. لقد ألقى نعليه المخمليين، وصار رداؤه قذرًا مثل أي عامل ميناء، وراح هو ونكو يسحبان برعب لوحًا خشبيًّا آخر فوق الأبواب.

وأخذ يصيح في رئيس البحارة: «تحرك!».

صاح رئيس البحارة برد ما.

جأر ميلو: «لن تكون لديك سفينة تغادر بها لو لم تحكم تسمير هذه الأبواب فورًا».

اندفع الفتى الذئبي للأمام لتقديم المساعدة، وتحرك سبتيموس وبيتل ليتبعاه، غير أن جينا أوقفتهما.

- «انتظرا، سِب.. هناك شيء قصدت إخبارك به، وبيتل يجب أن يعرفه أيضًا».
- «ماذا يا جين؟».
- «حسنًا، حين كنتما في ذلك المكان الخاص بالحمام، وضع ميلو شيئًا في عنبر الشحن».

قال سبتيموس: «ميلو يضع دائمًا أشياء في عنبر الشحن».

- «نعم، أعرف. لكنه قال لي ألا أخبركما عن هذا. كنت سأخبركما في كل الأحوال، لأني لا أرى أن له أي حق في أن يخبرني ما أفعله وما لا أفعله. كان صندوقًا ضخمًا، وقال إنه يجب علينا الذهاب إلى دار المخطوطات بشأنه حين نعود للوطن».

سأل بيتل: «دار المخطوطات؟ لماذا؟».

- «لا أعرف. لقد تحدث في شيء آخر؛ لذا لم أسأل. أنتما تعرفانه».

سأل سبتيموس: «هل رأيت ما بداخل الصندوق؟».

- «لم يكن هناك الكثير لأراه، عدد كبير من الأنابيب الرصاصية المرصوصة في صفوف وحسب».

سأل بيتل: «أنابيب رصاصية؟ كم عددها تحديدًا؟».

قالت جينا في نفاد صبر: «لا أعرف».

- «لا بد أن لديك تصورًا ما. عشرة، خمسون، مائة، ألف .. كم عددها؟».

- «حسنًا...آلاف، على ما أظن. أف يا بيتل، إنك أسوأ من جيلي دجين».
- «آلاف؟»

بدت جينا مستاءة: «نعم، آلاف. اسمع، ما الذي يهم في عددها؟ من المؤكد أن ما يهم هو ما يختفي تحت الأنابيب».

قال بيتل ببطء: «أعتقد أن ما يهم هو ما يختفي بداخل الأنابيب، أليس كذلك يا سِب؟».

رد سبتيموس: «بلى، أظن أن ذلك يهم أكثر».

سألت جينا: «داخل الأنابيب؟ ماذا تعني، كيف لشيء أن ... يا إلهي ما هذا!».

ضربة قوية أخرى هزت السفينة، لكن هذه المرة مصحوبة بجلبة تشقق مرتفعة من أبواب عنبر الشحن. لقد طرح لوح نكو ورئيس البحارة جانبًا مثل أعواد الثقاب. صرخ أحدهم، ولم يكن لوسي جرينج. وعندئذ بدأ البابان -ببطء وثبات وبلا هوادة- يرتفعان عن السطح، مرسلين كل الأشياء المكومة فوقهما لتتطاير في الهواء، فقد تساقطت الصواري وتدحرجت البراميل وتطاير الأشخاص مثل قنينات البولينج.

أما ميلو فقد ألقي به وسط كتلة متشابكة من الحبال المتدلية من صارية مكسورة وتسمر هناك بجوار اللوح الخشبي. وطار الفتى الذئبي بجوار برميل من القطران، وأفلتت سنوري وأولر بالكاد من أن يطيح بهما أحد قوارب الإنقاذ.

كان بابا المدخل قد وصلا الآن إلى نقطة اللاعودة. تأرجحا للحظة، ثم فجأة وفي صوت ارتطام راعد، اصطدما بالسطح مهشمين الحطام إلى قطع صغيرة تاركين باب العنبر مفتوحًا على مصراعيه. تبعثر الجميع، غير أن المنظر الذي تلا ذلك ثبَّت الجميع في أماكنهم.

وكأنهم فوق منصة متحركة غير مرئية، كان ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي والتوءمان كرو يرتفعون من عنبر الشحن. بعض أفراد الطاقم المؤمنين أكثر من غيرهم بالخرافات ألقوا بأنفسهم على الأرض ظنًّا منهم أن فراي وتابعيه كانوا يطيرون على نحو معجز، لكن آخرين ممن نظروا عن قرب أكثر استطاعوا أن يروا أنهم يتوازنون على شيء أشد صلابة من الهواء. مرة أخرى جاء على خاطر جينا السيرك الطائر في معرض تساوي الليل مع النهار في الربيع. إنهم هذه المرة مهرجو الأكروبات الذين كانوا قد شكلوا هرمًا بشريًّا وسرعان ما تساقطوا بشكل مذهل. لكن المشهد الذي تلا ذلك محا كل الأفكار عن مهرجي الأكروبات من عقل جينا. كان فراي والأخوان كرو يقفون – يتمايلون سيكون وصفًا أكثر دقة – ليس على أكتاف مهرجين؛ بل على الدروع المرتفعة لأربعة محاربين مدرعين.

قال بيتل: «إنهم جن محاربون، أظنهم كذلك».

سألت جينا: «ماذا تعني؟».

- «أنابيب الرصاص التي رأيتها هي وحدات تخزين متعددة كلاسيكية للجن».
- «هي ماذا؟».
بسط بيتل الأمر: «إنها تحتوي على جن بداخلها».
- «ماذا؟ جني في كل أنبوب؟» لم تكن جينا ماهرة في الحساب، لكنها مع ذلك استطاعت أن تكتشف أن ذلك يعني كمًّا هائلًا من الجن».
- «نعم، هم عادة لا يتشاركون».
- «يتشاركون؟».
- «الجن التوائم شيء نادر جدًّا».
- «آه؛ لذا هذا أمر جيد إذن. آه يا إلهي، انظر إليهم . إنهم... إنهم مرعبون».

التزم كل من على السطح الصمت، وقد فتنوا برؤية الجن المحاربين يرتفعون خلال الفتحة، وقد كانت دروعهم في وضع مثبت على أذرعهم فوق رءوسهم ذات الخوذ، ويحملون حمولتهم المكونة من فراي والأخوين كرو. وإذ تركوها متأخرين قليلًا، قفزت الحمولة نصف قفزة إلى السطح. ارتفع الجن الأربعة أعلى حتى قاموا -بالدور- بفرد صف آخر من الدروع المرتفعة.

هبطوا على السطح في هدير متزامن، وشهقت جماعة السفينة بالكامل.

وقف الشعر في مؤخرة عنق الفتى الذئبي. كان هناك شيء غير بشري، آلي تقريبًا، لدى المحاربين. كان طولهم يبلغ سبع أقدام على الأقل، وكانوا مكسوِّين من رءوسهم إلى أطراف أصابعهم بدرع جلدية عتيقة، ذات لون أسود باهت خلاف خوذاتهم ذات الأجنحة الفضية، التي عكست أشعة الشمس المشرقة وتلألأت كما لو كانت قد أضرمت فيها النيران. وقف الجن في وضع التأهب، وقد سحبت السيوف القصيرة، وحملقت العيون إلى الأمام دونما أي تعبير. وإذا لم يكونوا باعثين على الخوف بما يكفي، فقد كان من خلفهم صفان آخران كلٌّ من أربعة يرتفعان من داخل المخزن.

ومن مأمنه الذي وفره حراسه المسلحون المبهرون، مسح ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي الجمع المذهول على السطح. قال: «حسنًا، حسنًا، إذن بعضهم أخرجكم، أليس كذلك؟ أظن أنهم هؤلاء الأطفال المزعجون» حدج الفتى الذئبي ولوسي بحدة.. «لقد أحضرتما أصدقاءكما الصغار، أليس كذلك؟». أمعن الربان فراي النظر في سبتيموس وجينا وبيتل، وواصل: «لو كان أي منكم هو الذي دفعنا بالداخل، فقد قدم لنا معروفًا، فقد كنا سننزل على أي حال. والآن لقد حصلنا على ما جئنا من أجله وليس هناك ما يمكنكم القيام به، استمتعوا بالعرض أيها الغمزات الصغيرة. امرحوا – نظر بحدة إلى جيم ني – وارتدوا كل ما استطعتم من القبعات السخيفة والفرصة سانحة، لأنه لو كنتم تخططون للعودة

إلى القلعة، فلن تجدوا الأمر مرحًا كثيرًا هناك» ثم ضحك: «إننا نعرف من تكونون، ونحن لا ننسى وجهًا رأيناه أبدًا .. هل نفعل؟».

ردد الأخوان كرو: «لا يا ربان، لا ننسى».

غير أن خطبة الربان فراي لم يكن لها التأثير الذي كان يأمله؛ إذ لا أحد -بخلاف جيم ني، الذي لم يعجبه توجيه الإهانة له- كان يسمع بالفعل. فقد كانوا مذهولين مما يجري خلفه. إذ كانت مجموعة من ثمانية جن محاربين قد وقفت الآن على السطح، ومع كل دقيقة كان يظهر المزيد منهم. الآن صاروا ثلاثة صفوف، كل من أربعة يملئون المساحة المفتوحة من المخزن. وحين هبطوا بدورهم على السطح، كان يمكن رؤية الصف التالي المكون من اثنتي عشرة درعًا بالأسفل.

همس سبتيموس وهو يتابع الجن وهم يهبطون على السطح: «بيتل، هذا شيء يتعلق بدار المخطوطات. هل هناك أي طريقة لإيقافهم؟».

- «ليس إن لم تعرف **تعويذة الإيقاظ**».

قال سبتيموس: «ميلو! لا بد أنه يعرفها. فلا يمكن أن تحصل على أعداد غفيرة من الجن دون أن تعرف كيف **توقظهم**، أليس كذلك؟».

قالت جينا: «حسنًا، أنت لن تفعل».

- «آه، من المؤكد أن ميلو ليس بذلك الغباء».

هزت جينا كتفيها.

قال سبتيموس: «سأذهب وأسأله».
قالت جينا بقلق: «كن حذرًا يا سِب».
- «حسنًا».

صنع سبتيموس بسرعة درع أمان غير مرئية واختفى وسط زحام الأنقاض والطاقم.

كان ميلو لا يزال يحاول بيأس أن يخلص نفسه من الحبال حين وصل إليه سبتيموس. كان سبتيموس على وشك أن يظهر، ولدهشته صاح ميلو فجأة في أذنه: «جراب!».

قفز سبتيموس - لكن ليس بنصف قفزة الربان فراي- دار فراي حول نفسه ليعرف من أين جاءت الصيحة، ولمعت عيناه بالغل حين رأى ميلو المحبوس. تحرك بعجرفة نحوه و - بالوقوف على طرف اللوح الخشبي - صار قادرًا على أن يمعن النظر في عيني ميلو مباشرةً، وجأر: «اللعنة عليك، أيها الصبي.».

زمجر ميلو: «إياك أن تجرؤ على مناداتي بهذا مرة أخرى.. أسمعت ذلك يا جراب؟».

ضحك الربان فراي، وقد بلغت به زهوة النصر مبلغًا جعله لا يلاحظ الرجفة المزعجة التي بدأت في حاجبه الأيسر: «في وجود خمسة آلاف رجل تحت إمرتي، سأناديك كما يعجبني، أيها الصبي. أفهمت؟».

استشاط ميلو غضبًا، كان ذلك يفوق عدد من على متن سفينته، كما كان حاله تمامًا منذ نحو عشر سنوات، حين استولى القرصان

سيئ السمعة ديكن لي ووكيله الأول جراب المتوحش على سفينته. لم يستطع تصديق ذلك.

قال الربان فراي بابتسامة: «لقد تعرضت للخيانة بشكل جيد، أيها الصبي. فالقردة الذين أرسلتهم للبحث عن الشحنة كان لا بد أن تدفع لهم أكثر. فلكل واحد سعره».

قال ميلو وهو يصارع لتحرير نفسه من الحبال، لكنه لم ينجح إلا في تعقيد الأمر أكثر: «إنك تعرف كل شيء عن ذلك».

حدق الربان فراي في ميلو: «أتعرف يا **باندا** .. أنا لا أنسى أبدًا. لقد ظللت على هذا المركب لأسبوعين كاملين حتى قمت أنت وطاقمي البغيض الخائن بطردي منه. كان كل ما لدي لآكله هو نورس ميت. وكنت أشرب ماء المطر الذي أضعه في حذائي ذي الرقبة».

قاطعه ميلو بتهور: «كان ينبغي أن أدع طاقمك يرمي بك من على ظهر السفينة كما كانوا يريدون يا جراب».

جأر الربان فراي وقد زادت سرعة ارتجاف حاجبه: «جيد أنك لم تفعل، أليس كذلك؟ لذا فاليوم يوم الحساب. اقتلوه». صاح في أول أربعة من الجن المحاربين: «اقتلوه!».

خطا الجن نحو الأمام شاهرين سيوفهم نحو ميلو، اقشعر بدن سبتيموس. لم يكن للجن المحاربين أيدٍ؛ كانت أسلحتهم جزءًا من أجسادهم. كانت الأطراف الجلدية لستراتهم تتيح السبيل

بسلاسة لسيف قصير عند نهاية أياديهم اليمنى ودرع مستطيلة عند نهاية الأيادي اليسرى.

ومن السطح المرتفع عند مؤخرة السيريس، رأت جينا الجن يشهرون سيوفهم نحو أبيها، صاحت: «لا! لا!» اندفعت بسرعة، لكن السطح بالأسفل كان مكدسًا بحشد الطاقم المتراجعين بعيدًا عن الجن الزاحفين. وسرعان ما صارت جينا محاصرة وسط الحشد، وهكذا لم تر المشهد الغريب لحبال الأشرعة والصواري المتداعية وهي تستعيد حياتها ذاتيًّا، وقد حلت نفسها من حول ميلو وتحول انتباهها إلى الربان فراي، تاركة إياه مثل ذبابة في شبكة عنكب.

رأى الربان فراي الجن المحاربين يصلون بسيوفهم القصيرة ذات النصال الحادة وهم يشهرون سيوفهم نحوه، وقد توجهت أنظارهم الخالية من التعبير نحوه، وأدرك فجأة أنه لم يكن مهمًّا للجن من الذي يعلق في الحبال. وسواء أكان ميلو باندا أم ثيودوفيلوس فورتيتيود فراي؛ كان كلاهما سيان بالنسبة لهم.

ومع ذلك، لم يكن الأمر سيان للربان فراي، فصرخ في الأخوين كرو: «أخرجاني من هنا، أيها الأحمقان».

لم يتحرك الأخوان كرو.

ارتفع صوت فراي إلى صرخة ذعر وحشية: «توقفوا، توقفوا! آه، ما هي الكلمات؟»."

أعاد الخوف مؤقتًا للربان فراي عددًا ملائمًا من الخلايا العقلية، وفي ظل وجود أربعة سيوف عند حلقه، تذكر **تعويذة العكس**.

أما ميلو فقد كان، في الوقت نفسه، يتم سحبه من قوى غير مرئية عبر السطح المزدحم الذي فاحت منه رائحة النعناع بقوة.

وفي مكان ما وسط الحشد، وجدته جينا.

صاحت القوة غير المرئية: «أف، قدمي».

قالت جينا: «آسفة يا سِب».

تخلى سبتيموس عن وضعية **غير المرئي** قبل أن يطأه أي شخص آخر. شعر ميلو بالارتياح عند رؤية سبتيموس، فقد كان السحب من قوة غير مرئية تجربة مثيرة للقلق، قال: «أشكرك يا سبتيموس، لقد أنقذت حياتي».

رافقوا ميلو إلى القسم الصغير من السطح المرتفع عند مؤخرة السفينة، ودخل سبتيموس في الموضوع مباشرة.

- «ما هي **تعويذة الإيقاظ**؟».

سأل ميلو، وهو لايزال قلقًا بعض الشيء: «إيه؟».

كرر سبتيموس بنفاد صبر: «**تعويذة الإيقاظ**، إنه صندوقك، إن الجن يخصونك؛ لذا فأنت تعرف **تعويذة الإيقاظ**. أخبرنا **بتعويذة الإيقاظ** وسنتمكن من إيقافهم».

صعدت مجموعة أخرى من اثني عشر جنيًّا على السطح. ورأى ميلو المد الداكن للمحاربين يقترب أكثر. ظلل عينيه في مواجهة

خناجر الضوء المشعة المنبعثة من الخوذات ذات الأجنحة، وعرف أن السفينة لم تعد ملكه ليصدر أوامره. لكنه لم يقل شيئًا.

قال بيتل: «سيد باندا أرجوك، أخبرنا **بتعويذة الإيقاظ**».

بينما كان سبتيموس يقوم بإنقاذ ميلو، كان بيتل قد جمع الكل معًا عند السطح المرتفع (حيث اكتشفوا جيم ني وقد غفا في أحد الأركان). وجد ميلو نفسه الآن ليس في مرمى النظرة المترقبة لسبتيموس وبيتل فحسب، بل أيضًا في مرمى نظرة جينا ونكو وسنوري وأولر ولوسي والفتى الذئبي.. وجيم ني الذي أوقظ بوقاحة.

بلع ميلو ريقه: «أنا لا أعرف تعويذة **الإيقاظ**».

أصاب الذعر بيتل: «أتحمل شيئًا كهذا على متن سفينتك وأنت لا تعرف **الشفرات**؟».

استجمع ميلو شتات نفسه: «إجراء أمني، بكل وضوح. الصندوق يسافر دائمًا منفصلًا عن **الشفرات**. كنت سأحصل عليها من دار المخطوطات عند عودتي. هناك شبح يحتفظ بالشفرات. سيد يدعى...».

قال سبتيموس: «تيرتيوس فيوم».

بدا ميلو متفاجئًا: «كيف عرفت؟».

لم يجب سبتيموس عن السؤال، قال: «**جراب** على حق، لقد تعرضت للخيانة».

ظهر صف طويل من الفئران من مدخل مؤخرة السفينة بالأسفل وتوجه نحو الجانب. تابعها ميلو وهي تذهب، وقال: «لقد حان الوقت لإخلاء السفينة».

في تلك اللحظة أصدرت السيريس صريرًا مرتفعًا. تحرك شيء، وكان ميلو يعرف أن سفينته الجميلة لم تعد متصلة بالأرض، لم تعد تلقي ثقلها على الأرض. الآن عادت إلى مجالها، وهي ترتفع مع المد.

ندت عن الطاقم مشاعر بهجة صامتة.

تردد ميلو. كانت مصادفة قاسية أن يعيد له البحر سفينته في اللحظة التي تتعرض فيها للاجتياح.

ولكن حين خطا الصف الأول من الجن المحاربين خطوة أخرى أكثر قربًا من سلم السفينة، مهددين بقطع طريقهم نحو الهرب، عرف ميلو أنه إما الآن، وإما لا للأبد.

صاح: «أخلوا السفينة!».

45

سلحفاة ونمل

لم ينس جاكي فراي ابتسامة لوسي وهي تتمنى له حظًّا سعيدًا. وحين أبحر مبتعدًا في شمس الصباح المبكر، جال بخاطره الصمت المنذر بالسوء الذي كان على متن السيريس، حتى إنه لم يعد يطيق التفكير أكثر، فأدار المارودر عائدًا. والآن، وبعيدًا إلى الأسفل من السيريس، عند عتبة سلم السفينة، وقف جاكي عند حارس السفينة يستمع إلى ضوضـــاء القعقعة الغريبة القادمـــة مـــن فوق ويستجمع شجاعته ليتسلق إلـــى ظهـر السفينة وينقذ لوسي. لكن خططه ذهبت أدراج الرياح بصدور صيحة من أعلى: «أخلوا السفينة!».

وفي اللحظة التالية راح خليط مخيف من رجال مضمدين بأربطة تتناثر عليها عشوائيًا بقع أرجوانية يتدفقون نازلين السلم ويقفزون إلى المارودر.

قال جاكي: «ها، ليس بهذه السرعة، لقد عدت فقط من أجل لوسي». ورغم احتجاجاته، امتلأت المارودر باطراد بأفراد الطاقم. صاح عاليًا نحو السيريس: «لوسي! لوسي جرينج! انزلي!».

ومن فوق، سمعت لوسي الصياح وانحنت عند حافة السفينة.

قالت لاهثة: «الطاقم يصعد على متن المارودر، أخبرهم ألا يفعلوا.. إنها خدعة!».

كان الأوان قد فات؛ فبخلاف وكيل الربان الأول، الذي كان قد نزل ليحضر عامل المطبخ، كان الطاقم كله الآن على ظهر المارودر.

صار جاكي يائسًا الآن: «لوسي، أين أنتِ؟».

صاحت لوسي: «ابتعد يا رأس السمكة».

رآها جاكي الآن - لوسي بعباءتها الزرقاء المبقعة بالملح وبضفائرها وقد ظهرت صورتها الظلية على خلفية السماء - وفجأة شعر بالسعادة. صرخ: «لوسي، لوسي! انزلي هنا، أسرعي!».

وكما لو كان يرد عليه، خطا شخص على السلم، لكنه لم يكن لوسي. كان تقريبًا، حسبما رأى جاكي، النقيض التام للوسي.

كان محاربًا طوله سبعة أقدام، مغطى بالدروع ويحمل سيفًا حاد النصل ذا وجهين - كان جاكي يعرف كل شيء عن الأنصال- يتجه مباشرة نحو المارودر.

رأى طاقم جاكي الجديد المحارب بدورهم، فصاح رئيس البحارة: «ادفعوا بها، ادفعوا بها بعيدًا»، وبينما بدأ محارب آخر في نزول السلم، دفع الطاقم المارودر بأمان بعيدًا عن جانب السيريس، وتلاشى حلم جاكي فراي بإنقاذ لوسي.

وبالقدر نفسه من الفزع، تابع ميلو تحرك المارودر، لقد تحول أمره بإخلاء السفينة إلى كارثة. لقد أراد أن يبعد جينا في أمان، غير أن شيئًا لم يسر وفق الخطة. وضع يديه على رأسه وقد غلبه الأمر.

قال سبتيموس: «صحيح، نحن نحتاج لمغادرة هذه السفينة بسرعة. أين ذهب ذلك الجني؟».

لم يرد جيم ني مطلقًا أن يصبح سلحفاة. فقد رأى من السلاحف الكثير في زمنه. لم يحب فكاكها المنتظمة الدقيقة، وكان مجرد مس دروعها يجعله يجز أسنانه، لكن إذا أصر سيده على أن يجعله سلحفاة عملاقة، إذن فعليه أن يصبح سلحفاة عملاقة. غير أن ذلك لم يمنع الجني من المساومة.

- «سأفعل ذلك لمدة عشر دقائق ليس أكثر، أيها السيد المُرْهِق».

رد عليه سيده: «ستفعل ذلك للمدة التي أحددها أنا».

قال جيم ني متملقًا: «أتوسل إليك، ليس أكثر من عشرين دقيقة، أيها السيد غير الرحيم».

«ستفعل ذلك للوقت الذي يستغرقه وصولنا بأمان إلى الشاطئ. وستتحول بأكبر ما يمكن لكي نركب كلنا مرة واحدة».

مسح جيم ني المجموعة بأسى: «كلكم جميعا؟».

كان عليه أن يصبح سلحفاة ضخمة جدًّا بالفعل.

«نعم.. أسرع».

قال جيم ني بعبوس: «حسنًا جدًّا، أيها السيد القاسي». كان مما لا يبشر بخير أن يكون أول شيء يطلبه سيده الجديد هو أن يتحول إلى أكثر كائن يكرهه.. السلحفاة. سيصبح محبوسًا داخل درع، مالكًا لأربع زعانف مقلوبة متأرجحة بدلًا من يدين وقدمين للمدة التي يريدها سيده، وكان هذا أسوأ كوابيسه. أخذ الجني نفسًا عميقًا، نفسه الأخير الذي لن يكون بمذاق بصاق السلاحف، لمدة لا يعلم كم ستطول، ثم قفز على حافة السفينة، وأمسك بأنفه، وقفز من السيريس وارتطم بالبحر الصافي بالأسفل. وبعد لحظة، طفت على السطح سلحفاة عملاقة بعينين صفراوين.

كان نكو جاهزًا بحبل، وثبته في مربط وألقى به عبر الجانب.

حملت السلحفاة ركابها، حسبما تم توجيهها، إلى الصخور عند الطرف القاصي للأرض، مقابل جزيرة النجمة، في موضع آمن بعيدًا عن مرأى السيريس. كانت الصخور يصعب التعامل معها، وبعد سوء تقدير عرض درعها، انتهت السلحفاة إلى أن حشرت بين صخرتين منها. ولحسن حظ ركابها كانت الصخرتان في المياه الضحلة، وكان بمقدورهم النزول والخوض في المياه

إلى الشاطئ. ومن سوء حظ السلحفاة، بقيت محشورة بقوة و - رغم الكثير من الدفع والضغط - اضطرت للانتظار، حتى سمح لها **بالتحول**، قبل أن تصبح حرة.

وجد جيم ني نفسه ممددًا ورأسه لأسفل في مياه بعمق قدمين، وثب على قدميه، وهو يسعل ويتنفس بصعوبة، ثم خاض في المياه إلى الشاطئ الصخري، حيث جلس في الشمس ليجفف نفسه. إن قبعته - وهو متأكد من هذا - لن تعود إلى ما كانت عليه أبدًا.

شاهد الركاب السابقون الجني وهو يختار بوضوح صخرة بعيدة نسبيًا. كانوا بدورهم يتعافون من رحلتهم. فلم تكن السلحفاة قد راعت ظروفهم جيدًا، فقد اختارت السباحة على عمق نحو ست بوصات تحت سطح الماء بأسلوب غاية في عدم الانتظام، كما لو كانت تحاول التخلص من هؤلاء الذين يركبون على ظهرها.

قال ميلو وهو يعصر طرف رداء نومه: «نكو، أنا مدين لك باعتذار».

قال نكو متفاجئا: «هه؟».

«ما كان يجب أن ألومك على الجنوح بالسيريس. أعتقد أن هذه الجزيرة **مسحورة**. أعتقد أنك تعرضت للاستدعاء من أحد أشباح **الحورية**».

نظر سبتيموس إلى ميلو باهتمام جديد، ربما لم يكن هو ذلك الساحر عديم الحس الذي كان يظنه.

حملق بيتل نحو سبتيموس وارتفع حاجباه.

قال نكو: «أشكرك يا ميلو، لكن هذا ليس عذرًا، كانت السفينة قيد سيطرتي، وكنت مسئولا عما حدث لها. إنه أنا من يجب عليه الاعتذار».

- «سأقبل اعتذارك يا نكو، لكن فقط إذا كنت ستقبل اعتذاري».

شعر نكو وكأن حملًا ثقيلًا رُفع عن كاهله. ابتسم للمرة الأولى منذ جنوح السيريس: «أشكرك يا ميلو، أنا أقبل».

قفز ميلو واقفًا: «حسنًا! والآن يجب أن أرى ما الذي يجري للسيريس. أظن أننا سنحصل على رؤية جيدة من عند تلك الصخور هناك، أليس كذلك يا نكو؟».

كان الجميع، فيما يبدو، يريدون إلقاء نظرة على السيريس، إلا جيم ني، الذي كان سبتيموس قد نسيه حتى ذكَّره بيتل. فحين يكون لديك جني تحتاج إلى وقت لاعتياد الأمر، كما قال سبتيموس. ذكره ذلك باصطحاب ماكسي، كلب سايلاس هيب المصاب بالتهاب المفاصل، في نزهة. كان لدى ماكسي عادة مماثلة في التأخر للخلف، وكان سبتيموس ينسى عادةً أمر الكلب ويعود للبحث عنه.

انطلقت المجموعة، التي اكتملت بجيم ني، نحو الصخور التي أشار إليها ميلو. كانت اختيارًا جيدًا؛ إذ كانت الرؤية واضحة للسفينة والشاطئ، وكانت توفر غطاءً يحجب رؤيتهم. استقروا خلف الصخور، وأخرج ميلو تليسكوبه.

قال لاهثًا: «يا إلهي» ثم مرر التليسكوب لنكو.

وضع نكو التليسكوب على عينيه وأصدر صفيرًا طويلًا خفيضًا.

سأل سبتيموس في نفاد صبر: «ما الأمر يا نِك؟».

همهم نكو: «نمل».

- «نمل؟».

- «نعم، إنهم مثل نمل يغادر جحره. انظر».

أخذ سبتيموس التليسكوب، وعلى الفور رأى ما قصده نكو. كان تيار أسود من الجن المحاربين يتدفق على جانب السيريس. شاهدهم وهم ينزلون، وكانت حركاتهم متزامنة على نحو يثير الخوف - شمال، يمين، شمال، يمين - حتى وصلوا إلى سطح البحر واختفوا تحته دون أي فاصل في الخطوات. وحين كانت الأمواج تغطي الخوذة ذات الأجنحة لواحد من الجن، كان آخر يهبط السلم من عند القمة. أصدر سبتيموس صفيرًا مماثلًا على نحو غريب لصفير نكو. أما بيتل، الذي كان غير قادر على احتواء عدم صبره أكثر من ذلك، فقد نزع منه التليسكوب.

قال: «اللعنة، ماذا يفعلون؟».

قال سبتيموس: «حسنًا، أنا لا أظن أنهم ذاهبون في نزهة».

قال نكو: «إنهم سيكونون كافين لإفساد نزهة أي أحد، تخيل أن تجدهم يزحفون على شطائركم».

قال سبتيموس: «الأمر ليس مزاحًا يا نِك، هذا يعطي شعورًا حقيقيًا بالسوء».

كان التليسكوب قد مرر على المجموعة وكانت جينا آخر من حصل عليه. نظرت بسرعة نحو الجن - الذي سبب لها الذعر - ثم أدارته بعيدًا عن السفينة ومسحت الشاطئ - ذلك الشاطئ الذي حتى هذه اللحظة كانت تعتبره شاطئهم. غير أن ما رأته جعلها تدرك أنه لم يعد يخصهم بعد الآن.

ففي عدسة التليسكوب رأت تيرتيوس فيوم يقف عند حافة المياه، وقد امتلأ وجهه بالحماس. وفي البحر، تحت سطح الماء مباشرة، رأت جينا شكلا داكنا تعلوه لمعة فضية. وبينما هي تتابع، قطعت السطح خوذة جني محارب ذات جناحين فضيين، ومشى الجن المحارب خارجًا من البحر، وقد تساقطت المياه من الأربطة التي في درعه إلى الشاطئ، وقدم التحية لتيرتيوس فيوم.

رأى سبتيموس تغير ملامح جينا: «ما الأمر يا جينا؟».

ردت جينا، وأشارت إلى أسفل نحو الشاطئ: «تيرتيوس فيوم، انظر».

نهض ميلو على قدميه متجاهلًا الشهقات من حوله، وقال: «رائع! أنا سعيد لأنه أنفق جهدًا ليأتي ويحل هذا الأمر. أترون.. أنا لم أتعرض للخيانة بالمرة. هذا إعمال فائق للضمير من جانبه. يجب أن أقول ذلك». نفض ميلو الرمال عن ردائه، وابتسم في وجه المجموعة برقة: «علي أن أذهب وأطلب منه **تعويذة الإيقاظ**،

وبعدها يمكننا أن نلقي كل هذا وراء ظهورنا ونأخذ السيريس إلى الوطن بأمان بحمولتها».

هب سبتيموس من مكانه وهو يسأل بحق: «أمجنون أنت؟ هل رأيت حقًّا ما يفعله فيوم؟».

قال ميلو وهو يطل بقصر نظره نحو البعد: «نظارتي، لسوء الحظ، لا تزال على ظهر السفينة. نكو، ناولني التليسكوب من فضلك». تناول ميلو التليسكوب ورأى ما كان الجميع ينظرون إليه. وإذ نسى أنه لم يعد على ظهر سفينته؛ جز ميلو على أسنانه مهمهمًا: «إذن كان جراب على حق، لقد تعرضت لخداع جيد».

سأل سبتيموس: «هل لي أن ألقي نظرة أخرى؟» ناوله ميلو التليسكوب، فأداره سبتيموس إلى السيريس ثم عاد به إلى الشاطئ، حيث كان فيض من الجن يخرج من البحر. وحين وصل الجن إلى الشاطئ أخذ تيرتيوس فيوم ينظمهم بثقة، إذ كانت لديه لمسة خبيرة لم يملك سبتيموس إلا الإعجاب بها. في فترة من حياته، كان تيرتيوس فيوم جنديًّا، هذا ما يمكن أن يوحي به. مرر سبتيموس التليسكوب إلى الفتى الذئبي وواصل متابعة الخروج من السيريس. بدون التليسكوب بدا الجن مثل خط طويل من حبل أسود مشدود من أعلى جانب السفينة وإلى تحت الماء وحتى الشاطئ. لم يكن هناك مجال للشك، كانت الجزيرة تتعرض للغزو. لكن لماذا؟

قال سبتيموس فجأة: «سأذهب للاطمئنان على لافظ اللهب، قد نحتاج إلى نقله. يمكنني الاستعانة ببعض المساعدة».

قالت جينا: «سنأتي جميعًا، أليس كذلك؟».

قال نكو معتذرًا: «أنا وسنوري نحتاج لمتابعة السيريس يا سِب. إنها لا تزال في خطر من الصخور».

- «لا بأس يا نك، أراك لاحقًا».

نظر نكو نحو سبتيموس: «حسنا، لا تقترب كثيرًا من تلك الأشياء بالأسفل هناك، يا شقيقي الأصغر، حسنًا؟».

قال سبتيموس: «سأحاول ألا أفعل، هل ستبقى هنا يا ميلو؟». سأل وهو يتمنى أن يبقى ميلو.

قال ميلو بانفعال: «نعم، ويمكنك أن تعطيني التليسكوب؛ أريد أن أتابع جيشي. تعلم الآلهة أني دفعت ما يكفي من أجله».

جعل سبتيموس جيم ني يخلع قبعته الثمينة - والتي كانت مرتفعة مثل الشمندورة - وفي رتل واحد غادروا منطقة الصخور واتجهوا نحو الكثبان أعلى صخرة لافظ اللهب. كان ترتيب جيم ني قبل الأخير، فقد طوقه الفتى الذئبي بكفاءة، وقد اكتشف أن الجني يحمل احترامًا لطرف مخلب متحلل أكثر مما كان يحمل لسيده.

قال سبتيموس لبيتل: «هل تعتقد أنه بعد الحفظ طيلة هذه السنين داخل قنينة صغيرة في خزانة العمة زيلدا سيكون راغبًا في التحرك وإنجاز الأعمال؟».

قال بيتل: «ليس هناك جني متفهم يا سِب، إنهم لا يفعلون أبدًا ما تتوقعه منهم تمامًا».

وصلوا إلى لافظ اللهب دون أن يحدث شيء. كان التنين نائمًا في سلام، لكن عند وصول سبتيموس، فتح لافظ اللهب عينًا واحدة ورمقه بملامحه الساخرة المعتادة.

قال سبتيموس وهو يربت برقة على أنف التنين: «مرحبًا يا لافظ اللهب».

أصدر لافظ اللهب صهيلًا غاضبًا وأغلق عينيه.

سأل بيتل: «كيف حاله؟».

قال سبتيموس بابتسامة: «بخير».

أعطى سبتيموس شربة طويلة من قزم الماء للافظ اللهب وفحص ذيل التنين. كان يتعافى جيدًا. كان الوميض **السحري** قد اختفى تمامًا، وبدا أن رقية سايارا قد كان لها مفعول جيد. كان مشهد سايارا وهي تضع رقيتها العلاجية **السحرية** على لافظ اللهب حيًّا بشدة حتى أنه، حين تحدثت معه سايارا بالفعل، ظن سبتيموس أنها كانت لا تزال جزءًا من خواطره.

بدت لاهثة: «سبتيموس! ياه، كنت آمل أن أجدك مع لافظ اللهب».

لم يكن إلا حين سمع بيتل يقول في اندهاش: «سايارا؟» أن أدرك سبتيموس أن سايارا كانت هناك بالفعل.. حقيقةً.

نظر إلى أعلى ورأى سايارا وهي تقف مرتبكة، يحيط بها لوسي والفتى الذئبي وجينا وبيتل. سألت: «من ... من كل هؤلاء الناس؟ من أين هم؟» وفجأة لاحظت سايارا وجود جينا، ومن تحت حروق الشمس، امتقع لون وجهها، وشهقت: «الأميرة إزميرالدا! لماذا أتيت إلى هنا؟! يجب أن تغادري هذا المكان. إنه ملعون».
بدت جينا مصدومة، بدأت تتكلم: «لكني لست...».

قال سبتيموس وهو يجري إلى جوار سايارا: «لا بأس يا جين، سأشرح فيما بعد». أمسك بيدها وقادها برقة بعيدًا عن المجموعة، سأل: «سايارا، هل أنت بخير؟».

كانت سايارا أشد قلقًا من أن تجيب سؤاله: «سبتيموس، أرجوك، يجب أن تبقي الأميرة سالمة. ربما يكون من الجيد أن تبتعد عن القلعة». أشارت عبر الكثبان نحو الجن المحاربين: «ليس لدي وقت طويل. أرسلتني الحورية لأقدم التحية لتيرتيوس فيوم – العنزة العجوز الشرير، أنا لن أفعل ذلك – لكنها قد تستدعيني في أي وقت. سبتيموس الأمر يحدث. في الليلة السابقة أبحرت السفينة بالجيش الذي على متنها مارة بمنارة صخرة القط المظلمة كما خططوا. ودخلت في نطاق الحورية واستدعتها».

– «لماذا... على وجه الدقة؟».

– «لأنهم أتوا لغزو القلعة».

ردد الجميع «ماذا؟» ما عدا سبتيموس، الذي بدا له كل شيء بالغ المنطق على نحو مخيف.

«وكان هذا سبب رغبتي في ختم النفق الجليدي. لأوقفهم».

- «نعم، أعرف ذلك الآن».

قال الفتى الذئبي: «ولكني لا أفهم. ما الذي يفعلونه هنا إذا كانوا يريدون أن يغزوا **القلعة**؟ لِمَ لم يبقوا في السفينة ويبحروا بها إلى هناك؟».

قالت سايارا: «سيسير فيوم بالجن المحاربين عبر **النفق الجليدي**، مباشرة إلى داخل وسط القلعة، سيكونون هناك قبل أن يعرف أحد بما يجري» شهقت سايارا فجأة: «آه، لقد تم **استدعائي**. سبيتموس، أرجوك. أوقفهم». ثم ذهبت وهي تنسحب على الرمال مثل دمية يسحبها طفل طائش، فقد جرت بسرعة غير محتملة، دون أن تعير انتباهًا للعشب الحاد الذي يضرب ساقيها أو للأحجار التي تقطع قدميها. كان عنف الهروب المفاجئ لسايارا قد صدم الجميع وألزمهم الصمت.

همست جينا: «هل هم ذاهبون إلى القلعة بالفعل؟».

قال سبتيموس: «نعم، أعتقد أنهم ذاهبون بالفعل».

++ 46 ++

الثعبان الفضي

جلسوا وسط الصخور فوق لافظ اللهب مباشرة يتابعون محاربًا تلو الآخر وهم يخوضون خارجين من البحر. نظر بيتل في حاسبة الوقت.

قال: «إنهم يخرجون بمعدل اثني عشر كل دقيقة، إنه المعدل نفسه الذي خرجوا به من العنبر. وهكذا، إذا كان هناك بالفعل أربعة آلاف جني هناك، مثلما قال جراب، فسيستغرقون... إمممم... أكثر من خمس ساعات ونصف الساعة بالتمام».

قالت جينا مازحة: «بيتل، أنت تشبه جيلي دجين بالضبط».

احتج بيتل: «لا، أنا لست كذلك. كانت لتحسبها في عُشر ثانية».

«أراهن أنك أنت أيضًا تستطيع أن تفعل ذلك».

نهض سبتيموس واقفًا، وقال: «حسنًا، هذا على الأقل يعطيني وقتًا كافيًا لختم النفق الجليدي، وهذه المرة سأفعل ذلك بشكل صحيح».

قال بيتل: «سِب، لا تعد إلى هناك، أرسل جيم ني ليقوم بذلك».

«جيم ني؟».

«إنه الجني الخاص بك، هذا عمله: أن يقوم بالأشياء الخطرة نيابة عنك».

نظر سبتيموس لجيم ني. كان الجني الطويل الهزيل ممددًا في الرمال ممسكًا بقبعته الثمينة فوق صدره مثل دمية دب مشبعة بالمياه. كان مستغرقًا في النوم.

هز سبتيموس رأسه: «بيتل، إنه ميئوس منه. ربما سقط نائمًا في الطريق. أو ربما انتظر حتى يصيروا جميعهم داخل النفق ثم يختمه. لا يمكن أن نخاطر بحدوث أي خطأ. يجب أن أقوم أنا بذلك».

قالت جينا: «إذن، سنذهب جميعًا معك» ثم نظرت للآخرين وهتفت: «تمام؟».

قال بيتل والفتى الذئبي: «أجل».

قالت لوسي: «آسفة، أنا لا أستطيع المجيء. لقد قطعت وعدًا بأن أفعل شيئًا آخر، وكذلك فعل الفتى الذئبي».

بدا الجميع مرتبكين بما في ذلك الفتى الذئبي.

قالت جينا متشككة: «مثل ماذا؟ الذهاب إلى حفل أو شيء من هذا القبيل؟».

حدجت لوسي الفتى الذئبي بنظرة ذات مغزى: «مرحة جدًّا. لا. أنا والفتى الذئبي قطعنا وعدا بمساعدة السيد مِيار في إعادة الضوء الخاص به إلى المنارة. فهذان الأخوان كرو المروعان القابعان هناك...» ولوحت بذراعها نحو السيريس: «..حاولا قتله من قبل، وإذا رأياه عند قمة تلك الصخرة ملتصقًا بالضوء، فسيفعلان ذلك مرة أخرى».

قالت جينا وهي تظلل عينيها وتنظر نحو صخرة القمة: «أتعنين أن هناك أحدًا هناك بالأعلى مع ذلك الضوء الغريب؟».

قالت لوسي وكأن الأمر واضح: «بالطبع هناك أحد، السيد ميار هو حارس المنارة. وقد وعدناه أن نعيده هو والضوء إلى المنارة .. ألم نفعل؟». قالتها وهي تنظر إلى الفتى الذئبي.

اعترف: «بلى، فعلنا».

«يجب أن نفعل ذلك الآن، قبل أن تسوء الأمور». حملقت لوسي في الجميع وهي تستحثهم لمعارضتها. لكن أحدًا لم يفعل.

سأل الفتى الذئبي: «لكن كيف؟».

قال لوسي: «الأمر سهل. سنستعير جيم ني، فسبتيموس لا يريده. بمقدوره أن يصبح سلحفاة مرة أخرى».

كان الأمر جيدًا بالنسبة لسبتيموس. لكنه لم يكن جيدًا لجيم ني، ومع ذلك، سواء أكان جيدًا أم لا، ففي ظرف دقائق، كانت هناك سلحفاة ضخمة في الماء تنتظر تعليمات لوسي».

شاهد جينا وسبتيموس وبيتل السلحفاة تسبح مبتعدة في اتجاه جزيرة النجمة، متخذة منحنى واسعًا حول السيريس. سبحت السلحفاة بثبات على نحو يثير الدهشة، وقد جلست لوسي والفتى الذئبي فوق الماء.

قال بيتل معجبًا: «لا يمكنك أن تعبث مع لوسي جرينج، حتى لو كنت جنيًّا».

وعلى الشاطئ، كان عدد المحاربين يتنامى. كان تيرتيوس فيوم ينظم الجن الخارجين في صف طويل ينطوي عائدًا على نفسه من الخلف. كان يُذكِّر سبتيموس بحبل المرساة الذي جعله نكو يومًا يقوم بمده على السطح حين ركبا قاربًا إلى الميناء. كان الحبل يتلوى صعودًا وهبوطًا على السطح مثل الثعبان، حتى إذا صارت

المرساة جاهزة للنزول في النهاية سقطت في المياه بدون عقد أو إعاقة. وأطلق نكو على ذلك: «تهيئة المرساة». إن اهتمام نكو المفرط بالحبال قد أزعج سبتيموس في ذلك الوقت، لكن حين اضطرا لإلقاء المرساة عن السطح في عجالة، علم سبب أهميتها البالغة. والآن أدرك أن هذا ما كان يفعله تيرتيوس فيوم. كان يعد الجن للتحرك بسرعة وسهولة دون ارتباك، والاحتفاظ في الوقت نفسه بعدد كبير منهم في مساحة صغيرة. وأدرك سبتيموس فجأة، لن يكون الشبح مضطرًّا للانتظار حتى يهبطوا جميعًا من السيريس.

قال: «يجب أن أذهب الآن».

قالت جينا: «تقصد، يجب أن نذهب».

«لا يا جين».

«بل نعم يا سِب».

«لا ياجين، هذا أمر خطير، لو ... لو حدث أي خطأ، أريدك أن تخبري مارشا بما حدث. لا أظن أن نِك يفهم الأمر جيدًا، لكنك تفهمين، ومارشا ستستمع لك».

«إذن... هل سيذهب بيتل معك؟».

نظر سبتيموس إلى بيتل، وسأله: «بيتل؟».

قال: «أجل، أنا آتٍ».

سكتت جينا للحظة، ثم قالت: «إنه بسبب أني فتاة، أليس كذلك؟».

«ماذا؟».

«أنت لا تريد أن تأخذني معك لأني فتاة. إن ما تفعله أمر غبي من أمور جيش الشباب. كل الصبية معًا».

«ليس الأمر كذلك يا جين».

«وما هو الأمر إذن».

«إنه... حسنًا، لأنك الأميرة، لأنك ستصبحين الملكة. أنت مهمة ياجين. بمقدور مارشا أن تحصل على متدربٍ جديدٍ، لكن القلعة لا يمكنها أن تحصل على ملكة أخرى».

قالت جينا: «أواه يا سِب».

«أريدك حقًّا أن تعودي لميلو ونِك، ستكونين آمنة أكثر هناك».

«أعود لميلو؟».

«ونِك».

قالت جينا: «حسنًا يا سِب. لن أجادل». نهضت واقفة وعانقت سبتيموس بقوة: «كن حذرًا، سأراك في القريب العاجل، تمام؟».

«تمام يا جين».

«مع السلامة يا بيتل».

وفجأة أراد بيتل أن يعطي جينا شيئًا.. شيئًا لتتذكره به، في حالة حدوث شيء. خلع سترة الأدميرال الثمينة وأعطاها لها: «هذه لك».

«بيتل، لا أستطيع. أنت تحب هذه السترة».

«أرجوكِ».

«أواه يا بيتل، سأعتني بها إلى حين عودتك».

«نعم».

عانقت جينا بيتل أيضًا - مما أدهشه كثيرًا - ثم ارتدت السترة، وتسلقت على الصخور وانطلقت نحو الطرف الصخري عند نهاية الجزيرة. لم تنظر للخلف. وتابعها بيتل وهي تذهب.

قال سبتيموس قاطعًا عليه أفكاره: «بيتل».

«هاه، نعم».

«هل تتذكر وضعية **غير المرئي** الخاصة بك؟».

بدا بيتل غير متأكد: «أظن ذلك».

«رائع، سأقوم بالوضعية نفسها، وهكذا يكون بمقدورنا أن يرى كلانا الآخر، سنبدأها الآن، حسنا؟ واحد... اثنان... ثلاثة».

وفي وقت واحد همس سبتيموس وبيتل - بقليل من التلقين - بسحر **غير المرئي**، وبعد بضع بدايات خاطئة، بدأ مؤشر علامات الضبابية في الظهور حول بيتل وقد اختفى ببطء.. ببطء شديد. انطلقا فوق الأرض المنبسطة، فوق الكثبان الرملية متجهين نحو

التل الذي سيأخذهما بدوره صعودًا إلى المرصد. وبينما هما يتقافزان سمعا تيرتيوس فيوم يعوي: «تقدموا!».

ومن داخل وضعيتي غير المرئي، نظر سبتيموس وبيتل كل منهما للآخر.

قال سبتيموس: «سيكون علينا أن نتحرك بسرعة».

«أجل».

جريا قافزين فوق الأرض الصخرية. وفجأة، وعلى بعد لا يزيد على مائة قدم إلى الأمام منهما، خرج تيرتيوس فيوم بخطى واسعة من أحد الممرات العديدة الصاعدة من جهة البحر. وقف سبتيموس وبيتل متجمدين. وخلف الشبح أتى أول جني مقاتل، بجناحين فضيين ينعكس وميضهما على خوذته السوداء. بدا المدرع العتيق داكنًا أمام العشب الأخضر، وكان سيف قصير حاد قد حل محل يده اليمنى ودرع محل اليد اليسرى، وهو ما بعث قشعريرة في أوصال سبتيموس. وخلف المحارب جاء آخر، فآخر. اثنا عشر رجل سيف تبعهم اثنا عشر رجل بلطة، تبعهم اثنا عشر رجل قوس، وجميعهم يمشون في انضباط ميكانيكي بالتزامن مع تيرتيوس فيوم تابعين الشبح وهو يتقدم على العشب بالحركة الغريبة التي يتسم بها الأشباح، إذ كانت قدماه لا تلمسان الأرض.

ولتجنب الجن، قرر سبتيموس أن يتجه إلى جانب التل بجوار البحر، على الجانب البعيد للجزيرة. كان طريقًا صعبًا، مُرتَفَعًا شديد الانحدار ذا صخور طفلية رخوة وبلا ممر. تسلقا بسرعة وصارا بعيدين عن تيرتيوس فيوم والجن، الذين كانوا يعرجون صاعدين ممر سايارا الملتوي. وعند قمة التل، عند حافة الأشجار، توقف سبتيموس وبيتل ليلتقطا أنفاسهما.

قال بيتل ـ الذي أصابه ألم في جنبه ـ وهو يلهث: «آخ، يجدر بنا ألا نتوقف... علينا الوصول إلى هناك... قبل أن يصلوا هم».

هز سبتيموس رأسه وناول بيتل قارورة المياه، وقال: «أأمن لنا أن ندخل... معهم».

أعاد له بيتل القارورة: «معهم؟».

تناول سبتيموس جرعة كبيرة من الماء: «بهذه الطريقة قد لا تلحظ الحورية وجودنا».

رفع بيتل حاجبيه. كان يأمل أن يكون سبتيموس يعرف ما يفعل: «انظر إليهم يا سِب، يا له من مشهد».

أخذ الجن يتدفقون من جانب السيريس ويختفون تحت المياه الخضراء المتألقة. وفي نهر من الموجات الصغيرة المتلألئة راحوا يخرجون من البحر وينضمون للصف، ويتحركون خلال الكثبان الرملية، وعبر الطرف الصخري، ثم يصعدون التل مثل ثعبان فضي.

قال سبتيموس: «نعم، إنهم قد يكونون شيئًا يستحق أن تضمه إلى جانبك».

قال بيتل: «إنهم يتسلقون رغم أنهم على هيئة بلا أيادٍ».

وعلى صوت اصطدام أول جني بفروع الشجر، انطلق سبتيموس وبيتل. طافا حول حافة الأيكة، التي كانت أضيق على هذا الجانب من التل، وحين وصلا إلى قمة الجرف المفتوح، رأيا تيرتيوس فيوم والمحاربين الأوائل يخرجون من الأشجار ويتجهون نحو المرصد، وبعثت خطواتهم العسكرية ذبذبات في الأرض الغائرة.

قال سبتيموس: «أسرع، يجب أن نصل إلى المدخل».

أسرعا فوق العشب، وأخذ سبتيموس يدعو، إذا كانت الحورية تنظر من المرصد، أن تكون مشغولة جدًّا بمشاهدة الجن القادمين عن ملاحظة التشويش الذي سيسببه اثنان غير مرئيين، وواحد منهما لا يعد غير مرئي كما ينبغي. لم يستشعر سبتيموس عظم ما يجب عليهما فعله إلا حين اقتربا من الجن المحاربين. كانوا ضخامًا وآليين على نحو يثير الخوف. وكانت نظرتهم الخالية من التعبير غير بشرية، وأذرعهم - وهي خليط من السيوف والرماح والصولجانات والخناجر والأقواس - قاتلة. إن فكرة أن تصبح القلعة ممتلئة بهم قد أصابت سبتيموس برجفة.

خطف نظرة إلى عيني بيتل ورأى صدى أفكاره على قسماته. ومع علامة إبهام مرفوع مزدوجة، اندسا إلى داخل المرصد أمام تيرتيوس فيوم مباشرةً.

كانت سايارا في الانتظار. راحت عيناها البيضاوان الشاحبتان تتابعان سبتيموس إلى أن قامت سايارا – وبشيء من القوة – بلي رأسها والتحرك للأمام لتحية تيرتيوس فيوم.

أمسك سبتيموس بيتل بقوة وجريا معًا إلى الفجوة المتلألئة في وسط الأرضية.. وقفزا.

هبطا فوق الريش، وخاضا عبر القنطرة، وسحبا نفسيهما خارجها بقوة. وبينما كانا يسرعان عبر الممر الأبيض أمام نقطة المراقبة، سمعا الضربات الإيقاعية للأحذية على الصخر قادمة من السلالم الموجودة على مسافة عميقة داخل الجرف.

كان الجن المحاربون في الطريق.

47

ألي القلعة؟

وكأنه فعل ذلك مائة مرة من قبل، فتح سبتيموس باب الغرفة المتحركة ولمس السهم البرتقالي. وحين بدأت الغرفة في التحرك، ابتسم سبتيموس في وجه بيتل الذي ارتسم على وجهه الذهول. لم يقل أي منهما أي كلمة، إذ كان بيتل عاجزًا عن الكلام، وكان سبتيموس يحسب إذا كان سيتوفر لديهما وقت للعودة إلى الغرفة قبل أن يخرج تيرتيوس فيوم والجن من السلالم؛ وهو سرعان ما سيحدث. وبعصبية تفقد سبتيموس مفتاح الكيميائي الذي كان قد وضعه في حالة تأهب.

زحف السهم للأسفل، وتكلم سبتيموس: «بيتل، هل أنت متأكد أنك تريد مواصلة باقي الطريق؟ لأنك إذا لم تكن تريد ... حسنًا، أنت تعرف أنا لا أمانع، حقًّا لا أمانع. يمكنك الانتظار هنا. أستطيع أن أريك كيف تعود بهذه للأعلى، على سبيل الاحتياط فحسب».

«لا تكن سخيفًا يا سِب».

تباطأت الغرفة المتحركة فجأة، وقرقر بطن بيتل.

قال: «إيه ياسِب.. أين ذهبت؟».

صارت الغرفة في حالة توقف.

سأله سبتيموس، في قلق، ويداه تبحثان عن لوحة الباب: «ألا تستطيع أن تراني؟».

«لا، لقد اختفيت».

«إن وضعية غير المرئي الخاصة بك هي التي اختفت».

قال بيتل: «هه، اللعنة، أنا آسف حقًّا، لا أعرف ما الذي حدث».

تخلى سبتيموس عن وضعية غير المرئي.

«آه، ها أنت ذا يا سِب، هذا أفضل».

قال سبتيموس: «سنحاول إعادتها مرة أخرى.. معًا، تمام؟ واحد، اثنان، ثلاثة...».

قال بيتل: «لقد اختفيت مرة أخرى».

عاود سبتيموس الظهور: «مرة أخرى.. حسنا».

«نعم، هيا بنا».

«عد أنت هذه المرة يابيتل، افعل ذلك حين تكون جاهزًا. فإن ذلك يساعد أحيانًا».

قال بيتل وقد بدا أكثر ثقة مما يشعر: «حسنًا أيها الطبيب».

ولم يفلح الأمر.

كان سبتيموس واعيًا بأن الوقت يمر. فمع كل ثانية كان الجن المحاربون يقتربون أكثر، وكل ثانية تمر تعني ثانية أقل في الوقت المتاح لعودتهم إلى الغرفة المتحركة. فاتخذ قرارًا: «سنفعلها بدون ذلك، فمن ذا يحتاج إلى وضعية **غير المرئي** على أية حال؟». ضرب الباب لينفتح، وتبعه بيتل إلى داخل الممر الحجري العريض ذي المصابيح التي تئز. أسرعا خلال الهواء البارد، وانزلقا على السلالم الهابطة حتى توقفا أمام الجدار الأسود اللامع المسدود. أجرى سبتيموس يده على البقعة المتآكلة على الجدار، فانزلق الباب مفتوحًا. دخلا الغرفة الجليدية، وبحفيف وضربة خافتين انغلق الباب وظهر الضوء الأزرق. وبعينين مفتوحتين عن آخرهما، حملق بيتل في المدخل الهائل للنفق الجليدي الذي يسبح مع المياه، ويلمع بالذهب العتيق.

شهق بيتل: «يا له من مدخل».

جثم سبتيموس على ركبتيه بحثًا عن **لوحة الختم**.

قال بيتل، ناسيًا من فرط تأثره أمر الجن القادمين: «ياه، انظر إلى كل النقوش التي على الذهب، إن هذا المدخل مغرق في القدم. يومًا ما سيكون علينا العودة، يمكنني إحضار بعض الترجمات معي. فكر فقط، لو استطعنا أن نقرأ ما تقوله...».

وضع سبتيموس **المفتاح** على **لوحة الإغلاق**.

وفجأة جاء صوت الخطوات العسكرية على الحجر عبر جدران الغرفة، كان الجن قد وصلوا إلى الدهليز. عاد بيتل إلى الواقع. نظر كل من سبتيموس وبيتل إلى الآخر، وقد شحب وجهاهما على نحو بالغ، كما لو كانا غارقين في الضوء الأزرق الرقيق.

همس بيتل: «أظننا حُبِسنا».

قال سبتيموس وهو يحاول أن يجعل صوته هادئًا، مركزًا على الاحتفاظ بالمفتاح ثابتًا: «نعم». بدأت قشرة رقيقة من الجليد تزحف خارجة من المفتاح وتحيط بالمدخل الذي على شكل المعين: «لكن على الأقل لن يستطيعوا الوصول إلى القلعة الآن».

قال بيتل: «القلعة... آه، يا إلهي، لماذا لم أفكر بها قبل ذلك؟ سِب، هل لديك صفارتك الخاصة بزلاجة برج السحرة؟».

«نعم.. لماذا؟» كان سبتيموس يتابع التقدم البطيء للثلج، والرغبة تحدوه في أن يتحرك بشكل أسرع.

«رائع! سِب أوقف هذا. **افتحه**!».

«بيتل، أمجنون أنت؟».

«لا. سندخل النفق ونغلقه من الداخل. ثم تصفر لزلاجة برج السحرة ونعود للوطن.. ببساطة!».

سمع سبتيموس الخطوات العسكرية تقترب أكثر.. وفجأة لاحظ شيئًا. إذا لم يتخذ وضعية غير المرئي، فإن تيرتيوس فيوم ببساطة سيجعل الجن ينزعون المفتاح منه ويفتحون المدخل.

وبيتل كما هو واضح لا يستطيع اتخاذ وضعية غير المرئي مرة أخرى، لذا إن فعلها سبتيموس فسيقع بيتل في يد الجن.. وحده. كانت فكرة مروعة.

«موافق!» عكس سبتيموس وضعية **المفتاح** على **لوح الغلق** فذابت طبقة الجليد الرقيقة. فتح بيتل المدخل الجليدي، وأسفله كان أوسع وأعمق - وبالتأكيد أشد - الأنفاق التي رآها ظلمةً. استقبلته عاصفة من الهواء الثلجي.

رن صوت وقع الأقدام على السلالم بالخارج.

«قف!» جاءت صيحة تيرتيوس فيوم عبر الباب: «افتح الباب» جاء صوت قرع معدني. لم يحدث شيء. ابتسم سبتيموس.. إن أحد عيوب أن تملك أسلحة بدلا من الأيدي أنه يصبح أصعب كثيرًا أن تفتح الأبواب التي تفتح براحة اليد. تأرجح بيتل فوق حافة المدخل المفتوح وألقى بنفسه داخل الظلام، وقدماه تبحثان عن عتبة للقدم.

ابتسم وقال: «درجات» ثم اختفى. تبعه سبتيموس بسرعة. وجد الدرجات وسحب باب المدخل مغلقًا إياه. ببطء، ببطء شديد.. شديد، تحرك باب المدخل حتى موضع **إغلاقه**. انفتح باب غرفة الجليد محدثًا حفيفًا، وخطف سبتيموس نظرة سريعة نحو عباءة تيرتيوس فيوم الزرقاء الشبحية، وقدميه ذواتا الصندل كثير العقد قبل أن يتجه المدخل إلى وضع **الإغلاق**.

أما داخل النفق فتحول كل شيء إلى اللون الأسود. وللحظة لم يكنِ سبتيموس قادرًا على رؤية شيء.. فأين لوح الختم؟ وعلى الجانب الآخر من المدخل، وبينما كان تيرتيوس فيوم يجأر في أول جنيين ليرفعا المدخل، بدأ خاتم سبتيموس التنيني في التوهج، وانعكس ضوءه الأصفر على لوح الختم الذهبي.

صفق سبتيموس المفتاح على اللوح، وفي غرفة الجليد، حملق تيرتيوس فيوم في ذهول حين أحاطت حلقة من جليد الختم على هيئة معين بالمدخل. اخترقت صيحته الهادرة الغاضبة المدخل.

قال سبتيموس: «أنا سعيد لأننا هنا بالأسفل».

قال بيتل: «نعم».

كانت يداه قد تجمدتا بالفعل، أخرج سبتيموس صفارة فضية صغيرة ونفخ بقوة. وكالعادة، لم يخرج صوت منها.

قال: «هل تظن أنها صفرت؟».

قال بيتل: «أجل، بالطبع».

كان بيتل على حق. فعلى مسافة بعيدة، وفي نفق جليدي وحيد تحت كوخ بيتل القديم في الساحة الخلفية لدار المخطوطات، استيقظت زلاجة برج السحرة على الصوت المبهج لصفارتها السحرية. لفت حبلها الأرجواني الملقى بإهمال في لفة أنيقة، وفي ثوانٍ كان لوحاها ينهبان بخفة أرض الغابة، منطلقة إلى أراض مجهولة وجليد لم يُطأ من قبل. أحصى سبتيموس وبيتل ما

حولهما. لم يستطيعا رؤية الكثير على ضوء خاتم التنين، لكن ما استطاعا رؤيته كان كافيًا ليخبرهما أن هذا ليس نفقًا جليديًّا عاديًّا. كان، حسبما أطلق عيه بيتل، جَدَّة كل الأنفاق الجليدية. كان كذلك، كما ألمح، متسعًا بما يكفي لسباق بين عشر زلاجات، ومرتفعًا كارتفاع أعلى رف كتب في دار المخطوطات. وكان باردًا. ارتجف بيتل؛ إذ بدا البرد في النفق الجليدي أسوأ كثيرًا مما يتذكر.

من مكان بعيد فوقهما جاء صياح تيرتيوس فيوم الغاضب، خافتًا، لكن واضحًا بما يكفي: «رجال الفئوس، حطموا المدخل».

صدرت جلبة هائلة وأمطرا بوابل من الجليد. قفز بيتل متنحيًا عن الطريق.

قال سبتيموس وهو ينظر لأعلى بتوتر: «لا يمكنهم أن يكسروه، أيمكنهم ذلك؟».

قال بيتل بقلق: «حسنًا... لا أعرف، أظن أنهم إذا استمروا طويلًا فربما يفعلون».

قال سبتيموس: «لكني كنت أعتقد أن المداخل الجليدية غير قابلة للتحطيم».

قال بيتل وقد بدأت أسنانه تصطك من البرد: «لا أظن أنها اختبرت ضد جن محاربين. على الأقل، لم يذكر هذا في الكتيبات الرسمية. ذكرت الفيلة البرية، نعم. إنهم اسـ. استعاروا بعضها من

أحد المعارض الجوالة، على ما يبدو. كباش نطاحة، نعم.. لكن أحدًا لم يجرب أربعة آ...آلاف جني محارب. رب.. ربما لم يستطيعوا الإمساك بأي منهم».

انهالت على المدخل سلسلة من الانفجارات، تبعتها زخات أكثر من الجليد. صدرت عن تيرتيوس صيحة حماس: «رجال الصولجانات إلى الأمام، حطموا ذلك المدخل! حطموه! أريد أن أرى ملامح مارشا أوفرستراند غدا حين تستيقظ لترى برج السحرة محاصرًا!». تبع ذلك سلسلة من الضربات الساحقة على المدخل. هبطت أمامهما كتلة كبيرة من الجليد، وتحطمت إلى ملايين من القطع الكريستالية الصغيرة.

قال سبتيموس: «فلنذهب من هنا، يمكننا التحرك ومقابلة الزلاجة».

قال بيتل: «لـ.. لا يا سِب، القاعدة رقم واحد.. بمجرد أن تـ.. تستدعي الز.. زلاجة ابق حيث أنت. فكيف يمكنها أن تـ.. تجدك بغير ذلك؟».

«يمكنني أن أستدعيها مرة ثانية».

«ستذهب إلى حيث استدعيتها في المرة الأولى. وعندئذ ستكون فقط قد أضعت المزيد من الو.. وقت».

«حسنًا، سأوقفها وهي في طريقها. سنراها وهي قادمة».

«لا يمكنك أن تشير إليها مثل عربة يجرها حـ.. حمار».

هزت المدخل سلسلة أخرى من الضربات، وحركت كتلًا صغيرة من الجليد.

قال سبتيموس: «لا أظن أن الزلاجة ستصل في الوقت المناسب يا بيتل. لا بد أن القلعة تقع على بعد أميال».

«نعم».

صوت تحطيم.

قال سبتيموس: «لكن علينا أن نحذر مارشا، يجب ذلك. أواه يا بيتل... بيتل، هل أنت بخير».

أومأ بيتل، لكنه كان يرتجف بشدة.

جاء من أعلى صوت تحطيم آخر، وهوت كتلة ضخمة من الجليد متهشمةً. سحب سبتيموس بيتل بعيدًا عن الطريق، واكتشف أن أصابعه لم تكن تتحرك على النحو الملائم. انتظر، وقد ضم بيتل إليه، صوت فتح المدخل الجليدي، والذي من المؤكد سيأتي في القريب العاجل. بلل رذاذ من الجليد وجهه؛ فأغلق سبتيموس عينيه. شيء ما دفعه. كانت زلاجة برج السحرة.

****

كان تحطيم مدخل النفق الجليدي قد أرسل دويًّا مرتفعًا عبر النفق، تبعه اصطدام هائل إذ ضرب الباب الجليد بالأسفل.

حث سبتيموس. زلاجة برج السحرة التي كانت تحدث حفيفًا خلال النفق: «أسرعي، أسرعي» وكان لوحاها الفضيان الضيقان ينزلقان خلال الصقيع الأبيض فوق الجليد. كان أكثر تزلج مارسه سبتيموس إثارة للرعب، وباعتباره يركب مع بيتل، فقد انطوى الأمر على صعوبة. لم تكن المسألة مسألة السرعة وحسب، بل إنهما كانا يتحركان وسط ظلام دامس. كان سبتيموس قد أمر الزلاجة بإطفاء أنوارها.

راح رذاذ جليدي لطيف يطير في الهواء وهما يتحركان، وكان سبتيموس، الذي أمسك بخصر بيتل واعيًا بأن بيتل يزداد برودة على نحو خطر، أدرك أنه كان يجب أن يُجلس بيتل خلفه ليحميه من الرياح الثلجية وهما يتحركان، ولكنه لم يجرؤ على التوقف الآن. قال لنفسه إنه بمجرد وصولهما لأقرب مدخل في **القلعة** فسيضع بيتل فوق الأرض وفي دفء الشمس. عندئذ **سينقل نفسه إلى مارشا** – إذ صار الآن متمكنًا جدًّا من **الانتقالات** داخل **القلعة**– ومعًا سيتمكنان من إغلاق كل الأنفاق داخل القلعة. ستصبح مسارات مسدودة. واكتشف أنه يحتاج لأن يكون سابقًا للجن المحاربين بساعتين على الأقل. ولكن وسط السرعة الرهيبة التي تسير بها الزلاجة، رأى سبتيموس أنه سيتمكن من ذلك بسهولة.

وبينما كانت الزلاجة تسرع عبر النفق الطويل المستقيم، خاطر سبتيموس بنظرة للخلف. رأى مشهدًا غريبًا.. كان صف من

بقع الضوء الصغيرة يتحرك نازلًا من المدخل: كانت أجنحة الجن المحاربين الفضية تلمع في الظلام. ارتجف سبتيموس من فكرة تدفق الجن إلى داخل النفق، دون أن يكون بينهم وبين القلعة الآن سوى مسار طويل متجمد. فذلك البرد لن يزعج الجن أو قائدهم الشبحي. بدأت فكرة الرحلة الطويلة التي أمامه خلال الجليد تقلق سبتيموس، فقرر أنه بمجرد أن يغيب الجن عن ناظره سيتوقف للحظة ويتبادل الموقع مع بيتل. وسيجرب تعويذة الحرارة لنفسه ويأمل أن تدفئ بيتل قليلًا.

قطعت صيحة تيرتيوس فيوم التي انتشر صداها عبر النفق خطط سبتيموس: «إلى القلعة!» وتبع هذا صوت سحق متزامن من الخطوات العسكرية فوق الجليد. كان الجن المحاربون في طريقهم.

ومما دعا سبتيموس للذعر أن زلاجة برج السحرة اختارت هذه اللحظة تحديدًا لتبطئ من سرعتها. كانت الآن تزحف بوتيرة الحلزون حتى أن بيتل، لولا أنه كان يرتجف لا إراديًا، لكان تهكم منها.

حث سبتيموس الزلاجة: «أسْرعي! أسْرعي!» لم تستجب، لكنها ارتطمت ببطء بكتلة من الجليد الصلب من النوع الذي يوجد عادة أسفل أي مدخل جليدي.

نظر سبتيموس للخلف في انزعاج، ليرى كم السرعة التي يسير بها الجن المحاربون نحوهما. في البداية كان مطمئنًا، إذ بدا أنهم

لم يتحركوا مطلقًا؛ فقد رأى تدفقًا ثابتًا من الأضواء الفضية الصغيرة تتحرك هابطة من مدخل النفق الجليدي وعندئذ كان من الصعب معرفة ما يحدث. لم يبد أن الجن يقتربون أكثر، ومع ذلك كان صوت هدير خطواتهم العسكرية يحدث ذبذباته خلال النفق. حملق سبتيموس في الظلام بارتباك، وعندئذ لاحظ بدلا من ذلك شيئًا مهمًا.. كانت ثقوب الضوء تتراجع. كان الجن يسيرون في الاتجاه العكسي. لم يستطع سبتيموس أن يصدق ما حدث. لقد سلكت الزلاجة الطريق الخطأ.

توقفت زلاجة برج السحرة. في البداية ظن سبتيموس أنها توقفت لأنها أدركت خطأها؛ لكن عندئذ، وبطرف عينيه، رأى شكل مدخل جليدي فوقه وتذكر ما قاله للزلاجة: «أقرب مدخل. أسرعي قدر استطاعتك». كان سبتيموس يفترض أن أقرب مدخل سيكون في القلعة. فوسط قلقه على بيتل، لم يعر أي تفكير لأي مكان آخر قد يصل إليه النفق. وفي الحقيقة، كان قد افترض أنه لا يذهب إلى أي مكان آخر، وعلى أي حال، فإلى أين قد يذهب؟

إنه على وشك أن يكتشف. فقد كان بيتل يشعر بالبرد إلى حد الخطر، وكان عليه أن يخرجه من النفق بسرعة. تسلق سبتيموس الدرجات الجليدية الموجودة على جانب النفق، **وعالج ختم** المدخل وفتحه. وأمامه مباشرة كان اللمعان الأسود، الذي صار مألوفًا الآن، لغرفة متحركة.

قرر سبتيموس أن يترك الزلاجة حرة. دفع بيتل عاليًا إلى المدخل، وسحبه خلاله ثم أغلقه. بعد ذلك قاد بيتل إلى داخل الغرفة المتحركة. وضع يده على السهم البرتقالي وشعر بتحرك الغرفة.

وتساءل، تُرى إلى أين ستأخذهما؟

48

على الأذرع

على نقيض سبتيموس، كانت لوسي تمر بأوقات رائعة، وتحقق نجاحًا ليس بالقليل. فبينما هي توجه السلحفاة دائرة بها حول جزيرة النجمة، اكتشفت مكان المارودر، بكامل ما عليها من طاقم ميلو وجاكي فراي، مختبئة في المرفأ القديم. كانت لوسي تعرف الفرصة حين تلوح لها، وهو ما كان سبب وقوفها الآن عند بئر منارة **صخرة القط** توجه العمليات. كان طاقم ميلو يعيدون الضوء إلى مكانه، وعاد مِيار إلى حيث ينتمي، وحافظت لوسي جرينج على وعدها. وفجأة انفتح باب أسود ضيق تحت السلالم.

قالت لوسي: «أهلًا يا سبتيموس، رائع أن أراك هنا».
بعد نصف ساعة، وعلى الصخور أسفل صخرة القطة، كان هناك مؤتمر دائر.
كان سبتيموس يتحرك جيئةً وذهابًا: «سأعود إلى النفق الجليدي بالأسفل؛ لا أرى وسيلة أخرى، علينا أن نحاول ونوقفهم».
ارتجف بيتل. كان يشعر بالدفء الآن في الشمس، لكن مجرد كلمة «جليد» أصابت عظامه بقشعريرة.
قال الفتى الذئبي: «لا فرصة أمامك يا 412، أتذكر ما اعتادوا قوله في جيش الشباب: **عشرة ضد واحد تعني القضاء على الواحد!** حسنًا، هذه حقيقة. أما واحد ضد أربعة آلاف فهذا جنون».
«إذا تحركت على الفور فسيكون العدد أقل، ربما أربعمائة أو خمسمائة».
«أربعمائة أو أربعة آلاف، لا فرق. لا يزال العدد يفوقك بكثير.. **استخدم عقلك أو يكون مقتلك**».
«أواه، توقف يا 409، هذه الأشياء تثير الغضب. سأذهب الآن. فكل ثانية مهمة. وكلما توانيت سيزيد عدد الجن».
قال بيتل: «لا يا سِب، لا تفعل، أرجوك. سيحطمونك إلى قطع صغيرة».
«سأستخدم وضعية غير المرئي، لن يعرفوا أني هناك».
«وهل بإمكان الزلاجة أن تتخذ وضعية غير المرئي أيضًا؟».

لم يجب سبتيموس، قال: «أنا ذاهب، لا يمكنك إيقافي» أسرع مبتعدًا عن الصخور على حين غرة من الجميع.

قفزت لوسي والفتى الذئبي مسرعين في أعقابه.

قالت لوسي وهي تمسك به وتتشبث بذراعه: «أنا أوقفك، لن تقوم بهذا الفعل الغاية في الغباء. ماذا سيظن سايمون إذا تركت أخاه الأصغر يذهب ليلقى حتفه؟».

دفعها سبتيموس بعيدًا: «أعتقد أنه سيكون سعيدًا، كان آخر ما قاله لي...».

قاطعته لوسي: «آه، أنا واثقة أنه لم يقصد ذلك. انظر يا سبتيموس، أنت تملك المهارة. وحتى لو كنت أعرف ما يعنيه هذان الشريطان الأرجوانيانِ على كميك، إذن - وكما قال الفتى الذئبي - استخدم عقلك. فكِّر في شيء لا يؤدي بك إلى أن تقتل. ماذا عن سلحفاتك التي بالأسفل؟». وأشارت لوسي إلى المرفأ الصغير البعيد بالأسفل: «ألا يمكنه المساعدة؟».

نظر سبتيموس إلى المارودر التي لاحظ الآن أن أحدهم ربط بها سلحفاة ضخمة وغير سعيدة كليةً.

قالت لوسي بحماس: «إنه يتغير ويتخذ صورًا عدة، أليس كذلك؟ ألا يمكنه أن يتحول إلى طائر ويطير عائدًا إلى القلعة؟ يمكنه أن يحذرهم، وعندها سيكون بمقدورهم إغلاق الأنفاق وسيكون كل شيء على ما يرام».

نظر سبتيموس إلى لوسي بإعجاب متحفظ؛ فقد فاجأته بمهارتها في العيادة، وها هي تفاجئه مرة أخرى.

اعترف: «نعم يمكنه، ولكن المشكلة أني لا أثق به حين يكون وحده».

«إذن اجعله كبيرًا بما يكفي لأن يحملك، اجعله تنينًا». لمعت عينا لوسي بالإثارة.

هز سبتيموس رأسه وقال ببطء: «لا، لدي فكرة أفضل».

عودة إلى الصخور فوق المرفأ، وتحت العينين الصفراوين الصغيرتين لسلحفاة تحمل سخطًا هائلًا، شرح سبتيموس خطته. استمع بيتل ولوسي والفتى الذئبي في انبهار.

قال بيتل: «إذن دعني أقل ذلك بشكل واضح، قنينة جيم ني كانت من الذهب، صح؟».

أومأ سبتيموس.

«وأنابيب الجن التي في الصندوق مصنوعة من الرصاص؟».

«أجل».

«وهذا شيء مهم؟».

«أظن أنه شيء حاسم. أنتم تعرفون، في علم الطب والكيمياء، تعلمت الكثير عن الرصاص والذهب. فالرصاص يعد التكوين الأقل جودة من الذهب. ودائمًا، دائمًا يكون الأمر هكذا: الذهب ينسخ الرصاص. كل مرة».

سأل الفتى الذئبي: «إذن؟».

«إذن، في ترتيب الهرم القيادي فإن جيم ني في القمة. فهو من الذهب وهم من الرصاص. إنه يملك قوة أكبر كثيرًا من هؤلاء المحاربين».

قال بيتل متحمسًا: «أنت على صواب، أتذكر الآن. أحدهم أعطى جيلي دجين كتيبًا يسمى العادات والتسلسل الهرمي للجن على سبيل المزاح، والذي لم تفهمه بالطبع. قرأته في أحد الأيام الهادئة في المكتب، وهذا ما قاله بالضبط».

ابتسم سبتيموس: «لـذا يمكن لجيم ني أن **يجمد** الجن المحاربين. سيوقفهم في مساراتهم».

قال بيتل: «رائع، رائع حقًّا».

قالت لوسي: «إذن، أرأيت ما يمكن أن تفعل حين تحاول؟».

لم يكن الفتى الذئبي مطمئنًّا فقال: «إنهم لا يزالون أربعة آلاف مقابل واحد، وبمجرد أن **يجمد** واحدًا، سيتعقبه ثلاثة الآلاف والأربعمائة والتسعة والتسعون الآخرون».

قال بيتل: «لا أظن ذلك. أحسب أن هؤلاء الجن هم بالأساس بنية عضوية واحدة، انظر إلى الطريقة التي يتحركون جميعًا بها معًا. **جمد** واحدًا وبذلك **تجمد** المجموع كله».

قال سبتيموس: «هذا صحيح. لقد احتاجوا إلى **تعويذة إيقاظ** واحدة فقط، أليس كذلك؟ وبعد ذلك حافظوا على تقدمهم فحسب».

قال بيتل: «المشكلة يا سِب هي أن هناك طريقة واحدة فقط لاكتشاف الأمر على سبيل اليقين».

وافقه سبتيموس: «نعم، والآن أين تلك السلحفاة؟».

جلس جيم ني في حالة بلل على درجات المرفأ وهو يلقي ببصاق السلاحف ويحرك أصابعه على نحو منفرد، فقط لأنه استطاع ذلك.

قال سبتيموس: «جيم ني، أنا آمرك...».

قال جيم ني وهو يهز أطراف أصابعه مختبرًا إياها: «لست في حاجة لأن تأمر، أيها السيد القوي، فرغبتك أمر لي».

قال سبتيموس: «حسنًا، أريدك أن تجمد الجن المحاربين».

«كم منهم أيها السيد المبهم؟».

«كلهم».

ذعر جيم ني: «كلهم؟ كل واحد منهم؟».

قال سبتيموس: «نعم، كل واحد منهم، هذه رغبتي، ورغبتي ماذا؟».

ردد جيم ني بتجهم: «أمر لي».

«إذن، هيا. سنأخذك إليهم».

نظر جيم ني إلى سيده وقال: «يمكنني أن أفعل ذلك بعد قيلولة أولًا».

قال سبتيموس: «ياه، حقًّا؟».

قال الجني: «نعم، حقًّا».

لم يعرف جيم ني ما الذي ضربه. ففي دقيقة كان جالسًا وعيناه تنغلقان ببطء في دفء الشمس، وفي الدقيقة التالية كان مسحوبًا مجرجرًا على قدميه وقد سيق إلى قارب الصيد كريه الرائحة الذي يعرفه جيدًا.

كان الصبي ذو الشعر الداكن والقبضة التي تشبه الكماشة متحكمًا في زعنفته الأمامية اليسرى - لا في ذراعه - يقول: «لقد أمسكنا به يا سِب».

وقال الصبي الذي يضع عش فئران على رأسه، والذي كان يملك قبضة مؤذية مماثلة في يده اليمنى: «ولن نتركه».

قال سيده: «حسنًا، ضعاه في القارب».

مثل كل الجن، كان جيم ني لا يكاد يطيق لمس البشر. كان هناك خطب ما في اندفاع الدم تحت الجلد، في الحركة المحورية للعظام، في شدة الأوتار، في النقر المستمر لضربات القلب الذي جعله على حافة الانهيار، كانت كلها أشياء معقدة ومزعجة للغاية. وكان الإحساس بجلودهم تلمس جلده يثير فيه الاشمئزاز. كان في قبضة بشري واحد يمسك به من السوء بما يكفي، لكن اثنتين أمر لا يحتمل.

قال جيم ني متوسلًا: «مُرْهما أن يرفعا أيديهما عني، أيها السيد العظيم. أعدك أني سأفعل ما تريد».

سأل سبتيموس، الذي صار حذرًا من سلوك الجني: «متى ستفعل ذلك؟».

قال جيم ني وهو ينتحب: «الآن، الآن! سأفعل ذلك الآن، الآن، الآن، أيها السيد الحكيم الرائع، فقط إذا أطلقت سراحي».

قال سبتيموس لبيتل والفتى الذئبي: «ضعاه في القارب أولًا، وبعد ذلك، أطلقاه».

تراجع جيم ني إلى مؤخرة القارب. ومثل كلب مبلل، هز نفسه ليتخلص من إحساس اللمسة البشرية.

قال جاكي فراي وهو يندفع أمامه: «عفوًا، أحتاج للوصول إلى ذراع المقود» وفي اللحظة التي مسَّ فيها مرفق جاكي فراي، قفز جيم ني عن الطريق وكأنه لُدِغ.

اقتربت المارودر شيئًا فشيئًا من السيريس، التي صارت الآن تضع مرساتها بأمان في الخليج. ساد الصمت في قارب الصيد. كان كل من على ظهرها يمكنهم رؤية تيار الجن المحاربين وهو لا يزال يغادر السفينة، وعلى مسافة أبعد كثيرًا، يتدفق صاعدًا التل، وهم يشبهون تمامًا، حسبما لاحظ نكو، النمل. كان سبتيموس يكاد لا يحتمل الصبر. كان صوت وطء الخطوات العسكرية للمحاربين لا يزال يرسل صداه في رأسه، وكان يعرف أنه مع كل دقيقة، يقترب الجن أكثر من **القلعة**. فكر في مارشا والسحرة في برج السحرة وهم يمارسون روتين حياتهم اليومي، وفي سايلاس وسارة في القصر، الكل غافلون عن الخطر الذي يقترب منهم أكثر من أي وقت مضى. تساءل سبتيموس عن مدى السرعة التي

يتحرك بها الجن، وكم تبقى من الوقت قبل أن يتمكن تيرتيوس فيوم من السير داخل القلعة على رأس جيشه المروع؟

كانت الإجابة ليست هي تلك التي يتمنى سبتيموس، أو أي ممن على ظهر المارودر، أن يسمعها. كان تيرتيوس فيوم قد اختار جماعة شخصية مؤلفة من خمسمائة جن محارب وسار بهم في المقدمة. أخذ يتجه إلى برج السحرة، الذي يعرف أنه ينفتح مباشرة على الأنفاق، فقد كان البرج نفسه يعتبر بمثابة أداة ختم. راح الجن يتحركون بسرعة، أسرع من قدرة أي إنسان على الجري، وعند تلك اللحظة تحديدًا كانوا يضربون بخطاهم أسفل المرصد الفلكي بأرض الأشرار.

الحقيقة التي لا يعرفها الكثيرون أن ما يستغرقه سير كلب صيد مصاب بداء المفاصل من بوابة القصر إلى برج السحرة هو نفسه ما يستغرقه جري مجموعة من الجن في النفق الجليدي من المرصد الفلكي إلى برج السحرة.

وفي العصر، كانت سارة وسايلاس هيب على موعد مع مارشا. وبينما كان الجن يمرون تحت المرصد الفلكي، كان كل من سايلاس وسارة وماكسي يخرجون من بوابة القصر.

وبعد نصف ساعة، كانت المارودر قد وصلت بجوار السيريس. وفي قلق، تابع جاكي مجموعة من الجن ذوي الأيادي الفئوس ينزلون من على جانب السفينة.

سأل: «إلى أي مدى تريدونني أن أقترب؟ أنا لا أريد أن يهبط أحد منهم على قاربي».

قال سبتيموس: «أقرب ما يمكنك.. وبأسرع ما يمكنك».

قال جيم ني متثائبًا: «لا داعي للعجلة، أنا لا أستطيع أن أجمدهم إلا بعد أن يتم إيقاظ آخر واحد فيهم».

شهق سبتيموس: «ماذا؟».

مرت سارة وسايلاس وماكسي أمام دار المخطوطات.

«فحسبما أنا واثق أنك تعلم، **أيها السيد واسع الفهم**، من المستحيل تجميد كيان ما حين لا يكون موقظًا بالكامل. وكما أنا واثق أنك تفهم أيضًا، **أيها السيد الفطن**، فكل هؤلاء الجن كيان واحد».

خرجت صرخة مفاجئة من بيتل: «آخر واحد! ها هو آخر واحد يا سِب، انظر!».

كان هذا حقيقةً. لقد ظهر محارب يحمل فأسًا يهبط بشكل آلي، يحدد وقع قرع المعدن على المعدن كل خطوة.. ومن فوقه كان سلم خالٍ.

قال سبتيموس: «**جمدهم**، فورًا».

اهتز جيم ني وانحنى لسبتيموس: «رغبتك أمر لي، أيها السيد سريع الانفعال».

ترك آخر جني السلم وسقط في الماء. وفي فزع، تابع سبتيموس المحارب يغطس إلى قاع البحر.

قال جيم ني: «سأنتظر حتى يخرج».

قال له سبتيموس: «لن تفعل. ستذهب وتجمد واحدًا من هؤلاء الذين على الشاطئ بدلا من ذلك».

«يؤسفني أن أخبرك، أيها السيد المُضَلل، أن التجميد سيسير في اتجاه واحد فقط. وعلى ذلك، إذا كنت ترغب في تجميد كل الجن – وهو شيء أنصح به بقوة، إذ إن كيانًا شبه **متجمد** شيء خطر – فينبغي أن تجمد آخر واحد أو أول واحد. وأنا أقترح آخر واحد باعتباره الاختيار الأكثر أمانًا».

سأل سبتيموس: «هل هو على صواب يا بيتل؟».

بدا بيتل متحيرًا: «لا أعرف يا سِب. أظن أنه يجب أن يعرف».

«حسنًا جيم ني. أريدك أن تجمد آخر واحد الآن. **تحول** إلى سلحفاة».

ظل جيم ني هادئًا على نحو مفاجئ عند ذكر السلحفاة اللعينة، وقال: «كما يعرف السيد الحكيم بلا أدنى شك، يجب أن أمسك الكيان الذي أرغب في تجميده بكلتا يدي؛ حتى أمرر التجميد بينهم. وهذا ليس ممكنًا بالزعانف» ونطق «زعانف» بنبرة متقززة.

وقع سبتيموس في حيرة. فما الذي يمكن أن **يتحول** إليه جيم ني؟ فحتمًا كل شيء تحت الماء له زعانف؟ شاهد نقاط الضوء الفضية تلمع من خوذة المحارب الأخير ذات الأجنحة، والذي كان يتحرك ببطء شديد – شديد جدًّا، مثل من يجري في كابوس– على عمق عشرين قدمًا تحت سطح البحر. كان المد يرتفع،

وكانت السيريس الآن أبعد كثيرًا عن الشاطئ. فكم من الوقت سيستغرقه الجني الأخير ليخرج. ومن يعرف كم صاروا قريبين من القلعة؟

وعند نهاية طريق السحرة، وصلت سارة وسايلاس وماكسي إلى النفق الكبير.

صاحت لوسي: «سلطعون! يمكنه أن يصبح سلطعونًا!».

حدج جيم ني لوسي بنظرة مدمرة.. سلطعون أفضل قليلًا من سلحفاة.

نظر سبتيموس إلى لوسي في إعجاب، قال: «جيم ني، أرغب في أن تتحول إلى سلطعون!».

قال جيم ني محاولًا تأجيل اللحظة الشريرة: «أي نوع معين من السلطعونات؟».

«لا. افعل ذلك الآن فحسب».

«حسنًا جدًّا، أيها السيد المُلِح، رغبتك أمر لي».

ظهر وميض ضوء أصفر، وفرقعة خفيفة، ثم اختفى جيم ني.

سأل سبتيموس محاولا ألا يرتعب: «أين ذهب؟ أين السلطعون؟».

صرخت لوسي: «آآآه، إنه هنا، على الأرض. ابتعد، ابتعد!».

كان سلطعون أصفر صغير يتجه نحو حذاء لوسي الطويل.

صاح سبتيموس: «لا تركليه يا لوسي، لا تركليه!».

هوى الفتى الذئبي على الأرض وأمسك السلطعون بين سبابته وإبهامه ورفعه في الهواء، وأرجله تلوح، قال: «أمسكت به».

قال سبتيموس: «ألق به في البحر، أسرع!».

مشت سارة وسايلاس وماكسي إلى داخل ساحة برج السحرة.

ساد الصمت على ظهر المارودر. وهم لا يكادون يجرءون على التنفس، رأوا الجن المحاربين لا يزالون يخرجون إلى الشاطئ، وكانوا في انتظار أن تتوقف مسيرتهم القاسية.

تابعوا، انتظروا، ولا يزال الجن يتحركون للأمام.

همهم سبتيموس: «ما الذي يفعله؟».

قطع نورس أصفر صغير سطح الماء وطار إلى المارودر. حط على جانبها، وأخذ يهتز نافضًا ماء البحر عن ريشه ثم أحدث فرقعة. بدا جيم ني منهكًا وقد جلس في مكانه، وقال: «أنا آسف، الأمر لم ينجح».

صعدت سارة وسايلاس وماكسي السلم الرخامي المؤدي إلى الأبواب الفضية لبرج السحرة.

صدرت صرخة جماعية من المارودر: «لا!».

كان سبتيموس مرتعبًا. لقد سأل الجميع عن نظريته بأن جن الذهب أقوى من جن الرصاص.. ثم يتضح بعد كل هذا أنه لم يكن على صواب؟ سأله في يأس: «لماذا؟ لماذا لم تنجح؟».

قال سايلاس كلمة المرور، وانزلقت الأبواب الكبيرة لبرج السحرة مفتوحة.

قال جيم ني: «لقد تم **إيقاظهم بسحر أسود**، ويجب أن يتم **تجميدهم بسحر** أسود. وأيًّا كان ما قد تظنه بي، **أيها السيد الحزين**، فأنا لا أحمل أي **سحر أسود** بداخلي».

«نهائيًّا؟».

بدا جيم ني مهانًا: «لست هذا النوع من الجن».

وضع الفتى الذئبي يده في جرابه الجلدي المعلق في خصره وأخرج مخلب الوحش المتحلل، تراجع الجميع، سأله: «هل هذا السحر الأسود كاف لك؟».

قال جيم ني: «أنا لن ألمس حتى ذلك الشيء. إنه مقزز. وقبل أن تأمرني أن أمسكه، أيها السيد اليائس، فأنا أحذرك.. احذر. أن تأمر بسحر أسود على ظهر جني فهذا أمر خطر».

قال بيتل: «هو على حق يا سبتيموس، لو أمرت بهذا؛ فستكون أنت أيضًا جزءًا من السحر الأسود. ولن يمكنك أن تتخلص منه أبدًا. **متورط**، هذا ما يطلق عليه. إنه ليس جنيًّا شريرًا لهذه الدرجة؛ فكثيرون منهم قد ينتهزون فرصة **توريط** سيدهم».

صارت سارة وسايلاس وماكسي داخل البهو الكبير لبرج السحرة، في انتظار مارشا. سأل سايلاس سارة: «هل هناك عمال بناء في القبو؟ هناك الكثير من القرع هناك بالأسفل».

راح سبتيموس يفكر بعمق: «حسنًا... لكن ماذا لو أخذه لأنه يريد ذلك؟».

قال بيتل: «هذا لا بأس به، فعندئذ أنت لست جزءًا منه. لكن ذلك لن يحدث، فهو لا يريد ذلك».

قال سبتيموس: «جيم ني، أريدك أن تتحول إلى نورس».

تنهد جيم ني، ظهرت نفخة من دخان أصفر وفرقعة. ومرة أخرى وقف النورس الأصفر الصغير على حافة جانب المارودر.

قال سبتيموس: «حسنًا يا 409، أري المخلب للنورس».

نزلت مارشا عن السلالم الحلزونية ورسمت ابتسامة ترحيب لسارة وسايلاس ولماكسي كريه الرائحة.

بسط الفتى الذئبي يده للنورس. صار المخلب، العفن الآسن، مستقرًّا في راحة يده مثل ثعبان رمل سمين غض.

نظر النورس الصغير إلى سيده بمزيج من الاشمئزاز والإعجاب المتحفظ. كان يعرف ما سيحدث، لكنه لم يستطع أن يوقف نفسه. ففي انقضاضة سريعة على راحة الفتى الذئبي الخائفة، التقط المخلب، آه.. شديد القبح، وابتلعه.

قال بيتل بإعجاب: «فكرة لطيفة يا سِب».

****

حدثت قرقعة هائلة داخل خزانة المكنسة. عوى ماكسي. وذهبت مارشا للتحقق مما يجري.

أقلع النورس من المارودر وقد صار ثقيلًا بسبب المخلب الذي لم يهضم. طار فوق سطح البحر باحثًا عن علامة تيار فقاعات الهواء الصغير التي قد تطفو من درع الجني المحارب الأخير.

مر شبح تيرتيوس فيوم خلال باب خزانة المكنسة إلى داخل البهو الكبير لبرج السحرة.

قال: «ها، آنسة أوفرستراند، لدينا دين يجب تسويته».

انفجرت مارشا: «لا أعرف ماذا تظن أنك فاعل هنا يا فيوم، لكن يمكنك أن تنصرف.. فورًا! وأنا لن أقول ذلك مرة أخرى».

قال تيرتيوس فيوم مبتسمًا: «بالصحة ما تقولينه، حقًا، أنت لن تفعلي. إنه أحد الأشياء الكثيرة التي لن تفعليها مرة أخرى يا آنسة أوفرستراند».

ودار حول نفسه وصاح ناحية باب الخزانة: «اقتلوها!».

توقف النورس في منتصف رحلته. ظهرت كمية صغيرة من دخان أصفر، ثم اختفى الطائر وسقط شبح سلطعون صغير في الماء.

تقدم اثنا عشر جنيًا محاربًا ضاربين باب خزانة المكنسة وكأنه مصنوع من الورق. وفي ظرف ثانية صارت مارشا محاصرة، وقد أحاطت بها دائرة من السيوف.

صاحت في سارة وسايلاس: «اهربا!».

انتظر المتابعون على ظهر المارودر. كان الجن لا يزالون يسيرون خارجين من الماء.

*وفي رعب، بدأت مارشا تشغيل تعويذة **درع أمان**، لكن **السحر الأسود** الذي في الجن جعل **سحرها** بطيئًا. وإذ كانت رءوس اثني عشر سيفًا حاد النصل على بعد خطوات فحسب من عنقها، عرفت مارشا أن الوقت قد فات، فأغلقت عينيها.*

أمسك سلطعون أصفر صغير بكعب آخر جن محارب.

في لحظة، تجمد الجن. شعرت مارشا ببرودة مفاجئة في الهواء وفتحت عينيها لترى السيوف الاثني عشر وقد أعتمتها

ثلوج كريستالية رقيقة تحيط بها مثل القلادة. ***كسرتها*** *مارشا وخطت خارج دائرة الجن* ***المجمدين***، *وهي ترتعش. وجدت ثلاثة سحرة مستلقين في إغماء وسارة وسايلاس وقد شحب وجهاهما من الرعب. توجهت نحو تيرتيوس فيوم المصدوم وقالت له:*

«كما قلت، أنا لن أقول ذلك مرة أخرى. لكني سأقول لك ما يلي يا فيوم. سأتخذ خطوات نحو ***استئصالك***، *وداعًا».*

سمعت جينا تهليلًا قادمًا من المارودر. ومن خلال تليسكوب ميلو، رأت الجن يتوقف عن الخطو، وقد غطته لمعة الكريستال المتلألئة. أدارت التليسكوب عائدة إلى المارودر، وكان أقرب مكان يمكنها به الانضمام إلى الاحتفال، قالت: «ياه، آآآخ».

أما جيم ني فقد أصيب بالغثيان على جانب القارب.



49

انعطافات



في تلك الليلة جلست جينا وسبتيموس معًا على ما كان يومًا شاطئهم، على بعد قليل من المجموعة التي التفت حول النار المشتعلة يتبادلون الحديث. وبناء على إصرار جينا كان سبتيموس قد انتهى لتوه من قص كل ما حدث.

قالت جينا: «أتعرف يا سِب، إذا كان عليَّ أن أصبح ملكة فإنه يعني دائمًا الاضطرار إلى متابعة الآخرين وهم يقومون بإنجاز الأمور، فلا أظن أنني أريد أن أكون ملكة. لقد كان عليك أنت وبيتل القيام

بأمور مثيرة مع الجن والأنفاق الجليدية والزلاجات، في حين كان عليَّ أنا أن أجلس وأستمع في أدب إلى ميلو وهو يتحدث ويتحدث في ملل. ولم يكن نكو وسنوري أفضل كثيرًا ، كان كل ما يتحدثان عنه هو القوارب».

قال سبتيموس: «لم تكن الأنفاق الجليدية بهذه الروعة، صدقيني» ونظر لأعلى فوجد شخصًا يشبه الموزة يخرج من الكثبان الرملية». ياه، أخيرًا، ها هو جيم ني. معذرة يا جين، يجب أن أتحدث معه».

قالت جينا: «آه، تفضل إذن يا سِب، أعرف أن لديك أشياء مهمة لتقوم بها».

– «يمكنك أن تأتي أيضًا يا جين. في الواقع، يمكنه هو أن يأتي إلينا. يا جيم ني!»

تحرك جيم ني بهدوء وكانت كعكته تتمايل وهو يمشي: «هل ناديت، **أيها السيد كثير الجلوس**؟».

قال سبتيموس بقلق: «هل فعلتها؟».

قال الجني مبتسمًا: «كانت معركة، لكني فزت». لم تكن الحياة مع سيده بالملل الذي كان يخشاه: «عدنا لمسافة طويلة، أنا **والحورية**. ولقد استحققت النصر».

هاجمت سبتيموس فجأة مشاعر قلق. لاحظ أنه كان يتحدث إلى كائن مغرق في القدم. قال: «شكرًا لك يا جيم ني، شكرًا لك. أنت... مدهش».

انحنى جيم ني: «أعرف» وقدم لسبتيموس القنينة الفضية الصغيرة التي كانت سايارا قد أعطتها له من أجل لافظ اللهب. كانت باردة كالثلج.

في حذرٍ أمسك سبتيموس القنينة بين السبابة والإبهام وقد فرد ذراعه. سأل: «هل هي **مختومة**؟».

«هي بالفعل كذلك، أيها السيد الحذر. هل هذا كل شيء؟ بمقدوري أن أنال تلك القيلولة. لقد كان يومًا حافلًا».

قال سبتيموس: «لا، هذا لن يكون كل شيء». مذكرًا نفسه بأنه مهما كان ممتنًّا، فأمام الجني الخاص به يجب أن يبدو قاسيًا وليس – كما ذكره بيتل مؤخرًا– ليِّنًا.

– «ما الذي ترغب فيه أيضًا، أيها السيد المنهِك؟».

– «في الواقع، ثلاثة أشياء».

– «ثلاثة، أيها السيد النهم؟ أتعرف أن ثلاثة هو العدد الأقصى للرغبات التي يؤمر بها في وقت واحد؟».

لم يكن سبتيموس يعرف، لكنه لم يكن ليعترف بذلك: «ثلاثة. رقم واحد، آمرك أن تتوقف عن مناداتي بأسماء سخيفة».

تنهد جيم ني: «آه، حسنًا، كانت ممتعة حين كانت قائمة. رغبتك أمر لي أيها السيد العظيم. أمسموح لي أن أناديك بهذا، أم غير مسموح؟ إنها من تقاليد الجن المعروفة. ما لم تكن تفضل شيئًا آخر بالطبع».

قال سبتيموس وهو يقدر الأمر: «أظنني أفضل المتدرب، فهذا أنا».

قالت جينا مازحة: «ألست المتدرب الأول يا سِب؟».

«هل يمكنك أن تتخيلي على أي شكل سيجعلها تبدو يا جين؟ لا، «سيدي المتدرب» فقط جيدة».

بدا جيم ني مستسلمًا: «حسنًا جدًّا، أيها السيد المتدرب».

«قلت سيدي المتدرب، وليس أيها السيد المتدرب».

«حسنًا جدًّا، سيدي المتدرب».

«رقم اثنين، آمرك أن تذهب، بأسرع ما يمكنك، إلى الطرف البعيد للجن المحاربين المجمدين. أريد أن أعرف إذا ما كانوا قد وصلوا القلعة. وإذا كانوا قد وصلوا إلى القلعة، عليك أن تخبر الساحرة العظمى بما حدث».

بطبيعة الحال كان الجني سيحتج أن هذا في الحقيقة كان رغبتين، لكنه شعر أنه كان يقف على المحك. فلم يكن قد نال كليةً شرف الموافقة على أنه تم تحريره من الحجرة محكمة الختم.

«الساحرة العظمى، أيها الـ.. سيدي المتدرب؟».

- «نعم. ستجدها في برج السحرة. أخبرها أني أرسلتك».

بدا جيم ني غير مرتاح، قال: «ها، هذا يذكرني. لقد طلبت مني أن أجدك وأحصل على نوع مفتاح ما... كي، آه، أختم بعض الأنفاق؟ لقد انمحى هذا من رأسي وسط كل الإثارة. سأفعل ذلك الآن، هل يمكنني ذلك؟».

لم يكد سبتيموس أن يصدق ما سمعه للتوِّ: «مارشا طلبت منك أن تختم النفق؟ لكني لا أفهم.. كيف عرفت؟ وكيف بحق الجحيم قابلت مارشا؟».

بدا جيم ني مراوغًا، قال: «لقد اصطدمت بها فحسب، سأذهب الآن، هل لي أن أفعل؟».

«لم أنته. رغبتي الثالثة هي أن تعيد كل الجن إلى أنابيبهم».

تنهد جيم ني. فقد كان هذا ما توقعه، لكن هذا لم يجعل الأمر أسهل بأي حال. فلم يحدث منذ أن كان عبدًا في إسطبلات الملك أوجياس أن واجه الجني مثل هذه المهمة الهرقلية، فيما عدا أنه في هذه المرة لن يساعده هرقل.

قال جيم ني وهو ينحني بشدة: «رغبتك أمر لي، سيدي المتدرب». سقطت القبعة الكعكة، فجذبها لأعلى، وأعاد حشرها في رأسه، وانصرف مستجمعًا هيبته.

سلك جيم ني طريقه نحو أول جني محارب كان قد جمده. كان المد ينسحب وكان الجسم ذو الأقدام السبعة المغطى بالدروع

ملقى على وجهه في الرمال المبتلة، وكان فأسه نصف مدفون، ودرعه وخوذته ذات الأجنحة قد تعلقت بها شرائط من الأعشاب البحرية. عندما شاهد العلامات التي سببتها مخالب السلطعون الشبح وهي لا تزال مرئية في كعبه غير المحمي، رسم جيم ني نصف ابتسامة. كان يشعر بالامتنان لأن الجن لم يروه وهو قادم، إذ كان بمقدورهم رؤيته على حقيقته، تلك المرأة الحكيمة الشرسة ذات العينين الغامضتين التي تبلغ من العمر خمسة وعشرين ألف صيف، والتي كانت على نحو جانبه الصواب، حسبما رأت أحيانًا، قد اختارت أن تبقى في هيئة جني، مفضلة إياها عن الحياة بوصفها زوجة لتاجر سلاحف. كانت زوجة تاجر السلاحف قد واجهت يومًا محنة مقابلة المحارب المتوحش اللائي كن قد أخذن منه، ولم تكن مواجهة يتمنى جيم ني تكرارها.

لمع وميض ضوء أصفر، ورأى سبتيموس الجني الخاص به ينطلق محدثًا أزيزًا بجوار صف المحاربين المتساقطين واختفى داخل الكثبان. أخرج كتاب سايارا من جيبه ونظر إلى الغلاف بقلق. أخذ يقول:

كتاب سايارا

مرسل إلى: جوليوس بايك، الساحر الأعظم

ابتسم سبتيموس.. كانت كتابة **الحورية** المشخبطة قد اختفت.

نظر على امتداد الشاطئ ثم مسح الكثبان.

قالت جينا: «أأنت بخير يا سِب؟».

«نعم، أشكرك يا جين، بخير للغاية، في الحقيقة» ثم نظر إلى قمة التل.

«هل تتوقع قدوم أحد؟».

تمتم سبتيموس: «حسنًا، أنا.. ياه، أفٍّ».

فصل شخص نفسه عن المجموعة التي تحلقت حول النار.. وتوجه نحوهما.

قال ميلو مبتهجًا: «آه، ها أنتما» وهو يضع نفسه بين جينا وسبتيموس، ابتسم نحو جينا بحنان: «تم إنجاز المهمة يا أميرة، لقد أمسكت بالفئران، مع أنني كنت أتمنى بسعادة أن أتركها على الصخور. ما سبب اعتقادك أن السيريس تحتاج استعادة فئرانها، أنا في الحقيقة لا أعرف».

ابتسمت جينا، وقالت: «ستغادر في الميناء، سأرتب إخراجها».

ابتسم ميلو بتسامح: «أنت تشبهين والدتك جدًّا. هناك دائمًا شيء غامض يجري». ثم التفت إلى سبتيموس: «وأنت أيها الشاب، لا يمكنني أن أوفيك ما يكفي من الشكر.. لقد أنقذت حمولتي الثمينة».

بدا سبتيموس مشغول البال: «على الرحب والسعة».

قالت جينا: «وأنقذ القلعة».

«فعلًا، فعلًا. كانت خدعة ماهرة جدًّا».

قالت جينا بسخط: «خدعة؟ سبتيموس لا يمارس الخدع. كان الأمر حقًّا شجاعة ومهارة.. إيه يا سِب، هل أنت على ما يرام؟».

قال سبتيموس: «نعم...بخير» وهو ينظر للخلف نحو الكثبان مرة أخرى.

كان ميلو معتادًا بشدة أن يبدو الناس مشتتين حين يتحدث معهم، قال: «فكر، فقط فكر كيف كانت الأمور ستختلف لو كنت وجدت هذا الجيش حين بدأت البحث لأول مرة منذ كل تلك السنين؟ لو حدث هذا لكنت أنت يا جينا قد كبرت مع أمك الحقيقية، وليس مع بعض السحرة غريبي الأطوار، وأنت بالطبع يا سبتيموس، كنت ستقضي تلك السنوات المبكرة الثمينة التي لا يمكن استعادتها، مع والديك العزيزين».

سأل سبتيموس: «هل تعني أن السحرة غريبي الأطوار؟».

«ياه، ياه، لا، لا، بالطبع لا أقصد ذلك، يا عزيزي». هب ميلو واقفًا سعيدًا بمقاطعة جاءت في وقتها: «حسنًا، مرحبًا، ومن هذه السيدة الصغيرة».

شهق سبتيموس وقفز بدوره: «سايارا؟».

عانى ميلو من هجوم نادر للحساسية، وأسرع منصرفًا تجاه النار وقال: «سأذهب وأتفقد بعض الأمور».

قالت جينا بشيء من الخجل: «مرحبًا يا سايارا».

نزلت سايارا على ركبتيها مقدمة تحية احترام غير ملائمة: «الأميرة إزميرالدا».

أرسلت جينا نظرة تساؤل نحو سبتيموس: «لا أرجوك، أنا لست...».

تدخل سبتيموس: «سايارا، هل أنت على ما يرام؟».

بدت سايارا على أي حال خلاف ما يرام. كانت شاحبة على نحو قاتل، وبدت الظلال الداكنة حول عينيها أكثر عمقًا، وأخذت يداها تهتزان. جلست فجأة وبدأت في الارتعاش بقوة «أنا... أظن... أنا أنا».

قال سبتيموس وهو يجثو إلى جوار سايارا: «جين، هل يمكنك أن تجلبي بعض الماء من فضلك، وعباءة تدفئة أيضًا؟».

أسرعت جينا مبتعدة: «بالطبع».

همست سايارا: «سبتيموس، **الحورية**... أنا لا أفهم ...أين... أين هي؟».

فرد سبتيموس يده، في راحته كانت القنينة الفضية، مغطاة بطبقة رقيقة من الجليد، والتي التمعت على ضوء **خاتمه التنيني**.

قال سبتيموس: «هنا. **الحورية** هنا بالداخل».

حملقت سايارا إلى القنينة في غير فهم: «هناك في الداخل؟».

قال سبتيموس: «نعم، تم **حبسها** هنا بالداخل. سايارا، أنا أعدك، لقد انتهت الحورية، للأبد، أنت حرة».

- «حرة؟».

- «نعم».

انخرطت سايارا في البكاء.

ارتفع القمر، وعلى البعد تلألأ شعاعا ضوء صخرة القطة فوق البحر الهادئ. ومن على منصة المراقبة، طاف مِيار راضيًا. نظر إلى الجزيرة بالخارج، وكان ميلو يلقي بقطعة حطب أخرى في النار، وقد رآها تتوهج وسط الليل، مرسلة نورها على المجموعة الملتفة حولها. ابتسم مِيار ومضغ رأس سمكة مجففة. وللمرة الأولى منذ اختفاء ميرانو، يشعر أنه في سلام.

على الشاطئ، كان هناك سلام.. لكنه ليس تامًّا. أخذت النار تطقطق وتتفاعل مع الملح العالق بالأخشاب الطافية، وراح الناس يثرثرون، ولافظ اللهب يغط ويصهل. كان سبتيموس قد قرر أنه صار معافى بما يكفي لنقله إلى الشاطئ. كان يرى أن لافظ اللهب قد أصبح متعكر المزاج وهو بمفرده. تمدد التنين، بكامل هيئته من دلو وذيل مضمد، على الرمال الناعمة تحت الكثبان الرملية مباشرة، وأخذ ينظر إلى النار المشتعلة بعينين نصف مفتوحتين، ويتابع بيتل وهو يوزع أكواب **شراب الفاكهة الفوار** بعيدًا عن متناول لسانه. صهل لافظ اللهب مادًّا عنقه محاولًا أن يصير أقرب قليلًا. كان لافظ اللهب يحب **شراب الفاكهة الفوار**.

أخذ الفتى الذئبي يُري جينا وبيتل ونكو وسنوري ولوسي وجاكي كيف يلعبون لعبة زعيم القرية، وهي لعبة تعتمد على الحركة السريعة تستخدم فيها القواقع ويجري فيها الانغماس في الرمال والكثير من الصراخ.

جلس سبتيموس وسايارا يتابعان اللعبة في هدوء. كانت سايارا قد توقفت عن الارتجاف وشربت كذلك بعضًا من مشروب الشكولاتة الساخنة الذي تعده جينا. لكنها كانت شاحبة للغاية، ووسط اللمعان الأحمر لعباءة التدفئة، رأى سبتيموس أنها تبدو في هيئة شبحية تقريبًا.

قالت سايارا وهي تنظر بعيدًا نحو السفينة التي أخذت تتلألأ بعد أن أصلح الطاقم الأشرعة والصواري وأعادوها إلى وضعها الصحيح: «كم تبدو السيريس جميلة في نور القمر. ستكون جاهزة للإبحار قريبًا، على ما أعتقد؟».

أومأ سبتيموس: «في غضون يومين».

قالت سايارا: «سبتيموس، لا أعرف كيف أشكرك. أنا سعيدة جدًّا، كل ما تمنيته صار حقيقة. أتعرف، اعتدت أن أحلم بالجلوس هنا مع مجموعة من الأصدقاء من القلعة حول النار - والآن - هأنذا: «هزت سايارا رأسها في انبهار» وقريبًا، قريبًا جدًّا، سأرى جوليوس».

أخذ سبتيموس نفسًا عميقًا، كان يشعر بالرعب من تلك اللحظة: «آه، سايارا، فيما يخص جوليوس، أنا...».

نادى الفتى الذئبي: «هيه، أنتما، أتريدان أن تشاركا في لعبة زعيم القرية؟».

التفتت سايارا نحو سبتيموس وقد لمعت عيناها الخضراوان على ضوء النار: «أنا أتذكر تلك اللعبة، كنت أحبها».

رد سبتيموس: «أجل، سنلعب». سيعالج مسألة جوليوس في الصباح.

لكن سبتيموس لم يكن هو من عالج مسألة جوليوس، بل كانت جينا. ففي وقت لاحق من تلك الليلة حين هدأت أصوات ارتطام الأمواج، عاودت الطرق القديمة على الرمال الظهور ببطء، وقد لمعت على نور القمر، وصار الفتى الذئبي زعيم القرية للمرة الثانية، سمع سبتيموس جينا وهي تقول لسايارا: «لكني لست إزميرالدا.. حقيقة أنا لست هي. كان هذا منذ خمسمائة عام يا سايارا».

صار سبتيموس بجوار سايارا في طرفة عين، سألته سايارا: «ما الذي تقصده الأميرة؟».

«إنها – جينا – تقصد أن... إمممم... أواه يا سايارا. أنا آسف جدًا، لكن ما تعنيه أنك ظللت على هذه الجزيرة لمدة خمسمائة عام».

بدت سايارا مبهوتة تمامًا.

حاول سبتيموس أن يشرح: «سايارا لقد تعرضت **للاستحواذ**. وأنت تعرفين أنه حين يتعرض أحد **للاستحواذ** لا يكون لديه شعور بمرور الزمن؛ إذ تتوقف حياته حتى الوقت الذي يتم فيه – إذا كان محظوظًا – **فك الاستحواذ**».

«إذن...أنت تخبرني أننا حين نعود للقلعة ستكون خمسمائة عام قد مرت منذ أن كنت هناك آخر مرة؟».

أومأ سبتيموس.

وحول النار، ساد سكون يبعث على الخوف، حتى ميلو كان هادئًا.

«إذن جوليوس ... مات».

«أجل».

أطلقت سايارا نحيبًا طويلًا يائسًا وسقطت فوق الرمال.

****

حملوا سايارا إلى ظهر السيريس ووضعوها في إحدى القمرات. سهر سبتيموس عليها طوال الليل، لكنها لم تبد أي حركة. وحين بدأت السيريس في الإبحار نحو القلعة، ظلت سايارا ممددة فاقدة للوعي في القمرة، وبدت نحيفة للغاية وفاقدة للقوة تحت الأغطية التي بدت وكأن لا أحد تحتها.

بعد مرور ثلاثة أيام، وصلت السيريس إلى **رصيف التجار** في **الميناء**. عزفت فرقة الميناء لحنها النشاز المعتاد، وعلت أصوات

ثرثرة حماسية من الحشد المتجمع على الرصيف. فلم يكن وصول سفينة بمثل هذه الروعة إلى الميناء وهي تحمل تنينًا شيئًا يحدث كل يوم، ولم يكن يحدث كل يوم بالطبع أن تأتي **الساحرة العظمى** لاستقبال سفينة.

أثارت مارشا ضجة هائلة عند وصولها، وأخذت التعليقات تتطاير حول الحشد.

«إنها تملك شعرًا جميلًا، أليس كذلك؟».

«انظروا إلى ذلك الحرير الذي يبطن عباءتها، لا بد أنه يكلف ثروةً».

«لست متأكدة بشأن الحذاء، رغم ذلك».

«أليست من معها هي تلك العرافة العجوز البيضاء من المستنقعات؟».

«ياه، لا تنظروا، لا تنظروا. من الفأل السيئ أن تشاهد عرافة وساحرة معا!».

استمعت مارشا للتعليقات وتساءلت: لم يظن الناس أن ارتداء عباءة الساحرة العظمى جعلها صماء؟ ومن جانب عينها، رأت شخصًا مألوفًا يتسكع عند مؤخرة الحشد.

قالت للعمة زيلدا: «أهذا من أظن أنه هو؟».

كانت العمة زيلدا أقصر كثيرًا من مارشا ولم تكن لديها أدنى فكرة عمن تحملق مارشا نحوه، لكنها لم ترد أن تعترف بذلك فقالت: «ممكن».

قالت مارشا: «مشكلتكن أيتها العرافات، يا زيلدا، أنكن لا تقدمن أبدًا إجابة مباشرة لسؤال مباشر».

قاطعتها العمة زيلدا: «ومشكلتكم أيها السحرة، يا مارشا، أنكن تقمن بمثل ذلك التعميم الشامل». والآن اعذريني. أريد أن أتقدم للأمام. أريد التأكد من أن الفتى الذئبي سالمًا بالفعل».

اندفعت العمة زيلدا في طريقها خلال الحشد، في حين سلكت مارشا طريقها إلى الخلف، وانقسم الحشد احترامًا ليوسع الطريق للساحرة العظمى.

رآها سايمون هيب قادمة، لكنه ثبت في مكانه. لم يكن هناك ما سيدفعه للابتعاد عن رؤية لوسي وسؤالها إذا كانت لا تزال ترغب في البقاء معه.. ولا حتى مارشا أوفرستراند بمقدورها أن تدفعه لذلك.

قالت مارشا وهي تندفع نحوه: «سايمون هيب، ما الذي تفعله هنا؟».

قال سايمون: «أنا أنتظر لوسي، سمعت أنها على ظهر السفينة».

قالت مارشا: «هي بالفعل على ظهرها».

لمع وجه سايمون: «حقًا؟».

قالت مارشا: «لا جدوى من تسكعك هنا».

قال سايمون بأدب ولكن بحسم: «آسف يا مارشا، لن أغادر».

قالت مارشا: «ينبغي أن آمل ألا تفعل». ثم، ولدهشة سايمون ابتسمت: «عليك أن تتجه للمقدمة، فأنت لا تريد أن تفقدها».

«آه! حسنًا، أشكرك..أنا...أجل، سأفعل».

تابعت مارشا سايمون هيب وهو يختفي وسط الحشد.

ارتفع صوت من السفينة فجأة: «مارشا» كان ميلو قد التقط العباءة الأرجوانية المميزة.

أنزل السلم الجانبي، وأفسح الحشد طريقًا لميلو، الذي ظهر في صورة مثيرة للإعجاب، وقد تألق مرتديًا طاقمًا جديدًا من عباءة حمراء قانية مرصعة بقدر وافر من الذهب. وصل إلى مارشا، وانحنى بشكل درامي وقبل يدها، على خلفية صوت بعض الهتافات وبعض التصفيق العشوائي من الحشد.

تابعت جينا من على ظهر السيريس، قالت: «ياه، إنه محرج للغاية، لم لا يكون مثل الأشخاص العاديين فحسب، لم لا يكون فقط... حسنا؟».

قال سبتيموس: «أتعرفين يا جين، ألَّا يكون ميلو بالشكل الذي ترين أنه يجب أن يكون عليه، فإن هذا لا يعني أنه ليس جيدًا. الأمر أنه جيد بطريقة تخص ميلو».

قالت جينا، وهي غير مقتنعة بالكامل: «أمممم».

كان ميلو يقود مارشا إلى السيريس: «هيا تعالي إلى ظهر السفينة. لدي أثمن حمولة على الإطلاق لأريها لك».

ردت مارشا: «أشكرك يا ميلو، لقد رتبت لنقل الحمولة الثمينة مباشرة إلى الغرفة المحكمة الختم في برج السحرة حيث ستظل هناك إلى أجل غير مسمى. السيد جيم ني سيكون مسئولا عنها».

بدا ميلو مصعوقًا، تلجلج «ولـ، ولكن...». ظهر وميض أصفر، وفرقعة ضعيفة، وتجسدت الهيئة المميزة لجيم ني. انحنى لميلو وسار بهدوء نحو السلم الجانبي للسيريس، حيث كاد أن يصطدم بلوسي جرينج وهي تندفع نازلة وقد تطايرت ضفائرها، كانت تصيح: «سايمون، أواه، يا ساي!»

****

من خلف الحشد اندفع للأمام اثنان وصلا متأخرين.

قالت ساره لاهثة: «سايلاس، لِمَ نصل متأخرين دائمًا؟! أواه، انظر.. هاهو. نكو، نكو!».

وقف نكو أعلى السلم الجانبي وهو ينظر باحثًا عن أبويه وقد صار جاهزًا أخيرًا للقائهما: «أمي، أبي، مرحبًا!».

قالت سارة: «آه، هيا يا سايلاس، هيا».

«أواه...أواه يا سارة، يبدو أنه كبر للغاية».

«إنه أكبر يا سايلاس، أكبر كثيرًا جدًا، إذا كنت تصدق ما يقولون».

اختفى الهرج والمرج، وعلى جانب الرصيف وقف فأر يرفع لافتة، تقول:

فئران!

هل سئمتم دوار البحر؟

هل مللتم البسكوت؟

أمنهكون من سوس الفاكهة؟

تعالوا إلى القلعة وصيروا فئرانًا رسلًا!

قدموا طلباتكم على هذا النموذج. واسألوا عن ستانلي.

وهذه المرة فقط، كان الفأر يقوم بعمل جيد.

تواريخ وأحداث

سفن الأشباح

بين كل حين وآخر، يسري الرعب في الميناء بأن سفينة أشباح في طريقها للوصول. كان الرعب بوجه عام على غير أساس، غير أنه كانت هناك على الأقل مناسبة واحدة لم يكن الأمر كذلك. سفينة الأشباح هي سفينة حقيقية يسكنها أشباح الطاقم كله، والركاب، والماشية - وحتى الطيور البحرية - التي كانت على ظهرها في لحظة أن صارت شبحية. لا أحد يعرف ما إذا كانت هذه الأشباح تفهم ما حدث لها أم لا، لأنهم يظهرون وهم يمارسون حياتهم كالمعتاد، ويبحرون بالسفينة بلا هدف عبر المحيطات. من النادر جدًّا لسفينة أشباح أن ترسو على ميناء، لكن هناك قصة ذات مصداقية عن سفينة منها وصلت إلى الميناء تحت جنح الليل خلال عاصفة ثلجية منذ قرابة خمسين عامًا مضت وغادرت مع شروق الشمس.

والسفينة تصبح سفينة أشباح بإحدى طريقتين:

قد ترسو سفينة عند إحدى جزر الأرواح عند غياب القمر. وعند شروق الشمس تصبح سفينة أشباح.. وكل ما على متنها سيصبح أشباحًا.

أيضًا قد تواجه سفينة الأحياء سفينة أشباح في عُرض البحر. وقد يبدو أن سفينة الأشباح تحتاج للمساعدة أو تبدو وقد جرفها التيار. سفينة الأحياء ستتقدم بجوار سفينة الأشباح لتقديم المساعدة، وبمجرد أن تلمس سفينةَ الأحياء سفينةُ الأشباح تصبح – هي وكل ما على متنها – شبحية.

كانت هناك حوادث لأقارب ملتاعين استأجروا سفينة كي يلمحوا طيف أحبائهم الشبحيين عن بعد ويحاولوا التواصل معهم. ومن الطبيعي أن يكون استئجار سفينة لهذا الغرض أمرًا صعبًا للغاية، إذ إن الربابنة صاروا مرتعا للخرافة. لن يقبل أي ربان من ربابنة الميناء مثل تلك المهمة منذ وقوع حادثة إيدورا، وهو مركب صيد تم استئجاره لغرض مثل ذلك تمامًا. في واقع الأمر،

عثرت إيدورا على سفينة الأشباح التي كانت تبحث عنها، لكنها اندفعت إلى جوارها وصارت مثلها هي الأخرى.

إن عم بيتل – وقد كان صبيًّا في الرابعة عشرة حينذاك – قد اشتهر بأنه صعد إلى ظهر سفينة الأشباح في تلك الليلة الثلجية في الميناء، رغم أن والدته ظلت لسنوات ترفض تصديق ذلك. وفي سنها المتأخرة استأجرت سفينة للبحث عن ابنها ولم تعد مطلقًا. كانت العائلة تؤمن دائمًا أنها وجدت سفينة الأشباح التي عليها ابنها وقفزت على ظهرها.

تيرتيوس فيوم

في فترة ما، قاد تيرتيوس فيوم، حين كان حيًّا، جيش ملك قاصر بالغ النزق لإمارة صغيرة تقع على حدود الصحراء غير المتناهية. كان الملك يطمح إلى أن يصبح حاكمًا لمساحات أوسع كثيرًا من الأرض، وهكذا شرع في ضم جيرانه. وقد حقق نجاحًا ضئيلًا إلى أن استعان بأحد المرتزقة وكان يحمل اسم تيرتيوس فيوم. كان تيرتيوس هاربًا من بلاده بعد حادثة بشعة صارت تعرف باسم

الخيانة الكبرى، وكان سعيدًا بفرصة يعيد بها اكتشاف نفسه. كان شابًّا يحمل كاريزما خاصة يؤلف قصصًا يرغب الناس في تصديقها، وهكذا فعلوا في أغلب الأحيان. أعطاه الملك قيادة كامل جيشه - ليس الأمر مثيرًا للإعجاب كما يبدو - وصارت حكايات تيرتيوس فيوم عن أنه كان أصغر جنرال في بلده على المحك. وبسبب مزيج من الحظ والمغامرة وحقيقة أن كل منتقديه تعرضوا «لحوادث» غامضة وبشعة، اعتُبر تيرتيوس فيوم ناجحًا. في تلك الأثناء حدث أن قابل شرذمته الأولى من الجن المحاربين، ويرجع الفضل إليهم في أنه نجح في غزو أربع قلاع مجاورة، دائمًا عن طريق حفر الأنفاق أسفل أسوارها أو استخدام أنفاق الإمداد القائمة. صار يعرف **بالمتسلل الليلي**. وتسببت فضيحة في جعله يترك منصبه فجأة، وبعد عدة سنوات وصل إلى **القلعة**.

اللوسي جرينج

تفخر لوسي جدًّا بحقيقة أنه صار لديها الآن مركب صيد ذو أشرعة حمراء سمي باسمها. فطوال المساء الأخير على الجزيرة،

استجمع جاكي شجاعته ليطلب شيئًا من لوسي، لكنه كان خائفًا وحسب أنها قد تضحك وتطلق عليه: مخ السمكة. ولو لم يكن بيتل قد قدم له **شراب الفاكهة الفوار**؛ لما كان ذلك قد حدث مطلقًا.

كان **شراب الفاكهة الفوار** هو أكثر الأشياء الرائعة التي ذاقها جاكي على الإطلاق، وأوحى له بفكرة. والكأس في يده، ذهب ليبحث عن لوسي، التي كانت تجلس على حافة الماء تفكر في سايمون هيب. وعن قرب، كانت المارودر مسحوبة في المياه الضحلة، وقد ثبتت مرساتها على الشاطئ. أخذ جاكي نفسًا عميقًا واستجمع كل شجاعته - أكثر مما كان يحتاج إليه لزمن طويل جدًّا - وألقى أطول خطبة في حياته.

«لوسي، أنا أعرف أنك لن تأتي مَعي على قاربي، مع أني أحب ذلك كثيرًا، لذا أريد أن أطلق اسمك عليه. إنه قاربي الآن ويمكنني أن أطلق عليه الاسم الذي أحبه؛ لذا عليك أن تسكبي هذا الشراب الفوار عليه وتقولي: «أسمي هذه السفينة: اللوسي جرينج».. موافقة؟».

«أواه، يا جاكي» أعيت الكلمات لوسي.

قال جاكي: «ربما سأطلق عليه لوسي فقط اختصارًا. إنه اسم لطيف يا لوسي».

الربان فراي والأخوان كرو

حين عاد ميلو وطاقمه إلى السيريس -وهم مدججون بالسلاح- وجدوا الربان فراي والأخوين كرو ليسوا في وضع يسمح لهم بالمقاومة. كان ثلاثتهم فاقدين للوعي في الصالون، إذ عثروا على مخزون شراب الروم وأسرفوا في الشراب. أما ما قاله ميلو عن حالة الصالون فلا يمكن إعادته هنا، ويمكن التماس العذر له فحسب على أساس أن ميلو كان قد مر بيوم عصيب. تم حبس فراي والأخوين كرو في عنبر الشحن مع دلو من الماء لكل واحد، وتم إخراجهم حين وصلوا إلى الميناء. هم الآن في سجن الميناء، في انتظار المحاكمة.

حين سمع جاكي فراي الأنباء، شعر بارتياح.. لقد صار الآن حرًّا بالفعل.

ميرين ميريديث
(المعروف بدانيال هنتر)

قضى ميرين ليلتين طويلتين محبوسًا خلف الجدار الخشبي.

وبعد أن أدرك أنه محبوس من الخارج، أكل كامل مخزونه من الحلوى. شعر عندئذ بالغثيان وبدأ في النحيب. سمعته سارة هيب، لكنها ظنت أنها أشباح الأميرة الصغيرة التي كانت جينا قد حكت لها عنهم. وبعد فترة راح ميرين في النوم، إلى أن استيقظ في منتصف الليل وبدأ في الصراخ مرة أخرى. أرسلت سارة سايلاس للأسفل ليتحقق من الأمر، لكن في منتصف الطريق على السلم، فكر سايلاس في شيء أفضل، فعاد إلى السرير مخبرًا سارة أنها: «قطط». سقط ميرين في النوم يائسًا، ونام طوال تلك الليلة وأغلب النهار التالي. بعد ذلك قضى الليلة التالية أيضًا في الصياح، وانتابت سارة هيب كوابيس مروعة عن القطط.

وكان في وقت متأخر من مساء اليوم التالي، وهو يمرر يديه على اللوحات ويعد العقد في الخشب، أن عثرت أصابع ميرين

على مقبض فتح الباب. ودون أن يعبأ بأن يسمعه أو يراه أحد، اندفع إلى غرفته في العلية، حيث التهم مخزون الطوارئ من العرقسوس ودبة الموز وذهب في النوم مرة أخرى.

في اليوم التالي كان ميرين راغبًا في تجاهل دار المخطوطات تمامًا، لكنه حينها فكر فيما هو أفضل. كان يحب زي الكتبة – كان يشعره بالأهمية – وإلى جانب ذلك، كان يحتاج إلى الأجر ليشتري المزيد من العرقسوس.

لم يكد ميرين يصدق حظه العثر في الاصطدام بالعمة زيلدا، لكنه ظن أنه عالج الأمر على نحو جيد للغاية. كان قد انطلق بثقة إلى دار المخطوطات متوقعًا أن يتلقى الترحيب بعودته، ليجد أن جيلي دجين لم تعد تلك الشخصية اللينة التي كانت. فقد أمطرته بالأسئلة عن نوع من المفاتيح، والذي كان صحيحًا، أنه خبأه، لكن لم يكن خطأه حقًّا وهو لم ير ما الذي دار حوله الاتفاق الكبير. كان قد فعل ذلك فقط؛ لأن شبح القباء أخبره أن اليوم يوم المزاح بدار المخطوطات (وهو تقليد قديم)، وأن أحدث كاتب عليه أن يخبئ شيئًا ويرى كم من الوقت سيستغرق العثور عليه. وكان الشبح على سبيل المساعدة ـ قد أخبره بشفرة خزانة المفتاح واقترح مكانًا

للإخفاء.. غرفة قديمة مخفية تحت ألواح الأرضية المفكوكة أسفل منضدة المكتب الأمامي. لم يبد أن جيلي دجين تفهم المزحة على الإطلاق.. ولا حتى بعد أن أعاد لها ميرين المفتاح.

لم يكن ميرين يرى أن ذلك عدل على الإطلاق حين أخبرته جيلي دجين أنه سيتولى نوبة حراسة الباب خارج القباء إلى أن يتم العثور على شبح القباء. كان الجو باردًا ومخيفًا، ولم يأت أحد لرؤيته. وهو حتى لم تعجبه كذلك طريقة سخرية الكتبة حين وصل إلى دار المخطوطات. قضى ميرين الأسابيع القليلة التالية يرتجف في البرد خارج القباء ويلف الخاتم ذا الوجهين في إبهامه، وهو يخطط للثأر. سيرى جيلي دجين وسيرى كذلك هؤلاء الكتبة المتعالين.

كرة الضوء

كانت **كرة ضوء** ميار واحدة من عجائب الدنيا القديمة.

كان **الضوء** باردًا حين يتم لمسه، وكان مصدر طاقته غير معروف. كان الظن أنه يعود إلى **الأيام الخوالي** حين أحاطت

بالأرض سلسلة من **الأضواء**، ترشد البحارة إلى طريقهم، كما تقول الأسطورة، وينحدر ميار من سلالة حراس الضوء الذين كانوا بدورهم ينحدرون من **حراس البحار الغامضين**. وليس معروفًا أين دخلت القطط داخل شجرة العائلة.

أضواء جزر الحورية

كانت المنارات الأربع حول جزر الحورية قد بناها حراس البحار باعتبارها جزءًا من برنامج لحماية البحارة مما كان يطلق عليه حينها: «**الأرواح المزعجة**». وضعت في كل منها **كرة ضوء**، وعين اثنان من الحراس لرعايتها.

في الأزمنة القديمة، كان الكثير من الجزر تسكنها الأرواح. وكانت الغالبية العظمى من الأرواح مزعجة، لا تقوم سوى بإثارة العاصفة المؤقتة على سبيل التسلية، لكن بعضها، مثل الحورية، كانت شريرة وكانت تقضي الوقت في استدراج السفن إلى مصيرها المحتوم، أو البحارة إلى الإصابة بالجنون على جزرهم. كانت الحورية استثنائية في أنها جمعت بين قوة أغنية الإغواء المدمرة

وبين كونها روحًا مستحوذة، وهكذا وضعت أربع منارات حول مجموعة الجزر لتحديد نطاق أغنية **الحورية**، والذي بعده لم يكن التحرك آمنًا.

كانت المنارات ذات تأثير بالغ، وقد كرهتها **الحورية**. وعلى مر السنين كانت تدبر لإزالة **الأضواء** من ثلاثة منها، إلى جانب حراسها. كانت الحورية روحًا خادعة وكان لديها الكثير من الأشباح المتطوعين أو الأرواح المساعدة، لكن تيرتيوس فيوم كان الوحيد الذي نجح في استغلال **الحورية** لمصلحته.

الجيش الذي في الصندوق

كان بعض التجار قد قضوا حياتهم باحثين عن الصندوق الذي يحتوي على جيش الجن، والذي عرفوا أنه قد يتطلب ثمنًا فلكيًا. وعبر القرون، بيع عدد ضخم من الصناديق القديمة المنبعجة التي تحتوي على كل أنواع القمامة - بما في ذلك الأنابيب الرصاصية الفارغة - لتجار سذج مقابل أسعار باهظة. ولم يعد معظم التجار يصدقون أن الصندوق موجود، وكان الذين واصلوا البحث يُنظر

إليهم على أنهم مغفلون في أحسن الأحوال ومختلون في أسوئها. كان يعتبر من قبيل القضية الخاسرة أنه إذا انطلق أحد في رحلة تعوزها الحكمة كان عادة ما يقال إنه هو أو هي كانوا يبحثون عن جيش الجن.

إن ميلو، بالطبع، واحدًا من هؤلاء الذين كانوا مقتنعين بوجوده. وبعد زواجه من الملكة سيريس صار مهووسًا بإمداد **القلعة** التي لا تتوافر لها الحراسة بجيش. لكن الجيش دائمًا يكلف الكثير للحفاظ عليه، ولم يكن ميلو راغبًا في أن يدفع أكثر مما يجب. ولا كذلك، وهو ما يجب أن يقال، الملكة سيريس . كان الجيش الذي في الصندوق يناسب الميزانية تمامًا - لا يحتاج إلى صيانة، لا مشكلات إقامة، ولا فواتير طعام ضخمة، ولا مشكلات في الشوارع من حامية تشعر بالضجر. وهكذا وبعد زواجه مباشرة، انطلق ميلو في رحلته الأولى للبحث عن الصندوق، مقتنصًا الكثير من المشاريع المربحة في طريقه.

ما كان ميلو ليعرف أن تيرتيوس فيوم كان يتعقب الصندوق قبل عدة سنوات، وكان يحاول إيجاد طريقة لإعادته إلى القلعة لاستخدامه الخاص. كان الشبح قد أرهقته الطريقة الضبابية التي

تدير بها القلعة أمورها، وكان مشمئزًّا بوجه خاص من حقيقة أن هناك الآن أنثى تتولى منصب الساحرة العظمى. كان تيرتيوس فيوم يعرف أن بمقدوره أن يسوس الأمور بشكل أفضل، لكنه يحتاج لقوة تدعمه. ومن ناحيته أيضًا، اعتبر جيش الجن حلًّا مثاليًّا.

ومن خلال مصدر المعلومات السري الشبحي، اكتشف تيرتيوس فيوم أن ميلو يبحث عن الصندوق فقرر أن يستغل ذلك لمصلحته. ولم ينقض وقت طويل حتى بلع ميلو الطعم. فهو لم يقم بشراء الصندوق مقابل أموال أكثر مما كان تيرتيوس فيوم يصدق فحسب، بل إنه أيضًا وفر وسيلة النقل. لم يتبقى سوى بعض الترتيبات مع الحورية حتى تؤتي حبكة تيرتيوس فيوم ثمارها. أُبرم اتفاق بمقتضاه، في مقابل الوصول إلى النفق الجليدي، وافق تيرتيوس فيوم على إزالة آخر ضوء متبقٍ.. وهو ما كان ينوي القيام به في كل الأحوال. كان الأمر، كما كان تيرتيوس فيوم قد تفاخر به أمام الربان فراي العاجز عن الفهم: «موقف يحقق المكسب للجميع» أو هكذا ظن.

سايارا سايارا

إن موقف الشاهدة الرافضة الذي كانت عليه سايارا من الاتفاق بين تيرتيوس فيوم والحورية هو الذي وضعها على طريق الحرية.. لكنه كان طريقًا طويلًا ومحفوفًا بالمخاطر. حملت سايارا إلى الميناء على ظهر السيريس وهي فاقدة للوعي تمامًا. وبعد أيام قليلة، وضعت في الغرفة الهادئة بعيادة برج السحرة، التي كان يشغلها من قبل إيفانيا جريب وهيلدا جارد (صارا الآن متعافيين بما يكفي لنقلهما إلى الباحة الرئيسية بالعيادة). كان سبتيموس يزورها كل يوم ويخبرها بما فعله في ذلك اليوم، لكن سايارا واصلت النوم... بلا انقطاع...بلا انقطاع.

مِيار وميرانو القط

كان ميار وميرانو آخر أفراد عائلة القط، التي كانت المنارات الأربع التي تحرس جزر الحورية مأهولة بهم (أو كانت تموء بهم). إن مزيجًا من العزلة، وغياب القادمين، والخطط المتنوعة

للحورية قد أودى بعائلة القط وأوصلها إلى حافة الانقراض. كان ميرانو بالفعل قد تعرض للقتل على يد الأخوين كرو، إذ دفعه كرو النحيف خارج نافذة غرفة الأسـرَّة. ارتد ميرانو من الصخور بالأسفل وغطس دون أثر. واستقل ميار الأنبوب الأحمر ليبحث عنه لكنه لم يجد شيئًا. كانت التيارات القوية التي تدور حول قاعدة المنارة قد حملت جسد ميرانو إلى خندق على بعد عدة أميال في المياه العميقة.

جيم ني

كان لجيم ني كثير من الأسماء على مدى فترات وجوده أو وجودها. ولم يكن «جيم ني» أسوأ هذه الأسماء، بل كان الأفضل على الإطلاق.

تعددت الأوقات التي تساءلت فيها الزوجة الرابعة لتاجر السلاحف ما إذا كانت قد اتخذت القرار السليم بأن تصبح جنية، لكن حين تذكرت تاجر السلاحف، اكتشفت أنها كانت على صواب. ربما كان تنظيف مخلفات الجياد في إسطبلات الملك

أوجياس هو أسوأ الأشياء، أما أفضلها فكان أن عملت خادمةً لأميرة جميلة في قصر على السهول الجليدية الشرقية، إلى أن اختفت بطريقة غامضة. لا يزال جيم ني يفتقدها ويتساءل أين تراها ذهبت.

أما ما كرهته الجنية فقد كان زمن الأحلام في القنينة الذهبية الضيقة.. ملل لا يمكن وصفه مم زوج برغبة لا تحتمل في التمدد. ولكن بمجرد أن خرجت الجنية إلى العالم، نُسي زمن الأحلام وبدأت الحياة مرة أخرى. كان جيم ني يعرف أنه من المبكر جدًّا الحكم على حياته الجديدة، لكنه كان يعرف شيئًا واحدًا.. فحتى الآن، لم تكن حياة مملة.

زعيم القرية: اللعبة

يمكن لهذه اللعبة أن يلعبها لاعبان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة لاعبين. إذا لعبت على الرمال يمكن أن يزيد عدد اللاعبين بأي قدر، لكنه يجب أن يكون عددًا زوجيًا. عليك فقط أن تزيد من عدد الأكواخ في قريتك.

تؤدى اللعبة في مجموعة من الجولات. ويمكنك أن تقرر مسبقًا عدد الجولات التي ستلعبها، وفي هذه الحالة يكون الفائز هو الشخص صاحب أكبر عدد من الأكواخ، أو يمكنك أن تلعب إلى أن يفوز أحدهم بالأكواخ كلها.

بالنسبة لمباراة من الحجم العادي (ستة لاعبين بحد أقصى)، ستكون في حاجة إلى: ثمانية وأربعين حصوة، أو حبة فول، أو قوقعة متماثلة الحجم، ورمال مبللة. يمكنك إما أن تلعب على الرمال التي غادرها المد أو أن تبللها باستخدام **قزم الماء**، مثلما فعل بيتل.

استخدم قبضتك لتصنع خطين متوازيين في الرمال بهما ستة منخفضات، وهذه هي الأكواخ. وكل مجموعة أكواخ يطلق عليها القرية. ضع عائلة من أربع حصوات / حبات/ قواقع في كل كوخ. خصص مجموعة متساوية من الأكواخ لكل لاعب.

وهدف اللعبة هو الإمساك بالحصوات. كل مجموعة مكونة من أربع حصوات ستعطيك كوخًا في المرحلة التالية.

كيف تسير اللعبة؟

تبدأ الحركات من اليمين للشمال، عكس عقارب الساعة. تقوم اللاعبة الأولى بالتقاط كل الحصى من واحد من أكواخها، وتتحرك عكس اتجاه عقارب الساعة، وتسقطها واحدة واحدة في كل كوخ تلو الآخر. إذا سقطت الحصوة الأخيرة في كوخ به حصوات بالفعل، يواصل اللاعب التحرك بالتقاط كل الحصوات في الكوخ الأخير ويستمر في إسقاطها واحدة بعد الأخرى حول القرية. في بداية المباراة، حيث تكون هناك الكثير من الحصوات في القرية، يمكن أن تستمر الحركة بهذه الطريقة للعديد من الأشواط.

إذا أصبح أي كوخ به أربع حصوات في أثناء اللعب، يزيل الشخص الذي يملك الكوخ الحصوات ويحتفظ بها. ويكون الاستثناء من ذلك في حالة أن تكون الحركة الأخيرة للاعب ستصنع كوخًا من أربع حصوات، فتلك الحصوات الأربع تصبح عندئذ ملكًا للاعب.

تستمر المباراة مع أخذ كل لاعب تلو الآخر دورًا. ويجب أن يبدأ كل اللاعبين دورهم من كوخهم الخاص. وإذا لم يكن هناك حصوات في كوخهم فقدوا دورهم وعليهم أن ينتظروا حتى يلف عليهم الدور مرة أخرى.

وحين يصبح هناك ثماني حصوات فقط على اللوح، يصير اللعب أبطأ كثيرًا. ويكون الفائز بالكوخ التالي الذي به أربع حصوات فائزًا بالثماني حصوات كلها، وهكذا يكون الكوخ الأخير مكسبًا مضاعفًا. عند ذلك يعد كل لاعب حصواته في الأكواخ ذات الأربع حصوات حول القرية مرة أخرى ليرى كم عدد الأكواخ التي كسبها. إذا لم يكن لديك أي حصوات تخرج من اللعبة. وتبدأ الجولة التالية من المباراة بالأكواخ الجديدة. وكلما زاد عدد الأكواخ التي يملكها اللاعب، كان أسهل عليه أن يكسب المزيد منها. إنها حياة شاقة.

ستانلي

كان ستانلي في سرور بالغ لتلقيه رسالة شخصية من الأميرة، مع أن من سلمها كان رسولًا يرتدي قبعة صفراء غاية في الغرابة، والذي أمل ألا يكون الزي الجديد للقصر.

كانت الرسالة كما يلي:

من السفينة إلى الشاطئ

إلى: ستانلي، رئيس خدمة الفئران الرسل/ خدمة فئران البريد، برج مراقبة البوابة الشرقية، القلعة

من: الأميرة جينا هيب على ظهر مركب السيريس

نص الرسالة:

نحيطك علمًا بوصول شحنة من الفئران

*ينتظر أن تغادر **السيريس** على رصيف التجار.*

إنها تحت تصرفك يا ستانلي!

ظل ستانلي يدور حول نفسه وهو في حالة من السعادة لعدة ساعات، ممسكًا بالرسالة.. كان لا يزال صديقًا للعائلة الملكية. للحظة قصيرة تمنى أن يخبر زوجته السابقة داوني عنها، وبعد ذلك استجمع أمره. إنه ليس من شأن داوني، فهي تخصه وحده. في الواقع، كما فكر، لم يعد هذا صحيحًا تمامًا، فلديه الآن أربعة فئران أيتام ليفكر فيهم.

اتجه ستانلي إلى سلة صغيرة في الركن، حيث كان ينام أربعة مخلوقات ذات فراء بني وذيل وردي صغير. كان قد وجدهم الليلة الماضية فقط، لكنه شعر بالفعل أنه يعرفهم طوال حياته. كان سيدني هو الفأر الهادئ؛ وليديا الصغيرة ذات الغطيط؛ وفيث

الضخمة الواثقة؛ وإدوارد الصاخب السخيف نوعًا ما. أحبهم جميعًا أكثر مائة مرة مما كان يحب داوني يومًا.

تردد في الذهاب، لكن في ظل معرفته أنه يجب أن يذهب، وضع ستانلي وعاء كبيرًا من اللبن وبعض بقايا الثريد بجوار السلة. قال لهم: «كونوا مهذبين، سأعود سريعًا» ومشى برفق إلى الباب وغادر جحر الفئران وأغلقه وانطلق إلى الميناء في خطوات واثبة.



ينتهي المطاف بسبتيموس على جزيرة ساحرة الجمال، وهي واحدة من مجموعة جزر سبع وسط بحر الق، وهناك يحاصر مع تتينه الجريح، لافظ اللهب، إلى جانب جينا وبيتل. ويحيط بالجزيرة بعض الأشياء الغريبة، من بينها فتاة سحرية تدعى سايرا، ومنارة على هيئة قطة فقدت ضوءها، وكائن غريب يُنشد لسبتيموس. فهل يكون بمقدوره أن يهرب من النداء المُلح؟
تتصاعد المتاعب أيضًا أمام لوسي وابن الذئب اللذين وقعا في شراك بعض البحارة الأشرار، وكذلك أمام ميلو باندا، والد جينا، الذي يقوم بنقل صندوق كنز غامض في عنبر سفينته.

يمكنك التواصل مع المؤلفة عبر الموقع الإلكتروني الخاص بها على الرابط التالي:

www.septimusheap.com

صدر منها:

1- السحر
2- الطيران
3- الطب
4- الرحلة
5- الحورية
6- الظلام
7- النار

للطلب والاستفسار اتصل على
16766
www.nahdetmisr.com
our page/nahdet misr group
نهضة مصر
للنشر
6 221133 354462